

مناهج التربية العقدية عند الإمام ابن تيميَّة

(دراسة وصفية تحليلية)

بحث قُدِّم لنيل درجة الماجستير

في التربية

بتقدير "ممتاز"

إعداد

أبي حمزة

محمود داود دسوقي خطابي

تمهيد

الحمد لله منزل القرآن للمؤمنين شـــرعةً ومنهاجاً، رب العالمين وهاديهم إليه فضلاً منه لا احتياجاً، مكرمهم برؤيته يوم القيامة؛ ليزدادوا سروراً وابتهاجاً، ونشكره على نعمه التي غمرتنا جماعاتٍ وأفراداً، ونســتعينه ونســتهديه ونســتغفره على زللٍ فعلناه جهلاً وتقصـيراً لا اعتقاداً، ونصـلي ونسـلم على من اصـطفاه ربه فأدناه منه اقتراباً، سـيدنا محمدٍ الذي أرسـله ربه هادياً للعالمين وسـراجاً وهاجاً، فبلغ دينه وأبان للخلق الإســلام علماً وقولاً وعملاً واعتقاداً، وعلى آله وصـحبه وتابعيهم كلما ذكر الله تعالى الذاكرون صباحاً ومساءً و هُجَّاداً .

وبعد:

فإن قَدْرَ أيِّ عمل يقوم به الإنســان إنما يقاس بشــرف نتائجه وثمرته ومدى نفعه في الحياتين الدنيا والآخرة، ومما لا شــك فيه أن للتربية اليد الطُّولى وقصــب السبق في هذا الشأن. كيف لا؟! وهي متعلقة بأشرف مخلوق على وجه الأرض وهو الإنسان...

إن تلازم التربية للإنســـان تلازم حتمي كحتمية وجوده، إذ بدأت التربية مع بعثة آدم عليه الصــلاة والســلام ونزوله خليفة إلى الأرض حيث أخذ يعلم زوجته وأولاده مما أنعم الله عليه من علم يتعلق بالدنيا أو بالآخرة، وبالنســبة لمن سـوى آدم عليه الصلاة والسلامَ فيصحُّ لنا أن نقول: إن التربية المتعلقة بالإنسان تسبق وجوده وذلك حينما يختار الزوج شـــريكة حياته أم أولاده – أهم محور من محاور التربية – والتي ستقوم بتربيتهم صغاراً وبتوجيههم كباراً.

وللتربية منزلة عظيمة عند المسـلمين خاصــة وعند مَنْ يهتمون بها على وجه العموم ومما تشــرف به التربية أن الله ســبحانه متصــف بالربوبية كما قال تعالى:



﴿الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1] فالله سبحانه وتعالى "له معنى الربوبية ولا مربوب"[2] فالصغير والكبير الكل يقرأ في صلاته كل يوم سبع عشرة مرة – سوى النوافل – ﴿الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[3] والقرآن الكريم والسنة النبوية غنيان بالتربية ومشتقاتها. وكلما كانت التربية قائمة على أصول ثابتة كانت ثمرتها يانعة نافعة وإذا اقترنت التربية بأمور الاعتقاد كان الشرف أسمى وأجل. وعلماء شريعتنا الإسلامية قد امتزجت أرواحهم ودماؤهم بنور الوحيين: القرآن الكريم والسنة النبوية؛ فانتقل ذلك النور إليهم حيث الهداية للخلق وفق أرقى وسائل ومناهج التربية: تربية نفسية وروحية وعقلية وجسمية للفرد والمجتمع فهم يجمعون بين كل نواحي التربية بما سقوا من ذلك المعين الذي لا ينضب فربَّوا المتعلمين والسائلين المستفيدين تربية جسدية عقلية روحية عقدية فمن ذلك تعليمهم للصغار بقولهم: "فإذا قيل لك: من ربك؟ فقل: ربي الله الذي رباني وربَّى جميع العالمين بنعمه وهو معبودي ليس لي معبود سواه والدليل قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[4] فإذا قيل لك: بما عرفت ربك؟ فقل بآياته، ومخلوقاته ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ومن مخلوقاته: السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[5] والرب هو المعبود والدليل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[6] فهذه التربية العقدية تُعمل فكر الصغار على التطلع في الكون فهي ليست مصطلحات جوفاء بل تسير في منظومة الحياة لذلك فهم أولى من غيرهم بصدارة التربية. ولكل

1 – سورة الفاتحة الآية (2) .
2 – محمود بن الجميل ، جامع متون العلوم الشرعية ، جـ 1ص31 ، متن العقيدة الطحاوية للإمام الطحاوي ، دار البصيرة ، بدون ط ، الإسكندرية – مصر ، بدون ت
3 – سورة الفاتحة الآية (2) .
4 – سورة الفاتحة الآية (2) .
5 – سورة فصلت الآية (37)
6 – سورة البقرة الآية (21)



منهم منهج هو سـالكه في تربيته للناس: فمنهم من يربي مباشـرة مثل مواجهة الجماهير بوسـائل متعددة ومنهم بطريقة غير مباشـرة عبر الكتابة والتأليف وما إلى ذلك وهذا التنوع ناتج عن تعدد ينابيع المعرفة وتنوع مصـادر التلقي واختلاف مشـارب الفهم، وتنوع أسـاليب إيصـال المعلومات والأفكار منهم للمتعلمين أو للسـائلين المسـتفيدين لشـتى أنواع المعرفة وهذا يسـفر عن نضـج علمي وثراء ثقافي لهؤلاء العلماء المربين وهو بدوره ينتقل لمن تربى على أيديهم وإنما أرادوا من تلك التربية العصرية أو التربية العلمية رضا الله عز وجل حتى ترشد ﴿وَكُـلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْـنَى﴾)[1] والأجر على قدر المشـقة (ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمـون)[2] ؛ لذا فقد قمت بإعداد هذا البحـث والذي هو بعنوان:

مناهج التربية العقدية عند الإمام ابن تيميَّة

(دراسة وصفية تحليلية)

محاولاً من خلاله إبراز دور الإمام ابن تيميَّة في تربيته العقدية وأخذه بمنهجية التربية وتعدد هذه المناهج عنده فلم يقتصـر في تعليمه وتربيته على منهج واحد بل عدَّد مناهجه نظراً للفروق الفردية بين المتعلمين صغاراً كانوا أم كباراً وسواء من طلبة العلم أم من عامة المجتمع.

ويتضـح ذلك من خلال خطة البحث الآتية والتي احتوت مقدمة وأربعة فصـول ثم ذكر المراجع والفهارس وهي كما يلي:

الفصل الأول :

الإطار النظري للبحث ويتكون من خلال خطة البحث الآتية وهي كالتالي :

- مقدمة .

1- سورة النساء الآية (95) والحديد(10).



- موضوع البحث.
- أهداف البحث.
- أهمية البحث.
- منهج البحث .
- أدوات البحث.
- حدود البحث.
- مصطلحات البحث.

الفصل الثاني :

الإطار العام للبحث ويتكون من المباحث الآتية:

– الأول : تعريف بالإمام ابن تيميَّة واهتمامه بالمنهجية.

– الثاني : مناهج التربية العقدية عند الإمام ابن تيميَّة .

– الثالث: الدراسات والبحوث السابقة .

الفصل الثالث:

وصف وتحليل واستخلاصات من مناهج التربية العقدية عند الإمام ابن تيميَّة .

الفصل الرابع:

خلاصة البحث وأهم النتائج.

المراجع :

وستكون مراجع البحث مرتبة ترتيباً أبجدياً بحسب أسماء المؤلفين .

الفهارس :



وتشمل على ما يلي:

أ- فهرس للأعلام مرتب ترتيباً أبجدياً مع ذكر أول صفحة ورد ذكرهم فيها.

ب- فهرس لمراجع البحث مرتب ترتيباً أبجدياً بحسب أسماء المؤلفين .

ج- فهرس للأشكال والرسومات.

د- فهرس عام للموضوعات.

الفصل الأول

(الإطار النظري للبحث)

ويتكون من خلال خطة البحث الآتية

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد،،

فإن الله عز وجل رفع قدر العلم وعظمه، وخص به من خلقه من أكرمه واختص العلماء من بين خلقه بخشيته فقال تعالى:﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[7] ومن حكمة العلي القدير سبحانه أنه فرق بين أهل العلم وغيرهم فقال: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[8] وقال: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[9] ، وما أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالازدياد من شيء إلا من العلم كما قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾[10] وقد أخبرنا النبيُّ صلى الله عليه وسلم في أحاديثه الكثيرة عن فضل العلم والعلماء فقال: "من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة "[11] ،وجعله كالمجاهد بقوله: "من خرج في طلب العلم كان في سبيل الله حتى يرجع"[12] ، وفي

---

7 – سورة فاطر الآية (28).
8 – سورة الزمر الآية (9).
9 – سورة المجادلة الآية (11).
10 – سورة طه الآية (114).
11 – رواه مسلم في صحيحه (2074/4) رقم (2699)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت – لبنان، 1375هـ - 1955م.
12 – حسن. رواه الترمذي في سننه، إعداد الشيخ سمير البخاري، (29/5) رقم (2652)، دار إحياء التراث العربي، بدون ط، بيروت – لبنان، 1415هـ - 1995م.

رواية "من دخل مسجدنا هذا ليتعلم خيراً أو يعلمه كان كالمجاهد في سبيل الله"[13] ، فمما مر يرى المسلم مدى اهتمام الإسلام بالعلم حتى جعله يساوي الجهاد في سبيل الله كما أظهر فضل العالم على العابد بقوله: " فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرضيين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلمي الناس الخير"[14] ، وغيرها كثير تحض على العلم وعلى احترام العلماء، ولبيان مدى اهتمام رسولنا صلى الله عليه وسلم وإكرامه له قد أوجب على كل مسلم ومسلمة تعلمه فقال: "طلب العلم فريضة على كل مسلم"[15]، وإنما أوجب الرسول صلى الله عليه وسلم طلب العلم؛ ليدل على أهميته بالنسبة للمسلم "فإن أقوى الفرائض بعد الإيمان بالله تعالى طلب العلم"[16] ، فطلب العلم في شريعتنا فرض وليس مستحباً وذلك في تعلم ما يجب عليه معرفته من أمور الدين التي هي واجبة بالضرورة، وقد "جعل سبحانه هذه الأمة مع علمائها كالأمم الخالية مع أنبيائها"[17]، بهذا وصف علماء المسلمين وهذا ليس بمستغرب "فهم في الأرض بمنزلة النجوم في السماء بهم يهتدي الحيران في الظلماء وحاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب وطاعتهم أفرض عليهم من طاعة الأمهات والآباء"[18]

13 – صحيح. رواه ابن حبان في صحيحه، الإمام الهيثمي، موارد الظمآن، تحقيق محمد عبد الرازق حمزة، ص(49) رقم (81)، دار الكتب العلمية، بدون ط، بيروت – لبنان، بدون ت.

14 – حسن. رواه الترمذي (50/5) رقم (2690)،مرجع سابق.

15 – صحيح. رواه الطبراني في معجميه: الكبير والأوسط، الإمام الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، (323/1 -324) الأرقام (472 – 475)، دار الفكر، بدون ط، بيروت – لبنان، 1414هـ - 1994م، محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته، إشراف زهير الشاويش، (727/2) رقم (3913)، المكتب الإسلامي، ط3، بيروت – لبنان، دمشق – سوريا، 1408هـ - 1988م.

16 – الإمام السرخسي ، المبسوط، (2/1) ، دار المعرفة ، بدون ط ، بيروت – لبنان ، 1406هـ - 1986م.

17 – الإمام ابن قدامة المقدسي المغني ، تحقيق د. عبد الله التركي ود.عبد الفتاح الحلو ، جـ 1 ص4 ، دار عالم الكتب ، ط4 ، الرياض – المملكة العربية السعودية ، 1419هـ 1999م.

18 – الإمام ابن القيم ، إعلام الموقعين عن رب العالمين ، (9/1) ، دار الفكر ، ط2 ، بيروت – لبنان ،1397هـ –1977م ، الإمام ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، جمع عبد الرحمن بن قاسم بمساعدة ابنه محمد إشراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين ، (231/21) ، ط2 ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، بدون ت.



وهذه مزية خاصة لعلماء هذه الأمة الإسلامية "الذين جعلهم الله بمنزلة النجوم يُهتدى بها في ظلمات البر والبحر إذ كل أمة قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم علماؤها شرارها إلا المسلمين فإن علماءهم خيارهم فإنهم خلفاء الرسول صلى الله عليه وسلم من أمته والمحيون لما مات من سنته، بهم قام الكتاب وبه قاموا وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا"[19]، وذلك لأن "العلماء هم أئمة الأنام و زوامل الإسلام الذين حفظوا على الأمة معاقد الدين ومعاقله وحَمَوْا من التغيير والتكدير موارده ومناهله"[20]، وهذا يعني أنه لا يخلو قرن من الزمان إلا وفيه قائم بأمر الله على بصيرة يحفظ ويجدد لهذه الأمة دينها بأمر ربها كماأخبربذلك نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بقوله: " إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها"[21].

ولو أراد الإنسان أن يتتبع أو يستقصي هؤلاء العلماء المجددين ما استطاع لكن ما لا يدرك كله لا يترك جله، وفي قرن يكون مجدد واحد فهو أمة بأسرها، وأحياناً أكثر وربما في بعض الأوقات عدد من العلماء في مجالات شتى، ومنهم من كان إصلاحه للجنان ومنهم من كان إصلاحه بالسنان، ومنهم من كان إصلاحه بالفكر والدعوة والكلام، ومنهم من جمع الله له ذلك كله ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[22] ، لذلك سأكتفي بالإشارة إلى بعض

---

19 – القاضي ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية ، جماعة من العلماء ، خرج أحاديثها الشيخ الألباني ، ص 491 ، بتصرف ، المكتب الإسلامي ، ط9 ، بيروت – لبنان ، 1408هـ - 1988م.

20 – د.محمد أحمد إسماعيل المقدم ، حرمة أهل العلم ، دار الإيمان ، ط5 ، الإسكندرية – مصر ، 1423هـ - 2002م

21 – صحيح. رواه أبو داود في سننه، راجعه محمد محي الدين عبد الحميد، (109/4) رقم (4291)، دار إحياء السنة النبوية، بدون ط، مكة المكرمة – المملكة العربية السعودية، بدون ت، والحاكم في المستدرك على الصحيحين، (522/4)، دار الكتاب العربي بدون ط، بيروت – لبنان، بدون ت، والخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، (6206/2)، دار الكتاب العربي، بدون ط، بيروت – لبنان، بدون ت، محمد ناصر الدين الألباني، السلسلة الصحيحة، (150/2-151) رقم (599)، المكتب الإسلامي ، بدون ط، بيروت – لبنان، 1392هـ - 1972م، وانظر د.عبد المتعال الصعيدي، المجددون في الإسلام، ص 8-10، مكتبة الآداب، بدون ط، القاهرة – مصر، بدون ت، رواه الإمام أحمد في مسنده، بفهرس الألباني، (88/2)، المكتب الإسلامي، ط4، بيروت – لبنان، 1401هـ - 1983م.

22 – سورة الحديد الآية (21)، وسورة الجمعة الآية (4).



مصلحي الأمة من المتقدمين والمتأخرين والذين كان لهم دور في إحياء الأمم ونهضتها فهم مصابيح الهدى، ودياجير الظلام، وهم قادة قوارب نجاة الأمم.

فمن المتقدمين بعد جيل الصحابة الفريد الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز[23]، والإمام الشافعي[24]، والإمام الغزالي[25]، والإمام عبد القادر الجيلاني[26]، والإمام عز الدين ابن عبد السلام[27]، والإمام ابن تيمية[28]، ثم بعد عصر الإمام ابن تيمية أصبح التجديد جزئياً ولم يكن شاملاً للعلوم الدينية والعربية، والعقلية بل صار يختص كل عالم مجدد بشيء برع فيه

ومن هؤلاء الإمام الشاطبي[29]، والإمام البُلقيني[30]، والإمام السيوطي[31]، ومن المتأخرين الشيخ محمد بن عبد الوهَّاب[32]، والمجاهد ابن باديس[33]، والمهدي

23 – أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز بن مروان، أمه بنت عاصم بن عمر رضي الله عنهم، تولى الحكم بعد سليمان بن عبد الملك، اشتهر بالعدل والإنصاف والزهد وتدوين العلوم ونشرها، توفي 101هـ

24 – الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، إمام الدنيا علماً وعملاً صاحب المذهب المشهور، له مؤلفات حجة للعلماء منها الأم والرسالة، توفي 204هـ

25 – حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي، الإمام العابد الزاهد الفقيه الأصولي صاحب المؤلفات الشهيرة منها الإحياء والمستصفى والوسيط، توفي 505هـ

26 – الإمام العالم الفقيه العابد عبد القادر بن موسى أبو محمد محي الدين الجيلاني من كبار العلماء الزهاد الربانيين، توفي 561هـ.

27 – الإمام الشيخ عز الدين أبو محمد بن عبد السلام الدمشقي، جمع علوماً كثيرة وأفاد المسلمين في دمشق ومصر، له مصنفات حسان منها التفسير والقواعد الكبرى والصغرى، والصلاة والفتاوى، توفي 660هـ.

28 – ستأتي له ترجمة في البحث الأول من الفصل الثاني.

29 – الإمام العلامة المجتهد اللغوي الأصولي أبو إسحق إبراهيم بن موسى الشاطبي، له قدم راسخة في الفنون ،كان ذا زهد وصلاح وعبادة وبرع في الفقه والأصول واللغة والتفسير ، له مؤلفات جليلة كالموافقات والاعتصام، توفي سنة 790هـ.

30 – الإمام الفقيه سراج الدين أبو حفص عمر بن رسلان بن نصير البُلْقيني برع في الفقه الشافعي وأفاد الكثير من العلماء والعامة، وتولى قضاء الشام له مؤلفات منها محاسن الاصطلاح والفتاوى، توفي سنة 805هـ.

31 –الإمام الحافظ الفقيه اللغوي المفسر جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكرالسيوطي، تعلم حتى برع ونبغ في علوم كثيرة، وهو من المكثرين في التصنيف، من مؤلفاته الدر المنثوروالمزهروالجامع الصغير،

32 – الشيخ العالم العامل محمد بن عبد الوهاب بن سليمان النجدي، نشأ في بيت علم وكان حاد الذهن متوقد الذكاء ورحل في طلب العلم وحصل علوماً كثيرة، له مؤلفات نافعة مفيدة منها كتابه التوحيد ومجموعة رسائل في التوحيد والفقه وله مختصر زاد المعاد، توفي سنة 1206هـ.

33 – الداعية المجاهد عبد الحميد بن محمد المصطفى بن باديس، رئيس جمعية العلماء بالجزائر، جاهد الاستعمار الفرنسي، أصدر مجلة الشهاب وله بعض تفسيرات، توفي سنة 1359هـ



السنوسي[34]، والمجاهد عمر المختار[35]، والشيخ حسن البنا[36]، والمجاهد النُّورسي[37]، والأستاذ المَوْدودي[38].

فهذه إشارة إلى أبرز المجددين والمصلحين عبر القرون وغيرهم الكثير والإمام ابن تيمية أحد هؤلاء بل أبرزهم لجمعه بين العلم والعمل والجهاد والتبحر في العلوم العقلية والديانات.. وقبل التعريف به أو بشخصيته لابد من التعرف على ظروف العصر الذي نشأ فيه؛ لأنه ولابد وأن لـه دوراً في تكوين شخصيته مع عوامل أخرى ساعدت في نضجه ونبوغه وعبقريته.

34 – المجاهد المناضل المهدي بن علي السنوسي، جاهد المعتدين من الفرنسيين بالسنان والكتابة والكلام، وأكمل مسيرة جهاد أبيه، توفي سنة 1902م

35 – المجاهد الصابر عمر بن مختار بن عمر أشهر مجاهدي طرابلس ضد الطليان فحاربهم حتى تمكن منه الطليان وقتلوه سنة 1350هـ.

36 – الشيخ الداعية محي الأمة الأستاذ حسن أحمد عبد الرحمن البنا، نشأ في بيت علم فوالده العلامة أحمد عبد الرحمن البنا صاحب بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني، والشيخ حسن البنا هو مؤسس جماعة الإخوان المسلمين، كان يدعو إلى الله على بصيرة وهو علمٌ يستغني عن كل وصف، اغتيل سنة 1369هـ - 1949م.

37 – العالم المجاهد بديع الزمان سعيد بن ميرزا النُّورسي الكردي، جاهد المعتدين من الروس وغيرهم من الطغاة واعتقل وابتلي فصبر وكان ذا ذكاء متوقد كثير العبادة والاطلاع، وهمه الأول هو الجهاد في سبيل الله، توفي سنة 1379هـ

38 – المفكر العلامة الداعية المسلم العظيم الأستاذ أبو الأعلى المودودي، نشأ في بيت علم وورع، عمل بالصحافة وأصدر صحفاً تتحدث باسم الإسلام، أسس الجماعة الإسلامية في لاهور كان واسع الاطلاع دؤوب في دعوته في القارة الهندية وباكستان على وجه الخصوص له مؤلفات شهيرة منها تفسيره والمصطلحات الأربعة والربا والحجاب، توفي سنة 1399هـ - 1979م



موضوع البحث

وهي أسباب اختيار البحث:

حيث يبين الباحث فيه الأسباب التي دعت لاختيار هذا البحث بالذات وهي كما يلي:

1- أهمية العقيدة وأثرها على الفرد والمجتمع.

2- تلازم التربية مع العقيدة وفق منهجية محددة.

3- علو شأن الإمام ابن تيمية وتعدد معارفه.

4- عدم تطرق الباحثين إلى التربية العقدية ومناهجها عند الإمام ابن تيمية على وَجْه الخصوص.

1- أهمية العقيدة وأثرها على الفرد والمجتمع:

أمر العقيدة من أخطر الأمور أهمية في حياة الأفراد والمجتمعات؛ لأهميتها في ذاتها ثم لأثرها في الأفراد والمجتمعات. فحينما نظر الباحثون إلى أمر العقيدة وجدوا أن بها السعادة في الدارين لمن كانت عقيدته صحيحة وفق الوحي وكذلك فيها سعادة في الدنيا لمن عمل بمبادئ معينة يحي عليها ويموت مدافعاً عنها إذ هي التي تحرره من العوامل والمؤثرات الخارجية وتجعل توجهه إلى شيء واحد متجرد من العلائق الخارجية وإذا كان ذلك الشيء الواحد هو الخالق سبحانه والمستحق للعبودية المطلقة كانت أهميتها أسمى وأجل وإنما يعرف ويقاس "شرف العلم بشرف المعلوم والباري أشرف المعلومات فالعلم بأسمائه أشرف العلوم[39] وقد أولى الشرع العقيدة المستكنة في القلب اهتماماً بالغاً فجعل الحد الفاصل بين الخلود في الجنة أو في النار إنما هو بصحة العقيدة أو بفسادها أي: بذلك الشيء الكامن في القلب ثم عبر العلماء عن هذا الشيء المستكن في باطن الإنسان بالعقيدة: يوضح هذا أن

39 – الإمام أبو بكر بن العربي، أحكام القرآن، تحقيق علي محمد البجاوي، جـ2 ص 804، دار المعرفة، بدون ط، بيروت – لبنان، بدون ت.



عقيدة الإنســان هي إيمانه بشــئ إيماناً جازماً ولذلك نجد أن كل ما ورد في الكتاب أو الســنة من لفظ الإيمان مرتبطاً بأحد الأركان الســتة فالمقصــود به: العقيدة وعلى هذا "فالإيمان عقيدة تستقر في القلب استقراراً يلازمه ولا ينفك عنه ويعلن صاحبها بلسانه عن العقيدة المستكنة في قلبه ويصدق

الاعتقاد والقول بالعمل وهذا مقتضـــى هذه العقيدة[40] ولهذه العقيدة أهمية أخرى وهي تأثيرها على معتنقيها أفراداً وجماعات فهي وحدها التي تتســـبب في حدوث الأمن النفسي والأمن على المصير وكذلك هي سبب في اتحاد وجميع الأفراد مع عدم اليأس أو الخوف من المســتقبل وهي وحدها الموصـلة إلى محبة الله الخالق وشــكره مما ينبثق عن ذلك هداية ورحمة بين الأفراد والمجتمعات.

2- تلازم التربية مع العقيدة وفق منهجية محددة:

هذا التلازم حتمي ضــروري في حياة البشــرية؛ إذ إنه لابد للكائن الحي من معتقد يعتقده ويسـير وفق تصـوره ويحدد مســاره تبعاً لذلك المعتقد، وأن هذا المعتقد لا يأتي فجأة بلا إعداد بل يتكون نتيجة لتربية قويمة أصــيلة تنمي الروح والفطرة كما يربي الجســـد وينمو وكذلك يربط هذا المعتقد من خلال تلك التربية جوانب الحياة بعضـــها ببعض مع جعل الفرد عضـــواً فاعلاً ذا تأثير إيجابي في مجتمعه مما يؤدي بالمجتمع إلى الوصــول إلى مرحلة الكمال البشــري، وهذه العقيدة التربوية تقوم على دعائم منهجية راســخة تظهر أهميتها أي أن هناك مناهج متعددة لتأصــيل العملية التربوية في نفوس المتعلمين لذلك فإن وجود المنهجية مع التربية شـــيء أســـاس في العملية التعليمية؛ فلذا تلازم التربية العقدية مع المنهجية في أداء وحصـــول العملية التعليمية والوصول بالإنسان إلى أرقى الكمالات البشرية.

---

40 – د. عمر سليمان الأشقر، العقيدة في الله، ص 19، دار النفائس، ط 12 ، عمّان – الأردن، 1421هـ - 2000م



3- علو شأن الإمام ابن تيمية وتعدد معارفه:

وهذا المنصـب العلمي بين العلماء والباحثين جعله محطاً للدراسـات والأبحاث سواء فيه خاصة أو في علمه أو عبادته أو دعوته أو في منهج معين من المناهج التي يسلكها في حياته العلمية والتربوية يضاف إلى هذا تعدد معارفه والتي أثرت الأبحاث بمادة خصبة يجد الباحثون بغيتهم فيها وعبرها؛ لذلك اتجه الباحث للإطلال في بحثه على جانب معين من دعوته ألا وهو المناهج التربوية في تعليمه للعقيدة.

4- عدم تطرق الباحثين إلى التربية العقدية عند الإمام ابن تيمية على وَجْه الخصوص:

فمع ما كتب عن الإمام ابن تيمية من نواحٍ متعددة: فكرية وتربوية وشـرعية وعقلية إلا أن الباحث لم يجد – فيما اطلع عليه- بحثاً عاماً أو ضـمنياً تكلم على مناهج التربية العقدية عند هذا الإمام، لكن يذكر العلماء والباحثون دوره في نشـر العقيدة أو دعوته من خلال العقيدة؛ لهذا رغب الباحث في الإسهام في الكلام على ذلك الصـرح الشـامخ عبر التاريخ الإمام ابن تيمية فكان هذا البحث تحديداً في إظهار تلك المناهج التي سلكها ذلك الإمام – فيما يرى الباحث- والتي وظفها في تربيته العقدية لمن عاصـروه أفراداً وجماعات أو لمن أتوا بعده كذلك ،وهذا يؤكد أن الإنسـان ابن بيئته وأنه اجتماعي بطبعه وأن المتعلمين من هذا الإمام بالطريقتين: المباشـرة وغير المباشـرة وكذلك من يكتبون عنه فإنهم قطعاً ولابد سـيتأثرون بفكره وثقافته ومناهجه التربوية التي يسـلكها التي يحملها وإذا كان الترابط على مناهج عقدية ؛ فإن هذا سـيجعل الأمر أكثر ثباتاً و "عندما يتناول أي مفكر أو أي باحث قضية من القضايا فمن الطبيعي أن يتأثر بعقيدته وتكوينه الفكري والثقافي ، وتصـوراته التي ينطلق منها في النظر إلى الحياة البشـرية ، ودور الإنسـان في هذه الأحداث ، فالعقيدة هي الرباط الذي يربط كيان الإنسـان ويوحد اتجاهاته ، وهي



العقدة الصلبة التي تمنع انحلاله ، وهي القاعدة الأساسية في النظرة الإسلامية التي تحدد نظرة المسلم إلى كل شيء في الحياة "[41]، وهذا ما تعلمه تلاميذه منه من خلال مناهجه التربوية في تأصيل الجوانب العقدية.

أهداف البحث

لقد مشى العلماء وساروا في تعليمهم وتربيتهم المتعلمين خُطىً ثابتة حيث اتباعهم مناهج معينة وفق معايير دقيقة لضبط تلك المناهج وقياس مدى فعاليتها، وهم من خلال تلك المناهج يبينون ما يريدون إيصاله إلى المتعلمين سواء اشتملت مناهجهم على معلومات أو أحكام بعينها فعلاً أو تركاً وسواء اشتملت على تربية أو تقويم سلوك أو وضع ضوابط تطبيقية في بعض المجالات. والعلماء متعددو المعارف والعلوم ومتباينو الثقافات فمنهم من عرف عنه تخصص في علم بعينه فأصبح مشهوراً به معروفاً بإتقانه له ومنهم ومن برع في أكثر من علم وفنٍ ومنهم من طالت يده معارف عصره فأصبحت له مشاركات في شتى العلوم...

ومن هذا الصنف الأخير الإمام ابن تيمية حيث لمعت عبقريته في كل من العلوم النقلية والعقلية وفي هذا البحث سيتناول الباحث نوعاً من أنواع التربية برع فيه هذا الإمام ألا وهو التربية العقدية مع ذكر بعض المناهج التربوية – فيما يبدو للباحث– والتي سلكها لبيان وتأصيل العقيدة في نفوس المتعلمين قولاً وعلماً وعملاً واعتقاداً فأصبحت شخصيته وسيرته وتربيته نبراساً لمن تعلموا منه ولمن أتى بعده من

---

41 – وليد محمود محمد السيد،القضايا التربوية المُتضمنة في كتابات محمد قطب " دراسة تحليلية " تخصص أصول التربية،قسم أصول التربية–كلية البنات للآداب والعلوم التربوية– جامعة عين شمس،إشراف أ.د نوال أحمد نصر– د أماني عصمت عبد العزيز هيبة، ص **41** ، رسالة ماجستيرغير منشورة ،القاهرة–مصر،**1427**هـ– **2006**م .



العلماء على وجه الخصوص ثم غيرهم على وجه العموم وسيتم ذلك من خلال ما يلي:

مشكلة البحث وذلك من خلال الإجابة على عدة أسئلة:

وهذه الأسئلة تعرض للباحث وتُكَوِّنُ أساسَ موضوعِ البحثِ ويتم الإجابة عنها من خلال عناصر البحث ومن خلال طرح تلك الأسئلة والإجابة عنها تبرز أهمية الدراسة وأنها جديرة بالبحث مع بيان مدى فعالية البحث وسيكون ذلك من خلال ما يلي:

أولاً: ما المنهج العقدي الذي سلكه الإمام ابن تيمية ؟

سلك الإمام ابن تيمية منهج أهل السنة والجماعة: قرن النبي صلى الله عليه وسلم والقرن الذي يليه والقرن الذي يليه وخلاصة هذا المنهج تتمثل في الإيمان بكل ما أخبر الله به في كتابه وبما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بفهم علماء الأمة من السلف الصالح في جميع الأمور العقدية وغيرها والذي نحن بصدد الكلام عليه هو المتعلق بالجانب العقدي وقد أبان وفصل معتقده ومنهجه العقدي: منهج أهل السنة والجماعة في رسائل مختصرة ومطولة وهي تعتمد بشكل رئيس على أصول الإيمان الستة وهي : الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره حلوه ومره وجميع تلك العقيدة في رسالة كتبها لما طلب منه أن يكتب معتقد أهل السنة وهذه الرسالة هي رسالة العقيدة الواسطية حيث بين فيها أصول العقيدة الستة ثم أتبعها ببعض الأمور المتعلقة بتلك الأصول الستة مع ذكر خصائص وميزات أهل السنة والجماعة وأنهم وسط بين الفرق؛ لتمسكهم بالسنة واجتماعهم عليها؛ فلذا سموا أهل السنة والجماعة.

ثانياً: ما أصول المنهج العقدي الذي سلكه الإمام ابن تيمية ؟



التزم شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة منهج أهل السنة والجماعة : القرون الثلاثة ، فمنهجه هو منهجهم وأصوله هي أصولهم وهذه الأصول هي أصول الإيمان الستة كما يلي :

1-الإيمان بالله تعالى . 2- الإيمان بالملائكة عليهم السلام
3-الإيمان بالكتب السماوية . 4- الإيمان بالرسل عليهم السلام .
5-الإيمان باليوم الآخر . 6- الإيمان بالقدر .

فهي نفس الأصول التي سلكها الإمام ابن تيمية في منهجه التربوي وهي ركائزه التي يقوم عليها .

ثالثاً: ما أسباب اختيار الإمام ابن تيمية لهذا المعتقد؟

إن اختيار الإمام ابن تيمية لمعتقد أهل السنة والجماعة يرجع إلى أسباب عديدة منها:

1- انه معتقد النبي صلى الله عليه وسلم خاصة والأنبياء عامة؛ إذ كل الأنبياء يقرون بأصول العقيدة – أصول التوحيد- من الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره إجمالاً وتفصيلاً واعتقادهم جميعاً بأن الله – تعالى- له الأسماء الحسنى والصفات العلى واتفاقهم على الدعوة لإفراد الله بالعبودية والنذارة عن الشرك؛ لأن هذه الأشياء هي دين الإسلام الذي بعث الله الرسل جميعاً للدعوى إليه كما قال تعالى:﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ﴾ (42) وقال: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (43) ودعوة الأنبياء أقوامهم لإفراد الله بالعبادة عدد القرآن ذكره في غير ما موضع: بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ﴾ (44) وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا

42 – سورة آل عمران الآية (19) .
43 – سورة آل عمران الآية (85)
44 – سورة النحل الآية (36) .



مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [45] فكلهم اتفقوا في دعوة أقوامهم إلى أصل الدين: التوحيد وهو إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة لكن اختلفت شرائعهم فيما سوى التوحيد؛ تبعاً للحكمة الإلهية كما أخبر بذلك سبحانه بقوله: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً﴾)[46] إذاً فدين الأنبياء كلهم واحد وهو التوحيد وشرائعهم متعددة وقد أكد هذا المعنى الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله "إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد"[47] ، وقال: "الأنبياء إخوة لعلات"[48]، حيث شبه النبي صلى الله عليه وسلم الأنبياء كأنهم أخوة لأمهات شتى وأبوهم واحد والمقصود به التوحيد، ولهذا قال الإمام ابن تيمية: "فدينهم واحد وهو عبادة الله وحده لا شريك له وهو يعبد في كل وقت بما أمر به في ذلك الوقت وذلك هو دين الإسلام في ذلك الوقت[49] ،هذا بدوره يدل على أهمية سلوك الإمام ابن تيمية لهذا المنهج؛

إذا هو كسفينة نوح من كان في ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك مع الهالكين.

2- أنه معتقد الصحابة وتابعيهم بإحسان: معتقد الصحابة الذين هم أولى الناس بفهم القرآن والسنة ثم معتقد تابعيهم بإحسان والذين تربوا على أيدي الصحابة لجدير بالاتباع من غيره؛ لأنهم خير القرون في هذه الأمة المعصومة فالصحابة امتدحهم القرآن الكريم في مواضع كثيرة وهم صفوة الخلق الذين اختارهم الله ليحملوا الرسالة الخالدة: الإسلام فلا يعقل أن يذكروا في كتب الله ويمدحوا في التوراة والإنجيل والقرآن ثم في السنة المطهرة ويكون معتقدهم فاسداً أو فيه خلل أو لم يفهموا المراد من بعض النصوص! ولو خفي على بعضهم لعرفه الباقون —حاشاهم- ولو خفي

---

45 – سورة الأنبياء الآية (25)

46 – سورة المائدة الآية (48).

47 – رواه البخاري ،الإمام ابن حجر العسقلاني ،فتح الباري بشرح صحيح الخاري ،تحقيق طه عبد الرؤوف سعد،10(10\240-241 فتح)،رقم(3442-3443)،دار الغد العربي،ط1، القاهرة-مصر،1412هـ-1992م،ومسلم،(4\1837) رقم(2365).

48 – المرجع السابق (6)

49 – شيخ الإسلام ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، تحقيق د.ناصر عبد الكريم العقل ، جـ2 ص379، دار العاصمة ، ط 6 ، االرياض – المملكة العربية السعودية ، 1419هـ - 1998



عليهم أجمعين لم يخف على المعصوم بوحي السماء صلى الله عليه وسلم ؛ لهذا كانت الخيرية في تلك القرون الثلاثة كما نص على ذلك نبينا الكريم بقوله: "خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم"[(50)] فحتم هذا أخذ العقيدة منهم لا من غيرهم؛ إذ هم الذين نقلوا لنا الدين كله: قرآناً وسنة.

3- أنه هو المعتقد الوسط بين الإفراط والتفريط من فرق الأمة التي انحرفت عن هدي القرآن والسنة فلا يوافق أهواء المنحرفين ولا يأخذ بأقوال المغالين ولا يتماشى مع معتقدات المقصرين بل هو وسط في كل شيءٍ: في القدر أو في جانب مرتكب الكبيرة أو بالنسبة لآل البيت وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين وقد بين هذه الوسطية الشيخ تقي الدين ابن تيمية بقوله واصفاً أهل السنة والجماعة ومنهجهم: "هم الوسط في فرق الأمة كما أن الأمة هي الوسط في الأمم. فهم وسط في باب صفات الله سبحانه وتعالى بين أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل المشبهة، وهم وسط في باب أفعال الله بين الجبرية والقدرية وغيرهم وفي باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرهم وفي باب أسماء الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة،وبين المرجئة والجهمية ، وفي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الرافضة والخوارج"[(51)]... فهذه الوسطية جعلته المنهج الحق الذي يجب على كل مسلم اعتقاده واتباعه ونصرته .

4-أنه المنهج الوحيد الموافق للفطرة: فلا يجعل من الرسالة والنبوة شيئاً خرافياً ولا ينتقص من حق الرسالة والرسول شيئاً وكذلك في مجال الغيبيات أوضح الطريق وأنار السبيل للباحثين عن حقيقة وجوهر هذا الدين: فعند تعرضه للأمور الغيبية (ما وراء الطبيعة) لم يأت بهرطقة أو خرص أو تخمين إنما خاطب الفطرة مكتملة خاطبها بكل معانيها فما في الإنسان يسير مع منظومة الفطرة حثه على فعله وما فيه خدش

50 – رواه البخاري (517/10 – 518 فتح) رقم (3650) ومسلم (1962/4 – 1964) رقم (2533 – 2535).

51 – محمود بن الجميل، جامع متون العلوم الشرعية، جـ 1 ص19، متن العقيدة الواسطية للإمام ابن تيمية ، دار البصيرة، بدون ط، الإسكندرية – مصر، بدون ت.



أو إخلال للفطرة حذر منه وأمر باجتنابه فأوجب الإيمان بالله الخالق المستحق لجميع أنواع العبودية، إذ كيف يخلق ويُعبد غيره ويرزق ويُشكر سواه؟!، وفي حياتنا الدنيا إن فعل إنسان لآخر معروفاً فإنه وحده المستحق بالشكر وكذلك صاحب العمل يعطي أجوراً لمن يعمل عنده لا لمن يعمل عند غيره فهذا يصادم العقل والفطرة ولله المثل الأعلى هو الوحيد المستحق لكل أنواع العبادة وهذا ما نادت به الرسل؛ ولهذا فالفطرة السليمة تأبى المشاركة لأنها لا تأتي بخير كما خاطب هذا المنهج العقدي الفطرة بذلك في كتاب ربنا –جل وعلا- ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاء مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[52] وفيه أيضاً ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[53]؛ لذلك أمر صاحب الفطرة السليمة بالوحدانية بقوله: ﴿وَقَالَ اللّهُ لاَ تَتَّخِذُواْ إِلـهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلهٌ وَاحِدٌ فَإيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[54] وصاحب الفطرة السليمة في أي زمان أو مكان لا يصل إلا إلى دين الفطرة: الإسلام

5- أنه منهج توافق نصوصه الصحيحة العقول الصريحة: الخالية نم الشهوات أو الشبهات فاهتم ذلك المنهج العقدي بالعقل أيما اهتمام لكن جعل للعقل حداً ينتهي إليه لا يتعداه إذ لا طائل من وراء إقدامه على معرفة ذلك وهذا الحد الذي لا ينبغي محاولة البحث في كنهه فإدراك العقل في الحياة الدنيا لــه احتمال معين لا يتخطاه وإن تخطاه تاه في المهلكة كحال الصغير لــه إدراك معين فلو حاولنا تعليمه مصطلحات فوق قدرته ما استطعنا ولو أكل الصغير الرضيع لحماً كطعام من لهم مدركات وقدرات أعلى منه دخل في التهلكة بل إن الكبير المدرك لو مرض وحذره الطبيب الحاذق الماهر باجتناب أفعال معينة أو أقوال معينة وجب عليه اتباعها وهكذا أهل الحل والعقد لو ألزموا الشعوب بأحكام تحفظ حياتهم وأرواحهم

52 – سورة الزمر الآية (29).
53 – سورة الأنبياء الآية (22).
54 – سورة النحل الآية (51).



كالتنظيمات الخاصة بالمرور والطرق... تحتم اتباعها؛ لأن فيها المصلحة ومخالفتها تؤدي إلى التهلكة ولا يأت إنسان يقول: أنا أخالف وأنجو! لو نجا كبا في أخرى فلله المثل الأعلى وهو أعلم بمايصلح العقل البشري، إذ هو خالقه كما قال سبحانه: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [55] فأوقف هذا المنهج العقل عن تخطي حد الغيب من كلام عن الخالق أو البعث أو حقيقة الموت أو الروح أو ... أما ما سوى ذلك فأرشده إلى طلب المزيد في شتى العلوم النافعة للدين والدنيا والله لم يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بطلب الاستزادة من شيءٍ إلا من العلم كما في التنزيل: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ [56]يوضح هذا أنه بما أن للعين مدىً ينتهي في الإبصار حيث إن الإنسان لا يستطيع الرؤية لحقيقة الأشياء إلا عندها وإن جاوزها وطلب منه وصف ما يرى فإنه سيختلق أوصافاً ليست هي الحقيقة لكن إن استخدم مكبراً أو عدسة أو نظارة أو ... فإنه يرى ما توقف مدى بصره عنده فكذلك العقل له مدىً يقف عنده لا يستطيع مجاوزته ولو تجاوزه لكان حاله مثل البصر من اختلاقٍ لأوصاف وأشياء ليست هي الحقيقة لكن إن استخدم مكبراً أو ... فإنه سوف يرى ما توقف مداه عنده وإن المكبر لرؤية العقل إنما هو الوحي فبه يرى ما وراء الطبيعة حقاً وبغيره لا يرى الحقيقة وإن بذل ما استطاع من جهود؛ لأن الغيب حجبه صاحبه وجعل الوحيد المتكلم فيه هو ذاته العلية... فهو في الدنيا عقله لا يدرك أموراً في عالم آخر وبناموس آخر لكن حينما يكون هو في ذلك العالم الآخر بحواس ذلك العالم فإن الأمر سيختلف قطعاً؛ فلهذا كان منهج أهل السنة هو الأولى والأوجب بالاتباع لمحافظته على كيان العقل الصريح الذي لو أطلق لنفسه التفكير مجرداً من الشهوات والشبهات في بداية وجوده ونهايته لعلم يقيناً بأن المنهج الرباني و الحق وأن ما سواه غيٌّ وهوىً"إذ من المسلم به لدى كافة البشر أن الإنسان كغيره

55 – سورة الملك الآية (14).

56 – سورة طه الآية (114).



من الكائنات الحية في هذا الوجود لا يملك على الحقيقة شيئاً بدليل أنه يخرج أول ما يخرج إلى هذا الوجود عاري الجسم حاسر الرأس حافي القدمين ويخرج عندما يخرج منه مفارقاً له ليس معه سوى كفن يواري به جسده"[57] فهذا إعمال للعقل في معرفة من أحق بالتملك فالذي له حق التملك قبل وجود الإنسان ألا يستحق توجيه إرشاد عقل الإنسان بعد وجوده لما ينفعه؟! ويعني هذا أن منهج أهل السنة والجماعة ساير العقل في الوصول إلى الحق ولم يحجب نور الهداية عنه بل دعاه به وأمره باستخدامه للوصول إلى حقيقة العبودية.

6- أنه منهج قام على قواعد راسخة وثابتة بثبات أصله: فمعتقد أهل السنة والجماعة لم يقم على هوىً بل إنه قام على أصول راسخة ثابتة جعلت له أصولاً متماسكة تمثلت فيما يلي:

أ- اعتماده على القرآن الكريم حيث يفسر القرآن بالقرآن ولا يلغي النصوص بل إنه يجمع بينها ولا يضرب بآيات القرآن بعضها البعض فلا يأتي آتٍ لآية تنزيه ويضرب بها كل الآيات المثبتة للأسماء والصفات بدعوى التنزيه لكن يجمع بينهما فيقال: إن الله – تعالى– لا يشبه صفات المخلوقين وهذا لا يمنع أن له أسماءً وصفات تليق بجلاله وهكذا الآيات التي فيها مشاورة في الحكم لا تعني إلغاء حكم قائم بل مشاورة في كيفية تطبيقه والانقياد له وفي الأمور الدنيوية أو التي ليس فيها نص كخطط المعارك والغزوات يتم التشاور للوصول إلى النصر فحال الذي يحاول أن يضرب بعض الآيات ببعض كحال من يستدل بجزء الكلام على النهي عن الصلاة فيقول: الصلاة غير واجبة؛ لأن الله قال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ﴾[58]، وقال: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ [59] ولو أكمل لعلم بأن الأولى إكمالها:﴿وَأَنتُمْ سُكَارَى﴾ والثانية﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾وفاعل مثل هذا الشيء أو القائل به يقال

57 – الشيخ أبو بكر جابر الجزائري، منهاج المسلم، ص14 ، المكتبة التوفيقية، ط4 ، القاهرة – مصر ، بدون ت

58 – سورة النساء الآية (43).

59– سورة الماعون الآية (4).

له: ما دمت مؤمناً بالقرآن فالقرآن يقول: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [60]؛ لذلك كان منهج أهل السنة والجماعة وسط في احتكامه وفهمه واستدلاله بالقرآن الكريم.

ب- اتباعه للسنة النبوية المشرفة: إذ هي شارحة الكتاب والحاكمة عليه بتوضيح المقصود من كثير من الأحكام فعند قراءة السنة لم نجد حديثاً صحيحاً واحداً يقول: إن معنى بعض الآيات يخالف باطنه ظاهره

أو العكس بل السنة تقدم القرآن وعلى هذا مشى الصحابة وتابعوهم تصديقاً عملاً وحكماً بالسنة وعدم معارضتها عمداً وعدم ضرب بعضها ببعض أو ضربها بالقرآن بل حمل جيل الصحابة القرآن والسنة ونشروهما وفهموهما على أحسن الأوجه فهل من أتى بعدهم أعلم منهم؟ أم أنهم خانوا الأمانة فلم يتفوهوا بالحق؟ أم جهلهم منعهم من تبليغ الحق؟! بل إن الذي عملوه هو فهمهم بأن القرآن والسنة مشكاتهما واحدة.

جـ- أن معتنقي ذلك المنهج لم يضعوا ألفاظا مخترعة مبتكرة لا يعرفها العرب أو أنها تحتمل النقص أو قابله للخطأ والصواب مثل: (العَرَض – الجَوْهر – الجسم) فلم يثبت عن واحد من سلف هذه الأمة أنه تفوه بمثل تلك المصطلحات في حق الله تعالى أو أعمل عقله في الدخول في أمور الغيب.

أنه راعى قواعد الاستدلال الصحيحة فلم يجمع بين متفرقين ولم يفرق بين مجتمعين ولا ضرب بعض الأدلة ببعض وأن هذا المنهج ما أجملت أحكامه في موضع فصلت في آخر وكذلك هذا المنهج تعامل مع الإنسان ككيان مستقل بفطرة وعقل وروح وجسد وحياة اجتماعية وجبلة غريزية فراعى كل الأمور المتعلقة به ولو كان هذا المنهج على غير هدىً من الله لحدث فيه خلل كبير كما في التنزيل: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ

60 – سورة البقرة الآية(85).



عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً﴾[61] ولكنه منهج جعل الوحي أساسه وهذا الوحي محفوظ من قبل الله تعالى فلذلك كل أحكامه متعاضدة وليست متناقضة إذ هي من حكيم حميد.

رابعاً: ما أهمية التربية عند الإمام ابن تيمية؟

للتربية عند الإمام ابن تيمية اهتمام خاص؛ إذ إنه لا يتعامل معها ككلمة مجردة بل إنه يتعامل معها كعلم مستقل بذاته لـــه أهداف ويقوم على أسس قوية، ومن المعروف أنه لا تكون تربية من غير منهج تدرس من خلاله وشيخ الإسلام قد ســلك في تربيته لمن تعلم منه أو اســتفاد عدة طرق؛ تبعاً لاختلاف الفروق الفردية بين المتعلمين فربما كان هناك عند قوم نوع من التربية لا يصـــلح في بيئة أخرى عند قوم آخرين ، ونظراً لاتصال التربية بسائر أنواع المعرفة ولتشعبها أيضاً فإن الإمام ابن تيمية ركز في دعوته التربوية على تعدد التربية؛ لاختلاف المراحل ولاختلاف الثقافات والبيئات ونظراً لاستيعابه لتلك الاختلافات واستخدامه لأنواع متباينة من التربية فقد "كان ابن تيمية – رحمه الله- أحد فرســان الوعظ والإرشـــاد، وأحد السباقين في ميدان التربية والسلوك والتزكية... والذي يستعرض تراث شيخ الإسلام – رحمه الله- سيجد لـــه آراء كثيرة في التربية وتهذيب النفس وتزكيتها وعلاج علل القلوب ومعرفة أسبابها مما يضعه في مصاف كبار المربين، ويشهد لهذا ما ألفه في ذلك مثل: التحفة العراقية، أمراض القلوب وشـــفاؤها، والاســـتقامة مما يدل على وجود آراء كثيرة في التربية والسلوك"[62]، وهذا ظاهر في سلوكه وتعليمه ومؤلفاته أن التربية هي الأصل في تبليغ منهج ما أو الدفاع عنه أو نصرته؛ لهذا كانت للتربية تلك المكانة العالية عند هذا الإمام.

خامساً: ما مدى اهتمام الإمام ابن تيمية بالمنهجية؟

---

61 – سورة النساء الآية (82).

62 – إبراهيم محمد العلي، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ص 559- 560 بتصرف واختصار، دار القلم، ط1، دمشق – سوريا، 1421هـ – 2000م.



نظراً للتلازم بين التربية والمنهج وكون التربية لا تكون إلا بمنهج كان الاهتمام بمنهج معين متحتم عند التربويين وغيرهم للارتقاء بالعملية التربوية بأوسع مفهوم لها واهتمام الإمام ابن تيمية بالمنهجية لم يأت عرضاً بل إنه كان على أصول راسخة من حيث تلازم العناصر التي تكون المنهج وهي:

1- تحديد الأهداف.

2- اختيار المحتوى الملائم والطرق والمواد.

3- تقويم مدى نجاح الأساليب الجديدة في تحقيق الأهداف المحددة.

4- التغذية الرجعية للنتائج[63]

وكذلك معيار صحة المنهج عنده كان جلياً؛ حيث اتسم مسلكه بما يلي[64]:

(أ) الثبات والاستمرارية.

(ب) الشمول.

(ج) التكامل.

(د) الوضوح.

وكان هذا نتيجة للأصول التي اعتمد عليها وتنوع أساليبه التربوية في تأصيل منهجه مما يعكس مدى اهتمامه بالمنهج وأيضاً يبرز ذلك استخدامه لكلمة المنهج في غير ما موضع من مؤلفاته بل تأليفه رسائل في منهج أهل السنة والجماعة وتأليفه لكتابه الماتع: منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية إذ يوضح ذلك مدى اهتمام هذا الإمام بالمنهجية.

63 – ج. د. نست، ن. ج. أنتويستل، مناهج البحث التربوي، ترجمة د. حسين سليمان قورة، د. إبراهيم بسيوني عميرة، ص135، دار المعارف، ط1، القاهرة – مصر، 1974م، د. علي أحمد مدكور، نظريات المناهج التربوية، ص166 ، مرجع سابق.

64 – سيأتي بيانه في الفصل الثاني .



ويدلنا على مدى رعايته واستخدامه للوسائل التربوية في تأصيل منهجه الثابت "وأنه لم يقتصــــر في تربيته وتوجيهه على الصــــفوة من طلبة العلم وأهله وإنما كان يهتم بفصائل المجتمع الإسلامي وطبقاته دون استثناء فيتعهد الجميع بالتربية والإصلاح[65]

سادساً: ما المناهج التربوية التي سلكها الإمام ابن تيمية في تربيته العقدية؟

من المســــلمـات لـدى العلمـاء المربين وغيرهم أن اختلاف البيئـات والمجتمعـات والأشخاص والثقافات والفروق الفردية عوامل هامة في مدى نجاح منهج معين نجاحاً أو إخفـاقاً، ونظراً لأحوال البشـــر واختلاف معتقـداتهم تنوعـت التربيـة والمنـاهج والوسـائل المسـتخدمة لتحقيق أغراض بعينها، وإن إماماً كالإمام ابن تيمية نظر بعين بصـيرته في أحوال المتعلمين: خاصـة أو عامة فوجد ضـرورة تعدد المناهج مع تنوع الوســائل التربوية المؤدية لتأصـيل هذه المناهج، ومن خلال تتبع واسـتقراء بعض – وليس كل- مؤلفات هذا الإمام وجد الباحث أن الإمام ابن تيمية قد ســـلك في تربيته العقدية عدة مناهج تتضح فيما يلي:

1- منهجه التربوي في الاستدلال بالنقل.

2- منهجه التربوي في الاستدلال بمصطلحات الفنون.

3- منهجه التربوي من خلال ردوده.

4- منهجه التربوي من خلال كتاباته و تآليفه.

5- منهجه التربوي من خلال تحفيفه لمنابع الشرك.

6- منهجه التربوي من خلال القدوة السلوك.

وفي تعدد هذه المناهج دلالة واضحة على مدى اهتمام ابن تيمية بالتربية العقدية من خلال مناهج قويمة .

65 – الإمام مرعي الكرمي، الكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية، تحقيق نجم عبد الرحمن خلف، ص 16 من مقدمة المحقق، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت – لبنان، 1406هـ - 1986م.



أهمية البحث

إن معرفة شـــيءٍ ما يعتمد على معرفتنا بماهية هذا الشـــيء ومدى فائدته في حياتنا الإنســـانية وكذلك مدى فعاليته في المجتمع والعمل على النهوض به ونبذ الأنامالية والأنانية والاتكالية ونشر روح التعاون والمساعدة وروح العمل الجاد المثمر ثم النظر كذلك في حيز إبداع ذلك الشـــيء بحيث يجعل من الفرد إنســـاناً فاعلاً ذا قيمة يؤثر في غيره نحو الأفضـل ويتأثر بغيره كذلك لفعل الأحسـن، وعند النظر إلى مصـطلحات هذا البحث الذي نحن بصـدد الكلام عليه نجد أن كل مفردة منها في غاية الأهمية للفرد وللمجتمع الإنسـاني؛ إذ تكمن فيها خيرات إن اتبعت حصـدت البشـرية السـعادة في الدارين وتوجت الشـرف في الكونين فالمنهجية ضـبط لحياة الإنسـان عن الانحراف، والشـذوذ عن سـلوك العقلاء في سـائر المجتمعات الإنسـانية فاتباع منهج معين في الحياة يحدد وظائف كل فرد سـيداً أو مسـوداً كبيراً أو صـغيراً وكذلك بضـبط معاملاتهم ومالهم وما عليهم في جميع المجالات المختلفة سـواء ما كان له تعلق بالتربية وحدها أو مع التربية وسـائر الفنون الأخرى فإذا أخذنا بعين الاعتبار شمولية منهج بعينه لكل

الحياة وما يتعلق بتلك الحياة وما قبلها وبعدها نجد أن المنهج الوحيد الذي حظي بذلك هو المنهج الرباني إذ وجوده يسبق النظريات والمفاهيم المتعلقة بالمنهج.

والتربية مرتبطة صـحة وفسـاداً بالمنهج فمع كون المنهاج (المنهج) أسـاس في رقي العملية التربوية للسـير جنباً إلى جنب مع التقدم العلمي الهائل والمضـطرد فإن لـــه أغراضاً يهدف التطبيق المنهجي من خلالها أن تحصد وتكون ثمرة لها وهذه الأغراض له علاقة غائية يود مطبق و ذلك المنهاج الفاعل الوصـــول إليها "وبينما ترتبط الغايات بنوع الإنسـان المطلوب في المنهاج فإن الأغراض تشـير بوجه عام للمعارف



والمهارات التي يمكن اكتسابها من الناشئة لتحقيق هذا الإنسان، ومن هنا فالأغراض تشير للمسارات أو الكيفيات المنهاجية التي ستقوم بترجمة الغايات لواقع محسوس فتحقق غاية المنهاج السابقة تطوير الإنسان الصالح لدنياه وآخرته(66) ولتوضيح ذلك يضرب المربون مثالاً على ذلك بتلاميذ المدرسة كصورة صغرى للمدرسة العظمى الحياة التي يحي فيها الأفراد والمجتمعات فالمدرسة مرآة عاكسة للمجتمع وكذلك فإن الثمار والنتائج التي تظهر من خلال تلك المدارس تكون كذلك في التعليم عموماً مع الأخذ بالاعتبارات والفروق بين المتعلمين ولهذا "قد يتبنى المنهاج لذلك على سبيل المثال الأغراض التالية:

- سيتمكن التلاميذ من تعلم المبادئ والممارسات العامة لدينهم.
- سيتمكن التلاميذ من تعلم القيم والممارسات الثقافية العامة لمجتمعهم.
- سيكتسب أفراد التلاميذ التلاميذ مهارة تخصصية نافعة لحياتهم الشخصية والاجتماعية(67)

فهذه الأغراض تجعل من التلاميذ خصوصاً في المدرسة وكذا المتعلمين عموماً أفراداً صالحين مرتبطين بمبادئ دينهم وكذلك يكونون على صلة وثيقة بثقافة أوطانهم ومجتمعاتهم ثم دمجهم في معترك الحياة بسلاح العلم و الصنعة أو المهنة التي تؤهلهم للكسب من خلالها ويكون لهم أثر بارز في تلك البيئات أو المجتمعات. وهذا ما فعله الأنبياء عليهم السلام إذ إنهم لم يجعلوا أقوالهم في عزلة من المجتمع ولا أمروهم بالانقطاع عنه أو عن طرق الكسب بل أكدوا خلافة الإنسان لهذا الكون وعمارته للأرض التي يعيش عليها والأنبياء أنفسهم منهم من كان ملكاً نبياً ومنهم من كان رسولاً نبياً وعلى كلٍ فما من نبي إلا وله صنعة يعمل بها فلذلك نجحوا في تطبيق المنهج الذي أرسلوا من أجله وهو الفوز بالسعادة في الدارين.

66 – علي عبد الله اليافعي، رؤىً مستقبلية في مناهجنا التربوية، ص152، دار الثقافة، ط1، الدوحة – قطر، 1416هـ - 1995م.

67 – نفس المرجع السابق، ص152 ، بتصرف .



ويتبع صحة الأغراض صحة الأهداف المقصودة من تطبيق منهج معين حيث الهدف من تلك الأغراض يكون بسلوكيات عملية تكون محصلة ونتيجة لما سبقها من أغراض "وهي عبارات يختص كل منها بسلوك محدد يهم أغراض المنهج وقد يطلق عليه في مثل هذه الحالة بالأهداف الخاصة أو السلوكية أو التعليمية[(68)]

أما التربية: فلها ما لها من الأهمية بمكان إذ هي عصب قيام السلوك الصحيح للفرد والمجتمعات والتربية مع أنها لم تعرف في دوائر المعارف المهتمة بالتربية إلا في العصور المتأخرة إلا إنها كانت موجودة في قاموس الشرع إذ وردت بمعنى التربية والتنشئة والزيادة وكذلك وردت بمعنى السيادة وولاية الأمر من قبل الساسة الذين يسوسون الأمم والشعوب كما عرفت فيه أيضاً بعلم التزكية والسلوك الإنساني. ونظراً لأهمية التربية كعلم مستقل وفي الوقت ذاته مترامي الشعب المتصلة بجميع المعارف الإنسانية والتجريبية لكن هي إلى العلوم الإنسانية والاجتماعية أقرب منها للعلوم التجريبية والتطبيقية.

والتربية كونها علماً يقتضي أن لها أغراضاً وأهدافاً كسائر العلوم فأغراض التربية اختلف المربون بتحديدها؛ نظراً لاختلاف البيئات والمجتمعات وثقافات الأفراد ومثلهم ومبادئهم وقيمهم. فالناس في أغراض التربية متباينون في تلك الأغراض "ولكن تلك الأغراض جميعاً تدور حول الإنسان وإعداده لكي يعيش في مجتمع معين وهناك آراء كثيرة ولكننا يمكن أن نجمعها بغرضين أساسيين: غرض فردي وآخر اجتماعي[(69)] فالغرض الفردي يؤكد مؤيدوه أن الفرد هو أساس في سير العملية التربوية مع الاعتقاد بأنه القادر على العيش حياة أفضل؛ لذلك فهم يهتمون بنشأة الطفل تنشئة صالحة —في نظرهم— كي يصبح فرداً فاعلاً نافعاً في المجتمع ويرون أن المجتمع إنما وجد لرعاية مصالح الأفراد لأن الفرد هو لبنة البناء. هذا وإن هذا الفريق ممن اهتم بالفرد على

68 – نفس المرجع السابق.

69 – د. إبراهيم ناصر، أسس التربية، ص 19 – 20 بتصرف دار عمار ،ط2 ، عمان الأردن ،1409هـ– 1989 م.

حساب المجتمع قد أهمل المجتمع إذ انصب تركيزه رعايةً واهتماماً بالفرد دون المجتمع مع أن المجتمع هو ذلك الفرد وغيره وليس منفصلاً عنه.

والغرض الاجتماعي مؤيدوه عكســوا ما جاء في الغرض الأول إذ جعلوا المجتمع هو الأصل في الاهتمام ورأوا أنه بصلاح المجتمع يصلح الأفراد المكونون لــه حيث إنهم ينظرون إلى الأفراد على أنهم وسائل لإصلاح المجتمع ليس إلا بينما نفس المجتمع هو كل شيء والفرد يجب أن يفنى في المجتمع.

وفي الحقيقة إن هذين الغرضين مرتبطان معاً؛ فالفرد لا يمكن أن يعيش بمفرده بعيداً عن المجتمع منعزلاً عنه؛ لأنه مدني بطبعه: يأنس ويؤنس و يألف ويؤلف وهكذا المجتمع لا يسمى مجتمعاً إلا من اجتماع أفراد بأعيانهم وتواطوئهم على مفاهيم معينة يســيرون في ركبها لذلك كان حتماً لازماً اجتماع كل من الغرض الفردي مع الاجتماعي لتسير المنظومة الحياتية وهذه النظرة الشمولية لكل من هذين الغرضين هي نظرة الإسلام لتربية الخلق وسلوكهم فيخاطب المجتمع كجماعة تتكون من عدة أفراد ثم إنه لم يهضـــم حق الفرد كفرد إذ يخاطبه كإنســـان مســـتقل له كيانه وذاته "الإنسان على إطلاقه بمعناه الإنساني الشامل، الإنسان بجوهره الكامن في أعماقه، الإنسان من حيث هو إنسان لا من حيث هو "مواطن" في هذه البقعة من الأرض أو في ذلك المكان. وذلك معنى أشمل ولا شـــك من كل مفهوم للتربية عند غير المسلمين"[70] وكما أن التربية لها أغراض فكذلك لها أهداف تسعى لتحقيقها وعند الباحثين تتنوع أهداف التربية كما تنوعت أغراضـــها فوجهات المربين في تباين في تحديدهم لأهداف التربية.فمن المربين من يجعل الهدف الأصلي هدفاً دينياً وبعضهم يجعله اقتصـــادياً وآخرون جعلوه اجتماعياً... فكل المربين لتحقيق هدف معين وهذا بدوره يختلف تبعاً لما اهتم به تبعاً للفروق الفردية والتباينات البيئية والثقافية ومن الأمور المتعددة مما يعني أن هناك أهدافاً مختلفة تختلف تبعاً لاختلاف طبيعة الأفراد

70 – الاستاذ محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، جـ1 ص13، دار الشروق، ط15، القاهرة – مصر، 1421هـ - 2001م.



والمجتمعات ولهذا "يمكن القول: إن الأهداف التربوية متعددة بتعدد الأمم والشعوب... والتربية هي نفسها هدفاً إذ يختلف هدف التربية سلماً أو حرباً أو مكاناً أو زماناً أو ... فلا يمكننا أن نأخذ هدفاً من الأهداف المتنوعة ونجعله هدفاً عاماً للتربية ونترك آخر بل إن الأهداف

التربوية تكون من كل الأهداف السابقة جميعاً"[71] والجمع بين جميع الأهداف على اختلاف أنواعها هو تصور الإسلام بنظرته الشاملة والتي تراعي أحوال الناس أفراداً وجماعات؛ ذلك أن الشارع الحكيم يعلم عواقب الأمور وبواطنها وما يصلح شؤونهم وحياتهم؛ ليحيوا حياة طيبة فيجمع للناس الحسنيين كما في التنزيل﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [72] وهذه النظرة هي التي توافق العقل والفطرة حيث إن "اليد وحدها تعمل وتتحرك وتمسك وتدع ولكنها لا تعمل مستقلة عن بقية الجسم إنها مرتبطة به بالعروق والدماء والأعصاب ولو انفصلت لحظة فقدت القدرة على الحياة وكذلك الكيان كله: كل جزء منه كاليد من الجسم، جزء مستقل في الظاهر وفي الواقع متصل أوثق اتصال والإسلام يجاري الفطرة في تركيبها جميعه"[73] وتبعية الفرد للجماعة والمجتمع مثله مثل اليد مع الجسد حيث لـه خصائصه المميزة له لكن هو في الحقيقة جزء من المجتمع.

وأما العقيدة فهي ذات شأنٍ عند كل ذي بال؛ إذ الصحة أو الفساد في سلوك أو عبادة الجنس البشري منوطة بصحة العقيدة وتابعة لها؛ لذا فإن اهتمام المربين بالعقيدة والتركيز عليها لم يأت من فراغ بل لعوامل كثيرة لها أكبر الأثر في بناء الحضارات الإنسانية حيث كانت العقيدة سبباً رئيساً فيها؛ فالفرد إن اعتقد شيئاً بعينه فإنه سيعمل ويبذل كل ما في وسعه لإيجاده وتحقيقه ويقدم مهجته رخيصة في

71 – د. إبراهيم ناصر، أسس التربية، ص 22 بتصرف، مرجع سابق.

72 – سورة القصص، الآية (77).

73 – الأستاذ محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، جـ1 ص 24، مرجع سابق



سـبيل إعلائه ونصـرته وغلبته ولكي تكون هــــذه العقيدة فاعلة ومؤثرة في الأفراد والجماعات ثم في بناء الحضـارات لابد أن تتعامل مع الإنسـان بشـخصيته الإنسـانية بجميع جوانبها وأبعادها المختلفة فتجعل منها شـخصـية سـوية وهذه الشـخصـية السوية "لا تتكون إلا من خلال العقيدة الدينية سواء نظرنا في ذلك إلى معاني الحياة التي تقدمها هذه العقيدة أم إلى تحقيق طموح العقل والاستجابة لأشـواق الروح التي توجد في رحاب الإيمان.. و[كما أن للعقيدة] أثرها في تحرير الإنسان من كل عوامل الخوف وأثرها أيضـــاً في بناء الضـــمير أو الوازع الأخلاقي؛ مما يعد في حقيقته استكمالاً لتلك الجوانب أوإسـهاماً مباشـراً في تحقيق الشـخصـيةالإنسـانية السـوية"[74]. ولذلك كانت النفس المرتبطة بوحي الســـماء أجدر من غيرها من المخلوقات لأن تكون راعية وداعية لوازع الضمير في النفس الإنسانية، ومما يدل على أهمية تلك المصـطلحات: المنهج – التربية – العقيدة أن كل واحدة منها متشعبة التخصـصـات والوظائف كما أنها وثيقة الصــلة بســائر العلوم الأخرى، ويظهر ذلك من خلال ما يلي:

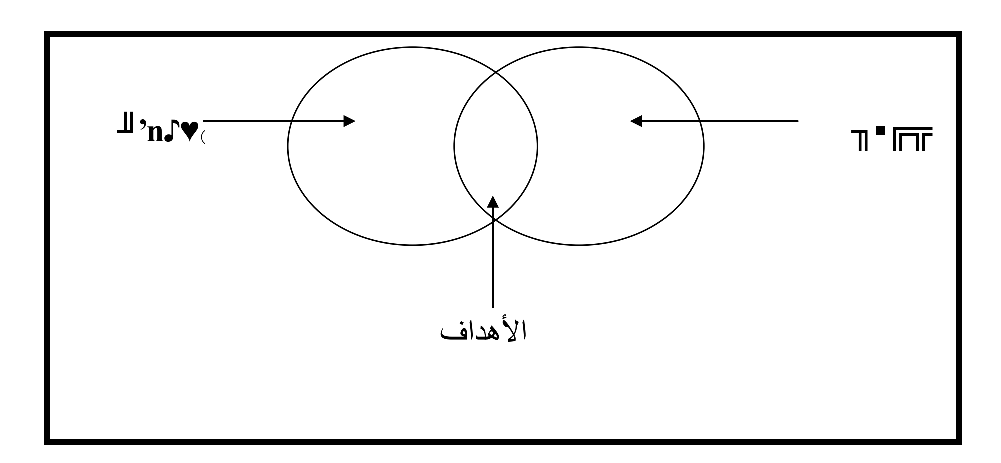
تلازم التربية مع المنهجية في توضيح العقيدة:

من المعروف أنه ليكون للتربية كيان لابد من منهج تســير عليه كي تبني الفرد أو المجتمع بعقيدة ســـليمة وفي الوقت ذاته فإن المنهج يعتمد على التربية في الحياة العملية إذ لابد لكل منهما أن يســير مع الآخر فلا يصـــح منهج من غير تربية ولا تكون تربية من غير منهج تســير عليه ونظراً لاختلاف الناس التابع للحكمة الربانية كانت المناهج تختلف في صـورة تطبيقها من بيئة لأخرى وزمن إلى زمن وإنسـان إلى إنسـان؛ لذلك جعل الخالق سـبحانه وتعالى لكل منهاجاً يسـيرون عليه حيث إنهم يكيفون أنفســهم تبعاً لذلك المنهج كما قال في التنزيل ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِــرْعَةً

74- د. عدنان محمد زرزور، نحو عقيدة إسلامية فاعلة، ص 10 بتصرف، المكتب الإسلامي، ط1، بيروت – لبنان، 1414هـ

وَمِنْهَاجاً﴾[75]جود المنهج منذ بدء الخلق وبعث الرسل إلى أقوامهم وهو أمر حتمي تقتضيه الفطرة ويدل عليه العقل السليم حيث يطبق كل مجتمع منهجه وفق تربية تتواءم وظروفه الحياتية والبيئية المحيطة به فيعمل بذلك على عمارة الأرض واستمرار عجلة الحياة من نقل معارف وثقافات وعقائد منه لغيره ومن غيره إليه فتلازم كل من التربية والمنهج ضروري ولا خيار للفصل بينهما إذ إن هناك قاسماً مشتركاً بين مكونات كل منهما وهذا القاسم المشترك هو الأهداف: إذ تعد الأهداف أهم دعائم التربية وهي في الوقت ذاته أحد مكونات المنهاج كما في الشكل التالي:


الشكل (1)



ومن الأمور البدهية اختلاف أنواع التربية وكذلك تنوع المناهج عموماً ومناهج التربية على وجه الخصوص فلكل جماعة أو بيئة حياة خاصة تكيفت من خلالها وعلى ضوء أحوالها وهذا يرجع لاختلاف أمزجتها ومن ثم معتقداتها فلو أراد إنسان ما أن يجمع كل البشر ويكيفهم على حياة معينة قد تخالف فطرته ما استطاع. كذلك نفس الأمر بالنسبة لتغيير منهج الحياة والأمور العقدية لكن ضابط الفطرة الإنسانية هو الذي يحدد ماهية جعل كل البشر يسيرون على أصول منهج واحد يخالفون أصوله لكن كل منهم يطبقه بالصورة

75 – سورة المائدة الآية (48).



التي يرى فيها وصوله إلى الكمال ولكن ضابط الفطرة الذي لا يخالف فيه أحد هو أصل الخلقة فطرة الله التي خلق الله الخلق عليها فالذي جبل الناس وأوجدهم هو وحده القادر على إيجاد منهج عام يسير الخلق عليه في تربيتهم وتعليمهم وهو الأصل في تلازم التربية مع المنهجية مع تطبيق التربية وفق منهج يتكيف أهله معه تبعاً لبيئتهم وطبيعتهم الحياتية، ونظراً للتقدم المضطرد في الحضارة الإنسانية بأسرها تعددت وزادت التخصصات الدقيقة في سائر العلوم.

والتربية كعلم من تلك العلوم تنوعت تخصصاتها وتعددت روافدها حتى شملت كل الجوانب الحياتية فلم تقتصر على مجرد التلقين ونقل المعلومات بل تعدت تلك المرحلة وتفهم الناس أهمية التربية حيث أصبح هناك وعي بشمول كلمة تربية واتصالها بجميع المجالات؛ ولذلك "يبحث علم التربية في الإنسان وعلاقته ببيئته الخارجية الاجتماعية والطبيعية، كما تعتبر التربية حلقة وصل بين كثير من العلوم التطبيقية كالهندسة والطب ولكن صلتها بباقي العلوم الأخرى الاجتماعية والإنسانية والطبيعية كبيرة؛ لأنها تبحث في الإنسان حيث هو مخلوق يعيش في مجتمع ويتفاعل مع جماعة ويتأهل ويمارس مهنة ويتكيف مع المجتمع الذي يعيش فيه؛ ولهذا تتصل التربية بكافة فروع المعرفة الإنسانية"[76] كالتربية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والإسلامية والعقدية والإيمانية والوطنية والبدنية والرياضية والنفسية والجسدية... فالتربية إذاً ذات اتصال وثيق بكل التخصصات الحياتية؛ لذلك فإن أشمل تعريف للمنهج هو الذي يرتبط بالتربية وفي نفس الوقت يتصل بجميع مناحي الحياة في التصور الإسلامي وهو: "نظام من الحقائق والمعايير والقيم الإلهية الثابتة والمعارف والخبرات والمهارات الإنسانية المتغيرة ينبع من التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة ويهدف إلى تربية الإنسان وإيصاله إلى درجة كماله التي تمكنه من القيام بواجبات الخلافة في

76 – د. إبراهيم ناصر، أسس التربية، ص 24 – 25، مرجع سابق.



الأرض عن طريق إعمارها وترقية الحياة على ظهرها وفق منهج الله"[77] فلهذا التربية والمنهج بينهما تلازم حتمي عموماً وفي المجال العقدي على وجه الخصوص؛ ذلك أن تربية المتعلمين على الأمور العقدية لا يتم ولا يدرس إلا من خلال منهاج ثابت برؤية تربوية يسير عليها المعلمون ويتلقاها عنهم المتعلمون على اختلاف طبقاتهم العلمية أو الثقافية أو الاجتماعية أو البيئية... وقضايا العقيدة لا تدرس عفوياً خبط عشواء بل بنظام تربوي متكامل وفق منهج شامل، وقد تفضل علينا ربنا عز وجل بإنزال الكتب –المنهاج– وأرسل إلينا الرسل لتبيين هذا المنهج للناس بأساليب تربوية سامية معصومة، والأصل في دعوة الأنبياء كلهم تربية أقوامهم على العقيدة –التوحيد– أولاً ثم بعد ذلك يدعون أقوامهم ويربونهم بوسائل شتى على فعل شيء أو تركه كما هو بارز في القرآن الكريم إذ "يقول رسل الله الكرام عليهم سلام الله: إن هذا الكون الذي نراه مبثوثاً من حولنا منتشراً في آفاق السماء والأرض مشتملاً على البشر وغيره من الموجودات التي لا يأتي عليها الإحصاء لم يحدث فجأة أو مصادفة وإنما هي مملكة مدبرة لها نظمها وقوانينها ... [والإنسان] ليس له أن يضع لنفسه منهاج الحياة ويحدد واجباته بنفسه في هذه الحياة الدنيا ولا يملك شيئاً حتى يضع قانوناً للتصرف فيما يملكه من الأشياء... فليس له من حق في استخدامها حسب ما تستدعيه إرادته ورغباته بل الذي ينبغي له ويجب عليه أن يعاملها وفق القانون الذيوضعه وحدد أصوله وقواعده المالك الحقيقي فهذه النظرية التي قدمتها الأنبياء والرسل عن الإنسان والعالم نظرية كاملة متماسكة الحلقات متناسبة الأجزاء بين مختلف أجزائها وفروعها انسجام وارتباط منطقي وثيق لا يناقض بعضها بعضاً"[78] وهذا التناسب وذلك التناسق والنظرية التي يسعى الأنبياء –عليهم

---

77 – د. علي أحمد مدكور، نظريات المناهج التربوية، ص33 ،دار الفكر العربي ،ط1،القاهرة–مصر،1417هـ–1997م

78 – الأستاذ أبو الأعلى المودودي ، الإسلام والجاهلية، ص 29، 30، 35 بتصرف، دار الفكر، بدون ط، بيروت – لبنان، بدون ت.



الســـلام- لتحقيقها وهو المنهاج من خلال أســـاليبهم التربوية المختلفة مما فيه دلالة على تلازم التربية مع المنهجية.

تكامل التربية مع العقيدة:

من المعروف أن كلاً من التربية والعقيدة يشتمل على شقين: شق خفي وشق ظاهر وهما يشتركان في كون كل منها لابد وأن يُتعامل معه بشقيه الخفي والظاهر: العلمي النظري أو السلوكي ومن الخلل أن يُتعامل مع منهج تربوي على أساس انطباعه بطابع مخصوص من انتماء لأفراد أو مجتمعات أو حتى أفكار محددة ربما أصحابها تراجعوا عنها أو غيرهم يرى الخلاف في السبيل للتوصل لتأصيل منهج تربوي يربط العقيدة بواقع الحياة فلابد وأن تكون تلك العقيدة متفقة مع الفطرة غير متأثرة بأي فرد أو بيئة أو قيم والتي قد تتغير من مكان إلى مكان ومن زمان إلى زمان؛ لهذا لما كان "بعض مناهج التربية يربط القلب البشري ببقعة من الأرض معينة وبعضها يربطه بفرد من الناس معين وبعضها يربطه بأسطورة من الأساطير ثم يكون المنهج كله قائماً على هذه القواعد فيصطبغ العمل والشعور والفكر والسلوك بهذه الصبغة فينشأ الفرد على بعض فضائل مستمدة من هذه القاعدة ولاشك أن في هذه الفضائل قدراً من الفضائل المطلقة التي تلتقي عندها البشرية فمهما خلت البشرية أو انحرفت فإنها تهتدي إلى قدر من الحق قليل أو كثير، ولكنها غالباً ما تكون فضائل محلية أو إقليمية وليس من بينها فضائل إنسانية حقاً إلا ما كان نابعاً من العقيدة في الله مستمداً من دستوره الذي ارتضاه"[1] وهذا هو منهاج حياة البشرية الذي يجعل من الفرد علماً وسلوكاً ولذلك ففي التربية مثلاً يخاطب به ومنه المتعلمون لأن التربية قبل ظهورها سلوكياً أو عملياً تطبيقياً لمعالمها فلابد بدون مخاطبة العقل والقلب حيث إعمال العقل والتفكير

1-الأستاذ محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، جـ1 ص35 بتصرف، مرجع سابق.



في مَعْلَم معين أو في ظاهرة بعينها سلباً أو إيجاباً ينتج عنه سلوك وفعل فحينما يتكامل كل منهما تسير المنظومة التعليمية المعرفية في قناة تربوية.

وأما العقيدة فبها تصح المبادئ والمفاهيم والمثل ويحسن التصور الفكري أو يفسد والسلوك العلمي في الحياة والتصور والتفكير إنما يتجه نحو الصواب إذا صح اعتقاده فيتحسن سلوكه في القول وكذا في الفعل وحتى في قاموس الألفاظ التي يستعملها في حياته وبذا يُظهر صحة تفكيره وتصوره فيتضح ذلك من خلال تعامل الفرد الإنساني مع نفسه حيث الرعاية لـه بطلب ما ينفعها والابتعاد عما يؤذيها أو يضرها وأيضاً سلوكه ومعاملاته مع باقي أفراد مجتمعه وبيئته؛ لأن التعامل مع الآخرين بسلوك قويم يولد تعاوناً وترابطاً ورقيه إنما يرجع إلى ظواهر نبعت في ذلك المجتمع والمجتمع أو البيئة ككل هي في الحقيقة كشبه الإنسان إن حدث عطب في عضوٍ إن لم يعالج بحكمة سرى في سائر الجسد ويتبع التقدم في رقي مجتمع بعينه تربوياً على منهاج أصيل حُسن تعامل مع سائر الخلق: الحيوانات العجماوات والجمادات الصامتات حفاظاً على البيئة التي واجب الإنسان أن يعمرها مستخدماً كل مكوناتها التي سخرها الخالق سبحانه لـه. وإن ديننا الإسلامي حافل بالأحكام بالإشارات والإرشادات المتعلقة بعمارة الكون ورعايته والمحافظة على البيئة التي يعيش منها وحولها، وهذا يعني أن حصول السلوك السوي يكون نتيجة لاجتماع كل من المعتقد السليم والتربية القويمة فبتكاملهما يصح السلوك ويتحسن حيث يبرز السلوك صحيحاً سليماً؛ لأنه جمع بين طهارة الباطن وصحة التصور والتفكير مع الاهتمام بالظاهر بكل ما يتعلق بالإنسان مع نفسه وبيئته والكون حوله كما يلي:

شكل (2)

معتقد سليم	+	تربية قويمة	=	السلوك الحسن



فأي خلل أو قصور في المدخلات يؤدي إلى نقص وفساد في المخرجات

وكل من تلك المفردات الثلاث: المنهج – التربية – العقيدة أصول صحتها ودعائم سلامتها موجودة في مشكاة الوحي المطهر، والتربية علم مستقل ذو تأثير على الفرد والمجتمع سياسياً وفكرياً وسلوكياً وعقدياً و...؛ لذلك فـ"إن الصلة بين عالم الإنسان والتربية صلة قوية وخاصة في عملية نقل الثقافة إلى الأجيال اللاحقة كما يتعاون كل من عالم الإنسان وعالم التربية في نقل السلوك الإنساني النابع من ثقافة الإنسان إلى النشء الجديد[79] وهذا يرجع لأهميتها؛ "ولهذا فإن رجال التربية في كل بقاع العالم يهتمون الآن بالعملية التربوية وما تؤدي إليه تلك العملية من خدمة للمجتمعات المتطورة على أنه يمكن الاعتماد على التربية في نشر أي فكرة أو رأي أو معتقد معين، وفي بعض البلدان يتجه رجال السياسة والفكر إلى التربية وعن طريقها ينشرون مبادءهم وأفكارهم ومعتقداتهم"[80] وهذا يدل على تكامل كل من التربية مع العقيدة.

منهج البحث

وهو الأسلوب الذي يسلكه الباحث حيث يسير على منهج بحثي معين أو يجمع بين نوعين من أنواع البحث أو يجمع بين أكثر من ذلك نظراً لاختلاف توجهاته العلمية ونظراً لتباين الأطر التي يسير عليها هذا مع ما للتربية من اتصال بجميع أنواع المعرفة؛ لهذا فقد جمع الباحث بين أنواع ثلاثة من المناهج: الوصفي[81]

79 – د. إبراهيم ناصر، أسس التربية، ص27 – 28، مرجع سابق..

80 – نفس المرجع السابق، ص 58 – 59 بتصرف.

81 – المنهج الوصفي: يهدف هذا المنهج إلى وصف ظواهر أو أحداث أو أشياء مع العمل على تحديد الاتجاهات المختلفة مع المقارنة والوصف وجمع حقائق ومعلومات وملاحظات ووصف للظروف الخاصة بها . د. جابر عبد الحميد جابر، د. أحمد خيري كاظم، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ص40، دار النهضة العربية، بدون ط، القاهرة – مصر. 1985م.



والاستنباطي[82] والتاريخي[83] ؛ حيث جمع الباحث بين المناهج الثلاثة؛ لوجود جانب من البحث لـــه تعلق بالناحية التاريخية من سرد أحداث وتسلسلها وقعت وتزامنت معها أقوال أو أفعال معينة انبثق عنها مواقف تربوية كما أن هناك جانباً يحتاج إلى وصف لشخص أو حدثٍ مّا مع التعليق عليه برؤىً تربوية لها طابع عقدي ثم يأتي الجانب الثالث والأخير وهو عمود البحث ودعامته؛ إذ فيه استنباط وتحليل لمسلك شيخ الإسلام والذي سار عليه حيث يكشف من خلاله النقاب عن مناهج متعددة سلكها في تربيته العقدية للأفراد والمجتمعات في عصره ولمن جاء بعده... لذا دمج الباحث تلك المناهج البحثية الثلاثة فكان ذلك ضرورة حتمية لسير منظومة عناصر البحث في نسق واحد.

أدوات البحث

وهي الوسائل التي يجمع الباحث من خلالها المعلومات والمعارف والحقائق حيث تتماشى جنباً إلى جنب مع المنهج الذي اتبعه في بحثه.

وبما أن الباحث قد جمع في بحثه بين كل من : المنهج الوصفي والاستنباطي والتاريخي ؛فإن أدوات البحث لابد وأن تتوافق مع تلك المناهج من حيث كيفية الحصول على المعلومات وتوظيفها ثم الاستنباط منها حسبما رأى الباحث وهي كما يلي:

أولاً : بالنسبة لما يتعلق بالناحية الوصفية فيسير الباحث حيث:

1- تحديد الظواهر والمعلومات والحقائق ثم الحديث عنها بما يلائم البحث حتى يتسنى الاستنباط منها أو مقارنتها بغيرها من الظواهر والأحداث.

---

82 – المنهج الاستنباطي: ويهدف هذا المنهج إلى وصول الباحث لأعلى جهد عقلي من استنباط أشياء ووضع معايير واستخراج وسائل ومناهج من خلال الاستقراء والتتبع مع تأكيد ذلك بذكر الأدلة والبراهين. صالح عبد الرحمن عبد الله، حلمي فوده ، المرشد في كتابة البحوث التربوية، ص 43، دار المنار ط5، مكة المكرمة – المملكة العربية السعودية، 1408هـ

83 – المنهج التاريخي: وفيه يتم وصف وتسجيل الأحداث والوقائع التي جرت وتمت في الماضي مع التحليل والتفسير بُغية اكتشاف تعميمات تساعد في فهم الواقع الحاضر والتنبؤ بأشياء وأحداث في المستقبل مع التركيز على التغير والنمو والتطور في الأفكار والاتجاهات والممارسات لدى الأفراد أو الجماعات، د. جابر عبد الحميد جابر، د. أحمد خيري كاظم، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ص 41، مرجع سابق.



2- تعامل الباحث مع الحقائق والمعلومات التي جمعها بحيدة ؛لتكون النتيجة أقرب إلى الصواب .

3- اختيار أقرب الألفاظ التي تعبر عن حقيقة المحتوى المراد.

4- عدم المبالغة ولا الإجحاف في الوصف حتى لايبعد الوصف عن المقصود من غير إخلال بأصل الحقيقة التي نرمي للوصول إليها.

5- التأكيد على تلازم ما يتم وصـــفه بالجانب الحقيقي لأصـــل الظاهرة أو الحقيقة المراد الاستدلال منها أو بها.

ثانياً : بالنسبة لما يتعلق بالناحية الاستنباطية حيث :

اطلاع الباحث على مؤلفات الإمام ابن تيمية في الجانب العقدي وليس افتراضـاً أما وهذا لايمنع من الاستشـهاد بأقوال أهل العلم أو الدارسـين لهذا الجانب عند الإمام ابن تيمية ويتضح هذا من خلال ما يلي:

1- استقرأ الباحث معظم مؤلفات الإمام ابن تيمية وما كتب عنه قديماً وحديثاً بُغية الوصول إلى استنباط مناهج التربية العقدية كما ارتآها الباحث.

2- عمل الباحث على تلازم ما يتم استنباطة مع المنهج العام والمعروف للإمام ابن تيمية مع ضرب الأمثلة التي تؤكد ذلك.

3- عمل الباحث على ذكر أهم النتائج التربوية التي برزت من خلال المناهج التربوية التي سلكها الإمام ابن تيمية في تأصيله للجانب العقدي :حيث دوره وتأثيره في مجتمعه وفيمن حوله أو تعامل معه ثم التطرق إلى أحواله الشخصية ثم إلى الدور العظيم الذي قام به تجاه دينه وبلاد المسلمين ومما تركه من تُراث زاخر وذكرى عطرة مع ما ربى عليه تلاميذ نجباء لأصـــبحوا أئمة للإســـلام والمسلمين وأخيراً دوره في التربية العقدية عبر العصور.

ثالثاً: أما ما يتعلق بالناحية التاريخية:



فقد جمع الباحث كماً لابأس به من الحقائق والمعلومات والظواهر الطبيعية بغرض الاستدلال بها ومنها وسار على ما يلي:

1- قام بجمع المعلومات أو ما الأحداث من المراجع التاريخية المعتمده.
2- جمع الباحث بين قديم المؤلفات وحديثها .
3- اتبع الباحث الأسلوب العلمي في التوثيق لما جمع من معلومات أو أحداث.
4- التزم الباحث الدقة في النقل أو عزو الأقوال أو الأخبار إلى قائليها حسبما تقتضيه الأمانة العلمية.

وهكذا سار الباحث في دراسته حيث واءم بين كل من المنهج الذي سلكه في بحثه مع أدوات البحث التي غذى بها محتوى البحث للوصول إلى الغاية المنشودة وهي: وصف واستنباط لمناهج التربية العقدية عند الإمام ابن تيمية حيث ارتآها الباحث.

حدود البحث

وهي الأبعاد التي سيكون البحث دائر في فلكها حيث يبين الباحث سبب الاقتصار في دراسة العقيدة عند الإمام ابن تيمية مع ذكر المناهج التربوية التي سلكها –فيما يرى الباحث– لتأصيل العقيدة ويوضح الباحث المصادر التي تم استقصاء تلك المناهج العقدية منها حيث أرجع الباحث مصادر البحث إلى ثلاثة وهي:

1- كلام الإمام ابن تيمية نفسه في كتبه.
2- كلام معاصريه: (تلاميذه – غيرهم).
3- ما كتب عنه قديماً وحديثاً.

حيث جمع بين مناهج ثلاثة في البحث وهي: المنهج الوصفي، والاستنباطي ، والتاريخي لما يقتضيه البحث من أمور متعلقة بكل نوع من أنواع المناهج الثلاثة .

هذا وإن البحث في مؤلفات الإمام ابن تيمية لاستقصاء مصادر مناهج التربية العقدية عنده ليس بالأمر العسير؛ نظراً لكثرة مؤلفاته وتعددها وتنوعها لكن حصرها



هو العسـير ومما يجعل البحث في كتبه ميسـراً كثرة من حكى عنه أقواله وعلمه من تلاميذ أو غيرهم وكذلك علو منزلته وشـهرته جعلت كثيراً من الكتاب والباحثين يدأبون على الإدلاء بدلوهم ذاكرين مآثره وعلمه وجهاده وعبادته..

إذاً فالبحث فيما يتعلق بهذا الإمام ميسور لكن الصعوبة تكمن في استقصاء منهجاً معيناً من ذلك الكم الهائل الذي جاوز الخمسـمائة مصـنف والناظر لمؤلفات ذلك الإمام يجد أنه يجمل الكلام في بعض المواضـع ويفصـل في بعضـها الآخر لاعتبارات متعددة ومما لـه علاقة بمبحث العقيدة فإن لـه مسائل جزئية في بطون المسائل الكبار ومنها موجود ضـمن كتاب كبير متعلق بمسـائل مشـابهة ومنها ما له مؤلف مخصـوص...؛ لذلك كان اسـتقصـاء منهج بعينه من ذلك البحر الزخار يحتاج إلى إحاطة تامة بمؤلفات ذلك الإمام وهذه الإحاطة يعجز عنها أسـاطين العلماء فضـلاً عن الباحثين أو الكتاب؛ لذا اقتصـر الباحث في دراسـته واسـتقصـائه لتلك المناهج التربوية التي ارتآها على ثلاثة أمور:

1- كلام الإمام ابن تيمية نفسه في كتبه:

إذ هو أعرف بأقواله ومقاصد الكلام من غيره يظهر ذلك لمن يطالع كتب الشيخ تقي الدين حيث تآليفه المتعددة في هذا الشأن واهتمامه بتأصيل منهج السلف الصالح وهي العقيدة الصحيحة التي اعتقدها وعاش ومات لنصرتها وإحيائها؛ لأنها تقوم على دعائم راسخة: الكتاب والسنة بفهم علماء الأمة، كما أكثر في مؤلفاته من ذكر العقائد الباطلة ورد عليها ودحضها مفنداً شبهاتها وسيأتي الكلام على معتقد ذلك الإمام في الباب الثاني وهذه العقيدة هي التي آمن بها ودعا إليها وإلى نصرتها وتعددت مؤلفاته في مبحث العقيدة تأصيلاً أو ورداً أو شرحاً وانبثق من ذلك عبارات لخص من خلالها ذلك المعتقد في مواقف تربوية لتلك العقيدة.



2- كلام معاصريه (تلاميذه – غيرهم):

كلام الشـــيخ تقي الدين في الأمور العقدية من خلال مناهجه التربوية التي سلكها قد تناقلها العلماء سواء من عاصره وتتلمذ على يديه أو من الذين عاصروه ووافقوه أم خالفوه لما رأوه من غزارة علمه ودقة فهمه وسـعة اطلاعه فكلامه لـــــه عندهم من الشهرة بمكان.

أما تلاميذه فقد أكثروا من النقل عنه عموماً سواء فيما يخص علمه أو عبادته أو تربيته وتعليمه في النواحي المختلفة... وأما ما له تعلق بالتربية العقدية مع تعدد مناهجه التربوية التي سلكها فكثيرة ومن أمثلة تلك النقولات الكثيرة التي دونها تلاميذه وغيرهم ممن عاصروه كأمثال الإمام ابن القيم والإمام ابن كثير والإمام الذهبي والإمام ابن عبد الهادي والإمام البرزالي والقاضي زين الدين ابن مخلوف قاضي المالكية والإمام الحافظ المزي والعلامة كمال الدين بن الزملكاني والشيخ الواسطي والحافظ البزار.

وأما غير تلاميذه ممن عاصروه فقد حكوا عقيدته سواء وافقوه أم خالفوه كما ذكر ذلك الإمامان ابن كثير والذهبي ومن هؤلاء المعاصرين له الإمام تقي الدين السبكي والإمام البِرْزالي[84].

3- ما كتب عنه قديماً وحديثاً:

إن تتبع كل ما كتب عن الشيخ تقي الدين لا يمكن حصره –إن حصر- إلا بمشقة كبيرة؛ ذلك لكثرة من كتب عنه من العلماء منذ عصره وعبر العصور وهذه الكتابة تنوعت أشـــكالها وتعددت جوانبها وأما ما يتعلق بالكتابة عنه في الوقت المعاصـــر قسمان:

قسم كتب عنه كتابة عامة من خلال المؤلفات السابقة مع الاختصار والتنقيح وقسم آخر قد آثر منهج البحث في أمور متخصصة يتتبع مظانها ويستخلصها من بطون

84 – ستأتي تراجمهم



الكتب وأمهات المســائل من خلال أطروحة لرســالة علمية أو لبحث علمي وهذا كثير جداً كل يكتب ويبحث من خلال تخصصه.

ومن أمثلة القسم الاول على سبيل المثال كتاب من قبل المتقدمين وهو ما كان على شاكلة المؤرخين مع التحليل وهو كتاب، العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية[85] وهو كتاب حافل ومن أشمل ما كتب عن شيخ الإسلام إذ تجاوز الأربعمائة صفحة حيث ذكر فيه ترجمة لشيخ الإسلام وثناء العلماء عليه وتعرض لذكر بعض شيوخه ومصنفاته واختياراته ثم أخذ في عرض ما حدث للشيخ وما أوذي بسببه مع ذكر عقيدته وتأصيله لها من خلال عدة مناهج مع استخدامه لوسائل متعددة ثم ختم الكتاب بتعداد المراثي من قبل العلماء والشعراء لهذا الإمام.

وهذا الكتاب حافل بمآثر هذا الإمام مما يجعل مادة البحث في مناهج الإمام ابن تيمية أقرب إلى اليسر؛ حيث تعداد مناهجه وتنوع أساليبه لتأصيل تلك العقيدة ، وهذا الكتاب ذكر قضــايا هامة تكلم عليها الإمام ابن تيمية وأطل إطلالة على غيرها من المســائل.أما الكتب التي تحدثت عن أمر معين متعلق بالإمام ابن تيمية وليس الغرض من الكتاب الســرد التاريخي إنما البحث في جانب معين متخصــص ومن أمثلة ذلك رســالة علمية بعنوان منهج ابن تيمية في مســألة التكفير[86] وهي رســالة قيمة جاوزت الخمسمائة صفحة في مجلدين ذكر فيها المؤلف موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من التكفير فبدأ بذكر تحذير شيخ الإسلام ابن تيمية من التكفير بغير دليل شرعي ولا علم ثم عدد بعض الأقوال والأفعال المكفرة عند شيخ الإســلام ثم ذكر مســألة هامة وهي موقف هذا الإمام من تكفير المعين مع ذكر التكفير عنده وتفريقه بين التكفير المطلق وتكفير المعين ثم بين شـــروط التكفير وكذلك عدد موانع التكفير وبين ما يمحو الكفر بعد ثبوته على المعين ثم عرَّج على موقف الإمام ابن تيمية من الفرق من أهل البدع

85 – لتلميذه الحافظ ابن عبد الهادي.

86 – د. عبد المجيد بن سالم بن عبد الله المشعبي



والضلالات ثم بين المؤلف الفرق التي كفَّرها شيخ الإسلام من غُلاة الفلاسفة والجهمية والباطنية ثم بين المؤلف موقف شيخ الإسلام من الإفراط والتفريط في مسألة التكفير من خوارج ومرجئة.

وهو كتاب قيم بين فيه مؤلفه المنهج الذي سلكه الإمام ابن تيمية في هذه المسألة المهمة مع ذكره لتعدد روافده وتعدد الوسائل التي أصل بها منهجه.

مصطلحات البحث

يقوم الباحث بتعريف وإيضاح مصطلحات عنوان البحث ويتم ذلك من خلال تعريف كل من: المناهج – التربية– العقيدة، وذلك من خلال ما يلي:

أولاً : المناهج: وسيدور الكلام على ذلك من خلال:

أ- تعريف المنهج في اللغة:

"نهج: طريق نهج بيِن واضح وهو النهج. وطرق نهجة وسبيل منهج: كنهج، ومنهج الطريق: وضحه. والمنهاج كالمنهج...

وأنهج الطريق: وضح واستبان وصار نهجاً واضحاً بيناً...

والمنهاج: الطريق الواضح، واستنهج الطريق صار نهجاً...

ونهجت الطريق: أبنتُه وأوضحته، يقال: اعمل على ما نهجته لك. ونهجت الطريق: سلكته وفلان يستنهج سبيل فلان أي: يسلك مسلكه والنهج: الطريق المستقيم[87] ويقال: "النهج: الطريق، ونهج لي الأمر أوضحه وهو مستقيم ، المنهاج والمنهج: الطريق أيضاً، والجمع المناهج[88] و"أخذ النهج والمناهج والمنهاج. وطريق نهج، وطرق نهجه، ونهجت الطريق: بينته وانتهجته: استبنته، ونهج الطريق وأنهج: وضح[89] ويقال في

87 – ابن منظور، لسان العرب، جـ2 ص382 – 383، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت – لبنان ، 1424هـ - 2003م ، الفيروز آبادي، القاموس المحيط، جـ1 ص210، مصطفى الحلبي ، ط2 ، القاهرة – مصر ، 1371هـ .

88 – ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، جـ5 ص361، ،ط1، القاهرة – مصر، 1369هـ.

89 – الإمام الزمخشري، أساس البلاغة، ص 659 – 660، دار صادر، بدون ط، بيروت – لبنان، 1399هـ - 1979م.



المنهج كذلك: "نهج الأمر وأنهج إذا تبين ووضح"[90] ويعرف على أنه "الطريق الواضح، وأنهج الطريق أي: استبان وصار نهجاً واضحاً بيناً"[91] وفي اللغة أيضاً: "المنهج والمنهاج: الطريق الواضح،ونهج الطريق أبانه وأوضحه، ونهجه أيضاً: سلكه"وكذلك يعرف على أنه: "خطوات منظمة يتخذها الباحث لمعالجة مسألة أو أكثر ويتتبعها للوصول إلى نتيجة... و المنهج على العموم هو الطريق الواضح في التعبير عن شيء أو في عمل شيء أو في تعلم شيء طبقاً لمبادئ معينة وبنظام معين وبغية الوصول إلى غاية معينة[92]

ب- تعريف المنهج عند التربويين:

يعرف المنهج التربوي على أنه "مجموع الخبرات والأنشطة التي تقدمها المدرسة تحت إشرافها للتلاميذ بقصد احتكاكهم بها وتفاعلهم معها ومن نتائج هذا الاحتكاك والتفاعل يحدث تعلم أو تعديل في سلوكهم ويؤدي هذا إلى تحقيق النمو الشامل المتكامل الذي هو الهدف الأسمى للتربية"[93] ويعرف كذلك على أنه : " مجموع الخبرات التربوية التي تهيؤها المدرسة للتلاميذ داخلها بقصد مساعدتهم على النمو الشامل "[94] ويعرف المنهج التربوي بأنه "الطريق أو السبيل الواضح الذي يسلكه المربي أو المدرب مع من يربيهم أو يدربهم؛ لتنمية معارفهم ومهاراتهم واتجاهاتهم"[95] ويعرف بأنه "مجموع المسارات التي تتألف منه ميادين الحياة المختلفة في كل طور وعصر وما على هذه المسارات من منارات أقامها الوحي لتبين الحلال والحرام أو النافع والضار أو اليسر والعسر"[96]والمنهج بمفهومه الواسع هو الذي "يتضمن جميع

90 – الإمام الزمخشري، الفائق، تحقيق علي محمد البجاوي – محمد أبو الفضل إبراهيم، جـ4 ص35، دار المعرفة، ط2، بيروت – لبنان، بدون ت.

91 – نديم مرعشلي، أسامة مرعشلي، الصحاح في اللغة والعلوم، تقديم الشيخ عبد الله العلايلي، جـ2 ص614، دار الحضارة العربية، ط1، بيروت – لبنان، 1974م.

92 – نديم مرعشلي، أسامة مرعشلي، الصحاح في اللغة والعلوم، جـ2 ص 614، مرجع سابق.

93 – أ. محمد عزت عبد الموجود وزملاؤه، أساسيات المنهج وتنظيماته، ص11، دار الثقافة للطباعة والنشر، ط1، القاهرة – مصر، 1981م.

94 – زياد إبراهيم عدنان ، المدخل في التربية من المعرفة إلى السلوك (رسالة ماجستير) ، إشراف د . إسحاق غازي ، ص 5 ، دار المعارف ، ط 2 ، عمّان – الأردن ، 1417هـ – 1997م .

95 – د. عمر محمد التومي الشيباني، فلسفة التربية الإسلامية، ص 346، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ط6، طرابلس ليبيا، 1968م.

96 – د. ماجد عرسان الكيلاني، مناهج التربية الإسلامية والمربون العاملون فيها، ص76، مؤسسة الريان، بدون ط، بيروت – لبنان، 1419هـ – 1998م.



ما تقدمه المدرسة إلى تلاميذها تحقيقها لرسالتها الكبرى في بناء البشر ووفق أهداف تربوية محددة وخطة علمية سليمة بما يساعد على تحقيق نموهم الشامل جسمياً وعقلياً ونفسياً واجتماعياً وروحياً"(97)؛ لذلك فإن "المنهاج هو طريق يسلكه الفرد بنية الوصول لغاية ينويها في نفسه قد تكون خيرة أو غير خيرة، وعليه فإن الأهداف أو الغايات التي تتحقق تتوقف على المشرّع لهذا المنهاج وللقائمين على تنفيذه"(98) و"المنهج نظام"(99)وهذا النظام يؤدي إلى تحقيق أهداف معينة " وقد اصطلح المربون والدارسون على أن المنهاج هو أداة التربية التي تحقق أهدافها"(100) فتنوع المربين في تعريفاتهم يرجع للاتجاهات التي عرفوه بها من حيث ماهيته أو ثمرته أو ... لكن تلك التعريفات كلها تخدم العملية التعليمية على وجه العموم وتخدم المتعلمين على وجه الخصوص .

ج- تعريف المنهج عند الإمام ابن تيمية:

عرف الإمام ابن تيمية المنهاج بقوله: "المنهاج: الطريق والسبيل"(101) وبقوله: "المنهاج: هو الطريق الذي سلك فيه"(102) وبين أن هذا المنهاج هو موصل العباد لخالقهم فقال: "المنهاج: هو الصراط المستقيم الذي يوصل العباد إلى الله"(103)

د – تعريف المنهج في التربية الإسلامية:

إن نظرة علماء التربية الإسلامية للمنهج يختلف عن النظرة المجردة للمنهج حيث إن التربية الإسلامية للمنهج يختلف عن النظرة المجردة للمنهج حيث إن التربية الإسلامية

97 – علي عبد الله اليافعي، رؤىً مستقبلية، ص9، مرجع سابق.
98 – نفس المرجع السابق ، ص17 ، د. الدمرداش عبد المجيد سرحان ، المناهج المعاصرة ص 19 ، مرجع سابق .
99 – علي عبد الله اليافعي، رؤىً مستقبلية، ص10، 16، مرجع سابق.
100 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ19 ص113، جمع عبد الرحمن بن قاسم بمساعدة ابنه محمد ، إشراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين ، ط 2 ، الرياض – المملكة العربية السعودية ، بدون ت ، وينظر جـ2 ص 460 – 261 ، جـ7 ص636 ، جـ 11 ص292 ، جـ19 ص307 .
101 – نفس المرجع السابق، جـ11 ص219.
102 – نفس المرجع السابق، جـ4 ص57.
103 – نفس المرجع السابق، جـ4 ص57.

تتعامل مع شقين فيما له تعلق بالتربية وهذان الشقان هما: شق له تعلق بالأرض وشق له تعلق بالسماء وما وراء الطبيعة ودواخل النفس.

أما نظرته إلى الشق المتعلق بالأرض فإنه يتفق مع مناهج التربية في الأهمية ووجوب التفعيل والاحتكاكات المثمرة بين المعلم والمتعلم .وأما الشق الآخر المتعلق بالسماء فإنه مما تميز به منهج التربية الإسلامية ويسمو على سائر المناهج حيث فيه تربية الروح والعقل والجسد مع صحة الاعتقاد باستعمار الأرض وفق الشرع المطهر.

إذن فنظرتهم للمنهج نظرة شاملة لكل مناحي الكون فهو "منهج متكامل لا يترك صغيرة ولا كبيرة.. يشمل النفس الإنسانية كلها بحذافيرها ويشمل الحياة البشرية بالتفصيل"[104] فهو شامل متكامل يراعي الطبيعة البشرية بكل جوانبها وهذا يعني أن "منهج التربية الإسلامية فريد في كل مناهج الأرض وإن التقى ببعضها في التفصيلات والروع. فريد في كل مناهج الأرض وإن التقى ببعضها في التفصيلات والفروع. فريد في شموله ويقظته لكل دقيقة من دقائق النفس البشرية وكل خالجة وكل فكرة وكل شعور، وفريد في أثره في داخل النفس وفي واقع الحياة"[105] ويعرف منهج التربية الإسلامية على أنه "نظام من الحقائق والمعايير والقيم الإلهية الثابتة والمعارف والخبرات والمهارات الإنسانية المتغيرة ينبع من التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة ويهدف إلى تربية الإنسان وإيصاله إلى درجة كماله التي تمكنه من القيام بواجبات الخلافة في الأرض عن طريق إعمارها وترقية الحياة على ظهرها وفق منهج الله"[106] وعلى ذلك فالمنهج هو "مجموعة من الحقائق ولمفاهيم والمثل المشتملة على معايير وخبرات وأنشطة تنتقل من المربين إلى المتعلمين بحيث تكون نظاماً يهدف إلى صلاح الكون بما فيه وفق وحي السماء"[107] فعند النظر للمناهج من الوجهة

104 – الأستاذ محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، جـ1 ص9، مرجع سابق.
105 – نفس المرجع السابق.
106 – د. علي أحمد مدكور، نظريات المناهج المعاصرة، ص33، مرجع سابق، وينظر على عبد الله اليافعي، رؤىً مستقبلية، ص 25 – 26، مرجع سابق.
107 – اختيار الباحث



الإســلامية نجد "أنها لم تُخِلّ بالمفاهيم العامة للمناهج التربوية بل أضــافت إليها بعداً إسـلامياً أثراها وغطى جوانب القصـور فيها وأكسـبها ثوباً جديداً ترفل فيه مبتهجة بصورتها الجديدة إذ نرى أنه ليس هناك ما يمنع من تصميم وتخطيط المناهج في بلادنا العربية على هذا النمط الذي لا شك أنه الوحيد الذي سيظهر هويتنا الإسلامية وأنا هنا لا نقصـد بناء مناهج للتحرر من الأمية الأبجدية وإنما منهاج يحرر شـعوبنا وأمتنا من الأمية المهنية والوظيفية والفكرية بالإضـــافة إلى التحرر من الأمية الأبجدية"[108] حيث يتماشـى عالمية دين الإسـلام ولشـموله ودعوته لعمارة الكون مع تربية النفس البشرية بشتى أنواع التربية على اختلاف صورهاومن مزايا منهج التربية الإسلامية أنه منهج محـافظ متجـدد فهو منهج يحـافظ على مبـادئه بثبـاتها ويحـافظ على أفراده ومجتمعاته من الانحراف حيث أصــوله الثابتة وكونها صـــالحة لكل زمان ومكان وهي تراعي أحوال وظروف الكائنات بجميع أطوارها فلا تجمع بين ضـــدين ولا تفرق بين مجتمعين وكذلك تميز هذا المنهج بالتجديد حيث صار النمو طابعاً لـــــه وفتح باب الإبداع والقياس والتجديد مع مواكبة الحياة بما يدخلها من مستجدات فيكون محتوياً لها فمنهج يقوم على أساس اشتمل صلاح وإصلاح الفرد والمجتمع مع شموله لكلمة تربية لما تحويه من معانٍ وبما تشتمل عليه من مكونات لها وبما تقوم عليه.

ومن خلال ما تقدم يظهر لنا أن هناك أســـــــاً كثيرة يقوم عليها منهج التربية الإسلامية لكن تجمعها تصورات أربعة هي[109]:

- التصور الاعتقادي بحقيقة الألوهية.
- التصور الاعتقادي بحقيقة الكون.
- التصور الاعتقادي بحقيقة الإنسان.
- التصور الاعتقادي بحقيقة الحياة.

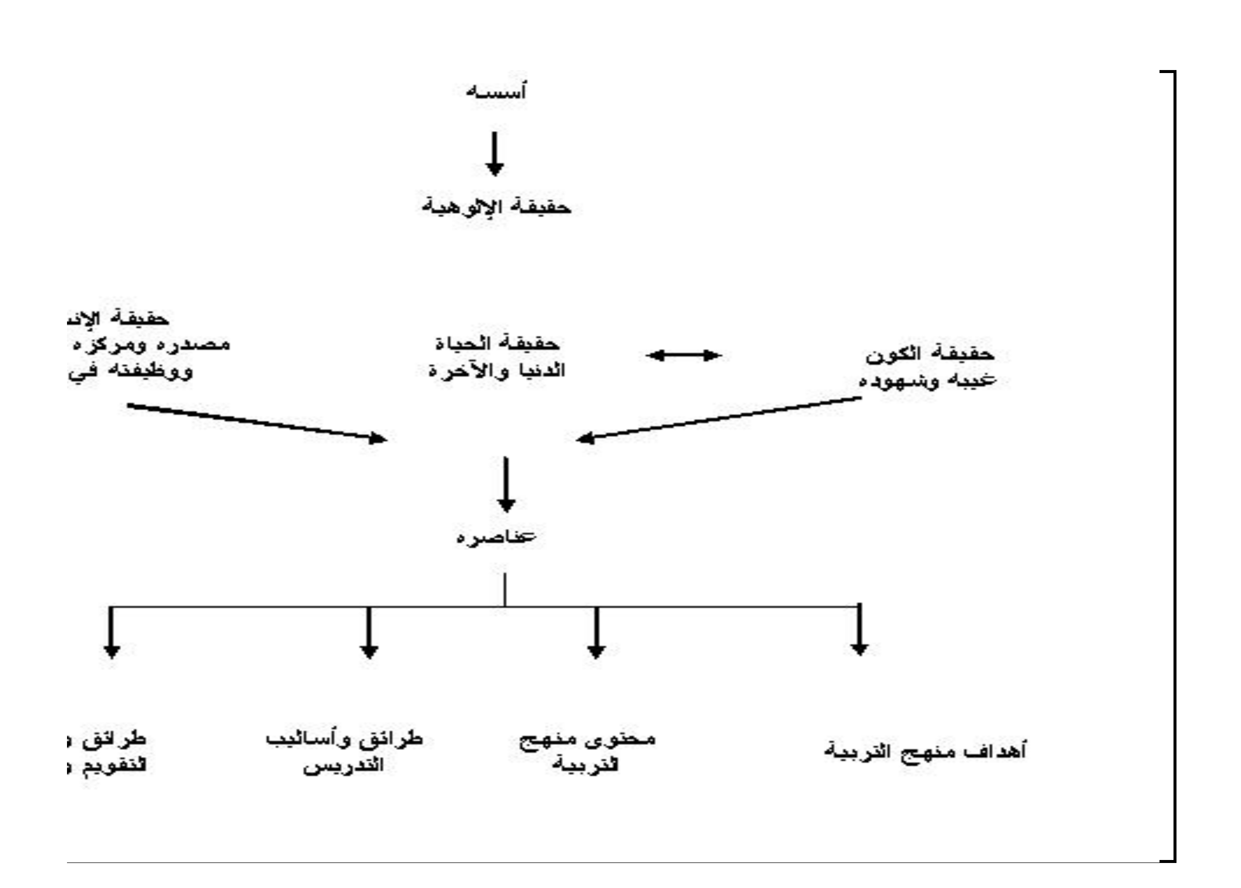
108 – علي عبد الله اليافعي، رؤىً مستقبلية، ص 25 – 26، مرجع سابق

109 – د. علي أحمد مدكور، نظريات المناهج التربوية، ص 89- 90، بتصرف يسير، مرجع سابق، د. إبراهيم ناصر، أسس التربية، ص 272، مرجع سابق



فهذه الحقائق الأربعة والعلاقات والارتباطات بينها تمثل أساس التصور الاعتقادي الإسلامي وأساس التصور الاجتماعي المنبثق عنه وذلك كما بالشكل التالي:

منهج التربية في التصور الإسلامي



شكل (3)

ثانياً: التربية

وسيدور الكلام عليها من خلال ما يلي:

(أ) تعريف التربية في اللغة:

إن أصل كلمة التربية في اللغة العربية الكلام عليه من خلال الأفعال الثلاثة التالية:

ربا: يربو أي: نما ينمو ربى: يربى أي: نشأ وترعرع

ربّ: يربّ أي: أصلحه وتولى أمره ورعاه.



وهذه الأفعال الثلاثة شديدة الالتصاق بما تدعو إليه التربية الحديثة.

ففي لسان العرب" ربا الشيء يربو ربواً ورباءً: زاد ونما، وأربيته: نميته، وفي التنزيل العزيز: (ويربي الصدقات)(110) وقد ربوت في حجره ربواً وربواً وربيت رباءً ورُبياً كلاهما: نشأت فيهم... وربيت فلاناً أربيته تربية وتربيته وربيته بمعنىً واحد"(111) وفيه: "رب ولده والصبي يربه رباً وربه تربيباً وتَرِبَّةً بمعنى رباه وتربيه وأربته ورباه تربية: أحسن القيام عليه ووليه حتى يفارق الطفولية كان ابنه أو لم يكن"(112) وفيه أيضاً:"رب الشيء إذا أصلحه"(113) وفي القاموس المحيط:"رب الأمر أصلحه... ورب الصبي حتى أدرك"(114) وفيه: "وربوت في حجره ربواً وربواً وربِيت رباءً ورُبْياً وفي الصحاح: "(115) "ربيته تربية وتربيته: أي: غذوته، هذا لكل ما ينمي كالولد والزرع ونحوه"، وفي معجم مقاييس اللغة: "رب: الراء والباء يدلان على أصول:فالأول إصلاح الشيء والقيام عليه؛ فالرب: المالك والخالق والصاحب، والرب: المصلح للشيء. يقال: رب فلان ضيعته إذا أقام على إصلاحها، وهذا سقاء مربوب بالرب... والله جل ثناؤه: الربّ؛ لأنه مصلح خلقه. وربيت الصبي أربه وربيته أربيه... والأصل الآخر: لزوم الشيء والإقامة عليه"(116)، وفي المفردات: "الرب في الأصل التربية وهو إنشاء الشيء حالاً فحال إلى التمام فالرب مصدر مستعار للفاعل"(117) وفي مختار الصحاح: "رب ولده من باب رد، وربه وتربه بمعنىً أي: رباه ومربيٌّ أيضاً من التربية"(118) وفي أساس البلاغة: "رب ولده وربه وتربَّه ورباه

---

110 – سورة البقرة الآية (276).

111 – بن منظور، لسان العرب، جـ14 ص 304، 306-307 ، مرجع سابق.

112 – نفس المرجع السابق ، جـ4 ص400 .

113 – نفس المرجع السابق، جـ 4 ص401.

114 – الفيروز آبادي، القاموس المحيط، جـ1 ص70، مرجع سابق

115 – الجوهري، الصحاح، جـ 4 ص400 مرجع سابق.

116 – ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، جـ2 ص381، 382، مرجع سابق.

117 – الراغب الأصفهاني، المفردات، ص 184، مكتبة و مطبعة الحلبي، بدون ط، القاهرة – مصر، بدون ت.

118 – الإمام الرازي، مختار الصحاح، ص 228، مرجع سابق.



وربيته وهو ربيبه وهي ربيبته وهن ربائبه"[119] وفيه: "وسمعت من يقول: أين ربِيتَ يا صبيٌّ؟ بوزن: رضيت وتربيت"[120]وفي المعجم الوسيط: "رب الولد رباً: وليه وتعهده بما يغذيه وينميه ويؤدبه، ورب الشـــيء: ملكه وحفظه ونماه"[121] فيتضـــح مما تقدم شمول كلمة رب ب لأغراض وأهداف التربية واحتواء قواميس اللغة العربية للتربية ككلمة تتمشـــى مع المتعلم منذ صـغره وما تدعو إليه عناية وتنشـئة وما ترشـد إليه كذلك من رعايتهم وحفظهم والتدرج في نموهم كما يتضـــح أن التربية عملية تدريجية تتم على مراحل ويتضـح كذلك أهمية احتياج ربط التربية بالوحي كما يظهر من تلك التعريفات أن هناك قاسماً مشـتركاً بين المعلم والمتعلم وعملية التربية نفسـها كالمنظومة لابد من وجود كل عناصرها.

(ب) تعريف التربية عند التربويين: (المسلمين و غير المسلمين):

أما تعريف التربية عند التربويين المسلمين فهي كما يلي:

عند الأســـتاذ رفاعة الطهطاوي[122]"التربية هي أن تبني خُلق الطفل على ما يليق بالمجتمع الفاضـــل وأن تنمي فيه جميع الفضـــائل التي تصـــونه من الرذائل وتمكنه من مجاوزة ذاته للتعاون مع أقرانه على فعل الخير"[123] وعند الشـــيخ محمد عبده[124]: "الإنسـان مجبول على الخير؛ ولهذا تقوم التربية على ترقية العقل وتنمية الاسـتقلال في الفكر"[125] وعند الأسـتاذ سـاطع الحصـري[126]: "التربية هي أن ننشـئ الفرد قوي

---

119 – الإمام الزمخشري، أساس البلاغة، ص 214 – 215، درا صادر، بدون ط، بيروت – لبنان، 1399هـ - 1979م.

120 – نفس المرجع السابق، ص 219.

121 – مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، قام بإخراجه د. إبراهيم أنيس، د. عبد الحليم منتصر، عطية الصـوالحي، محمد خلف الله أحمد، قام بنشـره الشـيخ عبد الله الأنصاري، جـــ 1 ص 321، إدارة إحياء التراث الإسلامي، بدون ط، الدوحة – قطر، بدون ت. وينظر: نديم مرعشلي، أسامة مرعشلي، الصحاح في اللغة والعلوم، جـ 1 ص 454 – 455، مرجع سابق.

122 – الأستاذ رفاعة الطهطاوى، تلقى تعليمه في الأزهر الشريف ثم ذهب إلى فرنسا وحصل علوماً ومعارف متعددة وبعد رجوعه إلى مصر أنشأ مدرسة الألسن وأسس جريدة الوقائع المصرية ومن أشهر مؤلفاته: كتاب تخليص الإبريز في تلخيص باريز، مات سنة 1873م

123 – د. إبراهيم ناصر، أسس التربية، ص 15، مرجع سابق.

124 – الشـيخ محمد عبده، درس العلوم الشـرعية في الأزهر الشـريف ثم اطلع على العلوم الحديثة والتقى محمد جمال الدين الأفغاني وأصـدرا معاً جريدة العروة الوثقى، له مؤلفات عديدة أشهرها التفسير والفتاوى مات سنة 1905م.

125 – د. إبراهيم ناصرة أسس التربية، ص 16، مرجع سابق.

126 – الأستاذ ساطع بن محمد هلال الحصري، نال الإجازة في الشريعة من الأزهر الشريف، وتولى مناصـب قضـائية وتعليمية في عدة دول، وله مشـاركات في مجالات مختلفة، أصدر مجلة التربية والتعليم وله محاضرات في القومية العربية، مات سنة 1968م.



البدن حسن الخلق صحيح التفكير محباً لوطنه معتزاً بقوميته مدركاً واجباته مزوداً بالمعلومات التي يحتاج إليها في حياته [127] وعرفت التربية على أنها: "عبارة عن نقل الحضارة من جيل إلى جيل حتى يظل الإنسان في المستوى الرفيع الذي وصل إليه ويتمثل هذا المستوى في الآداب والعلوم والفنون والصناعات"[128] وكذلك عرفت على أنها: "تنشئة وتكوين إنسان سليم مسلم متكامل من جميع نواحيه المختلفة من الناحية الصحية والعقلية والاعتقادية والروحية الاعتقادية والإرادية والإبداعية"[129] وعرفت على أنها: "عملية إعداد المواطن الذي يستطيع التكيف مع المجتمع الذي ينشأ فيه"[130]، وكذلك عرفت على أنها: "عملية التكيف أو التفاعل بين المتعلم (الفرد) وبيئته التي يعيش فيها. أو أن التربية عملية تكييف مع البيئة المحيطة"[131] وعرفت بأنها "تعني: المعرفة + التطبيق: أي هي إعداد الإنسان المسلم .لإنتاج المعارف المتسمة بالأصالة والمعاصرة في ميادين الحياة المختلفة ثم إعداده ليحسن إدارياً وفكرياً وممارسة توظيف هذه المعارف في حياة الأفراد والجماعات في ضوء علاقاته بالخالق والكون والممارسات والحياة الآخرة"[132]، وهذا يؤكد معنى "التربية تفعلة من ربا إذا زاد ونما فهي تعهد الشيء ورعايته بالزيادة والتنمية والتقوية والأخذ به في طريق النضج والكمال الذي تؤهله له طبيعته"[133]، وهذه هي ثمرة التربية حيث النمو والزيادة في المعلومات والمعارف مع انعكاسها على السلوك والأخلاق فتكون حسنة مما يجعل الفرد صحيح التصور العقدي وما دونه ثم وضوح في التفكير وهذا مع اجتماع منهج سليم بتربية راقية على أحسن الأساليب كل ذلك يلازم

127 – د إبراهيم ناصر ، أسس التربية ،ص 16 ، مرجع سابق0

128 – أحمد فؤاد الأهواني، التربية في الإسلام، ص17، دار المعارف، ط2، القاهرة – مصر، 1975م.

129 – مقدار يالجن، أهداف التربية الإسلامية، ص20، دار الهدى، ط2، الرياض – المملكة العربية السعودية، 1409هـ - 1989م.

130 – د. محمد لبيب النجيحي، في الفكر التربوي، ص 121، مرجع سابق0

131 – د. إبراهيم ناصر، أسس التربية، ص 17، مرجع سابق.

132 – د. ماجد عرسان الكيلاني، مناهج التربية الإسلامية ، ص 77 ،مرجع سابق0

133 – د. محمد عبد الله درّاز، كلمات في مبادئ علم الأخلاق، ص



رعاية من المعلمين للمتعلمين فيصبح المتعلمون قادرين على فعل كل ما فيه صلاح للكون وفق منهج معصوم ويكون ذا فاعلية مؤثرة في بيئته المحيطة به.

أما تعريف التربية عند غير المسلمين:

فيقول أفلاطون[134]: "غاية التربية أن تفيض على الجسم كل جمال وكل كمال ممكن لهما"[135] ويقول أرسطو[136]: "التربية إعداد العقل للتعليم كما تعد الأرض للبِزار"[137] ويقول مِلْتُن[138]: "التربية الصحيحة هي تلك التي تهيئ الإنسان لتأدية أعماله المختلفة الخاصة منها والعامة في السلم أو في الحرب بكل عدل وحذق وسعة فكر"[139]ويقول صاحب كتاب التربيةالعامة[140]: "التربية: جملة الأفعال والآثار التي يحدثها بإرادته كائن إنساني في كائن آخر وفي الغالب راشد في صغير والتي تتجه نحو غاية قوامها أن نكون لدى الكائن الصغير استعدادات منوعة تقابل الغايات التي يعدلها حين يبلغ طور النضج"[141]ويعرفها كانت بقوله: "التربية ترقية جميع أوجه الكمال التي يمكن ترقيتها في الفرد"[142] والتربية عند جون ديوي[143]: "التربية هي العملية التي بها يعاد تكوين خبرة الفرد تكويناً يجعل لها قيمة اجتماعية كبيرة وذلك عن طريق تجارب الفرد الشخصية نفسها التي تمكنه من ضبط قواه المختلفة والسيطرة عليها"[144]وأما فروبل[145] فكان يرى "أن التربية لا تخلق في

134 – الفيلسوف اليوناني الشهير، له آراء كثيرة في الفلسفة والتربية، مات سنة 347 ق.م

135 – أمين مرسي قنديل، أصول التربية وفن التدريس، جـ 1 ص 23، ط4، 1356هـ 1937م.

136 – الفيلسوف اليوناني المعروف تلميذ أفلاطون وحامل لوائه ، مات سنة 322 ق.م

137 – أمين مرسي قنديل، أصول التربية وفن التدريس، جـ 1 ص23، مرجع سابق.

138 – الشاعر الإنجليزي جون مِلْتُن، من كبار التربويين الغربيين، مات سنة 1674م.

139 – أمين مرسي قنديل، أصول التربية وفن التدريس، جـ1 ص3، مرجع سابق.

140 – رونيه أو بيير.

141 – رونيه أو بيير، التربية العامة، تعريب، د. عبد الله عبد الدائم، ص 27، دار العلم للملايين، ط1 بيروت – لبنان، 1967م.

142 – فيلسوف أخلاقي ألماني شهير له مؤلفات ومحاضرات فلسفية وتربوية، كان محاضراً فلسفياً، له سلسلة رسائل تعرف بالتربية، مات سنة 1804م،عبد الرحمن الباني ،مدخل إلى التربية ،ص 18 ، مرجع سابق0

143 – مرب أمريكي وفيلسوف، أسلوبه في التفكير ينبني على التجربة على أساس أنها الحكم النهائي في المعرفة والسلوك تسمى فلسفته "الفلسفة التجريبية والآلية" ،مات سنة 1952م 0

144 – عبد الرحمن الباني مدخل إلى التربية ، ص 18، المكتب الإسلامي ،ط2 ،بيروت–لبنان ،1402 هـ–1983م0

145 – –فر يدرك فروبل، مصلح تربوي ألماني، له كتاب في التربية وتربية الإنسان، وهو مؤسس رياض الأطفال في أوروبا، أبرز رجال التربية في القرن التاسع عشر مات سنة 1852م.

الإنســـان ذكاءً وإنما تنمي طاقاته التي ولدت معه في داخله"[146] ومن التعريفات الشـــاملة لكلمة التربية التعريف الوارد في كتاب التربية العامة وهو "إن موضـــوع البيداغوجيا [علم التربية] صـــياغة مذهب في التربية نظري وعملي في آنٍ واحد كالمذهب الأخلاقي الذي هو امتداد له دون أن يكون هذا المذهب علماً فحسـب أو صناعة فحسب أو فلسفة أو فناً بل كل تلك مجتمعة منسقة تنسيقاً منطقياً"[147] هذا التعريف فيه إشـارة إلى شمول كلمة التربية وتعدد مدلولاتها فهي ليسـت قاصـرة على فكر دون خلق أو معتقد أو صـناعة بل باجتماع ذلك كله مع التدرج في ذلك مع الربط بين الناحيتين النظرية والعلمية وهو بذلك يقترب من التعريف العام للتربية في مؤلفات المســلمين ومعاجمهم لكن أمر التربية المرتبطة بالروح والمعتقد الصـــحيح الذي يشـــمل جميع طبقات المجتمعات عبر الأزمان وما يختص بطهارة النفس ويلائم الجميع في آنٍ واحـد مع اختلاف الأجناس والثقـافـات والأزمـان لا يوجـد إلا عنـد المسلمين

هـ) التربية عند بعض مصلحي الأمة (المتقدمين والمتأخرين).

أولت الشريعة الإسلامية الغراء التربية اهتماماً بالغاً؛ لذلك اهتم المصلحون بها وكتبوا فيها الأبحاث المطولة والمختصرة، ومنهم من تكلم على التربية بنفس مصطلحها ومنهم من تكلم عليها بمفرداتها أو بما يدل عليها، ولقد درج بعض المربين من الكتابة في التربية بعناوين مختلفة مثل: العلم والتعليم وأحوال المتعلمين وسياسة الصبيان وآداب التعلم والتعليم والسلوك والتهذيب وما كتبه مصلحو الأمة عن التربية والتعليم قديماً وحديثاً يدل على قدم واتصال تلك المنظومة التربوية عند المسلمين والمربون في الإسلام كثر وممن اشتهر بكلامه

146 – د. عدنان النحوي، التربية في الإسـلام : النظرية و المنهج ، ص 83 ، دار النحوي، ط 1 ، الرياض – المملكة العربية السـعودية، 1420هـــ – 2000م.

147 – رونيه أو بيير، التربية العامة، ص 36، مرجع سابق.



على التربية عموماً أو على وجه الخصوص الإمام الغزالي والإمام القيرواني "[148]و والقابسي[149] وابن القيم والإمام ابن جماعة[150] والإمام الشاطبي والعلامة ابن خَلْدون ومروراً بالمتأخرين كالشيخ محمد بن عبد الوهاب والشيخ حسن البنا ثم بالمعاصرين من علماء المسلمين والذين تكلموا على التربية بمفهومها الشامل أو حتى بتعريفها كمصطلح . أما الإمام الغزالي فله آراء تربوية رصينة وكانت "الغاية عنده من التربية هي التقرب إلى الله تعالى"[151] حيث إنه "قسم العلوم إلى فرض عين وفرض كفاية"[152]ومن أقواله التربوية: "والصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهره نفسية ساذجة خالية عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل ما نقش ومائل إلى كل ما يمال به"[153] ثم عدد بعض الآداب مع مراقبته والحفاظ عليه من النار ويعود الأخلاق الحسنة ثم قال: "ثم مهما ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود فينبغي أن يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح به ويمدح فإن خالف ذلك في بعض الأحوال مرة واحدة فينبغي أن يتغافل عنه ولا يهتك ستره ولا يكاشفه"[154]ثم بين[155] ما الذي ينبغي فعله في مراحل عمره المتدرجة. وفي هذا إشارة إلى أن الإمام الغزالي يهتم بالتربية والتعليم منذ الصغر وبالتدريج وكذلك يستخدم الاختيار والانتقاء فيما يتعلمه أولئكم المتعلمون.

ومن الأئمة المشهورين بالتربية والسلوك الإمام ابن قيم الجوزية وقد لخص هو بنفسه مبادءه التربوية إذ قال: "ومما يحتاج إليه الطفل غاية الاحتياج: الاعتناء بأمر خلقه؛ فإنه ينشأ على ما عوده المربِّي في صغره؛ ولهذا تجد أكثر الناس منحرفة أخلاقهم،

---

148 – العلامة محمد بن سعيد بن حبيب التنوخي القيرواني، كان عالماً صالحاً له مؤلفات تزيد على العشرين منها آداب المعلمين، توفي سنة 256هـ.

149 – الإمام الشيخ أبو الحسن علي بن محمد خلف المعافري، كان عالماً فقيهاً صالحاً، له رسائل في أحوال المعلمين والمتعلمين، توفي سنة 403هـ.

150 – الشيخ الإمام القاضي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة، ولي القضاء والتدريس والخطابة، له مؤلفات عديدة منها تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، وأنس المذاكرة فيما يستحسن في المذاكرة وله كشف المعاني، توفي سنة 733هـ. 21

151 – د. محمد منير مرسي، التربية الإسلامية، ص127 –128، مرجع سابق.

152 – نفس المرجع السابق، ص128 – 129

153 – الإمام أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، جـ3 ص 69 – 70 بتصرف، مرجع سابق.

154 – الإمام أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ص 70 بتصرف، مرجع سابق.

155 – ص 72



وذلك من قبل التربية التي نشأ عليها وإذا اعتبرت الفساد في الأولاد رأيت عامته من قبل الآباء ومما ينبغي أن يعتمد حال الصبي وما هو مستعد له من الأعمال ومهيأ له منها فيعد أنه مخلوق له فلا يحمله على غيره؛ فإنه إن حمله على غير ما هو مستعد له لم يفلح فيه وفاته وما هو مهيأ له"[156]وأما الإمام النووي فله مؤلفات في التربية والسلوك حيث تكلم فيها عما ينبغي أن يكون عليه المعلمون والمتعلمون ووضع قواعد وأصولاً لتعليم الصغار والكبار وحتى للمعلمين في كثير من كتبه ومن أقواله ناصحاً كلاً من المعلم والمتعلم معاً:"وينبغي أن لا يقصد [أي: المعلم أو المتعلم] به توصلاً إلى غرض من أغراض الدنيا أو رياسة أو وجاهة أو ارتفاع على أقرانه أو ثناء عند الناس أو صرف وجوه الناس إليه أو نحو ذلك"[157] وتكلم على الرفق في التربية فقال: "وينبغي له [أي: للمعلم] أن يرفق بمن يقرأ عليه وأن يرحب به ويحسن إليه بحسب حاله"[158]، وتكلم كذلك على أهمية التدرج في التربية وربط طهارة الباطن مع التعلم الظاهر فقال: "وينبغي أن يؤدب المتعلم على التدريج بالآداب السنية والشيم المرضية ورياضة نفسه بالدقائق الخفية ويعوده الصيانة في جميع أموره الباطنة والجلية"[159]

وهكذا فقد قسم الآداب التربوية إلى أقسام ثلاثة[160] : قسم يتعلق بكل من المعلم والمتعلم، وقسم خاص بالمعلم فقط، وقسم بالمتعلم.وأما التربية عند ابن سحنون فقد توجهت "من خلال عناصر وأهداف تعليمية تربوية منها: فضل تعلم القرآن والعدل بين الصبيان في التعلم وآداب للمعلم والمتعلم وإعطاء إجازة –فرصة– للصبيان وملازمة المعلم للمتعلمين"[161] وأما التربية عند الإمام والقابسي فقد بدت

---

156 – الإمام ابن القيم، تحفة الودود بأحكام المولود، تحقيق الشيخ عبد القادر الأرنؤوط، ص 240 – 244، بتصرف واختصار، مكتبة دار البيان، دمشق – سوريا، 1971.

157 – الإمام النووي، التبيان في آداب حملة القرآن، ص 28، مؤسسة الريان، ط3، بيروت – لبنان، 1414هـ - 1994م.

158 – نفس المرجع الساق، ص 31.

159 – نفس المرجع الساق، ص33.

160 – نفس المرجع السابق، ص 26، 31، 36. وينظر المجموع للإمام النووي، جـ 1 ص 18 – 58، المكتبة السلفية، بدون ط، المدينة المنورة،

161 – د. محمد منير مرسي، التربية الإسلامية، ص 111 بتصرف، مرجع سابق.



من خلال حديثه "عن التدريس ومواد التدريس ومناهجه وقد أشـــار إلى ما يجب على كل من المعلم والمتعلم ونظام الدراســـة"[162] أما العلامة ابن خَلْدون فمنهجه التربوي كان اجتماعياً تربوياً: حيث أخذ من إبداعه المتنوع خاصة في علم الاجتماع الاهتمام بالتربية؛ وهناك عدة مبادئ عامة للفكر التربوي الاجتماعي عند العلامة ابن خلدون وهي:

"أ- مبدأ الســببية: وذلك أن الحوادث الحادثة لابد لها من أســباب تســببت في حدوثها، وهذا يعني قصور العقل الإنساني وتفاوت مراتبه بين البشر قوة وضعفاً.

ب- مبدأ العقلانية: وهو مرتبط بسـابقه حيث إنه يرى العقل البشـرى محدوداً وأنه ما ينبغي

أن يتعلم علمين معاً بل لابد من التدرج في التعليم.

ج- مبدأ الصـــورة والمحتوى: حيث يطالب [العلامة] ابن خلدون بضـــرورة مراعاة الاتســاق بين صــورة الفكر ومحتواه؛ فالفكر دون محتوىً أجوف، والمحتوى دون فكر لا طائل من ورائه؛ لذا فهو يرى مناسبة ما يتعلمه الناشئة بما يستطيع إدراكه حيث يرى ضـرورة الاعتماد على الأمثلة الحسية؛ لأن الناشـئ يكون في بداية عمره محدود الفهم قاصـــر الإدراك، وطالب كذلك بالرحلات حتى تثبت الأشـــياء في أذهان المتعلمين.

د- مبدأ التغير: حيث يؤكد العلامة ابن خلدون على أن المجتمع الإنســاني في تغير مســتمر وفي صــيرورة دائمة وينتقل من حال إلى حال حســب الظروف والخبرات الاجتماعية التي يمر بها المجتمع"[163] وأما الإمام الشـــاطبي فغاية العلم عنده[164] التعبد به لله تعالى وتكلم على اختلاف أحوال المتعلمين ومراتب العلم عنده وكيفية تحققها ولقد قسم العلم إلى أقسام ثلاثة :

---

162 – نفس المرجع السابق، ص119 بتصرف.

163 – د. لطفي بركات أحمد، في الفكر التربوي، ص 156، 157، 158، مرجع سابق.

164 – الإمام الشاطبي ، الموافقات (المقدمة السابعة) ، ص34 ، مرجع سابق .



الأول : الأصل والمعتمد وهو ما اتصف بالعموم والاطراد والثبوت من غير زوال .

الثاني : المعدود من مُلَح العلم لا من صلبه .

الثالث : ما ليس من الصلب ولا من الملح (165) .

كما تكلم على تداخل العلوم وأهمية المعلم في العملية التربوية مع ذكره لطرائق أخذ العلم كما تحدث عن أهمية العلم وفضـــله مع تأكيده على التدرج في التربية وأطلق على مراعاة التدرج : التربية المشـروعة وحذر من إعطاء المتعلم شـيئاً لا يحتمله عقله وقال : " فلا يصـح للعالم في التربية العملية إلا المحافظة على هذه المعاني وإلا لم يكن مربياً واحتاج هو إلى عالم يربيه "(166) وبين في مقدمات وثنايا كتابه الماتع الموافقات وكذلك في كتابه الاعتصـام كثيراً من آرائه التربوية وتعاليمه المنهجية مما يدل على أنه كان أستاذاً ومربياً يراعي أحوال التعلم والمتعلمين "ولقد برزت هذه الأستاذية التربوية في عناية الشاطبي بكل الأركان أو المقومات الأساسية لعملية التربية

عُني بالمادة العلمية التي تُعلم وتُلقن للطالب .

عُني بالأستاذ أو المعلم الذي يقوم بعملية التربية والتعليم .

عُني بالطريقة التي يوصل بها المعلم المادة إلى الطالب .

عُني بالطالب الذي يتلقى العلم "(167).

ومن أقوال التربويين من مصلحي الأمة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وهو الذي قد "عمل على نشـــر التربية والتعليم، حيث كان يلزم بها من حوله بتعلم القراءة والكتابة كمـا عمل على محاربة الأمية" (168)وقد قامت دعوته على أهداف يربى من خلالها من حوله ومن تلزمهم كلمته وقد أشـار في بعض رسـائله إلى أهدافه التعليمية بقوله للمتعلمين: "فـإذا قيـل لـك: من ربـك؟ فقـل:ربي الله الـذي رباني وربى جميع

165 – نفس المرجع السابق ، ص 15-70 .

166 – نفس المرجع السابق ، المقدمة التاسعة ، ص 56 .

167 – د.يوسف القرضاوي ، التربية عند الإمام الشاطبي ، ص 12 بتصرف ، دار الصحوة – دار الوفاء ، ط 1 ، القاهرة – مصر ، 1415هـ - 1994م .

168 – د. محمد منير مرسي، التربية الإسلامية، ص 141 بتصرف، مرجع سابق.

العالمين بنعمه وهو معبودي ليس لي معبود سـواه"[169] وقد أوجب على أتباعه ومن يتربى على منهاجه العلم بقوله : "اعلم رحمك الله أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل:

الأولى: العلم

الثانية: العمل به

الثالثة: الدعوة إليه

الرابعة: الصبر على الأذى فيه"[170]

وقال: "ما الأصـول الثلاثة التي يجب على الإنسـان معرفتها؟ فقل: معرفة العبد ربه ودينه ونبيه ومحمداً صلى الله عليه وسلم"[171] وهكذا في غير ما موضع من رسائله يحض ويحث على العلم ويوجبه، ومنهم الشـيخ حسـن البنا وهو من كبار الدعاة التربويين في هذا العصـر الحديث وقد اهتم بأمر التربية أيما اهتمام وقد جعلها من ركائز دعوته وقد وضع بنفسه لأتباعه ومن سلك مسلكهم مبادئ تعليمية تربوية في كثير من رسـائله فضـلاً عن حياته العملية وقد ضـمن في رسـالة التعاليم أموراً تربوية أبان من خلالها ما يجب على المسـلم المعاصـر اعتقاده وفهمه سـواء ما يتعلق بأمور الدين أو الدنيا فتكلم عن شمولية الإسـلام وما يجب للمسـلم وما يجب عليه حاثاً أتباعه على العمل والعلم حتى يكون الواحد منهم فرداً فاعلاً صـالحاً في نفسـه مصـلحاً لغيره؛ ولذلك ألزم أتباعه بالقراءة والكتابة وبمحاربة الأمية والجهل فقال واصـفاً المسـلم الحق : " أن تجيد القراءة والكتابة وأن تكون لك مكتبة خاصـة مهما كانت صـغيرة وأن تتبحر في علمك وفنك إن كنت من أهل الاختصـاص"وقال في وصـف المسـلم: "مثقف الفكر"[172] وقال فيما يتعلق بالاهتمام بالعقل والبحث في أسـرار الكون: "والإسـلام يحرر العقل ويحث على النظر في الكون ويرفع قدر العلم

169 – محمود بن الجميل، جامع متون العلوم الشرعية، جـ 1 ص 181، الأصول الثلاثة للشيخ محمد بن عبد الوهاب، مرجع سابق.

170 – نفس المرجع السابق، جـ1 ص180.

171 – نفس المرجع السابق، جـ 1 ص 181.

172 – الشيخ حسن البنا، مجموعة رسائل الإمام الشهيد، ص22، مؤسسة الزعبي، بدون ط، بيروت– لبنان، بدون ت.



والعلماء ويرحب بالصالح النافع من كل شيء والحكمة ضالة المؤمن أنـــى وجدها فهو أحق الناس بها"[173] فالتربية لها اهتمام خاص في شـــريعتنا؛ حيث إن دعوة الأنبياء تقوم عليها ثم إن أصـــل كلمة التربية يرجع إلى الرب وهو خالقنا الذي نؤمن به إذ من صـفاته وأسمائه أنه رب؛ لذا اهتم المربون من مصـلحي الأمة بشـأن التربية سـواء بمعناها الصـريح تربية أو بأحد مفرداتها وهذا ظاهر من سير أولئك المصـلحين حيث رَبَّوْا أو تركوا متعلمين بعدهم يحملون فكرهم وتصـــورهم وينقلوه من جيل إلى جيل مع مراعاة الفروق الفردية واختلاف احتياجات المجتمع زماناً ومكاناً وأفراداً.هذا وإن التربية في الإسـلام قد بدأت نواتها الأولى ببعثة النبي صلى الله عليه وسـلم إذ إن أول مـا نزل عليـه مطلقـاً من القرآن هو حـث على القراءة –وهي علم- كـما قـال تعالى: (اقرأ باســـم ربك الذي خلق .خلق الإنســـان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنســـان ما لم يعلم)[174] ففي الآيات كلمات تدل على التربية: اقرأ – ربك – علم – يعلم. ففي أول الآيات كلمة "اقرأ... أي: تعلم وتربى، إن كلمة التربية، والتعليم التي تسـتعمل اليوم لا تتعدى في المعنى كلمة اقرأ، ولو عدنا لأصل كلمة اقرأ فهي لمحو الأمية وهي للتعلم العام للكبار والصغار على السواء وهي للتعليم الدائم المستمر – التعليم مدى الحياة... إنها البداية لكل شيء في الحياة اقرأ ... هي النور الذي يهدي إلى الطريق الصـحيح ولا يصـلح البشـر إلا إذا قرأ وعرف وتمحص وســـار على الدرب الســـليم"[175] ثم توالت بعد ذلك الآيات وتناثرت الأحـاديث الحاثة على العلم وطلبه والرحلة إليه وبيان أهميته وأن الإســـلام رفع منزلة أهل العلم درجات وما سـاوى بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون وكذلك الرسـول

173 – نفس المرجع السابق، ص 11، وننظر لتوضيح التدرج في التربية عند تلاميذه واتباعه: د. علي عبد الحليم محمود، وسائل التربية عند الإخوان المسلمين، حيث أشار إلى مجمل الأهداف التربوية عندهم إلى هدفين: الأول هدف ثابت دائم يتناول تطبيق أهداف التربية الإسلامية. والثاني: هدف متغير أبداً يتناول رصد المتغيرات الإجتماعية واتخاذ ما يلزم نحو مواجهتها من خلال رؤية إسلامية.د. علي عبد الحليم محمود، وسائل التربية عند الإخوان المسلمين، ص 21 دار التوزيع والنشر الإسلامية، بدون ط، القاهرة – مصر – 1418هـ 1997م.

174 – سورة العلق الآيات (1 – 5).

175 – د. إبراهيم ناصر، أسس التربية، ص 71، مرجع سابق.



صلى الله عليه وسلم جعل السالك لطلب العلم كالمجاهد وكسالك لطريق الجنة، "وفي غزوة بدر جعل الرسول صلى الله عليه وسلم فداء الأسرى تعليم عشرة من صغار المسلمين"(176)، وكذلك فقد "ورد عن بعض الخلفاء العباسيين أنه قبل الجزية كتباً ودفع بعضهم وزن ما ترجم ذهباً، وهذا دليل واضح على الاهتمام بالعلم ووسائل تحصيله"(177) وبمجيء الإسلام برع كثير من علماء المسلمين في شتى العلوم من طب وصيدلة وفلك وحساب ونبات وحيوان وغيرها "وظلت مؤلفات العرب المسلمين في مختلف العلوم والمعرفة المراجع التي تدرس في جامعات أوروبا حتى القرن السابع عشر واعترف عدد كبير من مؤرخي العلم بفضل المسلمين والعرب على العالم والإنسانية"(178) ومما تجدر الإشارة إليه أن كلمة تربية بمفهومها الاصطلاحي المعاصر لم تكن واردة لا عند العرب ولا غيرهم لكن هي في القرآن والسنة بكثرة بمعناها الشامل ثم في مصادر اللغة إنما الذي "كانت تستخدمه هذه المصادر هي كلمات مثل: التعليم والعلم والأدب والتهذيب وهي كلها مرتبطة بالتربية كما تفهمها اليوم"(179)ولا مشاحة في الاصطلاح إنما المهم هو قيام معنى ذلك المصطلح بوظيفته على أكمل وجه وأتمه وأحسنه؛ لذلك نجد علماء المسلمين حينما تكلموا على التربية – بمفردات ذلك العصر – إنما تكلموا على أهمية التربية وأهدافها وأقسامها وهذا بدوره يوضح أهمية التربية في الإسلام "وينقلنا ذلك إلى الحديث عن مصطلح التربية الإسلامية، الذي نقصد به نظاماً تربوياً متكاملاً للتربية يشمل فلسفة التربية وأهدافها ومناهج التعليم وطرق التدريس والإدارة التعليمية، وهذا النظام تتحدد ملامحه وفق أيديولوجية الحياة في كل مجتمع"(180) كما عرفت على أنها "تلك

---

176 – أبو لبابة حسين ،التربية في السنة النبوية ،ص 33،دار اللواء،ط3،الرياض– السعودية،1403هـ–1983م0

177 – د. محمد منير مرسي، التربية الإسلامية، ص 5 بتصرف، مرجع سابق.

178 – نفس المرجع السابق، ص 7.

179 – نفس المرجع السابق، ص 17.

180 – د. عبد الرحمن النقيب، من آفاق البحث العلمي في التربية الإسلامية، الكتاب الخامس، ص 11 بتصرف، دار الفكر العربي، بدون ط، بيروت – لبنان، بدون ت.



المفاهيم التي يرتبط بعضها ببعض في إطار فكري واحد يستند إلى المبادئ والقيم التي أتى بها الإسلام والتي ترسم عدداً من الإجراءات والطرائق العلمية يؤدي تنفيذها إلى أن يسلك سالكها سلوكاً يتفق وعقيدة الإسلام"(181) وكذلك عرفت على أنها "النظام التربوي القائم على الإسلام بمعناه الشامل"(182) وعرفت على أنها "تلك المفاهيم التي يترابط بعضها ببعض في إطار فكري واحد يستند إلى المبادئ والقيم التي أتى بها الإسلام والتي ترسم عدداً من الإجراءات والطرائق العلمية يؤدي تنفيذها إلى أن يسلك سالكها سلوكاً يتفق وعقيدة الإسلام"(183) وكذلك عرفت على أنها نظام وعلى هذا فالتربية الإسلامية هي(184): "عملية مستمرة تتم عبر العصور جيلاً بعد جيل وفق شرع السماء من قبل المربين للمتعلمين بوسائل متعددة؛ لإيجاد فرد واعٍ صحيح التصور والتفكير، صاحب شخصية مستقلة ومواكب لحضارة وثقافة عصره قادر على التكيف مع المجتمع الإنساني ومؤثر فيه و فيمن حوله"؛ ولهذا فإن "معنى التربية يشبه فعل الفلاح الذي يقلع الشوك ويخرج النباتات الأجنبية من بين الزرع ليحسن نباته ويكمل ريعه"(185) حيث يجمع المربي ما بين قلع أصول الأخلاق والأشياء غير السوية مع غرس كل ما فيه صلاح وفائدة للفرد نفسه وللبيئة حوله مع الحفاظ عليه ورعايته .

ج-التربية عند الغربيين في العصر الحديث:

اهتمت الدراسات المتعلقة بالتربية والتعليم في العصور المتأخرة بأمر التربية حيث التركيز على مفهوم للتربية يكون خاصاً بالعملية التربوية القائمة بين المعلم والمتعلم مع ما تحتاجه من مناهج ومقررات ووسائل وطرق تدريس ...؛ لذلك اختلفت وجهات النظر لدى التربويين حول مفهوم التربية ما بين موسع لها ومضيق لمفهومها فمن

---

181 – سعيد إسماعيل علي، أصول التربية الإسلامية، ص 25، دار الثقافة، بدون ط ، القاهرة – مصر، 1976م.

182 – زغلول راغب محمد النجار، أزمة التعليم المعاصر، ص 79، مكتبة الفلاح، بدون ط، الكويت – الكويت، 1980

183 – سعيد إسماعيل علي، أصول التربية الإسلامية، ص 5، دار الثقافة، بدون ط، القاهرة – مصر، 1976م.

184 – اختيار الباحث.

185 – الإمام أبو حامد الغزالي، رسالة أيها الولد، ص 43 – 44، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط 1، القاهرة – مصر، 1414هـ - 1993م.



المعروف لدى الباحثين والمتخصصين في التربية أنها "عملية طبيعية لا عملية صناعية، عملية نمو من الداخل لا عملية إمداد وإضـــافة من الخارج [إذ] هي وليدة عمل الغرائز الطبيعية والميول لا نتيجة التلبية لمؤثرات خارجية، هي عملية توســـيع للقوى الطبيعية لا عملية كسب المعلومات [و] هي الحياة ذاتها وليست الإعداد لهذه الحياة المقبلة البعيدة في خصـائصـها واتجاهاتها عن حياة الطفولة ذاتها"(186) وأشـار كانت إلى أهمية الجنس البشـــري في محورية العملية التربوية بقوله: "الإنســـان هو المخلوق الوحيد الذي يحتاج إلى التربية، لأنه عن طريق التربية نتمكن من فهم ورعاية الطفل وتغذيته كما يفهم أســـس النظام والتعليم وعلاقتها بالثقافة"(187) ويعبر جو هان فردريك(188) عن التربية بقوله: "هي عملية تقويم الذات أو عملية اندماج الذات مع تلك النفس التي كانت في وقت ما غريبة عنها والتي ظلت في عالم المثل"(189) فهو "يرى أن التربية موجودة في الإنســـان منذ ولادته في جرثومة"(190) بينما نرى يوحنا هر بارت(191) قد "اشـــتق فكرته عن التربية من الفلســـفة كما اشـــتق هدفها من الأخلاق والغرض من التربية عنده أخلاقي"(192) فعنده الغرض الأسـاسي من التربية هو تنمية الاتجاه إلى تفضـيل ما يجعل الحرية الباطنية حقيقة واقعية راسـخة في نفس الفرد وذلك من خلال ثلاثة مسـائل هي: التجربة والاختلاط بأفراد النوع الإنسـاني والتعلم.أما فروبل فإنه "يرى أن التربية إذ تبدأ بالنشـــاط الذاتي لدى الطفل، ومن ثم إلى اكتســاب الأفكار وتكوين الميول الإرادية المســتقرة هي في الواقع عملية وجدانية

---

186 – د. بول مترو، المرجع في تاريخ التربية، جـ 2 ص 251، نقلاً عن جان جاك روسو، وهو الذي امتدحه نابليون بقوله: لولاه ما قامت للثورة الفرنسية قائم، وهو باعث النهضة لحركة التنوير وأحد رواد التربية الغربية الحديثة، وله رسائل في التربية منها "إميل": التربية، مات سنة 1778م.

187 – نفس المرجع السابق، جـ 2 ص 277.

188 – الفيلسوف جو هان كارل فردريك روزنكرانز، خليفة كانت وهر بارت في الفلسفة، له كتاب فلسفة التربية مات سنة 1879م.

189 – د. بول مترو، المرجع في تاريخ التربية، جـ 2 ص 279، مرجع سابق.

190 – نفس المرجع السابق، جـ2 ص 278.

191 – يوحنا فر يدريك هر بارت، كان عبقرياً في جميع مراحله التعليمية، له كتاب بعنوان: المبادئ التربوية ؛ ربط فيه علم النفس بالتربية مات سنة 1841م..

192 – د. بول مترو، المرجع في تاريخ التربية، جـ 2 ص316، مرجع سابق..



إرادية أكثر من أن تكون عملية عقلية"[193] ففلسفته تقوم على الرمزية وأن الحقيقة الروحية مصدر جميع الوجود وسعى لذلك في بناء الأخلاق والشخصية أكثر من الاهتمام بمجرد إلقاء المعلومات وتدريب القدرات الإدراكية.فهذه بعض آراء علماء التربية الغربيين وهي ظهرت في القرن الثامن عشر مما أصبح لها تأثر على المدارس التربوية وهي نزعة نفسية[194] في التربية وهذا التنوع والاختلاف في توجيه التربية ما بين خُلقية أو نفسية أو تتأثر بما يحيط بها وهكذا يرجع إلى اختلاف بيئات وثقافات وظروف أولئك المصلحين التربويين وكل منهم يرنو إلى شيء يراه هو الصواب وربما غاب عنه أشياء روحية أو خلقية أو أشياء تختلف باختلاف عرف وطبيعة المجتمعات سلباً وإيجاباً.

ثالثاً: العقيدة وسيدور الكلام حول العقيدة من خلال ما يلي :

أ- تعريف العقيدة في اللغة : أصل كلمة العقيدة هو : ع ق د ، وهي مأخوذة من العَقْد والربط والشَّدِّ ولقد تعدد تعريفات العلماء للعقيدة ، نظراً لكثرة الجوانب التي تُعرف منها .ففي لسان العرب : " يقال : عقدت الحبل فهو معقود وكذلك العهد..... والعقدة حجم العقد ويقال انعقد عقد الحبل انعقاداً...وعقد العهد واليمين يعقدهما عقداً وعقَّدهما: أكدهما... وعقدت الحبل والبيع والعهد فانعقد....وتأويله: ألزمته" "[195]

وفي القاموس المحيط :" عقد الحبل والبَيْع والعهد يعقده : شدَّه ...... والبناء : جعلتُ له عقوداً ...... وتعاقدوا : تعاهدوا[196] "

---

193 – النزعات النفسية الثلاثة: سيكولوجية واجتماعية وعلمية وهي التي ظهرت نتيجة للاتجاه الفكري نحو التربية ونتج عن ذلك النواحي الثلاثة في التربية: 1- النفسية: وتهتم بطرق التدريس. 2-- العلمية: وتهتم بمادة التدريس.

194 – د.بول مترو، المرجع في تاريخ التربية، جـ 2 ص330، مرجع سابق

195 – ابن منظور لسان العرب، د 3 ص 296، مرجع سابق

196 – الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة (دق ع)، مرجع سابق



وفي أساس البلاغة : " معقود ومعقَّد : جعل عقوداً أي : طاقات معطوفة كالأبواب ، وعقد بناءه وعقده ، وعسل عقيد ومُعْتَقد ، وأعقد معقد عقوداً : إذا غلظ [197] "

وفي مختار الصِّحاح : " عقد الحبل والبَيْع والعَهْد فانعقد ...... واعتقد كذا بقلبه وليس له معقود أي: عقد رأي ، والمعاقدة : المعاهدة ، وتعاقد القوم فيما بينهم ، والمعاقد مواضع العقد"[198]

وفي معجم مقاييس اللغة : " العين والقاف والدال أصل واحد يدل على شدٍّ وشِدَّة وُثوق ...... ومن ذلك عقد البناء وعقدت الحبل أعقده وقد انعقد ...... ، وعقد قلبه على كذا فلا ينزع عنه واعقد الشئ صَلُبَ [199] "

وفي المعجم الوسيط : " العقيدة : الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده[200] "

والملاحظ من خلال تلك التعريفات اللغوية أن أصل مادة العقيدة يعود إلى الشدِّ والربط والإحكام والتماسك والثبات .

وهذا المعنى الحقيقي للعقيدة حيث يعقد عليها بالشَّدِّ على أشياء معينة مثل اعتقاد الإنسان بمبادئ وقوانين ثابتة ينافح عنها . هذا والعقيدة الإسلامية التي يعتقدها كل مسلم موحِّد هي المتعلقة بالله عز وجل وبالنبوة واليوم الآخر مع إفراد الله سبحانه وتعالى بكل أنواع العبادة والبراءة من كل ما عُبد من دونه .

ب – تعريف العقيدة في الاصطلاح الإسلامي : وهو الاصطلاح الشرعي حيث عُرفت بعدة تعريفات محصلتها واحدة .

197– الإمام الزمخشري ، أساس البلاغة ، ص 429 ، مرجع سابق .

198 – الرازي، مختار الصحاح، ص 444- 445، مرجع سابق

199- ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، جـ 4 ص 86 – 87 ، مرجع سابق .

200– د. إبراهيم أنيس وآخرون ، المعجم الوسيط ، ص614 ، ط2 ، بدون ت .



فعرفت على أنها : " مجموعة من قضايا الحق البدهيَّة المسلَّمة بالعقل والسَّمع والفطرة ، يَعْقد عليها الإنسان قلبه ويثني عليها صدره جازماً بصحتها قاطعاً بوجودها وثبوتها لا يرى خلافها أنه يصح أو يكون أبداً [201] "

وكذلك عُرِّفت بأنها " تعني الإفراد بالعبودية لله وحده دون سواه والاعتراف بالخَلْق والسلطان له – سبحانه وتعالى – وتنزيهُه عن الشريك [202] .

وعُرِّفت بأنها : " نظرة الإسلام العامة إلى الوجود وتصوره الشامل له ، أو هي ذلك التصور الكلي اليقيني الشامل عن الحقائق الكبرى التي دعا الإسلام إلى الإيمان بها دعوة مُلِحَّة [203] " .

وعُرِّفت بأنها التي " تُطلق على الإيمان الجازم والحكم القاطع الذي لا يتطرق إليه شك وهي ما يؤمن به الإنسان ويعقد عليه قلبه وضميره ويتخذه مذهباً وديناً يدين به [204] " .وعُرِّفت بأنها : " مأخوذة من الاعتقاد الذي معناه التصديق مطلقاً فالعقيدة إذا أُطلقت فالمراد بها ما صدّق به القلب ؛ فالمعتقد معناه : التصديق الجازم فيما يجب لله من الوحدانية والربوبية والإفراد بالعبادة والإيمان بأسمائه الحُسنى وصفاته العُلْيا [205] " .

وعُرِّفت بأنها " التصديق بالشئ والجزم به دون شك أو ريبة فهي بمعنى الإيمان ويقال : اعتقد في كذا أي : آمن به والإيمان بمعنى التصديق يقال : آمن بالشيء أي : صدَّق به تصديقاً لا ريب فيه ولا شك معه [206] " .

201– الشيخ أبو بكر جابر الجزائري ، عقيدة المؤمن ، ص 21 ، مرجع سابق .

202– الأستاذ الدكتور محمود إمبابي ، من سمات العقيدة الإسلامية ، مقال بمجلة الأزهر ، ص 372 ، الجزء الثالث ، السنة (78) ، القاهرة – مصر ، ربيع الأول سنة 1426 هـ ، إبريل / مايو سنة 2005 م .

203– عطية محمد عطية وآخرون ، العقيدة الإسلامية ، ص 12 ، دار الفكر للنشر و التوزيع ، ط 1 ، عمّان – الأردن ، 1990 م .

204– د . ناصر العقل ، مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة ، ص 9 ،

205– الشيخ صالح الأطرم ، الأسئلة والأجوبة في العقيدة ، ص 7 ، دار الوطن ، ط 1 ، الرياض – المملكة العربية السعودية ، 1413 هـ .

206– الشيخ السيد سابق ، العقائد الإسلامية ، ص 8 ، دار الكتاب العربي بدون ط ،بيروت–لبنان ،بدون ت .



وعُرِّفت أيضاً بأنها : " الإيمان الجازم الذي لا يتطرَّق إليه شك لدى مُعتقدِه [207] " .

ومن التعريفات السابقة يتضح الاتفاق في أصل واحد وهو الجزم بتلك العقيدة وعدم الشك والريب وذلك من خلال تصديق القلب ومن ثم ظهور ذلك في أعمال وسلوك الفرد صاحب تلك العقيدة .

ولفظ العقيدة لم يكن معروفاً في معاجم اللغة بمعناه الاصطلاحي وكذلك لم يرد في الشرع بهذا المعنى وإنما جاء الشرع بمرادفات لهذا المعنى مثل الإيمان وأصول الدين والتصديق والتوحيد ، وعلى هذا فكل ما ورد في الكتاب والسنة من لفظ الإيمان مرتبطاً بأحد الأركان الستة فالمقصود به:العقيدة؛ ولهذا يعرَّف الإيمان بأنه " عقيدة تستقر في القلب استقراراً يلازمه ولا ينفك عنه ويعلن صاحبها بلسانه عن العقيدة المستكنة في قلبه ويُصدِّق الاعتقاد والقول بالعمل وفق مقتضى هذه العقيدة "[208] .

ثمَّ انتشر بين العلماء هذا اللفظ عقيدة (أو اعتقاد) للدلالة على الإيمان بالأركان الستة وما يتبعها من أمور وإن لم تكن في حقيقتها عقدية كالمسح على الخفين .

جـ - تعريف العقيدة عند التربويين : التربية كلمة واحدة ولكنها شاملة ومحتوية لأشياء كثيرة ، كذلك هي متصلة بجميع نواحي الحياة ... ومن ذلك التربية العقدية ؛ لذا أشار التربويون إلى العقيدة وعرفوها بتعريفات تتفق مع نفس التعريف الاصطلاحي لها وذلك كما يلي : " عقيدة الإنسان مذهبه باختصار ، أي : هي ما يؤمن به ويراه عن اقتناع قلبيّ أكيد، وعلى هذا الذي يؤمن به ويراه يذهب في حياته أي يسير ويسلك " [209].

207– عبد الله عبد الحميد الأثري ، الوجيز في عقيدة السلف الصالح ، ص 4 ، دار ابن خزيمة ، ط 1 ، الرياض – المملكة العربية السعودية ، سنة 1421 هـ – 2000م

208 – د . عمر سليمان الأشقر ، العقيدة في الله ، ص 19 ، مرجع سابق .

209– الأستاذ صابر طعيمة ، المعرفة في منهج القرآن الكريم ، ص 193 ، دار الجيل ، بدون ط ، بيروت – لبنان ، 1985 م .



وعرّفت بأنها"الإيمان بحقيقة معينة إيماناً قطعياً لايقبل الشك أو الجدل أو هي الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده " (210) .

وعرِّفت على أنها " الأفكار التي يؤمن بها الإنسان ويصدر عنها في تصرفاته وسلوكه " (211) .

وكذلك " قد أُطلق هذا اللفظ – العقيدة – في باب الديانات على ما يدين به من مسائل الإيمان كالإيمان بالله تعالى وملائكته واليوم الآخر " (212) .

فكلام التربويين على العقيدة يلتقي حول تقرير الإيمان الجازم وعدم الشك و عقد القلب حيث اقترابه من التعريف الاصطلاحي للعقيدة وعلى هذا فيمكن تعريف العقيدة كما يلي (213) " العقيدة هي الجَزْم القلبيُّ القاطع لكلِّ أمرٍ غيبيٍّ آكدٍ المصدَّق بالعمل لما جاء في القرآن الكريم وصحيح السنة والموافق للعقل الصريح حيث لامجال للشك ولا التراجع ولا التردد ، ومن ثَمَّ يتَّخِذُها المرء ديناً له ومذهباً يعيش ويموت في سبيل إعلائه ونصرته " .

د– طريقة القرآن والسنة في عرض العقيدة والموازنة بينهما :

القرآن والسنة خرجا من مشكاة واحدة : الوحي المنزل من عند الله إلى رسله بواسطة جبريل عليه السلام ؛ ولذا فإن كلاً منهما يهدف إلى نفس ما يهدف إليه الآخر وعلى هذا فالقرآن يدعوا إلى صحة الاعتقاد المتعلق بالله I وما يتبعه من أمور التوحيد والإيمان . والسنة تدعوا وتقرر ما دعا إليه القرآن من صحة الاعتقاد وما يتبعه من أمور التوحيد والإيمان وذلك من خلال أمور ثلاثة كما يلي :

210– د . علي خليل أبو العينين ، فلسفة التربية الإسلامية ، ص 177 ، دار الفكر ، ط 2 ، بيروت – لبنان ، 1976 م .

211– د . محمد خير فاطمة ، منهج الإسلام في تربية عقيدة الناشئ ، تقديم وتقريظ د . أحمد كفتارو ، ص 55 ، دار الخير ، ط 1 ، بيروت – لبنان ، دمشق – سوريا ، 1419 هـ - 198 م.

212– د . عدنان محمد زرزور ، نحو عقيدة إسلامية فاعلة ، ص 5 ، مرجع سابق .

213– اختيار الباحث



هـــ-أهمية دراسة العقيدة : وتكمن هذه الدراسة في كينونة العقيدة ذاتها إذ هي علم شريف بل " هو أشرف العلوم على الإطلاق وأفضلها وأكملها وبه تستقيم القلوب على العقائد الصحيحة وبه تزكو الأخلاق وتنمو وبه تصح الأعمال وتكمل " (214) والعقيدة هي أوجب الواجبات وأصل الأصول التي يجب على المكلف معرفتها إذ الخلود في الجنان أو النيران إنما هو راجع لسلامة العقيدة أو فسادها كما أن العقيدة السليمة سبب نجاة صاحبها والسالكة به في ركب الأنبياء وتابعيهم وسمو العقيدة يرجع إلى أنها تتعلق بالله I وبأنبيائه وباليوم الآخر وما هنالك من أمور إيمانية تعبدية أو اعتقادية ومن الأهمية التي تتوج بها العقيدة أنها الحبل الذي يربط بين قلوب أفرادها بخالقهم حيث تجلب لهم حب الله لهم كما في قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) (215) ثم لأهمية العقيدة جعل الله الخسارة والضلال ملتصقاً بمن يعرض عنها جهلاً أو استكباراً كما قال تعالى : (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً . ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزواً) (216) يضاف إلى ذلك أن وحدة العقيدة هي وحدة لجميع المنتسبين إليها حيث يجمعهم شيء واحد ورابط واحد ؛ لذا فإن القرآن الكريم ينادي أصحاب العقيدة السليمة بعموم أهلها بنداء جامع لهم وهو : يا أيها الذين آمنوا ؛ فحثنا الشرع على الوحدة الإيمانية العقدية كما في غير ما موضع من الشرع منها ما جاء في التنزيل: (إن هذه أمتكم أمة

214- الشيخ عبد الرحمن ناصر السعدي ، فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن ، ص 12 ، المكتبة الإسلامية ، بدون ط ، القاهرة – مصر ، 2003 م .

215- سورة المائدة الآية (54) .

216- سورة الكهف الآية (103 – 106) .



واحدة)[217] وفيه : (واعتصـــموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا)[218] ونظراً لأهمية العقيدة فقد مكث النبي صـــلى الله عليه وســـلم في مكة ثلاث عشــرة ســـنة يربِّي المســـــلمين على العقيدة قولاً وعملاً ويحذرهم من الشــــرك بأنواعه ثم بعد أن ثبت الإيمان ووقر في قلوبهم جاءت الحكمة الإلهية بالهجرة إلى المدينة المنورة حيث ظل النبي صـلى الله عليه وسـلم يعلم الصـحابة رضـي الله عنهم أمور الشـريعة من حلال وحرام فبعدما ثبت أصل العقيدة وقويت جذورها في قلوب أصحابه أثمرت بعد ذلك بما خرج وكان من أصحابه فعلاً وقولاً مما يبين أهمية العقيدة .

الفصل الثاني
(الإطار العام للبحث)

الفصل الثاني : الإطار العام للبحث ويتكون من المباحث التالية:

تعريف بالإمام ابن تيميَّة واهتمامه بالمنهجية.

217- سورة الأنبياء الآية (92) وسورة المؤمنون الآية (52) .
218- سورة آل عمران الآية (103) .



الأول تعريف بالإمام ابن تيميَّة:

إنه من المسلّم به لدى كافة البشر أن الإنسان ابن بيئته وأحد أفراد مجتمع تلك البيئة التي اشتد فيها عوده، وكيف لا؟ وقد نشأ فيها وتربى على طبيعتها وتقلّب مع تقلبها وتأثر بمن وبما فيها ولا يزال يرنو إلى الأحداث حوله وما يُحيط بها من تقلبات، وكذلك فالإنسان دون سائر المخلوقات اجتماعي بطبعه يألف ويؤلف وتظهر عليه ملامح السرور أو الحزن أو غيرها من الصفات؛ نتيجة لاحتكاكه بمن حوله...

لذلك إن أراد أحد أن يتعرف على شخصية من الشخصيات العظيمة فلابد أن يتعرف على ذاته ويتم ذلك من خلال البحث في أطوار حياته عبر بيئته التي نشأ فيها والمحيطة به مع التطلع إلى معرفة عوامل نبوغه وتفوقه فلهذه الأشياء حظ وافر في حياة وطبيعة أي إنسان؛ وذلك "أن الظروف التي تحيط بالشخص والبيئة التي يعيش فيها لهما دخل كبير في تكييف حياته وطبعها بطابع خاص؛ فنوع التربية التي يتلقاها في البيت وفي المدرسة والروح التي تسود أساتذته ومعلميه والكتب التي يقرؤها والأحوال السياسية والاجتماعية [والفكرية والعلمية] القائمة في عصره كل أولئك عناصر هامة في تكوين الشخصية وتعيِّن اتجاهها؛ لذلك كان من الضروري عند دراسة شخصية من الشخصيات التي كان لها أثر بارز في ناحية من نواحي الحياة أن ندرس الظروف والبيئة المحيطة بتلك الشخصية حتى نقف منها على العوامل التي أدت إلى نبوغها وظهورها"[219](1) والإمام ابن تيمية كما شهد بذلك التاريخ وما أقر به المخالف له قبل الموافق بالإضافة إلى ما تركه من ميراث علمي هائل في شتى العلوم الدينية والعقلية يعد أحد بل أبرز هذه الشخصيات بلا شك، والتي كان له أثر بارز ودور واضح في نصرته للدين الإسلامي ونشره والدعوة إليه وفي توضيح

219 - د. محمد خليل هراس، باعث النهضة الإسلامية : ابن تيمية السلفي، ص13، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت – لبنان، 1404هـ - 1984م.

معالمه وإظهار محاسنه ومقاصده وفي هذا الباب سيتم التعرف على هذه الشخصية الفريدة الفذة حيث يتم إلقاء الضوء على بعض ما يتعلق بشخصية هذا الإمام الجليل القدر دون الإحاطة – قطعاً- وذلك من خلال

عصر الإمام ابن تيمية:

إن من تعرض من المؤرخين أو الباحثين للكلام على العصر الذي نشأ فيه الإمام ابن تيميَّة تظهر له صعوبة في دراسته وبحثه؛ وذلك لكثرة ما كان فيه من اضطرابات وأمور جلَلَ وقد كانت أحداث ذلك العصر كأمواج متلاطمة في يوم ريح مفعم بالغيوم وهذا جعل أحد العلماء وهو الشيخ محمد أبو زهرة[220] يعبر عن ذلك بقوله: "فعصره امتاز بكثرة الأحداث وتواليها وتعدد أنواعها"[221]، وهذه صعوبة حقاً ؛حيث إن الدارس سينظر إلى تفكك الدولة الإسلامية إلى دويلات صغيرة أم سينظر إلى الغزو الخارجي؟ أم إلى تهتك الروابط الاجتماعية بين المسلمين داخلياً؟ أم سينظر إلى الجمود الفكري والكساد العلمي باستثناء بعض الشخصيات القلائل؟ ، وللتعرف على العصر الذي نشأ فيه الإمام ابن تيمية ينبغي علينا الإطلال على كل من:

الناحية السياسية:

الناظر لحال المسلمين في تلك الفترة " وهي التي يطلق عليها في الشرق والغرب اسم (العصور الوسطى) عبارة عن ممالك صغيرة يحكمها أمراء من العجم غير خاضعين لسلطان الخلافة في بغداد، وكثيراً ما كان يحفزهم الطمع في سعة الملك وعظمة السلطان إلى مقاتلة بعضهم بعضاً حتى كان بعضهم لا يتورع في سبيل ذلك أن يستعين بالروم وغيرهم (من التتار)[222] من أعداء الإسلام على غزو من جاورهم

---

220 – الشيخ محمد بن أحمد أبو زهرة من أكابر علماء الشريعة الإسلامية في عصره، تربى بالجامع الأحمدي وترقى في المناصب حتى أصبح وكيلاً لحقوق القاهرة، له مؤلفات عديدة منها في أصول الفقه، تراجم للأئمة الأربعة وغيرهم توفي 1394هـ – 1974م.

221 – الشيخ محمد أبو زهرة، ابن تيمية: حياته وعصره – آراؤه وفقهه، ص 12، دار الفكر العربي، بدون ط، القاهرة – مصر،1977م.

222 – وللتعرف على من خانوا دينهم ووطنهم وكاتبوا الأعداء أو ساعدوا في تسليم البلاد فينظر على سبيل المثال: الإمام ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج1 ص 336، ج12 ص 482، دار صادر، بدون ط، بيروت لبنان، 1402هـ - 1982م ، الأمام ابن كثير، البداية والنهاية، ج12 ص 155، 248، 252، 255،



من المسلمين، ولم يكن مركز الخلافة في بغداد قوياً إلى الحد الذي يستطيع معه إخضاع هذه الأطراف وضمها إلى حوزته"[223]؛ لذلك فقد تمزق شمل البلاد الإسلامية وانقطع حبل قوتهم فنتج عنه تفكك وضعف وغلبة الهوى مما شجع أعداء الإسلام على التجرؤ على غزو المسلمين في عُقْر دارهم ومن ثَمَّ تمخض عن هذا التجرؤ الحروب الصليبية واجتياح التتار لبلاد الإسلام فدخل التتار وقبلهم الصليبيون فسفكوا الدماء وقتلوا النساء والأطفال والشيوخ وعاثوا في الأرض فساداً والتقم هذا العدو تلك الممالك المفككة واحدة تلو الأخرى "فألقاها في اليم من غير رحمة ولا شفقة، وهل ينتظر الرحمة من الأعداء إلا من ينتظر من النيران الماء"[224] ، وقد ألمح الإمام ابن تيمية نفسه إلى هذه الحروب وسبب نصرة الأعداء على المسلمين فقال: "فلما ظهر النفاق والبدع والفجور المخالف لدين الرسول صلى الله عليه وسلم سلطت عليهم الأعداء فخرجت الروم النصارى إلى الشام والجزيرة مرة بعد مرة وأخذوا الثغور الشامية شيئاً بعد شيء إلى أن أخذوا بيت المقدس في أواخر المئة الرابعة، وبعد هذا بمدة حاصروا دمشق وكان أهل الشام بأسوأ حال بين الكفار النصارى والمنافقين الملاحدة"[225]بل إنه اشترك بنفسه مع عامة الناس في بعض المعارك ضد الصليبيين كما في المناقب العلية[226]هذا "وبينما كان المسلمون في غاية الرعب من الصليبيين ومشغولين بقتالهم دهمهم خطر التتار الذين قدموا بقيادة

ج 13، 17، 201، مرجع سابق، الأمام السيوطي، تاريخ الخلفاء ، تحقيق لجنة من الأدباء، ص 497، 504، دار الثقافة، بدون ط، بيروت – لبنان، بدون ت، الإمام الذهبي، دول الإسلام عني بطبعه ونشره الشيخ عبد الله الأنصاري، ج2 ص 77 ، 159 – 160، إدارة إحياء التراث الإسلامي، بدون ط، الدوحة قطر ، بدون ت د.أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج5 ص 162، 735، ج7 ص 556، 557، 569، 570 مكتبة النهضة المصريةط 7 القاهرة مصر 1985 – 1986 م، الإمام ابن تيمية، التفسير الكبير، تحقيق د. عبد الرحمن عميرة، مقدمة المحقق ص 4 – 17، دار الكتب العلمية، بدون ط بيروت لبنان، بدون ت، والشيخ محمد أبو زهرة، ابن تيمية، ص 133 – 134 مرجع سابق.

223 – د.محمد خليل هراس، باعث النهضة الإسلامية، ص 14، مرجع سابق.

224 – الشيخ محمد أبو زهرة، ابن تيمية، ص 213، مرجع سابق.

225 – شيخ الإسلام ابن تيمية، الفرقان بين الحق والباطل، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، ص 115، مكتبة دار البيان، ط1، دمشق سوريا، 1405 هـ - 1985م.

226 – الحافظ عمر بن علي البزار، الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية، تحقيق زهير الشاويش، ص 62 – 63 مع التعليق، المكتب الإسلامي، ط4، بيروت – لبنان، 1423هـ 2002م



جنكيز خان[227] يجتاحون البلاد الإسلامية، وكانوا قوماً غلاظ الأكباد متعطشين إلى سفك الدماء ونهب الأموال وتخريب الديار وقد أسرفوا في ذلك أيما إسراف ولم يزل خطر هؤلاء التتار يزداد وأمرهم يستفحل وتسقط في أيديهم بلاد الإسلام بلداً بعد بلد حتى استولوا على بغداد عاصمة الخلافة في سنة 656 هجرية وقتلوا الخليفة المستعصم[228] وأحالوا هذه المدينة العامرة خراباً"[229] ومن كثرة ما فعل التتار أنهم " لم يبقوا على أحد بل قتلوا النساء والرجال والأطفال وشقوا بطون الحوامل وقتلوا الأجنة فإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، لهذه الحادثة التي استطار شررها وعم ضررها وسارت في البلاد كالسحاب استدبرته الريح"[230]وبسبب هذه الانتهاكات –وغيرها أكثر منها شراسة– أحجم الإمام ابن الأثير[231] في بداية أمره أن يسجل في كتابه العظيم: الكامل في التاريخ وقائع هذه الأحداث والتي هي أليمة على النفس الأبية الرؤوم على المسلمين ثم كتب مستعيناً بربه بعد ذلك أحداث ووقائع ذلك الغزو الهمجي المفسد في الأرض وأشار إلى هذا الإحجام فقال: "لقد بقيت عدة سنوات معرضاً عن ذكر هذه الحادثة؛ استعظاماً لها كارها لذكرها وهاأنذا أقدم إليه رِجْلاً وأؤخر أخرى فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين ومن الذي يهون عليه ذلك؟!"[232]

227 – وهو تموجين، قُتل أبوه غدراً فلما كبر جمع حوله أنصاره والتف حوله شعب التتار؛ لإنقاذهم من المذلة وبدأ سلسلة من الغارات الهمجية وبدأت دولته 600هـ – 1203م، وأصدر دستوره الياسا (الياسق) 603هـ – 1206م، وهلك 624هـ – 1223م.

228 – أبو أحمد عبد الله بن المستنصر، آخر الخلفاء العباسيين بالعراق، بويع له بالخلافة بعد موت أبيه، كان متديناً كريماً حليماً سليم الباطن حسن الديانة، قتل رفساً من قبل دواب التتار 656هـ

229 – د.محمد خليل هراس، باعث النهضة الإسلامية، ص 15، مرجع سابق.

230 – الإمام ابن الأثير، الكامل، جـ 12 ص359، مرجع سابق، وعنه الإمام ابن كثير، البداية والنهاية، جـ13 ص87، مرجع سابق، الشيخ محمد أبو زهرة، ابن تيمية، ص 131 – 133، مرجع سابق.

231 – الإمام أبو الحسن عز الدين بن محمد الشيباني المشهور بابن الأثير وهو أخو الإمام مجد الدين صاحب جامع الأصول، تلقى العلم في الموصل وبغداد ورحل إلى دمشق وحلب والقدس فجمع ثقافة إسلامية متنوعة ، له مؤلفات أشهرها الكامل في التاريخ وأسد الغابة، توفي سنة 630هـ.

232 – الإمام ابن الأثير، الكامل، جـ12، ص 358 مرجع سابق، وانظر الإمام السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص499، مرجع سابق.



ولقد شارك الإمام ابن تيمية إخوانه المجاهدين في قتال التتار كما أخبر بذلك تلميذه الحافظ البزار[233] بقوله: "لما ظهر السلطان غازان[234] على دمشق المحروسة جاءه ملك الكُرْج وبذل له أموالاً كثيرة جزيلة على أن يمكنه من الفتك بالمسلمين من أهل دمشق، ووصل الخبر إلى الشيخ [يعني: ابن تيميَّة] فقام من فوره وشجع المسلمين ورغبهم في الشهادة ووعدهم على قيامهم بالنصر والظفر والأمن وزوال الخوف فانتُدب منهم رجال من وجوههم وكبرائهم وذوي الأحلام منهم فخرجوا معه إلى حضرة السلطان غازان فلما رآهم السلطان قال: من هؤلاء؟ فقيل: هم رؤساء دمشق فأذن لهم فحضروا بين يديه فتقدم الشيخ رضي الله عنه أولاً فلما رآه أوقع الله له في قلبه هيبة عظيمة حتى أدناه وأجلسه وأخذ الشيخ في الكلام معه أولاً في عكس رأيه عن تسليط المخذول ملك الكُرْج على المسلمين وضمن له أموالاً وأخبره بحرمة دماء المسلمين وذكره ووعظه فأجابه إلى ذلك طائعاً وحقنت بسببه دماء المسلمين وحميت ذراريهم وصين حريمهم"[235]

فهذه لمحة تاريخية موجزة توضح الحالة السياسية في عصر الإمام ابن تيمية تدل على مدى الانحطاط والتدهور والهوان الذي كانت فيه الأمة الإسلامية في ذلك الوقت وهذا كله يعتبر نتيجة حتمية لبعد المسلمين عن ربهم عز وجل وتركهم كتاب ربهم وراء ظهرهم كأنهم لا يعلمون وبعدهم عن هدي نبيهم صلى الله عليه وسلم وصدق الله سبحانه: (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً)[236] وكيف ينتظر المسلمون النصر من الله وهم لم ينصروا دينه؟! فلو أنهم نصروا دينه لنصرهم

233 – الشيخ الفقيه الإمام الحافظ سراج الدين أبو حفص عمر بن علي البزار تعلم على أيدي كبار علماء بغداد ثم رحل إلى دمشق طلباً للعلم فدرس على علمائها منهم الإمام ابن تيمية، له مؤلفات منها الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية، توفي بالطاعون عند توجهه إلى الحج 729هـ

234 – ملك التتار غازان(ويقال: قازان) بن أرغون بن أبغا بن تولي بن جنكيز خان، أسلم وأظهر إسلامه 694هـ، وتسمى بمحمود، ودخل بإسلامه أكثر التتار في الإسلام ونثر يوم إسلامه الذهب والفضة، ورد بعض المظالم، توفي مسموماً 703هـ.

235 – الحافظ البزار، الأعلام العلية، ص 63 – 64 ، مرجع سابق.

236 – سورة طه الآية (124).



كما قال تعالى: (إن تنصروا الله ينصركم)[237] وقال:(ولينصرن الله من نصره)[238] وتكشفت معجزة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم إذ يقول: "يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوَهَن. فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت"[239]

الناحية الاجتماعية:

سوء الناحية السياسية في ذلك العصر انطبع على الناحية الاجتماعية؛ فهما وجهان لعملة واحدة فكما مر آنفاً دخول كل من الصليبيين والتتار بلاد الإسلام ساعين فيها بالفساد والإفساد والضلال والإضلال مما كان له أسوأ النتائج الاجتماعية من اضطراب واختلال في موازين الحياة فضلاً عن غياب الأمن والأمان وحلول الرعب والفزع بين المسلمين ونتيجة لذلك تدهورت بل تحطمت العلاقات وتقطعت الأواصر وأصبح أفراد المجتمع يعيشون في أوهاقٍ من الحياة النكدة حيث أصبح الإنسان غير آمن على نفسه وأهله وولده وماله وعرضه بل لا يجد ما يعمله كي يكسب ويشتري القوت ليحيي ويعيش هو ومن يعول، وإذا فقد الأمن مجتمع وحرم الرزق فقد سبيْ سعادته وقد امتن الله سبحانه على قريش بالأمن والرزق فقال جل شأنه: (لإيلاف قريش. إيلافهم رحلة الشتاء والصيف. فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوعٍ آمنهم من خوف)[240] ففقد هذين الأمرين بالنسبة للإنسان بمثابة فقد الطائر لجناحيه سوياً فما حدث في ذلك العصر من انعدام الأمن وقلة سبل تحصيل الرزق ساعد على "سوء الحالة الاقتصادية وانتشار الفاقة فكثر

237 – سورة محمد الآية (7).
238 – سورة الحج الآية (40).
239 – صحيح. رواه الإمام أحمد في المسند (278/5)، وأبو داود (111/4) رقم (4297)، محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة (683/2) رقم (958).
240 – سورة قريش الآيات (1 – 4).

اللصـوص وقطاع الطريق واشـتد الغلاء فعمد الناس إلى الغش في المبايعات واحتكار الأقوات وتطفيف المكيال والميزان، وغير ذلك من العيوب الاجتماعية التي تصـحب دائماً عهد الجوع والفاقة... ،وزاد الأمر سـوءاً ما كان يقع من الفتن والمنازعات بين أرباب المذاهب والمقالات وما كان من تحيز الدولة لفريق دون آخر"[241]، وانبثق من هذه الفوضـى الاجتماعية شـيء سـاعد في زيادة التدهور بين أفراد المجتمع وزاد الشقة بينهم ألا وهو انقسام المجتمع إلى طبقات ثلاث:

الأولى: الطبقة الحاكمة وهي طبقة الأمراء وعلى رأسـهم السـلطان وكانت تعيش بشـعور الأفضـلية ولا يتكلمون العربية إلا ما ندر في أحاديثهم مع الشـعب أو مع العلماء وأما فيما عدا ذلك فيتكلمون التركية كما أن راتب هذه الطبقة في صورة ريع بعض الإقطاعيات التي كانت تختلف باختلاف كل رتبة.

الثانية: العلماء والفقهاء ورجال التصـوف وهؤلاء إنما يسـتمدون نفوذهم من الدين نفسه مما دعا السلاطين أن يستمدوا سلطتهم الشرعية بكسب ود العلماء وأتباعهم وكان لهؤلاء العلماء كلمة مسموعة عند السلاطين، ومن هؤلاء الشيخ عز الدين بن عبد السلام، والإمام النووي[242].

الثالثة: طبقة العامة وهي الطبقة الأخيرة في ذلك المجتمع، وهم من الشـعب بما فيها من تجار وصـناع وزراع وكان هؤلاء هم اليد العاملة في المجتمع وعليهم تقع معظم المظالم من ضرائب ومكوس وهؤلاء هم الذين عصفت بهم التيارات المنحرفة وقد اهتم الإمام ابن تيمية بهذه الفئة اهتماماً عظيماً فكثيراً ما أرشـدها إلى طريق الصـواب والحق، وكثيراً ما عمل جاهداً لرفع الظلم والعسـف والجور عن هذه الفئة وكان له فضل توجيههم وإرشادهم إلى ما فيه الخير في الدنيا والآخرة"[243]هذا بالإضافة إلى

---

241 – د. محمد خليل هراس، باعث النهضة الإسلامية، ص 17، بتصرف، مرجع سابق.

242 – الإمام الحافظ اللغوي محيي الدين أبو زكريا بن شـرف النووي الدمشـقي، عالم الزهاد وزاهد العلماء، كبير الفقهاء و المحدثين في زمانه كان ذا عبادة وذكر وتعليم، له مؤلفات جليلة لدى العلماء من أشهرها رياض الصالحين وشرح مسلم والأذكار والمجموع والروضة والتهذيب، توفي سنة 676هـ.

243 – الشيخ أحمد القطان ومحمد الزين، شيخ الإسلام ابن تيمية: جهاده، دعوته، ص 31 – 32، بتصرف واختصار، بدون ط، الكويت، 1986، وانظر الإمام ابن تيمية، التفسير الكبير، تحقيق د. عبد الرحمن عميرة، مقدمة المحقق، جـ1 ص 26-29، مرجع سابق.



ما أخذه كثير من المسلمين من عادات المستعمر ومعتقداته السيئة والتي أشربها هؤلاء المنهزمون في قلوبهم وما تبع ذلك من التخلق بأخلاقهم القبيحة من فعل الفواحش وشرب الخمور والاستهتار بالشعائر الإسلامية وعدم الاكتراث بالشرائع الدينية والأحكام النبوية فأصبح هذا لكثير منهم منهجاً وخلقاً وسلوكاً بل ديناً في أغلب الأحيان، وهكذا كانت الناحية الاجتماعية في ذلك العصر كسابقتها سواءً بسواء ولكن هذا لا يمنع قيام طائفة من العلماء النبلاء بأمر دينهم ما استطاعوا.

الناحية الفكرية:

نظراً لسوء حالة الناحيتين السياسية والاجتماعية فقد تأثرت تبعاً لذلك الناحية الفكرية في ذلك العصر حيث اضطربت اضطراباً كبيراً وتشعبت الأفكار وتنافرت المشارب وضعفت الهمم وقبع كلٌ على ما يراه صواباً وجمد على رأيه " فالعلماء قد اختلفت مناهجهم فعلماء قد استبحروا في الحديث والتفسير والنحو والفقه والعقائد ولكن كانوا مقلدين تابعين غير مجتهدين ومنهم فلاسفة لا يكترثون ولا يعبئون بالنتائج الفلسفية التي يتوصلون إليها ولا بعواقبها ومنهم من أراد الجمع بين الفلسفة والدين بهرطقة محدثة قد أفسدوا في الأرض باسم صلاحها وهناك متصوفة يحاولون إرشاد العامة على طريقة شيوخهم وقد يشتطون فيبتعدون عن الدين وكان بجوار هؤلاء وأولئك الفرق الإسلامية في الأمور العقدية أو السياسية والتي تتنازع الفكر للغلبة والسيطرة حتى فقدت المساجلات والمناظرات العلمية روحها وتحولت إلى مهاترات فارغة جوفاء فتفجر من ذلك تنافر فكري وتباعد روحي وهذا التنافر والتباعد بدوره لا جدوى فيه ولا منه بل على العكس من ذلك يورث العداوة وتفريق أهل الإسلام حتى صاروا شيعاً وأحزاباً كما قال ربنا سبحانه: (كل حزب بما لديهم فرحون)[244]

244 – سورة المؤمنون الآية (53)، وسورة الروم الآية (32).



وفي وسط ذلك الخضم الفكري المضطرب كان هناك علماء أفذاذ قد جمعوا بين المعقول والمنقول بالإضافة إلى قوة في الفكر وقوة في الدليل"[245]، وفي ذلك العصر ساد التقليد وعكف العلماء على كتب الأقدمين قراءة وحفظاً وانتشر الجمود الفكري، و" لقد كان أتباع كل مذهب يرجحون مذهبهم الفقهي على سائر المذاهب الفقهية ويعتبرونه مقبولاً ومؤيداً من الله وكانوا يبذلون كل ذكائهم وقوة بيانهم وتأليفهم في ترجيحه وتفضيله على غيره"[246]

ونتيجة لذلك "ضعف الاستقلال الفكري فقل الإنتاج العلمي وركدت الأذهان وأقفل باب الاجتهاد في الأصول والفروع وأصبح قصارى جهد العالم أن يفهم ما قيل من غير بحث ولا مناقشة وعمد العلماء إلى جمع المعلومات المتعلقة بكل فن فنظموها وألفوا فيها كتباً مطولة أحياناً ومختصرة أحياناً وسلكوا منهجاً حسناً في التأليف ولكن لا أثر فيه للابتكار والتجديد"[247]

وقد وصف أحد العلماء[248] الحالة الفكرية المتردية في ذلك العصر بقوله: "باستثناء عدد من الشخصيات ومآثر علمية كان يتسم العلم والتأليف في هذا القرن [أي: الذي نشأ فيه الإمام ابن تيميَّة وما قبله أيضاً كما مر آنفاً بالسعة وقلة التعمق، ويغلب طابع النقل والاقتباس على التفكير والدراسة والتعمق في العلم، وتكونت للمذاهب الفقهية قوالب من حديد لا تقبل المرونة والتسامح وإن كان القول السائد أن الحق دائر بين المذاهب الأربعة ولكن أتباع كل مذهب يحصرون الحق في مذاهبهم في الواقع ولا يزيدون إذا توسعوا كثيراً على أن يقولوا: رأي إمامنا صواب يحتمل الخطأ ورأي غيرنا خطأ يحتمل الصواب"[249] ناسين أو متغافلين

245 – الشيخ محمد أبو زهرة، ابن تيمية، ص153 – 154 بتصرف كبير، مرجع سابق.

246 – الشيخ أبو الحسن علي الحسني النَّدْوي، رجال الفكر والدعوة في الإسلام، الحافظ ابن تيميَّة، تعريب سعيد الأعظمي النَّدْوي، ص 29، دار القلم، بدون ط، الكويت، 1401هـ – 1981م.

247 – د. محمد خليل هراس، باعث النهضة الإسلامية، ص 19، مرجع سابق.

248 – هو الشيخ أبو الحسن الندوي.

249 – الشيخ أبو الحسن الندوي، رجال الفكر والدعوة في الإسلام، ص 29، مرجع سابق.



أقوال أئمتهم –الذين هم الأئمة الكبار المتبوعين– بذم التقليد الأعمى والأمر بالاتباع لا بالابتداع[250].

الناحية العلمية:

لا نذهب بعيداً إن قلنا إن التدهور والانحطاط المتمثل في كل من النواحي السابقة الثلاث: السياسية والاجتماعية والفكرية تلحق بها ممسكة بالحالة العلمية كلحاق الدر من سلكه إذا انفرط، ولو دققنا النظر وفحصنا تلك الفترة التي سبقت نشأة الإمام ابن تيميَّة وتلتها أي: "القرون الثلاثة: السادس والسابع والثامن أنها إن امتازت بشيء فقد امتازت بكثرة العلم لا بكثرة الفكر، فقد كانت المعلومات كثيرة جداً وتحصيلها كان بقدر عظيم وعكوف الناس عليها كان كبيراً ولكن التفكير المنطلق من مصادرها ومواردها والمقايسة بين صحيح الآراء وسقيمها مقايسة حرة من التعصب الفكري والتحيز المذهبي لم يكن يتناسب مع تلك الثروة المثرية التي توارثتها الأجيال فقد كانوا يتلقونها ويُستحفظون عليها ولكن لا يقدرونها حق قدرها بالنظر الفاحص المجرد أو النظر الذي يعم كل الجوانب والذي لا ينحاز إلى جانب من الجوانب وينظر من زاويته دون سواه"[251] فكان حري بمن ورث هذا العلم أن يستفيد منه ويُعمل فيه فكره ويبدع ولا يكرر ما فعله الأقدمون بتأخير أو تقديم أو حَشْوٍ أو اختصار بل بفعل جديد كما فعل السابقون لكن من خلال روح العصر الذي يعيشون فيه فيستفيدوا من التراث التليد ثم يضيفوا من فهمهم الثاقب الجديد خاصة وأن إنشاء المدارس العلمية والتعليمية قديم في أمة الإسلام وكما هو معلوم "أن فارس وخرا سان سبقتا البلاد الإسلامية [الأخرى] بإنشاء المدارس ومن ورائها

---

250 – ينظر كلامهم: محمد ناصر الدين الألباني، صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم، المقدمة ص 21-29، المكتب الإسلامي، ط 14 ، بيروت – لبنان، دمشق – سوريا، 1408-1987

251 – الشيخ محمد أبو زهرة، ابن تيمية، ص 156، بتصرف يسير، مرجع سابق.



كثرت المدارس في القرن الخامس والسادس والسابع والثامن"[252]، وعلى كُلٍّ فقد "كان انتشار العلم في تقدم مطرد فقد وجدت في مصر والشام

وقبلهما في بلاد فارس وخرا سان كما سبق] مدارس كثيرة ودور الحديث تلك التي أسسها الأيوبيون والمماليك كان يؤمها الطلاب من أنحاء العالم؛ لتلقي العلوم الدينية والعقلية وكانت مكتبات كبيرة تابعة لها المدارس وأخرى مستقلة بذاتها تحتوي على ذخائر علمية ونوادر من كل علم وفن ولا يؤصد بابها لأي دارس"[253]، وهكذا ظلت هذه المدارس التعليمية ملجئاً علمياً يأوي إليه قاصدوه من المتعطشين للعلم والباحثين عنه فكانت المدارس آنذاك مشكاة تضيء للناهلين منها طريقهم في حياتَيْهم الدينية والدنيوية على حدٍّ سواء كما كانت مِرْقاة للوصول إلى أسمى المناصب وقد "كان ذووا اليسار يقومون بالإنفاق عليها وسد حاجات الأساتذة وطلاب العلم فيها ثم تولاها الملوك والأمراء وقاموا بالتوسع فيها وتعميمها في كثير من المدن الإسلامية"[254] إما "إذاعة لنفوذهم أو خدمة لدينهم أو نشراً للنور والمعرفة بين شعوبهم"[255].وعلى كل حال فليس من الأهمية بمكان أن نعرف نية أو قصد بناء المدارس المهم أنه نشر العلم؛ لأنه ليس لنا التنقيب على ما في ضمائر الناس أو قلوبهم بل مهدت وعبرت السبل والطرق لطلب العلم "فصار طالب العلم لا ينتقل إلى العلم فقد انتقل العلم إليه وصار لا يبحث عن شيخه فقد جاء الشيخ إليه"[256]، وتمخض عن ذلك اطلاع الطلاب على شتى المعارف المختلفة: دينية وعقلية ودنيوية ولغوية إلى جانب التجارب التي أنجزها الأقدمون مما جعل الطالب يعدد من روافد تعليمه "فينهل منها جميعاً ويتثقف بها ثقافة عامة ثم يخصصه اتجاهه

252 – نفس المرجع السابق، ص 158.

253 – الشيخ أبو الحسن الندوي، رجال الفكر والدعوة في الإسلام، ص 28-29، مرجع سابق.

254 – الإمام ابن تيمية، التفسير الكبير، تحقيق د. عبد الرحمن عميرة، مقدمة المحقق جـ1 ص30، مرجع سابق.

255 – الشيخ محمد أبو زهرة، ابن تيمية، ص 156، مرجع سابق.

256 – نفس المرجع السابق.



ونزعته في أحدها فينظر فيه"[257]، ويبرع فيه ولهذه الحركة التعليمية والخليط الفكري والتنوع الثقافي لم يكن بدعاً أن ظهر كثير من البارعين الفائقين في العلوم الدينية من أمثال الإمام ابن قدامة المقدسي[258] ، وأبي عمرو بن الصلاح[259] ، والإمام مجد الدين ابن تيمية[260]جد الأمام ابن تيمية ، والشيخ عز الدين بن عبد السلام، والشيخ زكي الدين المنذري[261]، والإمام النووي، وفي أواخر القرن السابع الهجري ظهر الإمام ابن دقيق العيد[262]، والذي قد اجتمع بالإمام ابن تيمية ، وممن عاصر الإمام ابن تيمية من أفذاذ العلماء الإمام جمال الدين المزّي[263]، والإمام البِرْزالي[264]، والإمام ابن قَيّم الجَوْزية[265]، والإمام الذهبي[266]، والإمام ابن كثير[267]وثلاثتهم تلاميذ الإمام ابن تيمية وغيرهم الكثير الكثير كما نبغ في ذلك العصر من العلماء الذين تولوا منصب القضاء منهم الشيخ كمال الدين

257 – نفس المرجع السابق ،ص157..

258 – الشيخ الإمام موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قُدامة المقدسي الدمشقي، رحل إلى العراق ومكة والموصل،كان متضلعاً في علوم الشريعة عارفاً بالمذاهب، جواداً حليماً ، له مؤلفات عظيمة منها المغني والكافي والعمدة وروضة الناظر، توفي سنة 565هـ.

259 – الإمام الحافظ تقي الدين أبو عمرو بن عثمان بن الصلاح الدمشقي،كان إماماً كبيراً ورعاً حسن الاعتقاد صاحب مؤلفات مفيدة منها مقدمته في الحديث والفتاوى، توفي سنة 643هـ.

260 – الشيخ الإمام مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن عبد الله بن تيمية – وهو جد الإمام أحمد بن تيمية– انتهت إليه الإمامة في الفقه والقراءات، له مصنفات مفيدة أشهرهاالمحررو المنتقى و المسوَّدة، توفي سنة 652هـ

261 – الشيخ الإمام الحافظ زكي الدين أبو محمد عبد العظيم المنذري كان زاهداً ورعاً متضلعاً في علوم الحديث النبوي وكرس حياته ناشراً للعلم وأفاد الناس من علمه وتعلم على يديه خلق كثير وطائفة من علماء عصره له مؤلفات شهيرة منها الترغيب والترهيب ومختصر صحيح مسلم، توفي سنة 656هـ.

262 – الإمام الحافظ تقي الدين بن دقيق العيد القشيري المصري، سمع الكثير ورحل في طلب الحديث وحفظ كثيراً وانتهت إليه رياسة العلم في زمانه،كان وقوراً قليل الكلام غزير الفوائد، توفي سنة 702هـ

263 – الإمام الحافظ جمال الدين أبو الحجاج القضاعي المزّي حافظ الأسانيد والألفاظ،كان واسع الاطلاع وفيه حياء وحلم وقناعة، صنف كتباً عظاماً أشهرها تهذيب الكمال وأطراف الكتب الستة، توفي سنة 742هـ.

264 – الإمام الحافظ علم الدين أبو محمد القاسم بن محمد بن البرازالي مؤرخ الشام،كان متواضعاً محبباً إلى الناس،كان ثبتاً في نقل العلوم، توفي سنة 739هـ.

265 – الإمام الحافظ المفسر اللغوي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزُّرَعي الدمشقي المشهور بابن قِيم الجَوْزية وبابن القيم، وهو التلميذ النجيب للإمام ابن تيمية كان ذا عبادة، وذكر وتأله وإطالة للصلاة ، صاحب المؤلفات الغزيرة المفيدة الممتعة منها زاد المعاد وإغاثة اللهفان وإعلام الموقعين، توفي سنة 751هـ.

266 – الإمام الحافظ مؤرخ الإسلام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي،كان متوقد الذكاء ذا همة عالية، صنف كثيراً، ومصنفاته شائعة منها سير أعلام النبلاء وتاريخ الإسلام والكبائر، توفي سنة 748هـ

267 – الإمام الحافظ المفسر عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي،كان ذا علم غزير و مؤلفات عديدة مع عبادة وذكر وله مصنفات شهيرة منها تفسيره المعروف باسمه والبداية والنهاية وقصص الأنبياء، توفي سنة 774هـ.



الزملكاني[268] ، والإمام تقي الدين السُّبْكي[269]، والعلامة أبو حّيان النَّحوي[270] فانبثق من ظهور هذه العقليات النيِّرة ذات الفهم السديد الثاقب كتب ألفت فكانت "مرجعاً للمتأخرين من العلماء: كمقدمة العلامة تقي الدين بن الصلاح والقواعد الكبرى للشيخ عز الدين بن عبد السلام والمجموع شرح المهذب، وشرح مسلم للإمام النووي وكتاب الأحكام، وإحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد وتهذيب الكمال لأبي الحجاج المزِّي وميزان الاعتدال وتاريخ الإسلام للعلامة الذهبي"[271]. كما انتشرت الموسوعات الفقهية واللغوية في التفسير والحديث وأخبار الرجال والصالحين والفلسفة مع ما جرته من تبعات بالإضافة إلى المكتبات وخزانة الكتب الوقفية والخاصة لدى الملوك والسلاطين والأمراء أو لدى علماء ذلك العصر أو عند ذوي اليسار من الناس المحبين للعلم والناشرين له حيث حفظت ذخائر التراث ودرر السلف والخلف من السابقين لذلك العصر في شتى العلوم ومختلف الميادين والعلوم العقلية والثقافات العامة وأخبار السلاطين والأمم والملوك وعلوم التنجيم الضالة "ومهما يكن من شيء فقد كانت السبل لطلب العلم وتحصيله معبدة سهلة؛ فقد سهلتها المدارس والموسوعات العلمية الكبيرة وخزائن الكتب المتفرقة في الأمصار الإسلامية وخصوصاً في مصر والشام ثم الرجال الذين وقفوا أنفسهم على شرح الكتب المتوارثة وتوضيحها وردها إلى مصادرها الأولى"[272]. مما حدا بأحد العلماء[273] أن يقول" "يمكن تسمية هذا العصر بحق:

268 – الشيخ كمال الدين بن الزَّمْلكاني، شيخ الشافعية بالشام، انتهت إليه رياسة المذهب تدريساً وإفتاءً ومناظرة كان ذا أسلوب ساحر جذاب في الخطابة والكتابة، توفي سنة 727هـ

269 – القاضي الشيخ الإمام تقي الدين بن علي بن عبد الكافي السُّبْكي المصري، كان واسع الاطلاع على العلوم الشرعية والعقلية ولي الحكم في دمشق، كان كثير العبادة وقيام الليل، توفي سنة 756هـ

270 – الإمام الشيخ أثير الدين أبو حّيان محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي، نحوي عصره ولغويُه ومفسره، كان ثبتاً سليم العقيدة كثير الخشوع والبكاء، أخذ عنه كبار علماء عصره، له مؤلفات عديدة منها تفسيره البحر المحيط توفي 745هـ.

271 – الشيخ أبو الحسن الندوي، رجال الفكر والدعوة في الإسلام، ص29، مرجع سابع..

272 – الشيخ محمد أبو زهرة، ابن تيمية، ص 156، مرجع سابق..

273 – د.محمد خليل هراس.



عصر دوائر المعارف"[274] ثم علل سبب إطلاقه لهذه التسمية رجوع ذلك إلى حالة الضعف والذي خيم على ذلك العصر فقال :"وهكذا عصور الضعف دائماً تمتاز بكثرة الجمع وغزارة المادة مع نضوب في البحث والاستنتاج"[275]، وقال غيره[276] "امتازت [أي: تلك العصور] بكثرة العلم لا بكثرة الفكر"[277]

فهذا وصف عام لأهم المعالم السياسية والاجتماعية والفكرية والعلمية لذلك العصر والذي نشأ فيه الإمام ابن تيمية مما كان له أكبر الأثر في نبوغه وتطلعه للأحسن ولإعمال العقل المعطل لتوضيح مقاصد الشرع الحنيف، وبما حباه الله عز وجل من إجلال كيف لا؟! وهو الدين الخاتم الذي ارتضاه الله ختماً للأديان واختار رسوله صلى الله عليه وسلم خاتماً للأنبياء عليهم الصلاة والسلام ...

هذا وإن وصف هاتيك النواحي بالضعف والاضطراب ليس قاصراً على تلك العصور فحسب بل إنها أوصاف تتربع على كل عصر ابتعد فيه المسلمون عن تعاليم شريعتهم الغراء وبالتالي ستكون النتيجة كالتي اتسمت بها تلك العصور سواءً بسواء فمع تردي الناحية السياسية يتسلط الأعداء لظهور الفجور والنفاق وعدم الاكتراث بالدين وزيادة التناحر بين الفرق الدينية والمذهبية فيطفو على سطح الأمة مجتمع مفككة روابطه مضطربة أفكاره لا يجمع الناس إلا الهوى والشهرة بأنواعهما، ويضطرب لذلك اقتصاد الأمة وترتفع الأسعار ويظهر الكذب والغش والجشع ويكثر الفُشار بين الناس في تعاملاتهم ويرتفع نصيب الفرد من الأنانية ويبدو وكأنما يعيش في مجتمع تسود عليه أحكام الغاب ويفقد الإنسان المسلم هُوِيَّته كمسلم فضلاً عن كونه إنساناً، وتبدو الناحية العلمية وقد ألبسها مدعو العلم ثوباً قشيباً ولكن مع سَبْر حالهم ترى ما لا تسمع فمما يميز عصور الضعف والانحطاط والتبعية كثرة

274 – د.محمد خليل هراس، باعث النهضة الإسلامية، ص 20، مرجع سابق..

275 – نفس المرجع السابق..

276 – الشيخ محمد أبو زهرة.

277 – الشيخ محمد أبو زهرة، ابن تيمية، ص 156، مرجع سابق.



الحواشي والتعليقات والاستدراكات مع التفنن في عمل المكتبات واختلاق السجع الممقوت واقتناص تعبيرات أو استجلاب مترادفات متباعدة وليست متقاربة متنافرة وليست متعاضدة، وتخلو هذه العصور من ذوي الفكر المبدع – إلا من رحم الله عز وجل– كما تتناثر هنا وهناك دعوات جوفاء ينادي أصحابها بالتقليد المحض وعلى الطرف الآخر هناك من ينادي بالانسلاخ من اتباع الأئمة –خاصة الأربعة– بجرأة وقحة على النصوص، وما "أشبه الليلة بالبارحة"[278]، وباستقراء صفحات التاريخ والنظر في مرآة الزمان نلاحظ أن هذا الظلام الدامس لا يظل جاثماً على صدر الأمة الإسلامية بل هو بالنسبة إلى تاريخ الأمة الإسلامية كسحاب صيف يوشك أن ينقشع بل كَفَواقٍ لا يبقي على حال، وانحطاط حضارة أمة من الأمم ثمرة حتمية لفساد الأحوال المحيطة بتلك الحضارة وإن "قيمة كل أمة في ميزان بناء الحضارة يساوي ما أعطت وقدمت مطروحاً منه ما أخذت واقتبست

قيمة أمةٍ مَا	=	ما أعطت وقدمت	—	ما أخذت[279]

فلو قارنّا هذا المقياس بحال الأمة بالعصر الذي نشأ فيه الإمام ابن تيمية لوجدنا مؤشر الانحدار والانحطاط إلى أسفل؛ لأن الأمة تأخذ وتقتبس بل تفقد رغماً عنها أكثر بكثير مما تعطيه وتقدمه ويظهر هذا من فقد أغلى عنصر من عناصر قيام الحضارة وهو عقل الإنسان: حيث ضعف التفكير والاهتمام بالمعيشة وتفكك الروابط الاجتماعية نتيجة تدهور الناحية السياسية بل إن فقد الإنسان نفسه بكثرة الحروب وما تؤدي إليه من ويلات ودمار وإهلاك لاقتصادها مما يساعد بل يجرئ

278 – الإمام الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب، جـ1 ص312 رقم (1118)، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت – لبنان، 1397هـ –1977م.

279 – د. شوقي أبو خليل، الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، ص 37، دار الفكر، ط2، دمشق –سوريا، 1417هـ - 1996م.

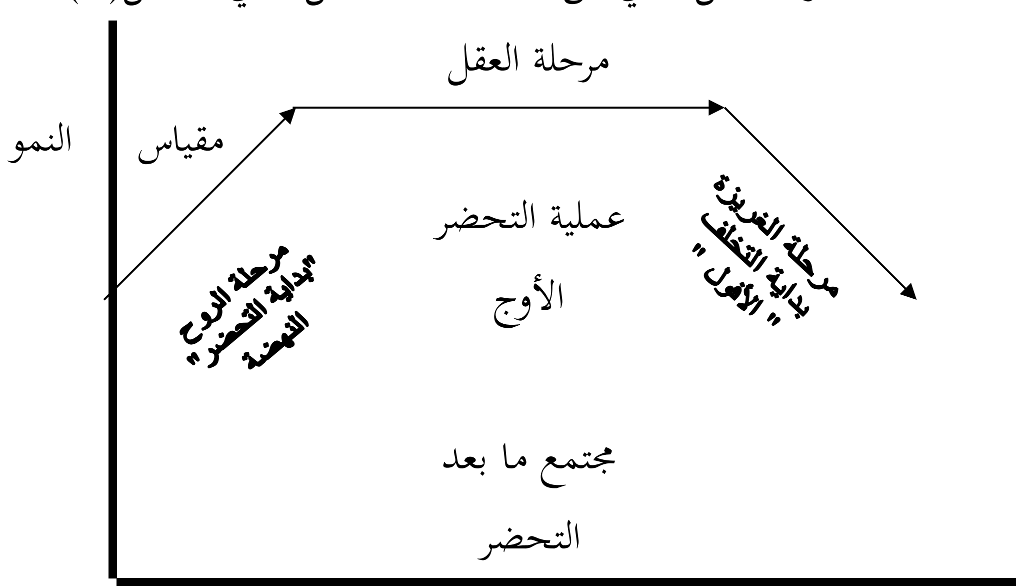


عدوها على اقتناص الفرصـــة لنهب هذه الخيرات مما يجعلها تحتاج إلى أضـــعاف مضـــاعفة كي تســـمو قليلاً أو ترقى رويداً رويداً وقد" أرجع العلامة عبد الرحمن بن خَلْدون[280] أســـباب أفول حضـــارة، وبالتالي قيام أخرى في مكان آخر (أو على أنقاض الأولى إن كان معتدياً) إلى عوامل منها:

1- عوامل مادية: كاتســـاع رقعة الملك وعدم خضـــوع الأطراف النائية للســـلطة المركزية.

2- عوامل اقتصـــادية: ويعني بها حالة الترف والدعة [كأســـاس لبدء انهيار أمة بعينها ثم بعد ذلك الجوع] بعد فترة الاستقرار.

3- عوامل اجتماعية: [يلازم فســـاد الناحية الدينية وتدهور الأمور الحياتية] فالمجتمع خاضـع للتطور المحتوم وللدول أعمار كأعمار الأفراد"[281] ويوضـح هذا الانحدار الشكل التالي من خلال هذا الشكل التالي: شكل(4)



مقياس الزمن الحضارة النهضة الأوج الأفول

280 – العلامة ابن خَلْدون، تاريخ ابن خلدون، تحقيق الأستاذ خليل شحادة مراجعة د.سهيل زكار، جـ1 ص 175-185، دار الفكر، ط1، بيروت – لبنان 1401هـ - 1981م، وابن خَلْدون هو العلامة العالم الاجتماعي البحاثة أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي ولد في تونس وتلقى العلم على يد كبار علماء الأندلس المهاجرين إليها، له مؤلفات لم يسبق إليها منها تاريخه وفيها مقدمته، واستقر بمصر، وبها توفي 808هـ.

281 – د. شوقي أبو خليل، الحضارة العربية الإسلامية، ص 35-36، مرجع سابق..



وهذه سنة كونية كما قال سبحانه: (سنة الله في الذين خلو من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً)[282] وقال: (لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً)[283] وهي في حد ذاتها مرحلة مؤقتة في عمر الأمة الإسلامية يُغربل فيها المجتمعُ المسلمُ ويصفّى حتى يأتي النصر على مَنْ هم أهلٌ له وهناك يُنزل الله سبحانه نصره الذي وعد فيأتي العلماء الربانيون يلوِّحون برايات النصر إيذاناً بفجر جديد يأتي على ظلام الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق، وذلك مصداقاً لوعد ربنا عز وجل للمسلمين بالنصر: (إن تنصروا الله ينصركم)[284] وقوله: (ولينصرن الله من ينصره)[285] ، وقوله: (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي أرتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً)[286] ولقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها"[287]، وقوله: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك"[288]

2- حياة الإمام ابن تيمية:

حياة هذا الإمام مليئة بالأمور الجليلة القدر كثيرة المعارف متشعبة المسالك بحيث يصح أن تفرد كل مرحلة من مراحل حياته أو يفرد كل جانب من جوانب شخصيته بمصنف مستقل ودراسة فاحصة لها تبحث عن الدر المكنون بين صدفاتها

---

282 – سورة الأحزاب الآية (62).

283 – سورة الطلاق الآية (1).

284 – سورة محمد الآية (7).

285 – سورة الحج الآية (40).

286 – سورة النور الآية (55).

287 – صحيح. تقدم تخريجه.

288 – رواه البخاري، الإمام ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، (507/10)، رقم (3641)، دار الغد العربي، ط1، القاهرة – مصر، 1412هـ - 1992م، ومسلم، (1523/3) رقم (1920).



لكن هذه إطلالة على بعضها -كما هو دأب الباحثين – وسيكون ذلك خلال ما يلي:

اسمه ولقبه وكنيته[289]

هو الإمام الرباني الفقيه المجتهد المجدد بحر العلوم العقلية والنقلية شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ الإمام شهاب الدين أبي المحاسن عبد الحليم بن الشيخ الإمام مجد الدين أبي البركات عبد السلام بن أبي محمد عبد الله بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن تيمية بن الخضر بن علي بن عبد الله النميري.

لقبه: لقب بشيخ الإسلام[290] وبابن تيمية[291] وغالباً ما يجمع بينهما فيقال: شيخ الإسلام ابن تيمية.

كنيته: كني بأبي العباس مع أنه لم يتزوج[292]؛ ذلك أنه من السنة أن يكنى المسلم ولو لم يولد له أو كان صغيراً لحديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله كل نسائك لها كنية غيري فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اكتني بابنك عبد الله [يعني ابن الزبير] أنت أم عبد الله"[293]ولقول أنس رضي الله عنه إن النبي صلى الله عليه وسلم دخل فرأى ابناً

289 – الإمام ابن كثير، البداية والنهاية، جـ13 ص241، مرجع سابق، الإمام الذهبي، تذكرة الحفاظ، جـ4 ص1496، مرجع سابق، الإمام ابن الوردي، تتمة المختصر، جـ2 ص406، مرجع سابق، الحافظ البزار، الأعلام العلية، ص 14، مرجع سابق، الإمام ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، جـ1 ص144، مرجع سابق، الإمام الكتبي، فوات الوفيات، جـ1 ص164، مرجع ساق، الإمام ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، جـ6 ص80، مرجع سابق، الإمام مرعي الكرمي، الكواكب الدرية، ص 51-52، مرجع سابق، الإمام الشوكاني، البدر الطالع، جـ1 ص63، مرجع سابق، الشيخ صديق حسن خان، التاج المكلل، ص 420، مرجع سابق، الإمام الألوسي، غاية الأماني، 154، مرجع سابق، الأستاذ الزركلي، الأعلام، جـ1 ص144، مرجع سابق، الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، العلماء العزاب، ص164، مرجع سابق، الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، مقدمة جامع الفتاوى، جـ1 ص(أ)، مرجع سابق، د. بكر بن عبد الله أبو زيد، المداخل إلى آثار شيخ الإسلام ابن تيمية، ص 15، مرجع سابق.

290 – هذا اللقب قد "أطلقه العلماء السابقون على كل من حاز درجة كبيرة عالية في العلم بالكتاب والسنة وفي الفضل والصلاح والقدوة وكان مرجع المسلمين في العلم وشؤون الدين وهو بهذا المعنى دار في كتب المحدثين والمؤرخين والرجال والتراجم "الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، العلماء العزاب، ص 46 تعليق (1)، مرجع سابق.

291 – إن لقب تيمية: إنما هو لجده محمد بن الخضر وسببه قولان: "فقيل: إن جده محمد بن الخضر حج على درب تيماء [بلدة بين الشام ووادي القرى في طريق حجاج الشام] فرأى هناك طفلة فلما رجع وجد امرأته قد ولدت له بنتاً فقال: يا تيمية – يا تيمية.. وقيل: إن جده محمداً كانت أمة تسمى تيمية وكانت واعظة فنسب إليها وعرف بها" الإمام مرعي الكرمي، الكواكب الدرية، ص 52 بتصرف، مرجع سابق.

292 – سيأتي الكلام مفصلاً عن أسباب عزوفه عن الزواج في المطلب الحادي عشر.

293 – صحيح. رواه الإمام أحمد في مسنده (151/6، 186)، محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، جـ1 ص 45، رقم (132)، المكتب الإسلامي، بدون ط، بيروت – لبنان، بدون ت.



لأبي طلحة يقال له: أبو عمير، وكان له نغير يلعب به فقال: "يا أبا عمير ما فعل النغير؟[294] "

ولادته وأسرته ونشأته:

ولادته[295] ولد الإمام ابن تيمية في يوم الاثنين 1. ربيع الأول سنة 661 هـ في حران

أسرته: وهي أسرة معروفة بالعلم والصلاح إذ إنهم يتوارثون العلم فيما بينهم وكانت لهم الصدارة في المسجد الجامع ومن هذه الأسرة الطيبة الإمام مجد الدين بن عبد السلام وولده الإمام الشيخ عبد الحليم والد الإمام أحمد بن تيمية وكانت هذه الأسرة تسلك في التدليل على المسائل العقدية والفقهية مسلك الحنابلة فشرب الإمام العلم منذ نعومة أظفاره في حجر أبيه فكان للعلم تقدير خاص لديه بسبب إجلال أسرته للعلم وشهرتها به فدرس علوم الشريعة المختلفة منذ صغره حيث كان يحضر المحافل العامة فكان يناقش ويرد ويفتي وهو في ريعان الشباب حتى إنه تولى الدرس بعد موت أبيه وحضر له كبار أئمة ذلك العصر وأعجبوا من علمه وسرعة استحضاره مما يشهد ببراعته منذ صغره.

نشأته: لقد أثرت فيه بيئته أيما تأثير؛ ذلك أن البيئة المحيطة به بيئة علم وصلاح "فنشأ بها أتم إنشاءٍ وأزكاه وأنبته الله أحسن النبات وأوفاه وكانت مخايل النجابة عليه في صغره لائحة ودلائل العناية فيه واضحة.. [وقد أثرت فيه هذه النشأة أيما تأثير

---

294 – رواه البخاري، (16/479 – 480 فتح) رقم (6203) وبوب عليه الإمام البخاري في كتاب الأدب باباً بعنوان: الكنية للصبي وقبل أن يولد للرجل، ورواه مسلم (4/1692-1694) رقم (2150).

295 – الإمام ابن كثير، البداية والنهاية، جـ13 ص241، جـ14 ص136، مرجع سابق، الإمام ابن الوردي، تتمة المختصر، جـ2 ص408، مرجع سابق، الإمام ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ1 ص144، مرجع سابق، الإمام الشوكاني، البدر الطالع، جـ1 ص63، مرجع سابق، الإمام صديق حسن خان، التاج المكلل، ص 240، مرجع سابق، الحافظ البزار، الأعلام العلية، ص 17، مرجع سابق، الإمام الذهبي، تذكرة الحفاظ، جـ4 ص1496، دار الكتب العلمية، بدون ط، بيروت – لبنان، بدون ت، الإمام محمد بن شاكر الكتبي، فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق د. إحسان عباس جـ1 ص74 ، مرجع سابق ، الزركلي، الأعلام، جـ1 ص 144، مرجع سابق، د. بكر بن عبد الله أبو زيد، آثار شيخ الإسلام، ص 15، مرجع سابق.



وجعلته منذ] صغره مستغرق الأوقات في الجد والاجتهاد فختم القرآن صغيراً ثم اشتغل بحفظ الحديث و[دراسة] الفقه والعربية حتى برع في ذلك مع ملازمة مجالس الذكر وسماع الأحاديث والآثار[296] فنموه في تلك البيئة جعلته من المنهومين بطلب العلم والناهلين من منابع المعرفة بعين فاحصة متخصصة ثم ظهر ذلك من خلال كتاباته وتآليفه ومواقفه دفاعاً عن الشريعة الغراء بكل ما يستطيع من جهد وبكل ما أوتي من قوة، وهذه ثمرات نشأته الأولى وبيئته وأسرته إذ اكتحلت عيناه برؤية كبار علماء عصره وشنفت أذناه بسماع الحديث والآثار من أئمة عصره فارتشف العلم منذ نعومة أظفاره مما كان له أكبر الأثر في تكوين ملكته العلمية والتي أهلته للإمامة عبر العصور.

شيوخه وتلاميذه:

إن نفساً عملاقة كنفس الإمام ابن تيمية تنبئ عن تعدد مناهل المعرفة وتنوع روافد أصول العلم التي تلقى ثقافته ومعرفته من خلالها وهذا بدوره يؤكد أن الإمام ابن تيمية قد تلقى العلم على أيدي كثير من الشيوخ والشيخات وتعدد الشيوخ والشيخات راجع إلى تعدد روافده وتنوع العلوم التي درسها والمعارف التي تلقاها واستوعبتها ذاكرته الحديدية وأدركها بعقله الكبير، وطبيعي أن من هذه أحواله إضافة إلى ترجمته الحافلة بأنواع شتى من جهاد وتعليم وأمر بمعروف ونهي عن منكر ولهج بذكر الله وحسن عشرة ومعاملة وزهد في منصب وفي دنيا... أن يكون لـه تلاميذ يحملون عنه علمه الغزير وهؤلاء الذين تلقوا عنه أصبح كل واحد منهم إماماً.

أما شيوخه: وهم الذين تلقى على أيديهم أصول العلم والمعرفة منذ صغره بل ظل كذلك يستفيد من أهل العلم في كبره من الأئمة من شيوخ عصره وشيخاته "وشيوخه الذين سمع منهم أكثر من مائتي شيخ"[297] كما سمع من أربع

296 – الحافظ البزار، الأعلام العلية، ص 17، 19بتصرف، مرجع سابق.

297 – الإمام ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص6، مرجع سابق.



شـيخات[298] فسـمع الحديث من الإمام ابن عبد الدايم[299] ومن شـيوخه والده الإمام شهاب الدين أبو المحاسن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية ومنهم الإمام عبد الرحمن بن محمد بن قدامة[300] والشيخ علي الصالحي[301] والشيخ عفيف الدين عبدالرحمن بن فارس البغدادي[302] والشيخ المنجا التيوخي[303] والشيخ محمد بن عبد القوي[304] والشيخ شرف الدين المقدسي[305] والشيخ الواسطي[306] والشيخ محمد بن إسماعيل الشيباني[307] ومن الشيخات فعمتُهُ ست الدار[308] ، و الشيخة أم الخير الدمشقية[309] ، والشيخة أم العرب[310] ، والشيخة أم أحمد الحرانية[311] ، والشيخة أم محمد المقدسية[312] فهؤلاء الشيوخ والشيخات وغيرهم تلقى على أيديهم وتعلم وكان لهم أبرز الأثر في علمه وسلوكه ونبوغه وعبقريته وألمعيته.

298 – ينظر، الإمام ابن تيمية، الأربعون التيمية، شرح وتصحيح وتخريج صلاح أحمد السامرائي، ص 55، 57، 58، 59، مكتبة القدس، بدون ط، بغدا د – العراق، 1986، ينظر الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج18 ص76 – 121، مرجع سابق.

299 – الإمام الشيخ زين الدين أبو العباس أحمد بن عبد الدايم بن نعمة بن أحمد المقدسي، أحد شيوخ الحنابلة ومن علماء الحديث، توفي سنة 668هـ.

300 – الإمام الشيخ الزاهد الخطيب قاضي القضاة شيخ الإسلام عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي، انتهت إليه رئاسة العلم في زمانه، توفي سنة 682هـ.

301 – الإمام الفقيه المحدث سند الوقت فخر الدين أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد الواحد السعدي المقدسي الصالحي، كان إماماً فاضلاً مجتهداً ديناً صالحاً خيراً عَلَم الأكابر، توفي سنة 690هـ.

302 – الفقيه المحدث الأثري الزاهد عفيف الدين أبو محمد عبد الرحيم بن محمد بن أحمد بن فارس العلثي ثم البغدادي، كان ذا علم وصلاح وأفاد خلقاً كثيراً، توفي في طريق مكة سنة 685هـ.

303 – الشيخ الفقيه زين الدين أبو البركات المنجا بن عثمان بن أسعد بن أسعد بن المنجا بن بركات التيوخي الدمشقي، كان ذا معرفة وعلم بالفقه والأصول والتفسير والنحو، من تصانيفه شرح المقنع وتفسير للقرآن الكريم، توفي سنة 695هـ.

304 – الفقيه المحدث النحوي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد القوي بن بدران بن عبد الله المقدسي المداوي برع في العربية واللغة، وكان حسن الديانة كثير الإفادة، توفي سنة 699هـ.

305 – الشيخ الفقيه شرف الدين أحمد بن الشيخ كمال الدين أحمد بن نعمة بن أحمد المقدسي الشافعي، كان خطيب دمشق ومفتيها وشيخ الشافعية فيها، برع في الفقه والأصول والعربية، كان متواضعاً ناسكاً ثاقب الذهن، توفي سنة 694هـ

306 – الفقيه العابد الزاهد تقي الدين أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن أحمد بن فضل الواسطي الصالحي الحنبلي، روى عنه خلق كثير، توفي سنة 692هـ.

307 – الشيخ العالم الأديب شمس الدين أبو عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن أبي سعد بن علي بن منصور الشيباني الآمدي ثم المصري، كان فاضلاً وذا معرفة بالحديث والتاريخ والسير والنحو واللغة توفي سنة 704هـ.

308 – الشيخة الصالحة ست الدار بنت عبد السلام بن أبي محمد بن تيمية ، عمة شيخ الإسلام حيث روى عنها الحديث ، توفيت سنة 686هـ

309 – الشيخة الصالحة أم الخير ست العرب بنت يحيى بن قايماز بن عبد الله التاجية الدمشقية ، روى عنها الحديث ، توفيت سنة 684هـ .

310 – الشيخة الجليلة الأصيلة أم العرب فاطمة بنت أبي القاسم بن عساكر ، روى عنها الحديث توفيت سنة 683هـ.

311 – الصالحة العابدة المجتهدة الشيخة أم أحمد زينب بنت مكي بن علي بن كامل الحرانية ، يزدحم الطلبة عليها لعلمها وصلاحها ، روى عنها الحديث ، ت 688 هـ

312 – الشيخة الصالحة أم محمد زينب بنت أحمد بن عمر بن كامل ، تفردت وارتحل إليها الطلبة ، روى عنها الحديث ، ت 722 هـ



تلاميذه: إن شخصية كشخصية الإمام ابن تيمية لابد وأن يكون لها آثار بارزة؛ لهذا فقد تأثر به وبمنهاجه الكثير كما لازمه كثيرون وأصبحوا من خواصه وتتلمذوا على يديه ونهلوا من معينه الصافي بحيث أصبح الواحد منهم بعد ذلك إماماً في فنه ومشكاة يضيء للآخرين بما أوتي من فهم ثاقب وعلم غزير... ومن هؤلاء التلاميذ: الإمام ابن قيم الجوزية والإمام الذهبي والإمام ابن كثير والحافظ البزار والإمام ابن عبد الهادي[313]

والشيخ الواسطي[314] والشيخ ابن الوردي[315] والشيخ ابن رُشَيِّق[316] والإمام ابن مُفلح[317] وغيرهم الكثير والكثير والذين قد حملوا علمه وسلكوا منهاجه في تبليغ الشريعة.

وبالنظر إلى تلاميذ هذا الإمام العملاق تظهر منزلته ويبين قدره، فإذا كان تلاميذه أئمة ولهم من العلم ما لهم من تآليف وتولٍّ لقضاء أو إصلاح... فكيف يكون قدر أستاذهم وشأنه؟! إنه بحر لا ساحل له وموسوعة علمية ومكتبية متنقلة مع العلم والعمل والزهد وترك المناصب واللهج بذكر الله عز وجل والدعوة إلى نصرة شرعه بنفسه وروحه وماله كله وهذا معروف وواضح من أحواله بما ترجم له من رآه أو رأى من رآه وبما تواترت أخباره بين ناقليها من جميع فئات شعبي دمشق ومصر وبما ترك خلفه من آثار: سواء في تلاميذ أو كتب أو إصلاح.

عقيدته ومذهبه:

313– الإمام الشيخ محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن قدامة، كان عالماً صالحاً ، له مؤلفات منها: الصارم المنكي والعقود الدرية، توفي سنة 724هـ.

314 – الشيخ الزاهد والعالم العامل عماد الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم الواسطي، كان ذا صلاح وعبادة قال عنه شيخه ابن تيمية: جنيد وقته ، له مصنفات منها: ملخص السيرة النبوية، وشرح منازل السائرين، ورسالة ينصح فيها أصحاب الإمام ابن تيمية، توفي سنة 711هـ.

315– الأستاذ الشيخ زين الدين عمر بن المظفر بن أبي الفوارس بن الوردي، كان على علم وصلاح وبلغ الذروة العليا والطبقة القصوى في الشعر، ينتهي نسبه إلى الصديق رضي الله عنه. له مصنفات منها، تتمة المختصر، توفي سنة 749هـ.

316– الشيخ أبو عبد الله بن رشيق المغربي، كان على معرفة تامة بخط الإمام ابن تيمية وكتاباته، حتى إنه يشكل عليه أحياناً فيدعو تلميذه أبا عبد الله لحله؛ لأنه كان أبصر من الشيخ بخطه، نسخ كثيراً من كتب شيخه، توفي سنة 749هـ.

317– الإمام الفقيه العلامة الشيخ محمد بن مفلح بن مفرح المقدسي، كان واسع العلم ذا عبادة ومن أعلم الناس بمذهب الإمام أحمد في زمانه وكان يقول له شيخه ابن تيمية: أنت مفلح . له مؤلفات قيمة منها، الفروع والآداب الشرعية، توفي سنة 763هـ



عقيدته: عقيدة الإمام ابن تيمية التي يعتقدها هي عقيدة السلف الصالح: أهل السنة والجماعة المتمثلة في القرون الثلاثة الأولى على ما كان عليه النبي محمد صلى اللـــــــــــه عليه وسلم بقوله: "خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم"[318]فلا علاقة لمعتقده بشـــخص معين ولا بمذهب معين لا حنبلي ولا غيره بل بما جاء في كتاب الله عز جل وبما ثبت في صـحيح السـنة النبوية المطهرة وتفسـير لما فيها بما ثبت عن الصـحابة الكرام وعن تابعيهم بإحسـان من تلك القرون الثلاثة الفاضـــلة. ومع أن إمامه في الفقه هو الإمام أحمد بن حنبل[319] فإن الإمام ابن تيمية لم يَدْعُ أحداً قط إلى التزام العقيدة على منهج الحنابلة بل كان يدعو إلى التزام معتقد السـلف الصـالح وقد أبان ذلك هو بنفسـه إذ قال: "أما الاعتقاد فإنه لا يؤخذ عني ولا عمن هو أكبر مني بل يؤخذ عن الله ورسوله صـــلى الله عليه وســـلم وما أجمع عليه ســـلف الأمة فما كان في القرآن وجب اعتقاده وكذلك ما ثبت في الأحاديث الصـــحيحة مثل صـــحيح البخاري ومسلم... وكان يرد عليَّ من مصر وغيرها من يسألني عن مسائل في الاعتقاد أو غيره فأجيبه بالكتاب والسـنة وما كان عليه سـلف الأمة "[320] وقد كتب الإمام ابن تيمية هذه العقيدة التي يدين الله بها حينما طلب منه أن يكتبها فكتبها فيما بين الظهر والعصر[321]وهذه العقيدة هي:

الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورســـله والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشـره وإثبات معية الله لخلقه وأنها لا تنافي علوه فوق عرشـه ومن رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة ومن الإيمان بالله تعالى الإيمان بكل الأسماء والصـفات الواردة في الكتاب

318 – رواه البخاري، (10/517 – 518 فتح)، رقم (3650)، ومسلم (4/1962– 1964) رقم (2533–2535).

319 – الإمام المبجل إمام أهل السـنة والجماعة الزاهد الصـابر الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، إليه ينسـب المذهب الحنبلي، له فتاوٍ متعددة قيمة منها المسند والزهد والورع والأشربة، توفي سنة 241هـ.

320 – الإمام ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص 170 بتصرف، مرجع سابق، الإمام ابن تيمة، مجموع الفتاوى، جـ3 ص 161، مرجع سابق.

321 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ 3 ص194، مرجع سابق



وصحيح السنة ثم الإيمان بالقرآن الكريم وأنه كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود وأن الله تكلم به حقيقة وأن هذا القرآن الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره ثم الإيمان باليوم الآخر وما يكون فيه من أمور بعد هذه الفتنة إما نعيم وإما عذاب إلى أن تقوم القيامة الكبرى فتعاد الأرواح إلى الأجساد ثم تقوم القيامة فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين حفاة عراة غرلاً وتدنو منهم الشمس ويلجمهم العرق وتنصب الموازين فتوزن بها أعمال العباد وتنشر الدواوين ثم الإيمان بالحساب والإيمان بحوض النبي صلى الله عليه وسلم الذي من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً والإيمان بالصراط وهو منصوب على متن جهنم: وهو الجسر الذي بين الجنة والنار: يمر الناس على قدر أعمالهم فمن مر على الصراط داخل الجنة فإذا عبروا عليه وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض فإذا هُذبوا ونُقوا أُذن لهم في دخول الجنة وأول من يستفتح باب الجنة محمد صلى الله عليه وسلم وأول من يدخل الجنة من الأمم أمته صلى الله عليه وسلم وله صلى الله عليه وسلم في القيامة ثلاث شفاعات:

الأولى: يشفع في أهل الموقف حتى يقضى بينهم بعد أن يتراجع الأنبياء عنها وعنها آدم فمن بعده حتى تنتهي إليه صلى الله عليه وسلم .

الثانية: يشفع في أهل الجنة أن يدخلوها.

الثالثة: يشفع فيمن استحق النار وهذه الشفاعة لـه ولسائر النبيين والصديقين وغيرهم فيشفع فيمن استحق النار أن لا يدخلها ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها.

كما يعتقد أن الإيمان قول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وهو متبع لمعتقد أهل السنة والجماعة: الفرقة الناجية في عدم تكفير أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي ومما يعتقده وجوب سلامة القلب واللسان لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ويتولى آل بيت رسول الله صلى الله

عليه وسلم ويحبهم كما يتولى أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين وأنهن أزواجه في الدنيا وفي الآخرة كما إنه يمسك عما شجر بين الصحابة رض الله عنهم؛ لأن الآثار المروية في مساويهم منها ما هو كذب ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغُير عن وجهه والصحيح منه هم فيه معذورون: إما مجتهدون مصيبون وإما مجتهدون مخطئون مع الاعتقاد بأن كل واحد من الصحابة ليس بمعصوم عن كبائر الإثم وصغائره لكن لهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر حتى إنهم يغفر لهم من السيئات ما ليس لمن بعدهم أو بتوبة أو شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم الذي هم أحق الناس بشفاعته أو ابتلي ببلاء في الدنيا كفر به عنه فإذا كان هذا في الذنوب المحققة فكيف بالأمور التي كانوا فيها مجتهدين وأنهم خير الخلق بعد الأنبياء لا كان ولا يكون مثلهم وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله. كما يؤمن بكرامات الأولياء وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم ولمكاشفات إضافة إلى إيمانه بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ما توحيه الشريعة وكذلك يرى إقامة الحج والجهاد والجمع والأعياد مع الأمراء أبراراً كانوا أو فجاراً وهو تابع لأهل السنة بأنهم يدينون بالنصيحة للأمة والصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء والرضى بمر القضاء ويدعون إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال والعفو عمن ظلم ويدعون إلى بر الوالدين وصلة الأرحام وحسن الجوار والإحسان إلى اليتامى والمساكين والبعد عن الأخلاق السيئة كل ذلك اتباعاً للكتاب والسنة وتطبيقاً للشريعة التي بعث بها محمد صلى الله عليه وسلم.

وأما مذهبه: فقد نشأ وتربى وتعلم على أصول المذهب الحنبلي فأبوه وجده بل أسرته أعلام الحنابلة في دمشق والشام ولكنه لم يقتصر في دراسته على المذهب الحنبلي بل درس المذاهب الفقهية الأخرى ثم آل أمره في آخر حياته –ككبار الأئمة– إلى عدم التقيد بمذهب معين بل كان يفتي بما يترجح له دليله ومع ذلك فلم



يكن يتعصب لإمام أو شيخ أو مذهب بل يرى أنه من اليسر اتباع الناس لأي رأي من آراء العلماء؛ لهذا لما ســـأله تلميذه الحافظ البزار تأليف نص في الفقه يجمع اختياراته وترجيحاته ليكون عمدة في الإفتاء فقال له ما معناه: "الفروع أمرها قريب ومن قلد –المسـلم– فيها أحد العلماء المقلدين جاز لــــه العمل بقوله ما لم يتيقن خطأه"[322] وكان يذكر أن اختلاف العلماء رحمة واســـعة فقال: "ولهذا كان بعض العلماء يقول: إجماعهم حجة قاطعة واختلافهم رحمة واســـعة"[323] وكان عمر بن عبد العزيز يقول: ما يسرني أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يختلفوا؛ لأنهم إذا أجمعوا على قول فخالفهم رجل كان ضـــالاً وإذا اختلفوا فأخذ رجل بقول هذا ورجل بقول هذا كان في الأمر ســـعة وكذلك قال غير مالك من الأئمة: ليس للفقيه أن يحمل الناس على مذهبه [ثم نقل عن بعض الشافعية قول بعضهم:] وليس لأحد أن يلزم الناس باتباعه فيها ولكن يتكلم فيها بالحجج العلمية فمن تبين له صـــحة أحد القولين تبعه ومن قلد أهل القول الآخر فلا إنكار عليه"[324] ومع هذا هو مجل للأئمة فيحترمهم ويدافع عنهم وينهى عن الطعن فيهم وأنهم وإن اختلفوا في مسائل فهذا الخلاف إنما

نشأ عن اجتهاد كل واحد منهم ثم أرجع أسباب الاختلاف إلى أعذار ثلاثة هي:[325]

الأول: عدم اعتقاده [أي العالم] أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله.

الثاني: عدم اعتقاده إرادة تلك المسألة بذلك القول.

الثالث: اعتقاده أن ذلك الحكم منسـوخ. ثم فصـل القول على هذه الأعذار الثلاثة في رسالته: رفع الملام عن الأئمة الأعلام.

322 – الحافظ البزار، الأعلام العلية، ص 33 بتصرف، مرجع سابق.

323 – الإمام ابن قدامة المقدسي في مقدمة كتابه المغني.

324 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ30 ص80 بتصرف، مرجع سابق.

325 - الإمام ابن تيمة، مجموع الفتاوى، جـ21 ص290، مرجع سابق.



أخلاقه وسجاياه وبعض أقواله:

الكلام على أخلاق الإمام ابن تيمية وسجاياه إنما هو كلام على الآداب الإسلامية التي تجلت في شخصه وبرزت أخلاقه خلال اتباعه وتمسكه بالكتاب والسنة فكان يطبق ما فيها حتى ظهر عليه في معاملاته وحسن عشرته . والكلام على سجاياه يشمل الخَلْقية والخُلقية أما سجاياه الخلقية فيصفه مؤرخ الإسلام الإمام الذهبي بقوله: "كان أبيض أسود الرأس واللحية، قليل الشيب جهوري الصوت شعره إلى شحمة أذنيه فصيح اللسان، أعين كأن عينيه ناطقتان، ربعة من الرجال بعيد ما بين المنكبين تعتريه حدة لكن يقهرها بالحلم"[326] وأما سجاياه الخُلقية فكثيرة كثيرة يصعب حصرها في بحث واحد والأمر كما قال الإمام ابن الزملكاني:

"ماذا يقول الواصفون له وصفاته جلت عن الحصر"[327] والحافظ البزار بقوله: "فإنه قل أن سُمع بمثله"[328]ومن هذه الأخلاق ما يلي :

1-إيثاره مع فقره: فكان – رضي الله عنه- مع رفضه للدنيا وتقلله منها مؤثراً بما عساه يجده منها قليلاً كان أو كثيراً ولا يحتقر القليل فيمنعه ذلك عن التصدق به حتى إنه إذا لم يجد شيئاً يتصدق به نزع بعض ثيابه فيصل بها الفقراء وكان يستفضل من قوته الرغيف والرغيفين فيؤثر بذلك على نفسه"[329] وفي مرة رأى " الشيخ محتاجاً إلى ما يعتم به فنزع عمامته من غير أن يسأله الرجل ذلك فقطعها نصفين واعتم بنصفها ودفع النصف الآخر إلى ذلك الرجل"[330].

2- كرمه: لقد عرف الإمام ابن تيمية بالكرم؛ لأنه "كان مجبولاً عليه لا يتطبعه ولا يتصنعه بل هو له شجية؛ فكان لا يرد مَنْ يسأله شيئاً يقدر عليه من دراهم ولا

326 – الشيخ محمد بن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، جـ1 ص75، مرجع سابق، الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، العلماء العزاب، ص 171، مرجع سابق، الإمام ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، جـ1 ص 151، مرجع سابق، الإمام ابن الوردي، تتمة المختصر، ص 408، 412، مرجع سابق ، الإمام ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ14 ص 137 ، مرجع سابق .

327 – الإمام ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص 294، مرجع سابق.

328 – الحافظ البزار، الأعلام العلية، ص 35 ، مرجع سابق.

329 – الإمام مرعي الكرمي، الكواكب الدرية، ص85 بتصرف، مرجع سابق.

330 – الحافظ البزار، الأعلام العلية، ص 59، مرجع سابق.

دنانير ولا ثياب ولا كتب ولا غير ذلك ولقد كان يجود بالميسور كائناً ما كان وقد جاءه يوماً إنسان يسأله كتاباً ينتفع به فأمره أن يأخذ كتاباً يختاره فرأى ذلك الرجل بين كتب الشيخ مصحفاً قد اشتري بدراهم كثيرة فأخذه ومضى ومن كرمه أنه كان ينكر إنكاراً شديداً على من يُسأل شيئاً من كتب العلم التي يملكها ويمنعها من السائل ويقول: ما ينبغي أن يمنع العلم ممن يطلبه"[331] ومن جوده في العلم أنه كان كريماً في نشره للعلم وبثه بين صفوف المجتمع كله كما ذكر ذلك تلميذه النجيب الإمام ابن القيم: "ولقد شاهدت من شيخ الإسلام ابن تيمية –قدس الله روحه– في ذلك أمراً عجيباً: كان إذا سُئل عن مسألة حُكمية ذكر في جوابها مذاهب الأئمة الأربعة إذا قدر ومأخذ الخلاف وترجيح القول الراجح وذكر متعلقات المسألة التي ربما تكون أنفع للسائل من مسألته فيكون فرحه بتلك المتعلقات واللوازم أعظم من فرحه بمسألته وهذه فتاويه – رحمه الله– بين الناس، فمن أحب الوقوف عليها رأى ذلك فمن جود الإنسان بالعلم: أنه لا يقتصر على مسألة السائل بل يذكر له نظائرها ومتعلقها ومأخذها بحيث يشفيه ويكفيه"[332]وهذه حال هذا الإمام مع من يسأله كلها كرم.

3– ورعه: فكان من الغاية التي يُنتهى إليها في الورع؛ لأن الله تعالى أجراه مدة عمره كلها على الورع، فإنه ما خالط الناس في بيع ولا شراء ولا معاملة ولا تجارة ولا مشاركة ولا مزارعة ولا عمارة ولا كان ناظراً أو مباشراً لمال وقف ولم يقبل جراية ولا صلة لنفسه من سلطان ولا أمير ولا تاجر ولا كان مدخراً ديناراً ولا درهماً ولا طعاماً وإنما كانت بضاعته مدة حياته وميراثه بعد وفاته –رضي الله عنه– العلم اقتداءً بسيد المرسلين وخاتم النبيين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين فإنه قال: (إن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا

---

331 – نفس المرجع السابق، ص 59، 61، بتصرف كبير.

332 – الإمام ابن القيم، مدارج السالكين ، تحقيق عماد عامر ، جـ2 ص 240، دار الحديث ، بدون ط ، القاهرة – مصر ، سنة 1424هـ–2003م .



العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر)[333] والاتصاف بصفة الورع من أبرز صفات العالم الرباني؛ ذلك أنه متطلع إلى ما عند الله متسامياً عن الدنيا ومترفعاً على مناصبها وزخارفها.

4- كراماته وفراسته: لقد أظهر الله تعالى على يدي هذا الإمام كرامات وأعطاه فراسة عرفت عنه وشاهدها من رافقه؛ وذلك لاتباعه للكتاب والسنة وهدي السلف الصالح ومنها ما حكاه الإمام البزار نفسه وشاهده حيث قال : " جرى بيني وبين بعض الفضلاء منازعة في عدة مسائل وطال كلامنا فيها وجعلنا نقطع الكلام في كل مسألة بأن نرجع إلى الشيخ وما يرجحه من القول فيها ثم إن الشيخ رضي الله عنه حضر فلما هممنا بسؤاله عن ذلك سبقنا هو وشرع يذكر لنا مسألة مسألة كما كنا فيه وقال: وكنت في خلال الأيام التي صحبته فيها إذا بحث مسألة يحضر لي إيراد فما يستتم خاطري به حتى يشرع فيورده ويذكر الجواب من عدة وجوه وحكى عن رجل أنه قدم دمشق وأنفق ما معه فقابله الشيخ ولم يعرفه فجاءه وهش في وجهه ووضع في يده صرة فيها دراهم صالحة فسأل من هذا ؟! قالوا: هذا ابن تيمية وإنه لم يمر بهذا الدرب منذ مدة طويلة وحدث عن شخص آخر قال: إنه ذهب إلى مصر ومرض ولم يعرف أحد بحاله واتفق أن ذلك كان حين إقامة الشيخ بها فما أحس إلا بمن يناديه باسمه وكنيته فدخل عليه ناس وسألوه عن مرضه ونقلوه فقال لهم : كيف عرفتم بقدومي وأنا قدمت في هذه الساعة؟ فذكروا أن الشيخ أخبرنا بأنك قدمت وأنت مريض وحكى أن من عادة الشيخ أنه كان يزور المرضى في البيمارستان بدمشق في كل أسبوع فجاء على عادته فعادهم فوصل إلى شاب منهم فدعا له فشفي سريعاً وجاء إلى الشيخ يقصد السلام عليه فلما رآه هش له وأدناه ثم دفع إليه نفقة وقال: قد شفاك الله فعاهد الله أن تعجل الرجوع إلى بلدك، أيجوز أن تترك زوجتك وبناتك أربعاً ضيعة وتقيم هاهنا ؟! فقبل يده وقال: يا سيدي أنا تائب إلى

333 – الحافظ البزار، الأعلام العلية، ص 41، مرجع سابق ، والحديث صحيح تقدم تخريجه .



الله تعالى وقال الفتى: وعجبت مما كاشفني به وكنت قد تركتهم بلا نفقة ولم يكن قد عرف بحالي أحدٌ من أهل دمشق.. وكرامات الشيخ رضي الله عنه كثيرة جداً ومن أظهر كراماته أنه ما سمع بأحد عاداه أوغض منه إلا وابتلي بعده بلايا غالبها في دينه وهذا ظاهر مشهور لا يحتاج منه إلى شرح صفته"[334](1).

5- تواضعه وعدم تكبره: وهذا الخلق عرفه كل من رأى الشيخ أو تعامل معه فلم يعهد عليه تكبر على أحدٍ من خلق الله بل كان دائم التودد إلى الناس خاصة عوام الناس والمرضى والمساكين والمعوزين فقد كان يختلط بهم ويتكلم معهم ويتعرف أخبارهم ويقضي لهم حاجاتهم كما كان يذهب إلى الظلمة ويرد إلى المسلمين الضعاف أموالهم كما حدث مع قطلوبك الكبير وكذلك كان حريصاً على زيارة المرضى في البيمارستان كل أسبوع ولا يشغله علمه وتعليمه وجهاده عن فعل تلك الأشياء فكانت محبته في قلوب الصغار والكبار حكاماً ومحكومين وعندما يقابل محتاجاً أو مسكيناً يهش في وجهه ويعطيه ما تيسر وأحق الناس بالكلام عن تلك الصفة من عاشره ولازمه من تلاميذه كما قال الحافظ البزار: "وأما تواضعه فما رأيت ولا سمعت بأحد من أهل عصره مثله في ذلك، كان يتواضع للكبير والصغير والجليل والحقير والغني والصالح والفقير، وكان يدني الفقير الصالح ويكرمه ويؤنسه ويباسطه بحديثه المستحلي زيادة على مثله من الأغنياء حتى إنه ربما خدمه بنفسه، وأعانه بحمل حاجته جبراً لقلبه وتقرباً بذلك إلى ربه وكان لا يسأم ممن يستفتيه أو يسأله بل يقبل عليه ببشاشة وجه ولين عريكة ويقف معه حتى يكون هو الذي يفارقه كبيراً كان أو صغيراً رجلاً أو امرأة حراً أو عبداً عالماً أو عامياً حاضراً أو بادياً.. ولقد بالغ معي [القائل: الحافظ البزار] في حال إقامتي بحضرته في التواضع والإكرام حتى إنه لا يذكرني باسمي بل يلقبني بأحسن الألقاب"[335] كذلك كان يداعب الصغار

334- نفس المرجع السابق، ص 53-58.

335 – نفس المرجع السابق ، ص48 بتصرف.



ويلاطفهم وكان من تواضعه أنه إذا خرج مع بعض تلاميذه لقراءة الحديث "كان هو بنفسه يحمل الكتاب ولا يدع أحداً يحمله فلما قيل له في ذلك وأنهم يخافون من سوء الأدب فيقول: لو حملته على رأسي لكان ينبغي ألا أحمل ما فيه كلام رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم؟ وكان يجلس تحت الكرسي ويدع صدر المجالس فيعجب تلاميذه من تواضعه ورفعهم عليه في المجلس"[336] وكان هذا حاله مع غيره ممن يتعامل معه حتى كانت محبته في قلوب كل من رآه أو سمع به.

وأما أقواله: فهي عبارات رقراقة قالها فحفظت عنه وانتشرت وهي إما أن تكون تلخيصاً لفكرة أو دعوة لفضيلة أو تشجيعاً لعبادة أو توضيحاً لأمر وأحياناً تخرج منه تلقائياً أثناء جوابه لسؤال أو تعليقه على موقف معين وهي نتيجة لتبحره في العلوم وتمكنه منها وإن انتشار تلك العبارات دليل على إخلاصه؛ حيث وسائل نقل المعلومات محدودة في تلك الأزمان ولكنها انتشرت وعرفت عنه ولا يمكن لباحث جمعها كلها إلا بمشقة لتناثرها ... ولو جمعت لكانت في مجلدة ضخمة و"لابن تيمية كلام خاص يستميل العقول، وله عبارات أخاذة مؤثرة تعلم بالاستقراء أنها لابن تيمية فمن سبر كتبه وقرأ رسائله وتبحر في علومه حفظ له مصطلحات وجمل وكلمات كأنها من الأمثال عند الشعراء أو من الشواهد عند البلغاء حتى تصلح أن تكتب في براويز وأن تعلق من جودتها ومن سطوعها"[337]ومن هذه العبارات:

- " المؤمن مأمور بأن يفعل المأمور ويترك لمحظور يصبر على المقدور"[338]
- " الذكر للقلب مثل الماء للسمك"[339]

336 – نفس المرجع السابق، ص49 بتصرف.

337 – د. عائض القرني، على ساحل ابن تيمية ص54، مرجع سابق.

338 – شيخ الإسلام ابن تيمية، الرسالة التدمرية، تحقيق زهير الشاويش، ص139، المكتب الإسلامي، ط5، بيروت – لبنان، دمشق – سوريا، 1408هـ – 1988م، الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ1 ص85، مرجع سابق.

339 – الإمام ابن القيم، الوابل الصيب، ص70-71،تحت الفائدة السادسة عشرة ، مرجع سابق.



- " إن في الدنيا جنة[340] من لم يدخلها[341] لا يدخل جنة الآخرة"[342]
- " المحبوس من حبس قلبه عن ربه تعالى والمأسور من أسره هواه"[343]
- " ما يصنع أعدائي بي؟! أنا جنتي وبستاني في صدري[344] أين رحت فهي معي لا تفارقني ؛ إن حبسي خلوة وقتلي شهادة وإخراجي من بلدي سياحة"[345]
- "العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة"[346].
- "النفس لا تزكو وتصلح حتى تمحص بالبلاء كالذهب الذي لا يخلص جيده من رديئه حتى يفتن في كير الامتحان"[347]
- "الطاعة والعبادة هي مصلحة العبد التي فيها سعادته ونجاته"[348]
- " ما يقوم بالقلب من الشعور والحال يوجب أموراً ظاهرة، وما يقوم بالظاهر من سائر الأعمال يوجب للقلب شعوراً وأحوالاً"[349]
- " المشاركة في الهدي الظاهر تورث تناسباً وتشاكلاً بين المتشابهين يقود إلى موافقة ما في الأخلاق والأعمال"[350]
- " كل قائل إنما يحتج لقوله لا به إلا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم"[351]

---

340 – معرفة الله ومحبته والطمأنينة بذكره والفرح والابتهاج بقربه والشوق إلى لقائه .

341 – أي: من لم يتصف بها في الدنيا.

342 – الإمام ابن القيم، الوابل الصيب، ص 79، مرجع سابق،الإمام ابن القيم,مدارج السالكين,جـ1ص365 ,مرجع سابق .

343 – الإمام ابن القيم ، الوابل الصيب ، ص 79 ، مرجع سابق .

344 – يعني بذلك: إيمانه وعلمه.

345 – نفس المرجع السابق، الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، العلماء العزاب، ص177، مرجع سابق.

346 – الإمام ابن تيمية، الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مجموعة التوحيد، الإمام ابن تيمية، رسالة العبودية، تصحيح الشيخ عبد الله الأنصاري، ص 385، دار العروبة للطباعة والنشر والتوزيع، بدون ط، الدوحة – قطر، بدون ت

347 – الإمام ابن القيم، الفوائد، تحقيق محمد عبد القادر الفاضلي، ص 254، المكتبة العصرية، بدون ط، صيدا، بيروت – لبنان، 1422هـ – 2001م.

348 – الإمام ابن تيمية التفسير الكبير، جـ2 ص330، مرجع سابق.

349 – الإمام ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم ، جـ1 ص92، مرجع سابق .

350 – نفس المرجع السابق، ص93.

351 – الحافظ البزار، الأعلام العلية، ص29، مرجع سابق.



- " ما ينبغي أن يمنع العلم ممن يطلبه"[352]
- " لن يخاف الرجل غير الله إلا لمرض في قلبه"[353]
- "الإمامة في الدين موروثة عن الصبر واليقين"[354]
- "حصول العلم في القلب كحصول الطعام في الجسم"[355]
- "لا ينال الهدى إلا بالعلم ولا ينال الرشاد إلا بالصبر"[356]
- "العبادة مبناها على الشرع والاتباع لا على الهوى والابتداع"[357]
- "كل نقمة منه عدل وكل نعمة منه فضل"[358]
- "من أراد السعادة الأبدية فليلزم عتبة العبودية[359]"
- "لا تجعل قلبك للإيرادات والشبهات مثل السفنجة فيتشربها فلا ينضح إلا بها ولكن اجعله كالزجاجة المصمتة تمر الشبهات بظاهرها ولا تستقر فيها فيراها بصفائه ويدفعها بصلابته[360]"
- "من فارق الدليل ضل السبيل ولا دليل إلا بما جاء به الرسول[361]"

توليه التدريس:

تولى الإمام ابن تيمية منصب التدريس وهو شاب في العشرين من عمره وهو أمر ليس بجديد على تلك الأسرة المعروفة بالعلم.. فحياة الإمام ابن تيمية ونشأته الأولى بين يدي أسرته المعروفة بالعلم ونهله العلم منها ومن علماء عصره منذ صغره،

352 – نفس المرجع السابق، ص 61.
353 – نفس المرجع السابق، ص 66.
354 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج10 ص39، مرجع سابق.
355 – نفس المرجع السابق، ج4 ص41.
356 – نفس المرجع السابق ج10 ص40.
357 – نفس المرجع السابق ج1 ص80.
358 – نفس المرجع السابق، ج10 ص85.
359 – الإمام ابن القيم، مدارج السالكين ، ج1 ص347، مرجع سابق .
360 – الإمام ابن القيم، مفتاح دار السعادة، ج1 ص443,مرجع سابق.
361 – نفس المرجع السابق، ج1 ص304.

وكذلك ما ظهر عليه من نبوغ منذ صـــغره أهله لتولي منصـــب التدريس فقد كان المكان لــه مهيئاً وكرسي التدريس كان شاغراً حيث كان لأبيه مشيخة الحديث فلما توفي سنة 682هـــ تولى مكان أبيه بعد موته بسنة أي وعمره اثنتان وعشرون سنة مما جعله جديراً بأن يتبوأ أعلى المناصـب العلمية مع ما منّ الله تعالى عليه ووهبه من هبات تكونت بها شـخصـيته وهو مع هذا وذاك "كان يحضـر المدارس والمحافل في صغره فيناظر ويفحم الكبار ويأتي بما يتحيرون منه وأفتى وله أقل من تسع عشرة سنة وشـرع في الجمع والتأليف وبعد صـيته في العالم فطبق ذكره الآفاق وأخذ في تفسـير الكتاب العزيز أيام الجمع [في سنة 681هـــ] على كرسي من حفظه فكان يورد المجلس ولا يتلعثم وكذلك الدرس بتؤدة وصـوت جهوري فصـيح[362]" يبهر من سمع أو حضـر وحاله هذه مع حضـور كبار علماء عصـره له ومع ذلك لا يسـعهم عند انتهائه من درســه إلا أن يثنوا عليه وعلى درســه وكثرة فوائده ويبدون دهشــتهم من سـرعة بديهته واسـتحضـاره ثم ظل يترقى "بهذه الصـفات الشـخصـية وهذه المواهب وتلك المدارس وذلك العلم الغزير فألقى دروســه في الجامع الكبير بلســان عربي مبين فاتجهت إليه الأنظار واسـتمعت إليه أفئدة سـامعيه وانتقل كثيرون من المسـتمعين إلى تلاميذ مريدين متحمســين معجبين وصــار له من بينهم مخلصــون إخلاص الحواريين الصــديقين وكانت دروســه تجمع الموافق والمخالف والبدعي والســني ومعتنق مذاهب الجماعة ومذهب الشيعة فكثر تلاميذه وكثر سامعوه وكثر التحدث باسمه في المجالس العلمية.. ودروســـه وإن تعددت نواحيها تجمعها جامعة واحدة واتجاه واحد وهو إحياء ما كان عليه الصــحابة أهل القرن الأول الذي تلقى الإســلام صــافياً لم يرنق بأفكار غريبة ولم تدرس في نحل بائدة.. [بل] كان ينهج النهج الذي يعود بالإســلام إلى عهد الصحابة في عقائده وأصوله وفروعه[363]" وإن توليه تدريس العلوم الشرعية

---

362 – الإمام ابن الوردي، تتمة المختصر، ص 408 بتصرف، مرجع سابق.

363 – الشيخ محمد أبو زهرة، ابن تيمية، ص29-30بتصرف، مرجع سابق.



والدعوة إلى دين الإسلام والرد على الطاعنين: كافرين ومبتدعين ومقلدين جامدين ظل ملازماً له حتى صعدت روحه إلى باريها ولقد درَّس الناس وأفتاهم في الشام ومصر وأجاب على أسئلة واستشكالات كانت ترد إليه من سائر بقاع الأرض ومع كثرة ما يوجد في شروحه من إيضاحات وفوائد ولطائف إلا أنه لم يكن يستعد لشرح شيء معين فإنه "كان لا يهيئ شيئاً من العلم ليلقيه ويورده بل يجلس بعد أن يصلي ركعتين فيحمد الله ويثني عليه ويصلي على رسوله صلى الله عليه وسلم [إذ إنه] كان لا يذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قط إلا ويصلي ويسلم عليه على صفة مستحسنة مستعذبة ثم يشرع فيفتح الله عليه إيراد علوم وغوامض ولطائف ودقائق وفنون واستدلالات بآيات وأحاديث وأقوال العلماء ونصر بعضها وتبيين صحته أو تزييف بعضها وإيضاح حجته واستشهاد بأشعار العرب وهو مع ذلك يجري كما يجري السيل ويفيض كما يفيض البحر وذلك كله مع عدم فكر فيه أو روية من غير تعجرف ولا توقف ولا لحن بل فيض إلهي حتى يبهر كل سامع وناظر فلا يزال كذلك إلى أن يصمت ويقع عليه إذ ذاك من المهابة ما يرعد القلوب ويحير الأبصار والعقول وإذا فرغ من درسه يفتح عينية ويقبل على الناس بوجه طلق بشيش وخلق دمِث كأنه قد لقيهم حينئذٍ وربما اعتذر إلى بعضهم من التقصير في المقال مع ذلك الحال[364]" مع اختلاف منازل الحاضرين وعلمهم من "علماء ورؤساء وفضلاء من القراء والمحدثين والفقهاء والأدباء وغيرهم من عوام الناس[365]" ويصفه تلميذه الحافظ البزار بقوله: "ولقد كان إذا قرئ في مجلسه آيات من القرآن العظيم يشرع في تفسيرها فينقضي المجلس بجملته والدرس برمته وهو في تفسير بعض آية منها وكان مجلسه في وقت مقدر بقدر ربع النهار يفعل ذلك بديهة من غير أن يكون له قارئ معين يقرأ له شيئاً معيناً يبيته ليستعد لتفسيره بل كان من حضر يقرأ ما تيسر ويأخذ

364 – الحافظ البزار، الأعلام العلية، ص28–29 بتصرف، مرجع سابق.

365 – نفس المرجع السابق، ص29.



هو في القول على تفسيره وكان غالباً لا يقطع إلا ويفهم السامعون أنه لولا مضي الزمن المعتاد لأورد أشياء أخر في معنى ما هو فيه من التفسير لكن يقطع نظراً في مصالح الحاضرين[366]"مما جعل محبته في قلوب الناس على اختلاف مشاربهم وتنوع توجهاتهم؛ لما لمسوه من حرصه عليهم وعدم تكبره عليهم ومخالطته لهم، ولا يمنعه من تعليمهم حبس ولا ترسيم وكذلك لا يمنعه لقاء عدو أو أمن وسلم في وطنه أو خارجه أو كان على سفر.

من محراب العلم إلى ميدان القتال[367]:

العالم الرباني عابد لله تعالى في كل وقت وعلى أي حال فإن كان في المسجد فهو المعلم الواعظ المرشد وإن كان على منبر فهو الخطيب المصقاع وإن كان في الطريق فهو ذاكر لله عز وجل آمر بمعروف أو ناه عن منكر أو ناصح... وإن دعا داعي الجهاد كان أول الملبين وإن التحم الصفان كان هو المقاتل الصنديد والمدافع المقدام الشجاع وإن كان هناك مكان شاغر من أماكن المرابطة كان السابق إليه؛ لعلمه بفضله وأهميته كما أن العالم يدخل بين الصفوف يشجع الجنود ويعلي من هممهم ويتلو عليهم آيات الجهاد والشهادة والمرابطة ويعدهم بالنصر الذي وعد ربهم وكان هذا حال الإمام ابن تيمية فمع أنه يعلِّم فهو يقاتل ولقد "كان الإمام ابن تيمية عاكفاً على الدرس والفحص والوعظ والإرشاد وبيان الدين صافياً نقياً كما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم وكما تلقاه السلف الصالح رضوان الله سبحانه وتعالى عليهم أجمعين ومع عكوفه على الدرس كان متصلاً بالحياة والأحياء يقيم الحسبة ويبلغ ولاة الأمر إن رأى أمراً يوجب تبليغهم .. [هذا وإن] ذلك العالم الجليل ما كان يشغله درسه عن شؤون الدين العامة والقيام على حراسته وحمايته من

366 – نفس المرجع السابق، ص21.

367 – الشيخ محمد أبو زهرة، ابن تيمية، ص36، مرجع سابق.



المتهجمين عليه وأنه في سبيل حمايته لا يخشى في الله لومة لائم[368]"فالعالم العامل الرباني يحمل بيده مصحفاً وسيفاً في الأخرى إذ هما بالنسبة إليه كجناحي الطائر لا يغني أحدهما عن الآخر وإن وقوفه في ميدان القتال وشجاعته قد ضربت بها الأمثال وهذا مما لا يختلف فيه اثنان سواء ممن عاصروه أو ترجموا لـه فكان ينزل منزل الموت عند اللقاء ولا يراه المحاربون إلا بعد انتهاء المعركة وفي أثنائها من يراه يرى أسداً هصوراً مندفعاً يصول ويجول ويقاتل الأعداء طالباً الشهادة وإن رأى من الجنود وهناً أو ضعفاً أو جبناً شجعهم وثبت قلوبهم من خلال تلاوته عليهم آيات الجهاد وبما يرونه من قتاله وبسالته. وإن تتبع كل المعارك والوقائع التي شهدها الإمام أو حصر مواقفه الشجاعة ليست من السهولة بمكان وبفرض حصرها فجمعها وسردها يحتاج إلى كتابة مسهبة ولكن الذي يمكننا هو الإشارة إلى بعض تلك المواقف الدالة على شجاعته وجرأته مع الأعداء على اختلاف مشاربهم وتنوعهم كما يلي:

1- جهاده وقتاله ضد التتار وهو الأغلب.

2- جهاده وقتاله ضد النصارى.

3- جهاده ضد الروافض والمعتدين.

أما جهاده ضد التتار فمعروف ومشهور فمن ذلك موقفه من غازان ملك التتر حيث ذهب إليه هو ووفد من أعيان دمشق في 699هـ حيث أغلظ له القول وكان ذلك الموقف سبباً في عدم اعتداء ذلك الملك على دمشق وكذلك بعد رحيل التتار خاف الناس من عودتهم مرة أخرى فاجتمعوا حول الأسوار لحفظ البلاد وكان الإمام يدور عليهم كل ليلة يثبت قلوبهم ويصبرهم وبعد ذلك في سنة 7..هـ لما طارت شائعة قدوم التتار مرة ثانية لغزو الشام وخاف الناس وهرب كثير من الأعيان والأمراء والعلماء ولكن الإمام ابن تيمية جلس في الجامع يحرض الناس على القتال والنهي عن الفرار ويحثهم على فضل الإنفاق في سبيل الله. وكما تسامعت الأخبار

368 – نفس المرجع السابق.

بأن السلطان تراجع عن الحرب سافر إليه الإمام وأتى مصر ليحثه على الجهاد ويثبت قلبه ووعده بنصر الله عز وجل ثم خاطب السلطان بلهجة غليظة قائلاً له: "إن كنتم أعرضتم عن الشام وحمايته أقمنا سلطاناً يحوطه ويستغله في زمن الأمن[369]" ولقد ظهرت شجاعة الإمام ابن تيمية ولمعت في جهاده في نوبة شقحب سنة 7.2هـ بتحريضه على القتال وبتثبيت السلطان والأمراء والجنود ووعده إياهم بالنصر وكان يقبل على الخليفة تارة وعلى السلطان أخرى ويربط جأشهما ويشجعهما حتى كتب الله النصر للمسلمين فارتفعت منزلة الشيخ وعلا قدره عند العامة والخاصة وعرفوا فضله ودوره في إحراز النصر. وأما جهاده ضد النصارى: فقد حكى تلميذه وصاحبه الحافظ البزار عمَّن رأوا الشيخ وشاهدوه في جهاده ضد النصارى فقال: "وحدثوا أنهم رأوا منه في فتح عكة أموراً من الشجاعة يُعجز عن وصفها.

قالوا: ولقد كان السبب في تملك المسلمين إياها بفعله ومشورته[370]" وكان ذلك في سنة 69.هـ وكان عمره أقل من ثلاثين سنة وهذا ليس بمستغرب فقد عرف وهو صغير واشتهر أمره وتناقلت الأخبار في البلدان منذ نعومة أظفاره بإلقائه الدروس وإفحامه لخصومه كما اشتهر وهو دون العشرين وجلس مجلس التفسير وهو في نفس سن قتاله مع النصارى فلابد وأنه قد شارك معهم وعرف أمره واشتهر في تلك المعركة لما نادى منادي الجهاد فاستعد المسلمون للقتال "ونودي في دمشق: الغزاة في سبيل الله إلى عكة... وخرجت العامة والمتطوعة يجرون في العجل حتى الفقهاء والمدرسين والصلحاء... وخرج الناس من كل صوب[371]" ومن جهاده ضدهم أنه "لما ظهر السلطان غازان على دمشق المحروسة جاءه ملك الكُرج وبذل له أموالاً كثيرة جزيلة

369 – الإمام ابن كثير، البداية والنهاية، جـ14 ص15، مرجع سابق.
370 – الحافظ البزار، الأعلام العلية، ص62–63، مرجع سابق.
371 – الإمام ابن كثير، البداية والنهاية، جـ13 ص320، بتصرف، مرجع سابق.



على أن يمكنه من الفتك بالمسلمين من أهل دمشق ووصل الخبر إلى الشيخ فقام من فوره وشجع المسلمين ورغبهم في الشهادة ووعدهم بالنصر والظفر والأمن وزوال الخوف فانتُدب منهم رجالٌ من وجوههم وكبرائهم وذوي الأحلام منهم فخرجوا معه إلى حضرة السلطان غازان فلما رآهم السلطان قال: من هؤلاء؛ فقيل: هم رؤساء دمشق فأذن لهم فحضروا بين يديه فتقدم الشيخ رضي الله عنه أولاً فلما أن رآه أوقع الله له في قلبه هيبة عظيمة حتى أدناه وأجلسه وأخذ الشيخ في الكلام معه أولاً في عكس رأيه عن تسليط المخذول ملك الكرج على المسلمين وضمن له أموالاً وأخبره بحرمة دماء المسلمين وذكره ووعظه فأجابه إلى ذلك طائعاً وحقنت بسببه دماء المسلمين وحميت ذراريهم وصين حريمهم[372]" فجهاده ضد النصارى كان مباشرة بالسيف كما كان غير مباشر عن طريق دفع ضررهم وإحباط محاولتهم الفاشلة في الاستيلاء على المسلمين من قبل التتار.

وأما جهاده ضد الروافض والمعتدين فمن ذلك في سنة 7.4هـ حيث إنه "لم يزل الشيخ –رحمه الله– قائماً أتم قيام على قتال أهل جبل كِسْروان وكتب إلى أطراف الشام في الحث على قتالهم وأنها غزاة في سبيل الله ثم توجه هو بمن معه لغزوهم بالجبل وبصحبته ولي الأمر نائب المملكة ومازال مع ولي الأمر في حصارهم حتى فتح الله الجبل وأجلى أهله[373]" ونصره الله عليهم وأخمد فتنتهم وألزمهم اتباع الشريعة المطهرة قولاً وعملاً واعتقاداً.

مكانته ومرتبته الاجتهادية:

لقد تبوأ الإمام ابن تيمية مكانة علمية عالية مرموقة، وظل طوال حياته يترقى حتى صار أعلم أهل زمانه بالمعقول والمنقول وكانت لـه اليد الطولى في التصنيف كما كان مبرزاً في علوم اللغة وكان علماً في الجهاد والإصلاح والصلاح شهد بذلك كل

372 – الحافظ البزار، الأعلام العلية، ص63-64بتصرف، مرجع سابق.

373 – 373 الإمام ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص148 – 149 بتصرف، مرجع سابق.



مَنْ رآه أو تعامل معه و"لقد أجمع الذين عاصـروه على قوة فكره وسـعة علمه وأنه بعيد المدى عميق الفكرة يستوي في ذلك الأولياء والأعداء؛ فإن تلك القوة الفكرية هي التي أثارت الأولياء لنصرته وأثارت الأعداء لعداوته[374]" و"أما معرفته بصحيح المنقول وسقيمه فإنه في ذلك من الجبال التي لا ترتقى ولا ينال سنامها فقلَّ أن ذكر لـه قول إلا وقد علمه بمبتكره وذاكره وناقله وأثره... حتى كان إذا ذكر آية أو حديثاً وبين معانيه وما أريد به أعجب العالم الفطن من حسن استنباطه ويدهشه ما سمعه أو وقف عليه منه[375]" ووصـف بأنه كان غزير العلم "أما غزارة علومه فمنها: ذكر معرفته بعلوم القرآن المجيد واستنباطه لدقائقه ونقله لأقوال العلماء في تفسيره واستشهاده بدلائله وما أودعه الله تعالى فيه من عجائب وفنون حكمه وغرائب نوادره وباهر فصاحته وظاهر ملاحته فإنه فيه الغاية التي ينتهى إليها والنهاية التي يعول عليها"(4) وقد قال أحد أصحابه وتلاميذه ممن يكبره سناً[376] "ولا يعرف حقه وقدره إلا من عرف دين الرسول صلى الله عليه وسلم وحقه وقدره[377]" فمكانته العلمية كانت في الذروة من العلماء وكان مرجع الناس في العلوم العقلية والنقلية.

وأما مرتبته الاجتهادية فإنه قد بلغ مرتبة اجتهادية عالية وهذه المنزلة هي أنه من كبار المجتهدين المنتسبين إلى مذهب الحنابلة في الفقه و"إنه بلا شك من حيث أدوات الاجتهاد والمدارك الفقهية ومن حيث علمه بالسنة واللغة ومناهج التفسير وفهمه للقرآن وأصول السنة وإحاطته بالحديث دراية ورواية يوضع في الدرجة الأولى من الاجتهاد: فإن نظرنا إلى ذلك وحده فسنضعه في مرتبة المجتهدين المستقلين ولكن نجده قد سلك في استنباطه مسلك الإمام أحمد في الجملة متقيداً بأصوله

374 – الشيخ محمد أبو زهرة، ص93، مرجع سابق.

375 – الحافظ البزار، الأعلام العلية، ص30 بتصرف، مرجع سابق.

376 – نفس المرجع السابق، ص21.

377 – الإمام الشيخ الزاهد عماد الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم الواسطي المعروف بابن شيخ الحزامين.



وفوق ذلك أن الذي انفرد به لا يعد كثيراً بل نادراً لا يكاد ينفرد كما نوهنا فإن تقيدنا بهذه الناحية فإنا بمقتضى القواعد المقررة نضعه ضمن المجتهدين في المذهب الحنبلي إنه بلا شك قد استوفى في شخصه كل شروط المجتهد المطلق من الأدوات والعلم والمدارك ولكن من ناحية الموضوعات التي وصل فيها إلى نتائج مخالفة ومن حيث منهاجه نجدها لا تخرج به عن الإطار المذهبي[378]" وهذه المرتبة العلمية والاجتهادية إنما وصل إليها "نظراً لاستبحاره في السنة وتفسير القرآن وعلوم السلف[379]" ونتيجة لعلو كعبه في العلوم الشرعية فإنه أصبح في آخر عمره لا يتقيد بمذهب معين بل بما أداه إليه اجتهاده وقد وصفه تلميذه الإمام الذهبي بقوله:"وبقي عدة سنين لا يفتي بمذهب معين بل بما قام الدليل عليه عنده"[380] ويرجع هذا لرفعة شأنه وعلو كعبه وتبحره في العلوم الشرعية والعقلية حيث تأتي إليه الفتاوى فيفتي بما أداه إليه اجتهاده وإدراكه مع إحاطته بعلوم السلف ولربما خرج من نتائج فتاواه لموافقة إمام من الأئمة المتبوعين أو وافق عالماً من سلف هذه الأمة من غير تقليد "وإن القارئ لفقه ابن تيمية في كل أبوابه يلمح فيه عقلية الفقيه المجتهد الذي تحرر من القيود المذهبية في دراسته ولا يلمح فيه المقلد التابع من غير بينة وبرهان فهو في فتاويه متخير مستنبط كما هو في اختياراته بيد أنه في اختياراته لا يتقيد بمذهب وفي فتاويه يتقيد بالمذهب الحنبلي[381]" وهذا ما يؤكد أن الإمام ابن تيمية: "مجتهد منتسب[382]" أي منتسب لمذهب الحنابلة في الفقه ولكنه من أهل الاجتهاد فيه هذا بالنسبة للفقه أما في الاعتقاد فهو على مذهب السلف الصالح مذهب أهل السنة والجماعة وهذا هو الصواب.

---

378 – الشيخ الواسطي، التذكرة والاعتبار، ص28، مرجع سابق.

379 – الشيخ محمد أبو زهرة، ابن تيمية، ص439-440، مرجع سابق.

380 – نفس المرجع السابق، ص448.

381 – الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، العلماء العزاب، ص168، مرجع سابق، الشيخ ابن الوردي، تتمة المختصر، جـ2 ص409، مرجع سابق، الإمام ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، جـ6 ص81، مرجع سابق.

382 – الشيخ محمد أبو زهرة، ابن تيمية، ص438، مرجع سابق



أقوال العلماء فيه:

لقد أثنى كبار علماء عصر الإمام ابن تيمية عليه وأكثروا من ذلك؛ لما لمسوه من جمعه بين القول والعمل وبين الإمامة في الدين والزهد في الدنيا بزخارفها وبما رأوا منه من موافقة للسلف الصالح وإحيائه لهديهم وحمله راية الجهاد في سبيل الله ولو أردنا استقصاء كل من أثنى عليه من علماء عصره ومن أتى بعده لما استطعنا إلى ذلك سبيلاً؛ نظراً لكثرة من أثنى عليه من علماء عصره أو من أتى بعدهم أما ما يتعلق بعلماء عصره فإننا "نستطيع أن نقول: إن كل علماء عصره علموا قدر علمه حتى من ناوأه وحاول إيذاءه؛ لأنه قد ضاق صدره حرجاً بمخالفته وما يأتي به من جديد وإن لم يستمد من القديم قوته فلم يوافق عليه[383]"ولنقتبس بعضاً من تلك المشكاة والتي تكونت من العلماء الذين أثنوا عليه فمن هؤلاء:

الإمام ابن دقيق العيد: "لما اجتمعت بابن تيمية رأيت رجلاً كل العلوم بين عينيه يأخذ ما يريد ويدع ما يريد وقلت له: ما كنت أظن أن الله بقي يخلق مثلك[384]"

ومنهم الإمام الذهبي: "كان آية من الذكاء وسرعة الإدراك رأساً في معرفة الكتاب والسنة والاختلاف، بحراً في النقليات هو في زمانه فريد عصره علماً وزهداً وشجاعة وسخاءً وأمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر وكثرة تصانيف[385]" وقال أيضاً: "وهو أكبر من أن ينبه على سيرته مثلي فلو حلفت بين الركن والمقام لحلفت أني ما رأيت بعيني مثله وأنه ما رأى مثل نفسه في العلم[386]"

وقال الإمام علم الدين البرزالي: : "كان إماماً لا يلحق غباره في كل شيء وبلغ رتبة الاجتهاد واجتمعت فيه شروط المجتهدين[387]"

383 – نفس المرجع السابق، ص448، 507، 450–508.
384 – الإمام مرعي الكرمي، الكواكب الدرية، ص56، مرجع سابق.
385 – نفس المرجع السابق، ص62.
386 – الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، العلماء العزاب، ص167، مرجع سابق
387 – الإمام مرعي الكرمي، الكواكب الدرية، ص59، مرجع سابق.

وقال الإمام ابن الزملكاني: "اجتمعت فيه شـروط الاجتهاد على وجهها وأن لــه اليد الطولى في حسن التصنيف وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتدين وكتب على تصنيف له هذه الأبيات:

مـاذا يقول الواصـفون لـه — وصـفاته جلت عن الحصر
هـو حـجـةٌ لله قـاهـرة — هـو بيننا أعجوبة الدهر
هـو آيـة في الخلق ظـاهـرة — أنوارها أربت على الفجر[388]

وقال الإمام ابن سيد الناس: "ألفيته ممن أدرك من العلوم حظاً وكان يستوعب السـنن والآثار حفظاً إن تكلم في التفسـير فهو حامل رايته وإن أفتى في الفقه فهو مدرك غايته أو ذاكر بالحديث فهو صـاحب علمه وذو روايته أو حاضـر بالنحل والملل لم يُر أوسـع من نحلته ولا أرفع من درايته، برز في كل فن على أبناء جنسـه ولم ترعين من رآه مثله ولا رأت عينه مثل نفسه[389]

وقال الإمام المزي: "ما رأيت مثله ولا رأى مثل نفسـه وما رأيت أحداً أعلم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا أتبع لهما منه[390]"

وقال الإمام ابن الحريري[391] "إن لم يكن ابن تيمية شـيخ الإسـلام فمن هو[392]؟!"

وقال أبو حيان النحوي: "ما رأت عيناي مثله ثم مدحه أبو حيان على البديهة لما اجتمع به في المجلس فقال:

لما أتينا تقي الدين لاح لنا — داعٍ إلى الله فرد ماله وزر
على محياه من سيما الأولى صحبوا — خير البرية نور دونه القمر

388 – الإمام ابن كثير، البداية والنهاية، جـ14 ص137، مرجع سابق.

389 – الإمام ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، جـ6 ص82، مرجع سابق.

390 – نفس المرجع السابق، ص84.

391 – الإمام الشيخ قاضي القضاة أبو عبد الله محمد بن عثمان بن أبي الحسن الأنصاري الحنفي تولى قضاء مصر والشام، توفي سنة 728هـ.

392 – الإمام مرعي الكرمي، الكواكب الدرية، ص56، مرجع سابق.



حبر تســـربـل منـه دهره حبراً	بحر تقـاذف من أمواجـه الـدرر
قام ابن تيمية في نصـــر شـــرعتنا	مقام ســـيد تيم إذ عصـــت مضـــر
فـأظهـر الحق إذ آثاره درســـــت	وأخمد الشـــر إذ طارت لــــــه الشـــرر
كنـا نحـدث عن حبر يجيء فهـا	أنـت الإمـام الـذي قـد كـان يُنتظر

وقال الإمام ابن الوردي:

إن ابـــن تـــيـــمـــيـــة في	كـــل الـــعـــلـــوم أو حـــد
أحـــيـــيـــت ديـــن أحمـــدٍ	وشـــــــرعـــه يا أحمـــد[393]

فهذه بعض النقول عن تلك الأعلام من كبار علماء عصره والذين شاهدوه وعاصـــروه وقالوا ما قالوه فيه بعد الاجتماع به وأما أقوال المتأخرين فكثيرة جداً وإنما ينقلون عن هؤلاء الأئمة الأعلام وبعضـــهم يقول فيه من خلال مؤلفاته وتراجمه ومن هؤلاء المتأخرين عنه الإمام ابن رجب الحنبلي[394]: "الإمام الفقيه المجتهد المحدث الحافظ المفســـر الأصـــولي الزاهد شـــيخ الإســـلام وعلم الأعلام وشـــهرته تغني عن الإطناب في ذكره والإسهاب في أمره[395]

والإمام ابن حجر العسـقلاني[396] بقوله: "قرأ بنفسه ونسـخ سـنن أبي داود وحصـــل الأجزاء ونظر في الرجال والعلل وتفقه وتمهر وتميز وتقدم وصـــنف ودرس وأفتى وفاق الأقران وصـار عجباً في سـرعة الاسـتحضـار وقوة الجنان والتوسـع في المنقول والمعقول والاطلاع على مذاهب السلف والخلف[397]

393 – نفس المرجع السابق، ص 56-57.

394 – الإمام الحافظ الفقيه الشيخ زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي، كان ذا عبادة وصلاح وله مؤلفات قيمة سارت بها الركبان منها جامع العلوم والحكم وشرح لصحيح مسلم والذيل على طبقات الحنابلة، توفي سنة 795هـ.

395 – الإمام ابن رجب الحنبلي، الذيل على طبقات الحنابلة، جـ2 ص387، مرجع سابق.

396 – الإمام الحافظ الفقيه المفسر أمير المؤمنين في الحديث شيخ الإسلام أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، صاحب اليد الطولى في التأليف والتصنيف، ومؤلفاته قيمة ومليئة بالفوائد منها فتح الباري وهو من أجلها ومنها التلخيص الحبير والدرر الكامنة، توفي سنة 852هـ

397 – الإمام ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ1 ص 144-145، مرجع سابق.



والإمام السيوطي بقوله: "شيخ الإسلام أحد المجتهدين[398]" والإمام الشوكاني[399] بقوله: "شيخ الإسلام إمام الأئمة المجتهد المطلق[400]" والشيخ محمد أبو زهرة بقوله: "الإمام الجريء، العالم الكاتب الخطيب المجاهد[401]" كما وصفه بأنه مجتهد منتسب لمذهب الحنابلة[402] كما وصفه الإمام مرعي الكرمي[403] بقوله: "شيخ الإسلام وبحر العلوم ومفتي الفرق المجتهد تقي الدين ابن تيمية[404]" وغيرهم الكثير والكثير ممن ترجموا لهذا الإمام فمنهم من ترجمه في كتاب من كتبه ومنهم في أكثر من ذلك كما أن من يترجمون لحياة هذا الإمام إما تكون ترجمة لجانب معين: علمي أو فقهي أو تربوي أو عقدي أو إصلاحي وإما ترجمة عامة لحياته مما يدل على علو كعبه ورفعة شأنه بين العلماء المتقدمين والمتأخرين.

المطلب العاشر: دوره الإصلاحي والجهادي وسبب محنته:

دوره الإصلاحي: هناك ثمة فرق بين المصلحين والصالحين: فالمصلحون يبنون الأجيال والجماعات والأمم بينما الصالحون لا يبنون إلا أنفسهم وشأن المصلحين عظيم؛ إذ إنه يرتبط بمصير أمته وإن إماماً كالإمام ابن تيمية كان من كبار المصحلين؛ لأنه ما تخلى عن أمته وعكف على كتبه ودرسه بل شارك أمته همومها وأفراحها وتمثل إصلاحه في أمور خارجية لها ارتباط بالأمم الأخرى .

398 – الإمام السيوطي، صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام، تحقيق د. علي النشار، السيدة سعاد علي عبد الرازق، سلسلة إحياء التراث الإسلامي– مجمع البحوث الإسلامية، ص 33، دار النصر للطباعة، بدون ط، القاهرة – مصر، سنة 1970.

399 – الإمام المجتهد الفقيه المحدث الشيخ محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، من أكابر علماء اليمن، صاحب التصانيف النافعة منها: نيل الأوطار وشرح الصدور والبدر الطالع وله فتاوٍ كثيرة، توفي سنة 1250هـ

400 – الإمام الشوكاني، البدر الطالع، جـ1 ص63، مرجع سابق.

401 – الشيخ محمد أبو زهرة، ابن تيمية، المقدمة ، ص4 ، مرجع سابق.

402 – نفس المرجع السابق، ص450،448، 507-508.

403 – الإمام الفقيه الشيخ مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن يوسف الكرمي ثم المقدسي الحنبلي، من كبار الحنابلة في عصره كان ذا معرفة بالحديث وعلومه والعقائد وعلم الكلام والأدب والشعر، أفاد خلقاً كثيراً وكان له دور في تعليم الناس وإصلاحهم، له رسائل في تفسير القرآن وعلومه وفي اللغة والكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية، توفي سنة 1033هـ.

404 – الإمام مرعي الكرمي، الكواكب الدرية، ص51، مرجع سابق.



فمن الأمور الداخلية يبرز دوره الإصـــلاحي في نشـــر العلم وتعظيم الكتاب والسـنة وتوقير أئمة السـلف الصـالح وذلك بالتطبيق العملي للاقتداء والاتباع ونَبْذِ التقليد ومن ذلك أيضاً فتح باب الاجتهاد ومن الأمور الداخلية أيضاً القضاء على بعض البدع والتي قد تسربت إلى الأمة الإسلامية وكذلك حثه للسلطان على قتال الطوائف الممتنعة عن تطبيق الشـــريعة وإفتاؤه بأن قتالهم هو من جنس قتال الخوارج الذين قاتلهم علي رضـي الله عنه ومن جنس الذين قاتلهم أبو بكر الذين امتنعوا من إعطاء الزكاة ومن تلك الطوائف من يكونون ذوي شوكة فيحاربون من قبل السلطان ومنهم غير ذلك فيجادلون بالحجة ويقارعون حتى يرجعوا إلى أحكام الشريعة المطهرة ومن الأمور التي كان له دور في إظهارها أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر بدءاً من السـلطان والأمراء بحثهم على تطبيق الشـرع وإقامة حكم الله سـبحانه وتعالى ومروراً بالعلماء والقضـاة ودروه في اختيار بعضـهم إذا طلب منه الأمير ذلك وانتهاءً بالعامة و تعليمهم ســـواء في المســـجد أو في الســـوق أو في الحياة العامة حتى في الحبس والسجن ودعوتهم لفعل الخيرات وترك المنكرات.

ومن الأمور الخـارجيـة والتي هي متعلقـة بالأمم الأخرى دحض افتراءات المعتدين وتفنيد شبهاتهم ورده عليهم تارة ودعوتهم إلى الإسلام تارة أخرى وأيضاً كان لـــــه دور في محاربة البدع الوافدة على المسـلمين من أمور التشـبه والأعياد وتقديس المخلوقات كما في كتابه: اقتضـاء الصـراط المستقيم ومنها أيضـاً الرد على من يسـب النبي محمداً صـلى الله عليه وسـلم كما في كتابه الصـارم المسـلول على شـاتم الرسـول صـلى الله عليه وسـلم وقد بارك الله لهذا الإمام في مسـعاه فما قبضـت روحه إلا وقد طبقت شـهرته الأرض شـرقاً وغرباً وكان لكلامه وأحواله وتآليفه أبلغ الأثر في إحياء الأمم ونهضـة الشـعوب وإيقاظ الهمم حتى إنه لقد اعتنق آراءه الإصـلاحية كثير من العلماء بعده واستنار المجددون بهداه لما التزم به من التقيد بالكتاب والسنة على فهم علماء هذه الأمة من السـلف السـابقين وممن اتبعهم بإحسـان كما قامت حركات

إصــلاحية في شــتى بقاع الأرض وأقامت مبادءها على تلك الأصــول والقواعد التي أسسها ذلك الإمام العملاق.

أما جهاده : فهو غرة في تاريخ ذلك الإمام حتى إنه ليكاد أن تكون حياته كلها جهاد ســواء على المســتوى الداخلي أم الخارجي وقد مرت المواقف الجهادية والقتالية وسبقت الإشارة إلى شجاعته وجرأته مع التتار أو مع النصارى أو حتى مع الفرق المبتدعة الضــالة ذات الشــوكة الخارجة عن الســلطان وكذلك من جهاده بالكلمة أمام الحكام؛ لإلزامهم بتطبيق الأحكام الشرعية.

أما محنه: وهي التي كانت ملازمة له في حياته و"لسـنا نقصـد بمحنة الشـيخ إهانته، فقد عاش – رحمه الله- معززاً مكرماً حتى في محبســـه فحيثما حل كان الإجلال والاحترام، وإنما نقصد بالمحنة: الحبس وتقييد حريته في الخروج والدعوة[405]" إذ العالم أشد شيء على نفسه حبسه عن تبليغ شرع الله وعدم تعليمه الناس والمسلم يبتليه الله ســبحانه وتعالى بابتلاءات وهي "محن من الله تعالى يبتليه بها ففرضــه فيها الصبر والتسلي[406]" وهي في ظاهرها محن ولكنها منح وعطايا في صورة بلايا وإنما ابتلي هذا الإمام بتلك المحن على مر سني عمره؛ نظراً لأنه قد" بلغت مكانته الذروة فقد علا على المنافســة وصــار اسمه في كل مكان وكان ذا عزيمة من حديد ولســان ذرب قوي وإرادة عاملة وقد كان ذلك لمصلحة الإسلام والمسلمين وقد أثارت منزلته حقد من لم يبلغ شأوه من هذه الصفات ولم يصل على مرتبته منها[407]" فصدعه بالحق مع إخلاصــه جعلاه كالشــامة بين علماء عصــره والذين قبعوا على التقليد الأعمى أو التعصــب المقيت أو الهوى طمعاً في منصــب لا يدوم "وهكذا نجد ابن تيمية المصــلح والمربي يدخل في معركة متعددة الجبهات ويحارب على مختلف الواجهات دفاعاً عن مصدرية القرآن والسنة ودحضاً لكل وساطة مهما كان شكلها

405 – الشيخ محمد أبو زهرة، ابن تيمية، ص49، مرجع سابق.

406 – الإمام ابن القيم، الوابل الصيب، ص7، مرجع سابق.

407 – الشيخ محمد أبو زهرة، ابن تيمية، ص49 بتصرف، مرجع سابق.



وصاحبها مما ألب عليه خصومه من المذاهب والطرق وسلطان زمانه الذي أدخله سجنه حتى مات فيه رحمه الله، لكنه ترك لنا تراثاً ضخماً يؤصل فيه للمنهج التوحيدي في مجال التدين وتربية الناس عليه شكل مادة مرجعية هامة للحركات الإصلاحية التي جاءت بعد[408]" وعلى كل فمحن هذا الإمام جعلها الله – سبحانه- منحاً عليه وعلى من حل ومكث عندهم فلما "سار إلى مصر وكان ذلك سنة 7.5هـ وحيثما حل كان نوراً وهداية: فعندما مر بغزة عقد في جامعها مجلساً كبيراً وألقى درساً من دروسه الحكيمة... وكذلك في سنة 7.7هـ قام بالتدريس في مصر حتى نفع الله به خلقاً كبيراً ورأوا فيه رجلاً خالصاً في قلبه وعقله لله رب العالمين[409]" ولكن كان ما كان من أصحاب الحسد الدفين في قلوب المرضى من هؤلاء إنما كان لجهره بكلمة الحق وخضوعهم ولأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر وتركهم ولمحبة الناس له بل إن منهم من وشى ضده عند ذوي السلطان؛ لأنه خالفهم في آرائهم كغلاة المتصوفة والمبتدعة وجهلة المقلدة وأصحاب المناصب والخائفين على أماكنهم والذين قد باعوا دينهم بدنيا غيرهم.

وكذلك حياة الإمام منظومة من المحن تتابعت عليه حيث إنه سجن سبع مرات[410] أربع مرات بمصر: بالقاهرة والإسكندرية، وثلاث مرات بدمشق وكانت بداية السجن له حينما بلغ الثانية والثلاثين من عمره وبعد عودته من الحج حيث بدأ تعرضه لأخبثة السجون وبلايا الاعتقال والترسيم عليه "أي: الإقامة الجبرية" خلال أربعة وثلاثين عاماً ابتداءً من عام 693هـ إلى يوم وفاته في سجن القلعة بدمشق يوم الإثنين 2. ذي القعدة سنة 728هـ ولسجناته أسباب متعددة : أما السجنة الأولى فكانت بدمشق عام 693 هـ لمدة قليلة وكانت بسبب واقعة

408 – الأستاذ فريد الأنصاري، التوحيد والوساطة في التربية الدعوية، جـ2 ص123، كتاب الأمة – العدد 48، ط1، الدوحة – قطر، رجب 1416هـ السنة الخامسة عشرة.

409 – الشيخ محمد أبو زهرة، ابن تيمية، ص55، 60-62 بتصرف، مرجع سابق.

410 – د. بكر بن عبد الله أبو زيد، المداخل إلى آثار شيخ الاسلام ابن تيمية، ص31-37 بتصرف واختصار، مرجع سابق.



عساف النصراني الذي سب النبي ε فلما بلغ الخبر شيخ الإسلام اجتمع هو وشيخ دار الحديث فدخلا على نائب السلطان بدمشق فطلب النائب إحضاره فحضر هو ومجيره فضربهما الناس بالحجارة ؛لهذا طلب النائب الشيخين فضربهما بين يديه ورسّم عليهما ثم استدعاهما النائب وأرضاهما.

وأما السجنة الثانية : فكانت بمصر بسبب مسائل في الصفات كمسألة العرش والنزول وكانت لمدة سنة وستة شهور من رمضان 7.5هـ - شوال ربيع الأول 7.7 هـ .

وأما السجنة الثالثة : فكانت بمصر بسبب مسألة منعه الاستغاثة والتوسل بالمخلوقين وكلامه في ابن عربي الصوفي وكانت هذه المدة يسيرة ابتداءً من أول شوال7.7 هـ -18 شوال 7.7 هـ .

وأما السجنة الرابعة : وكانت بمصر وهي امتداد للثالثة لمدة تزيد عن شهرين من آخر شوال 7.7 هـ - أول سنة 7.8 هـ .

و أما السجنة الخامسة : فكانت بمصر وهي امتداد للرابعة حيث وقع الترسيم عليه بالإسكندرية لمدة سبعة شهور وأيام من غرة ربيع الأول 7.9 - شوال 7.9هـ وكان ذلك بإيعاز من بعض المغرضين.

و أما السجنة السادسة : فكانت بدمشق بسبب مسألة الحلف بالطلاق الطلاق و أنه من الأيمان الُمكفَّرة وكانت لمدة خمسة شهور و ثمانية وعشرين يوماً من 12 رجب 72. هـ- إلى 1. محرم 721 هـ

وأما السجنة السابعة والأخيرة : فكانت بدمشق بسبب مسألة الزيارة السنية والبدعية للمقابر ودامت لعامين و ثلاثة أشهر وأربعة عشر يوماً ابتداءً من يوم الإثنين 6 شعبان 726 هـ -إلى ليلة وفاته ليلة الإثنين 2. ذي القعدة 728 هـ " [411] وجعل الله -سبحانه وتعالى-له وللأمة خيراً كثيراً ولقد هدى الله عز وجل

411 – نفس المرجع السابق، ص 32- 37بتصرف .



على يديه في السجن خلقاً كثيراً كما انتشر علمه من مصر إلى شمال أفريقيا والأندلس والأمر كما قال الله عز وجل: (فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً)[412] وقال: (والله يعلم وأنتم لا تعلمون)[413]

عزوفه عن الزواج وسببه:

لقد حث الإسلام على الزواج ورغب فيه وحض عليه؛ ذلك أن الإسلام دين الفطرة كما قال سبحانه: (فطرت الله التي فطر الناس عليها)[414] فهو يدعو إلى الفطرة ويحافظ عليها وأكد عليها وسد كل باب وكل منفذ يخدش جانباً من جوانبها واستمراراً لهذه الفطرة حث النبي صلى الله عليه وسلم على الزواج ودعا إليه الشباب بقوله: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج[415]"؛ لأنه "أمر مركوز في الطبيعة الإنسانية يسعى الإنسان إليه بدافع الفطرة وهو شطر هام كبير من الحاجة الأصلية في هذه الحياة محقق لاكتمال الذات وإنشاء الذرية وبقاء النسل والنوع الإنساني وعمارة الكون... ولما له أيضاً من آثار طيبة على سلوك الإنسان في طهره وعفافه وكمال دينه واستقرار نفسه وسلامة خواطره... فلذا كان الزواج – إلى جانب أنه متعة مشروعة– أمراً أساسياً وحاجة أصلية من حاجات الإنسان في الحياة يصعب عليه التخلي عنها إلى لشوق غلاب محرق أو لتعلق شديد بعزيز غالٍ على النفس جداً يفوق تعلقها بالزواج ويزيد عليه تملكاً للقلب واستيلاءً على الخاطر: مثل طلب العلم في بعض العلماء والقيام بالجهاد عند بعض المجاهدين وتحصيل عليا الرغائب لدى ذوي النفوس الطماحة الشماء[416]"فهذه الأمور قد اجتمعت في الإمام بن تيمية مضافاً إليها دوره الدعوي

412 – سورة النساء الآية (19).
413 – سورة البقرة الآية (216).
414 – سورة الروم الآية (30).
415 – رواه البخاري (314/14 فتح) رقم (5066) ومسلم (1018/2-1019) رقم (1400).
416 – الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل، ص282، 284بتصرف، مرجع سابق .



والإصلاحي وتربية النشء ودوره الجهادي وتعرضه للحبس والترسيم وتنقله من مكان لآخر واغترابه عن الوطن والأهل مجاهداً وداعياً ومعتقلاً ومدافعاً عن المسلمين وديارهم وهذه الأمور الآنفة الذكر أو بعضها جعلت الإمام ابن تيمية وغيره من كبار العلماء من صالحي هذه الأمة يعزفون عن الزواج لا رغبة عنه ورهبنة بل تعتبر مثل "حالهم هذه – والله أعلم- أنها مسلك شخصي فردي اختاروه لأنفسهم مايزوا فيه ببصيرتهم الخاصة بين خير الزواج وخير العلم الذي يقومون به فرجح لديهم خير العلم على خير الزواج لهم فقدموا مطلوباً على مطلوب ولم يدعوا أحداً من الناس إلى الاقتداء بهم في هذا المسلك ولا قالوا للناس: التبتل للعلم أفضل من الزواج ولا ما نحن عليه أفضل مما أنتم عليه(417)" بل إنهم تركوا الزواج وهم عالمون بأحكامه وبما دلت عليه الشريعة ولهم من العلم ما يرقى بهم ويسمو عن أن يفعلوا شيئاً جاهلين بأحكامه وكيف يكون هذا؟! ولهم في مصنفاتهم كلام رصين متين موزون أبانوا فيه أحكامه الشرعية بل وتكلموا على سائر الموضوعات التي لها علاقة بالزواج سواء من قريب أو من بعيد بمعرفة فاحصة وعلم غزير وفهم ثاقب مستنير والإمام ابن تيمية له مصنف كامل كله فتاوٍ عن النكاح صفحاته 362 صفحة(418) كما أن له كلاماً كثيراً متناثراً في فتاواه في الأمور المتعلقة بالزواج من خطبة وعشرة وطلاق وخلع و... في مواضع متعددة تدل على رسوخ قدمه في العلم ومدى تبحره في العلم وأنه إنما تركه اختياراً منه وإيثاراً للعلم والجهاد والدعوة والتربية والإصلاح، ومن راجع فتاواه(419) وجد علماً غزيراً واطلاعاً على سائر المذاهب الفقهية مع ذكر الأدلة والاحتجاج بها بما يزيدها بهاءً ومما يدل على ذلك قوله: "الامتناع من فعل المباحات مطلقاً كالذي يمتنع من أكل اللحم ... ويمتنع من نكاح النساء ويظن أن هذا من الزهد فهذا جاهل ضال من جنس زهاد النصارى قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا

417 – نفس المرجع السابق، ص285، الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، العلماء العزاب، ص19 "المقدمة"، مرجع سابق.

418 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج32، مرجع سابق.

419 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، الفهارس ج37 ص277-306، مرجع سابق



تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين. وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون)[420] ، نزلت هذه الآية بسبب أن جماعة من الصحابة كانوا قد عزموا على ترك أكل الطيبات كاللحم ونحوه وترك النكاح وفي الصحيحين[421] أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما بال رجال يقول أحدهم: أما أنا فأصوم ولا أفطر ويقول الآخر: أما أنا فأقوم ولا أنام ويقول الآخر: أما أنا فلا آكل اللحم لكني أصوم وأفطر وأقوم وأنام وأتزوج النساء وآكل اللحم فمن رغب عن سنتي فليس مني" ... ومن حرم الطيبات التي أحلها الله من الطعام واللباس والنكاح وغير ذلك واعتقد أن ترك ذلك مطلقاً هو أفضل من فعله لمن يستعين به على طاعة الله كان معتدياً معاقباً على تحريمه ما أحل الله ورسوله وعلى تعبده لله تعالى بالرهبانية ورغبته عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فرط فيه من الواجبات وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب[422]" وقد قرر العلماء أن مجرد الترك لا يستلزم التحريم: يقول الإمام الشاطبي: "والتارك لأمر لا يلزم أن يكون محرماً له: فكم من رجل ترك الطعام الفلاني أو النكاح؛ لأنه في [ذلك] الوقت لا يشتهيه أو لغير ذلك من الأعذار حتى إذا زال عذره تناول منه[423]" ثم ساق أدلة على ذلك ووضح أن الترك ليس للتحريم بل لشيء آخر مثل "أن يكون مجرد ترك لا لغرض بل لأن النفس تكرهه بطبعها أو لا تكرهه حتى تستعمله أو لا تجد ثمنه أو تشتغل بما هو آكل وما أشبه ذلك[424]" وأمر المفاضلة بين التخلي للعبادة أم النكاح إنما هو في المقام الأول يرجع إلى نفس الشخص، ومما لا شك فيه أن للزواج والأهل والأولاد تبعات وشغلاً عن غيرهم ولو أضيف إلى ذلك علم وجهاد ودعوة

420 – سورة المائدة الآيتان (87 – 88).

421 – رواه البخاري (14/ 305 فتح) رقم (5063) ومسلم (1020/2) رقم (1401).

422 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى،ج22 ص134 بتصرف، مرجع سابق.

423 – الإمام الشاطبي، الاعتصام، تقديم العلامة السيد رشيد رضا، ج1 ص331، دار المعرفة، بدون ط، بيروت – لبنان، بدون ت.

424 – نفس المرجع السابق، ص337/1، وتنظر الموافقات ، الإمام الشاطبي ، ج1 ص87 – 88 ، مرجع سابق .



وإصـلاح وتربية للمستفيدين ورعاية لهم وحبس واعتقال وترسيم وإبعاد عن الوطن والأهل والأصحاب مما يجعل هذا الأمر يتردد من شخص لآخر وجوباً أو استحباباً وكذلك هل فعله أفضل أم تركه؟ كما قال الإمام النووي: "أما الأفضل من النكاح وتركه فقال أصحابنا: [أي : الشافعية] الناس فيه أربعة أقسام: قسم تتوق إليه نفسه ويجد المؤن فيستحب له النكاح، وقسم لا تتوق ولا يجد المؤن فيكره له وقسم تتوق ولا يجد المؤن فيكره لـه مأمور بالصوم لدفع التوقان وقسم يجد المؤن ولا تتوق فمذهب الشافعي وجمهور أصحابنا أن ترك النكاح لهذا والتخلي للعبادة أفضل ولا يقال: النكاح مكروه بل تركه أفضل ومذهب أبي حنيفة وبعض أصحاب الشافعي وبعض أصحاب مالك: أن النكاح لـه أفضل... [وقال] وأما قوله صلى الله عليه وسلم: (فمن رغب عن سنتي فليس مني) فمعناه: من رغب عنها إعراضاً عنها غير معتقد على ما هي والله وأعلم(425)" وعلى هذا "فالحكم على شخص واحد بأن الأفضل له النكاح أو العزوبة مطلقاً قصور عن الإحاطة بمجامع هذه الأمور [يعني: آفات النكاح أو فوائده] بل تتخذ هذه الفوائد والآفات معتبراً [أي: مقياساً] ومحكاً ويعرض المرء على نفسه: فإن انتفت في حقه الآفات واجتمعت الفوائد بأن كان لـه مال حلال وخُلُق حَسن وجِدٌّ في الدين تام لا يشغله النكاح عن الله تعالى وهو مع ذلك شاب محتاج إلى تسكين الشهوة ومنفرد يحتاج إلى تدبير المنزل و التحصن بالعشيرة فلا يمارى أن النكاح أفضل لـه مع ما فيه من السعي في تحصيل الولد فإن انتفت الفوائد واجتمعت الآفات فالعزوبة أفضل له(426)" ومما تقدم يتضح أن الإمام ابن تيمية ما ترك النكاح رغبة عنه ورهبة ومصادمة للفطرة أو تحريماً له بل عزوفه اختيارٌ منه؛ لأنه آثر غيره عليه من علم وجهاد ودعوة وإصلاح وتربية للمستفيدين على اختلاف منازلهم وعلومهم ورعايتهم يضاف إلى ذلك ما ابتلي به من حبس

425 – الإمام النووي، المنهاج في شرح صحيح مسلم، ص869-870 بتصرف يسير، مرجع سابق .

426 – الإمام أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، تخريج الإمام العراقي، جـ2 ص 32-33، دار القلم، ط1 بيروت – لبنان، بدون ت.



واعتقال واغتراب لذا ما كان عزوفه رغبة عنه؛ لأنه يعرف قدره ومنزلته في الشـــريعة وهو من أسـاطين العلماء الداعين إلى نشـرها وتطبيقها وكانت حياته كلها مسـخرة لنصرتها والذب عنها وإبراز مقاصدها ووجوب الاعتصام بها.

وفاته ورثاؤه:

وفاته:[427] توفي الإمام ابن تيمية في ليلة الإثنين العشـــرين من ذي القعدة سنة 728هـ بقلعة دمشق بالقاعة التي كان محبوساً بها وحضر جمع كثير إلى القلعة وأُذن لهم في الدخول عليه ثم انصـرفوا واقتصـر الجلوس على من يغسـله أو يسـاعد على تغسيله وكانوا جماعة من أكابر الصـالحين وأهل العلم كالمِزّيِ وغيره وما فُرغ من تغسـيله حتى امتلأت القلعة وما حولها واجتمع الخلق بالقلعة والطريق إلى الجامع ولما سمع الناس بموته لم يبق في دمشـق من يسـتطيع المجيء للصـلاة عليه وأراده إلا حضـر لذلك وضـج الناس بالبكاء والثناء والترحم وأُخرج الشـيخ إلى جامع بني أمية ظناً أنه يسـع الناس فصُـلِّي عليه في الجامع وبقي كثير من الناس خارج الجامع ثم حُمل على أيدي الكبراء والأشراف ومن حصل لـه ذلك من جميع الناس ووضع بأرض فسيحة متسـعة الأطراف وصـلى عليه الناس وأخرج النعش واشـتد الزحام وعلت الأصـوات بالبكاء والنحيب والترحم عليه والثناء والدعاء لـــه وصـار النعش على الرؤوس تارة يتقدم وتارة يتأخر وتارة يقف حتى يمر الناس وصرخ صارخ: هكذا تكون جنائز أئمة السـنة فبكى الناس بكاءً كثيراً ووضـعت الجنازة فدفن في مقبرة الصـوفية وكان دفنه قبل العصر بيسير وحرز من حضر من النساء بـ(15) ألفاً والرجال ما بين (6. – 2..) ألف ولم ير لجنازة أحد ما رؤي لجنازته من الوقار والهيبة والعظمة والجلالة

427 – الإمام ابن كثير، البداية والنهاية، ج14 ص135-136، مرجع سابق، الإمام ابن الوردي، تتمة المختصر، ج2 ص406، مرجع سابق، الإمام ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج6 ص85، مرجع سابق، الإمام ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج1 ص149، مرجع سابق، الإمام ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص 291، مرجع سابق ، الحافظ البزار، الأعلام العلية، ص75-77، مرجع سابق، الشيخ محمد بن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، ج 1ص74، مرجع سابق، الإمام ابن رجب الحنبلي، الذيل على طبقات الحنابلة، ج2 ص405-407، مرجع سابق.

وتعظيم الناس لها وتوقيرهم إياها وتفخيمهم أمر صـــاحبها وثنائهم عليه إلا ما كان للإمام أحمد بن حنبل لما كان عليه من العلم والعمل و الزهادة والعبادة والإعراض عن الدنيا والاشتغال بالآخرة وكانت وفاته قد ابتدأت بمرض يسير.

ولقد فاضـــت روح هذا الإمام إلى بارئها وهو على حاله مجاهداً في ذات الله تعالى صابراً محتسباً لم يجبن ولم يهلع ولم يضعف ولم يتتعتع بل كان إلى حين وفاته مشتغلاً بالله عن جميع ما ســواه وإن من حســن الختام لهذا الإمام أن يموت بعد انتهائه من قراءة قوله تعالى: (إن المتقين في جنات ونهر. في مقعد صدق عن مليك مقتدر)[428]

وأما رثاؤه: فموت الإمام ابن تيمية جعل كثيراً من الفضـــلاء والعلماء يَرْثُوهُ بقصائد متعددة وإنما قيلت هذه القصائد في حق الشيخ من قبل قائليها "لما وجب للشيخ رضي الله عنه عليهم من الحق في إرشادهم إلى الحق والمنهج المستقيم بالأدلة الواضحة الجلية النقلية والعقلية خصوصاً في أصول الدين[429]" ولقد قال الإمام ابن فضل الله العمري[430] "رثاه جماعات من الناس بالشام ومصر والعراق والحجاز والعرب من آل فضـــل[431]" بِمَرَاثٍ كثيرة نثراً ونظماً وقد قال الإمام ابن حجر العسقلاني: "ورثاه شهاب الدين ابن فضل الله بقصيدة رائية مليحة.. ورثاه زين الدين ابن الوردي بقصيدة لطيفة طائية[432]" أما قصيدة الإمام ابن فضـــل الله العمري فمنها[433]

أهكذا في الدياجـــي يحجب القمـــر ويحبس النوء حتى يـذهـب المطرُ
أهكـذا بتقي الـدين قـد عبثـت أيدي العدى وتعدى نحوه الضـــررُ

428 – سورة القمر، الآيتان (54 –55) . الإمام ابن كثير، البداية والنهاية، جـ14 ص138، الإمام ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، جـ6 ص86، مرجع سابق، الإمام مرعي الكرمي، الكواكب الدرية، ص174، مرجع سابق.

429 – الحافظ البزار، الأعلام العلية، ص 79، مرجع سابق.

430 – الإمام الشيخ القاضي شهاب الدين أبو العباس أحمد بن فضل الله العمري الشافعي، من مؤلفاته مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، توفي سنة 749هـ.

431 – الإمام مرعي الكرمي، الكواكب الدرية، ص181، مرجع سابق، الإمام الألوسي، غاية الأماني، جـ2 ص218، مرجع سابق .

432 – الإمام ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ1 ص153، مرجع سابق.

433 – الإمام مرعي الكرمي، الكواكب الدرية، ص182–187، مرجع سابق، الإمام الألوسي، غاية الأماني، جـ2 ص218–221، مرجع سابق.



طريقه كان يمشي قبل مشيته ... بها أبو بكر الصديق أو عمرُ
مثل الأئمة قد أحيا زمانهم ... كأنه كان فيهم وهو منتظرُ
مثل ابن تيمية في السجن معتقل ... والسجن كالغمد وهو الصارم الذكرُ
في يوسف في دخول السجن منقبة ... لمن يكابد ما يلقى ويصطبرُ
يا ليت شعري هل في الحاسدين له ... نظيره في جميع القوم إن ذكروا؟!
هل فيهمو صادع للحق مقولة ... أو خائض للوغى والحرب تستعرُ
قدمت لله ما قدمت من عمل ... وما عليك بهم ذموك أو شكروا
وكيف تحذر من شيء تزل به ... أنت التقي فماذا الخوف والحذرُ؟

وأما قصيدة الإمام ابن الوردي فمنها(434):

قلوب الناس قاسية سلاط ... وليس لها إلى العليا نشاطُ
أينشط قط بعد وفاة حبر ... لنا من نثر جوهره التقاطُ
تقي الدين ذو ورعٍ وعلم ... خروق المعضلات به تخاطُ
توفي وهو محبوس فريد ... وليس له إلى الدنيا انبساطُ
وحبس الدر في الأصداف فخر ... وعند الشيخ بالسجن اغتباطُ
فيا لله ما قد ضم لحد ... ويالله ما غطى البلاطُ
همو حسدوه لما لم ينالوا ... مناقبه فقد مكروا وشاطوا
ولكن يا ندامة حابسيه ... فَشَكُّ الشَّرك كان به يماطُ
ألم يك فيكم رجل رشيد ... يرى سجن الإمام فيستشاطُ
سيظهر قصدكم يا حابسيه ... ونيتكم إذا نصب الصراطُ
فها هو مات عنكم واسترحتم ... فعاطوا ما أردتم أن تعاطوا

434 – الإمام مرعي الكرمي، الكواكب الدرية، ص 187-189، مرجع سابق، الإمام الألوسي، غاية الأماني، جـ2 ص221-222، مرجع سابق، وهي في كتابه تتمة المختصر، جـ2 ص406-407، مرجع سابق.



وحـلـوا واعـقـدوا مـن غـير رد   عـليكـم وانـطوى ذاك البســـاطُ

وهناك الكثير والكثير من قصائد الرثاء[435] مما يدل على أن هذا الإمام "من كبار الأئمة المحققين وعلماء الأمة العاملين الراسخين وأكابر الأولياء العارفين[436]" وهي من أكبر الأدلة على علو كعبه ورفعة شأنه؛ لأنه عاش داعياً مجاهداً في سبيل نصرة الشريعة المطهرة وحسن الثناء والذكر بعد الموت منحة من الله يهبها من يشاء من عباده وقد سأله نبي الله إبراهيم عليه السلام وأُعطيها كما قال تعالى حاكياً قوله: (واجعل لي لسان صدق في الآخرين)[437] وقد امتن الله على أنبيائه عليهم السلام بذلك فقال:(ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق علياً)[438]

وقد اتضح مما سبق من الإطلال الموجز على حياة الإمام ابن تيمية –فيما يرى الباحث– وبما شهد له بالتقدم في علوم عصره كل منصف لم يتلبس بشوائب الشهوات أو أكدار الشبهات وسعة علمه في كل ما طالته يداه مع ما آتاه الله من عبادة وتطبيق عملي لعلمه إضافة إلى عقل جبار وذكاء وقاد وأنه أحد عباقرة الدنيا والذين ازدان التاريخ بنشر ذكرهم.

إذا لم يكـــن هذا الذكـــاء بعينه   فـــإني بألقاب الذكـــاء كفـــور
وإن لـــم تكـــن ألقابكـــم عبقرية   إذاً فشهـــــــود العبقـــــرية زورُ

إن لم يكن ابن تيمية عبقرياً فلا أدري من العبقري؟! وإذا لم يستول على منصب الألمعية فليس لأحد أن يترقى هذا المنصب"[439]ولعلو كعبه في العلوم الشرعية والعقلية في عصره وبعده عبر العصور حيث اشتهر صيته وتنوعت سجاياه

---

435 – –ينظر الإمام مرعي الكرمي، الكواكب الدرية، ص189–231، مرجع سابق، الإمام الألوسي، غاية الأماني، جـ2 ص222–240، مرجع سابق.

436 – 3–الإمام مرعي الكرمي، الكواكب الدرية، ص233، مرجع سابق.

437 – سورة الشعراء الآية (84).

438 – سورة مريم الآية (50).

439 – د. عائض القرني، على ساحل ابن تيمية، ص 98، مرجع سابق.



وظهر دفاعه عن الشريعة وبلوغه أعلى المنازل العلمية في جميع الفنون حتى "إن ابن تيمية بلغ من الحظوة والرفعة وسمو المنزلة إلى درجة أنه استغنى عن لقب الشيخ والعالم والإمام والمجدد وصار أحسن أسمائه أنه ابن تيمية[440]" فإذا اختلفت الآراء وقال أحد الفريقين إن الإمام ابن تيمية قال: كذا وكذا فإن المخالف يعلم أن ذلك القائل إمام من أكابر الأئمة في الإسلام وهذا الاعتراف بدهي وطبيعي بشهادة علماء عصره: من الموافقين لـه والمخالفين ثم إن تآليفه شاهدة على ذلك إضافة إلى حياته الجهادية التي كانت منظومة من المحن والابتلاءات الداخلية والخارجية حيث رمي عن قوس واحدة لكن حفظ بأمر الله تعالى كما قال سبحانه وهو أحكم الحاكمين: (إن الله يدافع عن الذين آمنوا)[441] ومن عايش الإمام في كتبه وتاريخه يقطع يقيناً أنه من أكابر صالحي هذه الأمة المحمدية وأنه من أساطين العلماء العاملين وفحولهم وهذا يعرفه من له أدنى معايشة مع هذا الإمام "وكيف لا نعيش معه وقد فرض علينا احترامه وأمتعنا بحضوره وآنسنا بذكره الطيب؟! كيف لا نحب من أحب الله ورسوله؟! صلى الله عليه وسلم كيف لا نتولى من تولى ربه؟! كيف لا نقدر من قدر الشرع؟! كيف لا نجل من أجل الوحي؟.

نعم عندنا –والحمد لله– من الإدراك ما يمنعنا من التقليد الأعمى والتعاطف الأرعن والإعجاب الأحمق. عندنا تمييز بين الذكي والبليد والصادق والكاذب والقوي والضعيف والصالح والطالح فهدانا الله بفضله وكرمه إلى معرفة فضل هذا الإمام، وصلاحه وذكائه ونبوغه ونصرته للحق ودفاعه عن الشريعة ووافقنا على ذلك بشر كثير من العلماء والمؤرخين وأصحاب السير وأرباب الفنون وأصحاب التخصصات والمثقفين من المسلمين والكافرين.

---

440 – نفس المرجع السابق، ص 9.

441 – سورة الحج الآية (38).



دوائر المعارف تترجم عن دول بصـــفحتين وثلاث ولكنها تتحدث عن ابن تيمية بعشرين صفحة، المجامع العلمية تذكر المصطلحات في سطر ولكنها تتكلم عن ابن تيمية في ثلاثين ســطراً ولســنا متفضــلين على ابن تيمية إذا مدحناه أو ذكرنا مناقبه أو عددنا ســجاياه لكنه متفضـل علينا –بعد الله– بفيض علمه وغيث فهمه وبركة إنتاجه ونور آثاره[442]"؛ فلهذا كان هذا الإمام جدير باستحقاق لقب العبقرية في كل من العلوم الشـــرعية والعقلية فهذا ما تيســـر لي جمعه من تلك العوامل التي أثرت في نبوغه وعبقريته وكما قيل:

"وليس لله بمستنكرٍ *** أن يجمع العالم في واحد[443]"

ثانياً : اهتمام الإمام ابن تيمية بالمنهجية

درج المربون المهتمون بالمنهجية وتطبيقها في المجالات التربوية إلى الارتقاء بمناهج التعليم والتربية وذلك من خلال ربط القديم بالجديد والاستفادة من الخبرات السابقة وتوظيف الوســـائل الحديثة في العملية التربوية مع اســـتغلال جميع الطاقات المتاحة لإنجاح العملية التربوية، ولكي يتحقق أهل التربية من تطوير منهج مَّا فإنه لابد من توفر وتلازم أربعة عناصــــر تكون ذلك المنهج وذلك لإيجاد منظومة لتطويره من خلال:

1- تحديد الأهداف.

2- اختيار المحتوى الملائم والطرق والمواد.

3- تقويم مدى نجاح الأساليب الجديدة في تحقيق الأهداف المحددة.

4- التغذية الرجعية للنتائج[444]"

---

442 – د. عائض القرني، على ساحل ابن تيمية، ص 10- 11، مرجع سابق.

443 - أبو نواس، ديوان أبي نواس، ص132، دار صادر، بدون ط، بيروت – لبنان، سنة 2001م.

444 – ج. د. نست، ن. ج. أنتويستل، مناهج البحث التربوي، ص 135 ، مرجع سابق ، د. علي أحمد مدكور، نظريات المناهج التربوية، ص166، مرجع سابق .



أما الأهداف: فهي إما أهداف عامة تتمثل في إيصال معلومات وخبرات من المعلم إلى المتعلم بالوســـائل التقليدية البحتة والتي تعتمد على التلقين وإما أهداف (خاصـــة) تربوية تتناول المجالات الثلاثة: المعرفية والوجدانية والمهارية وهي بطبيعة الحال معروفة لدى المتعلمين من أنها التي تكون المعرفة لهم فيثمر عن ذلك ســـلوك ملموس ملحوظ كنتيجة لميله الوجداني العاطفي نحو ذلك السلوك أو غيره قد تعرف عليه وتعلمه ليطبقه في حياته ويكون دافعاً له لاكتساب المهارات والتغيرات الإيجابية التي يراها وتحثه على الابتعاد عن السلوكيات والأنماط السلبية، هذا وقد ركز الإمام ابن تيمية على التطبيق العملي لهذه الأهداف من خلال عدة قنوات متنوعة تصـب في قالب واحد وهو تحقيق ثمرة العملية التربوية بين الأفراد وسلك لذلك سبلاً شتى واستخدم وسائل متعددة منها: ربط القول بالعمل ومنها نزوله بنفسه ميدانياً للتعليم وللتربية وللجهاد وكذلك سلك منهجاً من حيث القدوة التي من أظهر المحكات التي يتضح فيها مدى توافق مجالي: القول والعمل.

وأما المحتوى الملائم والطرق والمواد: فهي متعلقة بذي قبل حيث يتخذها المربون لإنجاح منهجهم التربوي وهي مواد التدريس التي يتم من خلالها تأصـــيل العملية التربوية ســـواء كانت علوماً مختلفة: عقلية أو شـــرعية أو لغوية أو أموراً وجدانية؛ وبذلك يتم دمج ما بين العلوم النظرية بالتربية ميدانياً ونظرياً واستخدام كل وسائل إيصال المعلومات المتاحة في كل آنٍ وحين.

وهذه المواد الدراسية أحياناً يتم تدريسها وإيصالها إلى المتعلمين بطريقة فردية وأحياناً بطريقة جماعية عامة على اختلاف المفاهيم أو تكون لمجموعة خاصـــة من المتميزين المتخصـــصـــين عن طريق مجموعات صـــغيرة وهكذا تنوع في طرق التعليم والتدريس واغتنام للفرص وتوظيف للمواهب والقدرات ومراعاة للفروق الفردية بين سائر طبقات المتعلمين وكذلك من خلال المناقشات والمساجلات والمحاورات وعرض المعلومات مع السلوك العملي السوي ومتابعة المواقف العملية الميدانية يتضح مدى



ثبات أو ازدياد أو تراجع النتائج وهنا يتعرف المعلم المربي على مستوى متعلميه سلباً وإيجاباً ويرى تطور كفاءة المتعلمين ونسبة تأثير ذلك المنهج في نفوس وواقع المتعلمين ميدانياً.

وعند النظر إلى الإمام ابن تيمية واستخدامه في منهجه تلك العناصر من مواد تعليمية ودراسية نجد أنه قد جمع بين علمي المعقول والمنقول وعدد خلال حياته طرق تعليمه وتدريسه ما بين فتاوى وإلقاء وتعليم لعامة الناس وشرح لخاصتهم وتربية لبعض المتميزين مع ربط القول بالعمل من خلال المواقف العملية من جهاد ومنازلة للمعتدين أو رد للطاعنين أو إنكار للمبطلين بيده ولسانه وتحمله في سبيل نشر ذلك المحن بل إنه مات سجيناً مدافعاً عن ذلك المنهج الذي ارتآه والذي ظل داعياً إليه مدافعاً عنه حتى أتاه اليقين.

وأما التقويم: وفيه تظهر قيمة التعليم وثمرته ويكون دليلاً لحصول أثر العملية التربوية ووصولها إلى المتعلم بأفضل الأساليب وأحسن الطرق مع نجاح المتعلم في فهمها واستيعابها وتعلمها ثم ظهور ذلك من سلوكه المستقيم وحصوله على كم مناسب من المعلومات المفيدة والتي تجعله فرداً فاعلاً مؤثراً في مجتمعه وفي بيئته المحيطة به وليصبح إنساناً ذا كرامة ومنزلة متميزة فتتكون لديه شخصية واعية.

وأما التغذية الرجعية للنتائج: فتكون من خلال المتابعة المستمرة من قبل المربي لمن يتربون على يديه ومن خلال تنوع طرق تدريسه لهم وهذه المتابعة لها دورها في إنجاح سير العملية التربوية وحصول الفائدة لدى المتعلمين من تشجيع المصيب وتوجيه من جانبه الصواب مع محاولة إعادة تشكيل تفكيره إلى الأفضل والارتقاء به إلى الأحسن بوسيلة أخرى أو بأسلوب آخر مع مراعاة قدراته العلمية أو العمرية.

والإمام ابن تيمية يعايش المتعلمين في هاتين الناحيتين: التقويم والتغذية الرجعية للنتائج بوسائل عدة انتهجها مع المتعلمين على اختلاف منازلهم وأعمارهم واحتياجهم فتارة عن طريق المناقشة وسرد المعلومات وعرضها فيصوب للمخطئ



ويبين لــه وجه الصواب ويشجع المصيب ويستكمل تعليمه مع مَنْ يرى منه ترقياً في الفهم وسمواً في التطبيق كلٌ على حسب حاله ويكون أحياناً بالسؤال عن المتعلم أو إنابة من يسأل عنه جامعاً بين الأسلوبين : المباشر وغير المباشر. ثم إن منهجيته تتضح من خلالما يلي:

الأصول العامة لمنهج الإمام ابن تيمية في دعوته إلى الله تعالى:

إن إماماً كالإمام ابن تيمية يدعو إلى الله تعالى بمنهاج قويم هادف إلى تحقيق ثمرة أصول هذا المنهج فثباته على أهمية الرجوع إلى المصدرين المعصومين: الكتاب والسنة بفهم علماء سلف الأمة لدليل واضح على سيره في خطىً محددة مقصودة متدرجة تؤدي إلى تماسك المسلمين مما يجعل اجتماعهم وقوتهم وحدتهم ويقول نفسه في توضيحه لذلك: "فليس عالم من المسلمين يشك في أن الواجب على الخلق طاعة الله ورسوله وأن ما سواه إنما تجب طاعته حيث أوجبها الله ورسوله، وفي الحقيقة فالواجب في الأصل إنما هو طاعة الله لكن لا سبيل إلى العلم بمأموره وبخبره كله إلا من جهة الرسل والمبلغ عنه إما مبلغ أمره وكلماته فتجب طاعته وتصديقه في جميع ما أمر وأخبر، وأما ما سوى ذلك فإنما يطاع في حال دون حال[445]" ؛ وذلك لأنه ليس بمعصوم وإنما تجب طاعته ما تابع الوحي. ومن ذلك تتضح أهمية التمسك بالكتاب والسنة وأنهما سبيل السعادة في الدارين وأكد هذا المعنى بقوله: "إن طاعة الله ورسوله موجبة للسعادة وأن معصية الله موجبة للشقاوة وهذا يبيِّن أن مع طاعة الله ورسوله لا يحتاج إلى طاعة إمام أو قياس، ومع معصية الله ورسوله لا ينفع طاعة إمام أو قياس[446]" وأمر بدهي طبيعي أنه إنْ توحَّد مصدر التلقي ستتوحد الكلمة ويتوحد الرأي والتفكير بحيث يصبح المجتمع كله يداً واحدة فالمقصود أن اتباعه وتمسكه بالكتاب والسنة ليس قصوراً بل نظرة واسعة شاملة

445 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج 19 ص 15، مرجع سابق

446 – نفس المرجع السابق ، ص 68



لكافة طبقات الأمة فيساعد على ائتلاف القلوب وإصلاح ذات البين بين المسلمين كما أمر الله سبحانه وتعالى بقوله: (فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم)[447] وقوله: (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا)[448] بل إن منْ تفرقوا ليسوا على منهاج النبوة كما أخبر سبحانه بقوله:

(إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء)[449] ولذلك أشار الإمام ابن تيمية بقوله: بعد ذكره للآيات: "وأمثال ذلك من النصوص التي تأمر بالجماعة و الائتلاف وتنهى عن الفرقة والاختلاف وأهل هذا الأصل هم أهل الجماعة كما أن الخارجين عنه هم أهل الفرقة وجماع السنة طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم[450] " وكذلك مما يؤكد اهتمام هذا الإمام بالتأصيل في الدعوة شمولية علمه وبحثه وسعة أفقه ومراعاته لمقاصد الشريعة مع كثرة ذكره لعلل الأحكام فهو ليس ممن يحفظ نصوصاً وينقل أخباراً مجردة فحسب بل يتعلم ويعلم لهدف أسمى وهو تأصيل مبدأ الاتباع المطلق للكتاب والسنة من خلال إصلاح المجتمع وتربية الأفراد.

وهذا المنهج الذي ارتآه واعتقده قولاً وعملاً وتربية يقوم على أصول ثلاثة جمعت مقاصد الشرع ومنها تتفرع سائر جزيئات الشرع وهذه الأصول هي التي "لا تكاد تخرج عن: العقائد والعبادات والأخلاق وقد أبرز ابن تيمية الأصول الكلية لهذه الأصول التي يمكن من خلالها أن ترجع الجزيئات إليها وهذا ما جعل منهج ابن تيمية في الدعوة [إلى الله تعالى] واضحاً غاية الوضوح سليماً من التناقض والاضطراب وجعله منهجاً راشداً استوعب مشاكل الأمة وعالج أدواءها حتى استطاع أن يوقظها من رقدتها ويقليها من عثرتها ويلم شتاتها ويوقظ فيها روح العزة

447 – سورة الأنفال الآية (1)
448 – سورة آل عمران الآية (103)
449 – سورة الأنعام الآية (159).
450 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ 28 ص 51، مرجع سابق.



والكرامة"[451] حيث ظل منهجه سامياً بعد وفاته يتناقله العلماء المصلحون والمربون الربانيون وتبنته الحركات الإصلاحية في شتى بقاع الأرض لشموله وبعد نظره وعمق تفكيره وإحاطته بمقاصد الشريعة مع الزهد والصلاح والعمل والجهاد بكل ما يستطيع من جهد.

وهذه الأصول السالفة الذكر كما يلي:

أ-أصل العقيدة:

لا يختلف عقلاء البشر أن لكل شيءٍ ذي بال أصولاً يقوم عليها سواءً كان هذا الشيء حسياً من بناء وأدوات إعمار وغير ذلك أو معنوياً من فكر وتصور وفهم ورأي أو مذهب أو معتقد يعتقده الإنسان وسواءً توصل الإنسان إليه عن طريق النظر وإعمال الفكر والتأمل في الكون فيما حوله أو أخذه من آيات الكون عن طريق التدبر والتأمل أو أخذه عن طريق الآباء والأجداد والأسلاف أو من البيئة المحيطة به... فإنه لابد وأن يكون له أصول يعتمد عليها ومما لاشك فيه أن أمر الاعتقاد هو أصل الأصول وعليها مدار القبول أو الرد؛ لذلك فإن "الأعمال والأقوال إنما تصح وتقبل إذا صدرت عن عقيدة صحيحة، فإن كانت العقيدة فاسدة غير صحيحة بطل ما يتفرع منها من أعمال، وهذا يؤكد أن تعلم العقيدة الصحيحة من أهم المهمات وأعظم الواجبات؛ لأن قبول الأعمال موقوف عليها، والسعادة في الدنيا والآخرة لا تكون إلا بالتمسك بها والسلامة مما ينافيها[452] فاهتمام الإمام ابن تيمية بالعقيدة لم يأت من فراغ؛ ذلك أن للعقيدة أموراً ميزتها عن سائر العلوم.

ب-أصل العبادة:

451 – د. عبد الله رشيد الحوشاني، منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة، جـ 1 ص 361 – 362، مرجع سابق.

452 – سعيد بن علي بن وهف القحطاني، بيان عقيدة أهل السنة والجماعة ولزوم اتباعها، إشراف الشيخ ابن باز، ص4-5، مؤسسة الجريسي، ط1، الرياض – المملكة العربية السعودية، 1419هـ.



إن لكل شيءٍ ثمرة وثمرة العقيدة الصحيحة إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبودية ومن ثم تحقيقها بصرفها لله وحده لا شريك له، وإفراد الله سبحانه وتعالى بالعبودية هو سر قبولها؛ لأن الله سبحانه لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم كما قال في كتابه: (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء)[453] وإفراد الله بالعبادة هو مما أمر الله به جميع الناس بقوله: (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون)[454] وهو أول أمر من الله لعباده في القرآن بحسب ترتيب المصحف الشريف؛ للدلالة على أهمية العبادة.

والعبادة منها ما هو ظاهر ومنها ما هو خفي فهنالك عبادة ظاهرة يراها كل الناس أو بعضهم منها إقام الصلاة والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر و...ومنها ما هو خفي كالإخلاص وتقديم محبة الله على جميع المحاب و منها الإنابة وإجلال الخالق وتوقيره و... وكذلك العبادة منها ما هو لازم لفاعلها ومنها ما هو متعدٍّ لغيره فمن العبادات اللازمة :قيام الليل وقراءة القرآن والاستغفار و... ومن العبادات المتعدِّية التي يعم نفعها: الجهاد والعلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر و... فالعبادة تدور مع المسلم أينما كان وصار فكل حياته عبادة لربه سبحانه وتعالى كما في التنزيل يقول تعالى آمراً نبيه صلى الله عليه وسلم: (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين)[455] ولذلك خلق الله الخلق كما في قوله: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)[456] فلهذا وغيره نجد معظم آيات القرآن تشير إلى أقوال الأنبياء عليهم السلام وهم يدعون أقوامهم إلى إفراد الله تعالى بالعبودية وبين العقيدة الصحيحة وإفراد العبودية لله تلازم وترابط فهما صنوان لا ينفكان؛ لأن العقيدة الصحيحة

453 – سورة البينة الآية (5).
454 – سورة البقرة الآية (21).
455 – سورة الأنعام الآيتان (162 – 163).
456 – سورة الذاريات الآية (56).

وهي توحيده سـبحانه وتعالى لابد لها من عبودية خالصـة لوجهه الكريم ومما يؤكد هذا ويؤصـله أن "التوحيد الذي جاءت به الرسـل لابد فيه من التوحيد بإخلاص الدين لله وعبادته وحده لا شريك له[457]" والاهتمام بشأن العبادة في الشريعة الغراء يدل دلالة قاطعة على علو شأنها ووجوب توجيهها لله سبحانه وتعالى..

ج- أصل الأخلاق:

ديننا الحنيف دين إلهي سماوي محفوظ بحفظ الله له؛ لقوله تعالى: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا لـه لحافظون)[458] ودين كهذا محفوظ من قبل العليم الحكيم فلابد وأن يكون قد اشـتمل على كل ما يصـلح به المخلوقات دنيا وديناً في تشـريعاتهم ومعاملاتهم وعباداتهم وأخلاقهم و... والذي نحن بصـدد الكلام عنه هنا الاهتمام بالجانب الخلقي إذ الخُلق في الإسـلام لـه مكانته المرموقة فليس من كماليات احتياجات الإنسـان غيرا لضـرورية بل إنه لمن أسـاس ديننا وقد امتدح القرآن النبي صـلى الله عليه وسـلم أيما مديح لكن حينما ذكر خلقه زكاة كله كما قال تعالى: (وإنك لعلى خلق عظيم)[459] فقد وصـفه القرآن بالعلو فوق مرتبة الخلق، وهذا يرجع لجميل خلقه وسمو نفسه عليه الصلاة والسلام وكيف لا؟! وهو القائل: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق[460]" فقرن مبعثه بإكمال مكارم الأخلاق التي ابتدأها الأنبياء قبله وبقيت آثارهم متناثرة بين الناس في الجزيرة وغيرها وكان النبي صـلى الله عليه وسلم أكثر خلق الله اتباعاً للحق سبحانه ودليل ذلك من السيرة النبوية الشريفة كثير من ذلك أنه كان طوال حياته صـورة حية تجسـد القرآن الكريم روحاً وقولاً وعلماً وعملاً؛ ذلك أنه سيد الأولين وإمام الأنبياء والمرسلين ومربي العلماء والشهداء

---

457 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ18 ص57، مرجع سابق.

458 – سورة الحجر الآية (9).

459 – سورة القلم الآية (4).

460 – صحيح0 رواه الإمام أحمد (381/2)، والحاكم (613/2) وابن سعد في الطبقات الكبرى، (192/1 –193)، دار صادر، بدون ط، بيروت – لبنان، بدون ت، والبيهقي، السنن الكبرى، (191/10 – 192)، مطبعة مجلس إدارة المعارف العثمانية، ط1، حيدر آباد – الدكن – الهند، 1355هـ، محمد ناصر الدين الألباني، السلسلة الصحيحة، (75/1) رقم (45).



والعباد الصالحين وقد سأل سائلٌ عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها: كيف كان خلق النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت: "كان خلقه القرآن[461]" فهذا نبي الله صلى الله عليه وسلم طبق الخلق عملياً؛ إذ الإسلام قول وعمل وديننا دين اعتقاد وقول وعمل فالدين المعاملة فكانت حياته صلى الله عليه وسلم ترجمة حقيقة للقرآن وكذلك فقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم الخلق سبباً في القرب منه يوم القيامة فقال: "إن من أحبكم إلى الله وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً[462]"، وجعل صاحب الخلق الحسن يسامي الصائم القائم بقوله: "إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم[463]" كما أخبر أن أثقل شيءٍ في الميزان هو حسن الخلق بقوله: "ما من شيءٍ أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن[464]" إلى ما هنالك من أحاديث تحث على حسن الخلق وتحض عليه وعلى التزامه ثم إن ديننا إكمالاً لتطهير النفس المسلمة حذرها من مغبة سوء الخلق وأنه غير نافع لصاحبه بل يسبب له البعد عن الله عز وجل وعن رسوله صلى الله عليه وسلم ويسبب جفوة بينه وبين عباد الله الصالحين.

ومن تتبع القرآن والسنة وجدهما حافلين بالاعتناء بأمر الخلق والدعوة إليه وتنفير الناس من سوء الأخلاق تارة بطريقة مباشرة وتارة بطريقة غير مباشرة.

وسلوك الإنسان في الحياة مبني على هذه الأصول الثلاثة وهي: أصل العقيدة وأصل العبادة وأصل الأخلاق وإذا فسد أحدها كان سبباً في هدم الجدارين الآخرين وهذه الأصول الثلاثة بمثابة الطاقة التي تغذي الآلة وثلاثتها معتمدة على بعض فمتى تخلف عضوٌ منها أتلف الآخرين ولا يستطيع أحد أن يسلك طريقاً إلى الله ورسوله

461 – حسن. رواه الترمذي (370/4) رقم (2023)، ينظر محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع الصغير، جـ1 ص439، رقم (2201).

462 – صحيح. رواه أبو داود (252/4) رقم (4798)، ينظر محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع الصغير، جـ1 ص391، رقم (1932).

463 – حسن. رواه أبو داود (253/4)، رقم (4799) والترمذي (362/4 – 363) رقم (2007 – 2008) وينظر محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع الصغير، جـ2 ص998 رقم (5726).

464 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ19 ص273 –274، مرجع سابق.



صلى الله عليه وسلم إلا بالمرور مترقياً على تلك الأصول لذلك "فإن السلوك هو بالطريق التي أمر الله بها ورسوله من الاعتقادات والعبادات والأخلاق، هذا كله مبين في الكتاب والسنة؛ فإن هذا بمنزلة الغذاء الذي لابد للمؤمن منه[465]" وهناك أمثلة كثيرة في القرآن والسنة توضح تلازم فساد الخلق مع فساد العقيدة أو العبادة أو معهما معاً...

وقد ألمح القرآن إلى أن مجرد الركون إلى أهل الظلم يسبب اشتراكهم في العقاب أي أن مجرد مجالستهم ومشابهتهم في سلوك ارتأوه نزل عليهم ما نزل فقال تعالى:

(ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون)[466] كما حذر النبي صلى الله عليه وسلم من التشبه بغير المسلمين بقوله: "من تشبه بقوم فهو منهم[467]" فالسلوك الخلقي المتلقى من غير المسلمين يورث محبة في الباطن تؤدي إلى فساد العقيدة والتي بدورها تفسد العبادة والتشابه في الظاهر بريد لمحبة الباطن ومخالطة الآخرين تورث أخلاقاً سلباً وإيجاباً فيستطيع الإنسان أن يؤثر في غيره كما يستطيع أن يتأثر هو بغيره ومن المعلوم أن من يرعون الإبل تكون فيهم شدة وقسوة بخلاف رعاة الغنم فإن فيهم رأفة ورقة ولين فهذا اكتساب من حيوانات عجما وات فكيف بنا عن مخالطة كائنات عاقلات؟! سيكون التأثر أكثر؛ ولذلك يقول الإمام ابن تيمية "الله تعالى جبل بني آدم بل سائر المخلوقات على التفاعل بين الشيئين المتشابهين، وكلما كانت المشابهة أكثر كان التفاعل في الأخلاق والصفات أتم حتى يؤول الأمر إلى أن لا يتميز أحدهما عن الآخر إلا بالعين فقط، ولما كانت بين الإنسان وبين الإنسان مشاركة في الجنس

---

465 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، د 19 ص 274، مرجع سابق.

466 – سورة هود الآية (113).

467 – جيد. رواه الإمام أحمد (50/2) وأبو داود (44/4) رقم (4031) وينظر اقتضاء الصراط المستقيم، للإمام ابن تيمية ، جـ1 ص269، مرجع سابق، مجموع الفتاوى، جـ25 ص331، مرجع سابق.



الخاص كان التفاعل فيه أشد؛ ولأجل هذا الأصل وقع التأثر والتأثير في بني آدم واكتساب بعضهم أخلاق بعض بالمشاركة والمعاشرة والمشابهة والمشاكلة في الأمور الظاهرة توجب مشابهة ومشاكلة في الأمور الباطنة على وجه المسارقة والتدريج الخفي، وقد رأينا اليهود والنصارى الذين عاشروا المسلمين هم أقل كفراً من غيرهم كما رأينا المسلمين الذين أكثروا من معاشرة اليهود والنصارى هم أقل إيماناً من غيرهم فإن مجرد الإسلام والمشاركة في الهدي الظاهر توجب مناسبة وائتلافاً وإن بعد المكان والزمان[468]." فهو يرى تلازماً قوياً بين المشابهة في الظاهر وتأثر القلب في الباطن ويشهد لتأكيد رأيه هذا كتاب ألفه فيه تفصيل لأحكام مشابهة أهل الكتاب أو المبتدعين وذكر الأدلة من الكتاب والسنة والإجماع مع وضع ضوابط شرعية وأصول علمية تجمع تصوراً واضحاً لفهم الدين فهماً راقياً بعيداً عن التعصب مع صواب في الأحكام ناتج عن إحاطة بالعلوم الدينية والعقلية واسم هذا الكتاب هو: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم.

الثاني : مناهج التربية العقدية عند الإمام ابن تيميَّة .

من خلال تتبع واستقراء بعض – وليس كل- مؤلفات هذا الإمام وجد الباحث محاولاً من خلال ذلك أن يبرز دور الإمام ابن تيمية في تربيته العقدية وأخذه بمنهجية التربية ثم تعدد مناهجه؛ نظراً للفروق الفردية بين المتعلمين صغاراً كانوا أم كباراً سواء من طلبة العلم أم من عامة المجتمع.

لقد سلك الإمام ابن تيمية عدة مناهج مختلفة للتربية العقدية: حيث نحا منحىً متميزاً في تربيته العقدية من خلال مناهج وليس بمنهج واحد؛ ذلك أنه إن التزم منهجاً واحداً يسير عليه في تربيته العقدية فسوف يواجه هذا المنهج اعتراضات

468 – الإسلام ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، جـ1 ص547- 548 بتصرف، مرجع سابق.



كثيرة من المتعلمين أو من بيئاتهم أو إدراكاتهم وثقافاتهم وتصوراتهم الفكرية فإن وافق قوماً فإنه —حتماً- لا يوافق آخرين أو لا يناسب فئة ولا تفهمه طائفة أخرى تعتمد في فهمها على مصطلحات معينة أو فنون بعينها عندهم وهكذا... لكن الشيخ استخدم مناهج متعددة في تعليمه وتربيته العقدية لتلاميذه فكانت النتيجة أن تخرج من بين يديه أئمة عظام وكذلك بعده يتخرج كذلك؛ لأن كل متعلم يتأثر بمنهاج وهو يميل إليه أصلاً، وهذا واضح في كل عصر من العصور لهذا الإمام تلاميذ يتربون على منهاجه ويرتوون من معينه فيجد القارئ لمؤلفات ذلك الإمام في العقيدة أنها غير قاصرة على فئة بعينها أو بيئة معينة بل إن كتاباته يستفيد منها القريب الملازم والبعيد في الزمن والأماكن فكان من سعة تصوره أنه عدد مناهجه في التربية العقدية وتتمثل في ما يلي:

1- منهجه التربوي في الاستدلال بالنقل:

فقد تميز الإمام ابن تيمية في مؤلفاته كلها بكثرة الاستدلال والاستشهاد بالنقل من النصوص: الكتاب والسنة والآثار الثابتة عن الصحابة أو تابعيهم أو حتى مما كان عن أهل الكتاب.

والاستدلال بالنقل والإكثار منه في تربية هذا الإمام لتلاميذه أو أخذ عنه في الجانب العقدي يلمسه كل من طالع أيَّ مصنَّف له، ويتضح ذلك من خلال أربعة أمور كما يلي:

- الأول: القرآن الكريم:

وهو أصل الأصول عند هذا الإمام حيث "دأبه —رحمه الله تعالى- الاستدلال على الأحكام: عقدية أو فقهية أو غيرهما بآيات القرآن الكريم والاستكثار من سياقها وهو عجيب في انتزاعها واستجلاء جلائل المعاني منها[469]"هذا ويجد القارئ لمؤلفات الشيخ أنه يربِّي من يتربَّوْن على يديه وعلمه سواء بصورة مباشرة أو

469 – 1د. بكر أبو زيد، المداخل، ص 54، مرجع سابق.



غير مباشرة على ضرورة الالتزام والتقيد بمصطلحات القرآن عند الحديث في الأمور العقدية في مجال التعليم أو الاعتقاد وكما في قوله: "والأحسن في هذا الباب مراعاة ألفاظ النصوص فيُثبتُ ما أثبت الله ورسوله باللفظ الذي أثبته ويُنفي ما نفاه الله ورسوله كما نفاه[470]"فهو يحاول في تعليمه ربط المتعلمين بربهم من خلال الالتزام بما جاء في كلام ربهم عز وجل ويتضح ذلك من خلال ما يلي:

استدلاله بآيات القرآن الكريم وتوجيهاتها وما تدل عليه:

فمنهج شيخ الإسلام ثابت لا يتغير في سائر مؤلفاته خاصة في الأمور العقدية وما يحوطها من أمور حيث إنه يكثر من الاستدلال بآيات الكتاب فقد اشتهر منهجه بـ" أنه يكثر الاستدلال وهذا من مزايا شيخ الإسلام –رحمه الله– أن أدلته التي يوردها كثيرة ومتنوِّعة فتجده يستدل بآيات القرآن استدلالاً مستفيضاً[471]" وهو في أسلوبه التعليمي يسير سيراً واحداً ومتناسقاً فيؤكد أنه لا يكفي مجرد سرد الأدلة بل لابد من معرفة توجيه الأدلة؛ لأنه ربما يأتي آتٍ بأدلة ويضعها في غير محلها وعلى غير ما تعنيه فيوجب ذلك بقوله: " فالقرآن معلوم ثبوت ألفاظه؛ فينبغي أن يعرف دلائله[472]" وكان يبيِّن لتلاميذه صفة المؤمن من الحق أنه هو الذي يجعل القرآن حاكماً لا محكوماً فقال: "وأما في باب فهم القرآن فهو دائم التفكر في معانيه والتدبر لألفاظه واستغنائه بمعاني القرآن وحكمه على غيره من كلام الناس وإذا سمع شيئاً من كلام الناس عرضه على القرآن فإن شهد له بالتزكية قَبِلَهُ وإلا ردّه، وإن لم يشهد له بقبول ولا رد وقفه وهمته عاكفة على مراد ربه من كلامه[473]"وهذا حال المسلم معظم لكلام ربه مجل له، والتلميذ على شاكلة أستاذه ومن علّمه: فبما أن الأستاذ يجل هذا الكلام فكل من تلقى العلم على يدي

---

470 – الإمام ابن تيمية، التفسير الكبير، جـ6 ص408، مرجع سابق، وينظر العقود الدرية للإمام ابن عبد الهادي، ص 173، مرجع سابق.

471 – الشيخ صالح آل الشيخ، كيف تقرأ كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، ؟ ، مادة مسجلة، مرجع سابق.

472 – الإمام ابن تيمية، التفسير الكبير، جـ6 ص414 – 415، مرجع سابق.

473 – شيخ الإسلام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ16 ص 50، مرجع سابق.

ذلك الإمام أو على كتبه فإنهم حتماً ولابد سوف يجلون هذا الكلام؛ لأنه كلام خالقهم فينزلونه مكانة تليق به كلاماً عظيماً. ثمّ إن الشيخ تقي الدين بيَّن[474] أن حجب أكثر الناس عن حقائق القرآن وتوجيهاته وفهم مراده ومعانيه وما ابتُلُوا به من الوسوسة من التكلف في نطق بعض الكلمات بأحكامها أو من خلال القراءات أو مراعاة النغم وتحسين الصوت وتتبع وجوه الإعراب واستخراج التأويلات المستكرهة التي هي بالألغاز والأحاجي أشبه منها بالبيان.

ومما يؤكد اهتمام هذا الإمام بفهم توجيهات الآيات القرآنية وما تدل عليه أن المسلم إن وجد بعض الألفاظ أو المصطلحات تتفوه بها ألسنة الآخرين ممن لا يتقيدون بهدي الوحي إما تأويلاً جهلاً أو نسياناً مع أصل التوحيد عندهم فإنه ينبغي عليه ألا يتسرع بنفي أو إثبات تلك الألفاظ أو المصطلحات حتى يفهم مقصودها ومن ثم عرضها على النصوص؛ فلهذا نجده يقول: "كل لفظ أحدثه الناس فأثبته قوم ونفاه آخرون فليس علينا أن نطلق إثباته ولا نفيه حتى نفهم مراد المتكلم: فإن كان مراده حقاً موافقاً لما جاءت به الرسل والكتاب والسنة من نفي أو إثبات قلنا به وإن كان باطلاً مخالفاً لما جاء به الكتاب والسنة من نفي أو إثبات منعنا القول به [ثمَّ بيَّن أن عموم الألفاظ والمصطلحات قسمان: قسم جاء به الكتاب والسنة وجب إثباته وقسم آخر لم يرد فيهما وهي التي عناها بقوله:] وأما الألفاظ التي ليست في الكتاب والسنة ولا اتفق السلف على نفيها أو إثباتها فهذه ليس على أحد أن يوافق من نفاها أو أثبتها حتى يستفسر عن مراده فإن أراد بها معنىً يوافق خبر الرسول أقرَّ به وإن أراد بها معنىً يخالف خبر الرسول أنكره ثم التعبير عن تلك المعاني إن كان في ألفاظه اشتباه أو إجمال عبر بغيرها أو بيَّن مراده بها بحيث يحصل تعريف الحق بالوجه الشرعي فإن كثيراً من نزاع الناس سببه ألفاظ مجملة

---

474 – ينظر نفس المرجع السابق، بتصرف



مبتدعة ومعانٍ مشتبهة[475]"ويُلمِعُ منهجه الاستدلالي بآيات القرآن الكريم أمثلة ثلاثة:

أولها: كلامه على إثبات وجود عرش الرحمن حقيقة ومباينته لغيره من المخلوقات: حيث إنه يورد كثيراً من الآيات التي استدل بها على إثبات ذلك المعتقد ولم يقتصر على مجرد سرد الآيات وحشدها بل بيَّن مدلولات تلك الآيات وما ترمي إليه من المعاني كما في قوله: "وأما العرش فالأخبار تدل على مباينته لغيره من المخلوقات، وأنه ليس نسبته إلى بعضها كنسبة بعضها إلى بعض قال الله تعالى: (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم)[476] وقال تعالى: (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية)[477] فأخبر أن للعرش حملة اليوم ويوم القيامة وأن حملته ومن حوله يسبحون ويستغفرون للمؤمنين... [ثم ذكر باقي الآيات كقوله:] قال الله تعالى: (وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين)[478] فذكر هنا أن الملائكة تحف من حوله وذكر في موضع آخر أن له حملة وجمع في موضع ثالث بين حملته ومن حوله فقال: (الذين يحملون العرش و من حوله) [وهذه الصفات وما ستأتي لم تتوفر لأي شيء إلا للعرش فدل على أنه مباين لسائر الأفلاك مستقل عنها] وأيضاً فقد أخبر أن عرشه كان على الماء قبل أن يخلق السموات والأرض كما قال تعالى: (وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء)[479] وهو سبحانه وتعالى يتمدح بأنه ذو العرش المجيد كقوله

475 – نفس المرجع السابق، ج12 ص 113 – 114، بتصرف واختصار
476 – سورة غافر الآية (7).
477 – – سورة الحاقة الآية (17).
478 – سورة الزمر الآية (75).
479 – سورة هود الآية (7).



سبحانه: (قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذاً لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً)[480] وقوله تعالى: (رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) [481] وقال سبحانه: (وهو الغفور الودود. ذو العرش المجيد. فعال لما يريد)[482] وقد قُرئ "المجيد" بالرفع صفة لله، وقرئ بالخفض صفة للعرش، وقال تعالى: (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله قل أفلا تتقون)[483] فوصف العرش بأنه مجيد وأنه عظيم، وقال تعالى: (فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم)[484] فوصفه بأنه كريم أيضاً... [ثم بيَّن اختلاف جنس العرش عن غيره من المخلوقات وأنه ليس بفلك يتبع صفات الأفلاك؛ ولذا قال:] فلا يخص واحد من هذه الأجناس عما يليه بالذكر ولا بوصفه بالكرم والمجد والعظمة[485]" فيبيِّن أن عرش الرحمن مع أنه مخلوق كسائر المخلوقات إلا أنه خص بالذكر وغيره ذكروا إجمالاً كغيرهم فدل على أنه بخلافهم وليس منهم بل إنه مباين للمخلوقات.

ثانيها: كلامه على النهي عن متابعة الملل السابقة وإشارته للضرر الحادث من جرَّاء ذلك: فهو يحشد الأدلة من القرآن يستفتح بها الجواب ومستدلاً بها مع إيضاحه لتوجيهات تلك الآيات وإبانته لما تدل عليه كما يلي:"قال الله سبحانه: (ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك على

480 – سورة الإسراء الآية (42).
481 – سورة غافر الآيتان (15 – 16).
482 – سورة البروج الآيات (14 – 16).
483 – سورة المؤمنون الآيتان (86 – 87).
484 – سورة المؤمنون الآية (116).
485 – شيخ الإسلام ابن تيمية، عرش الرحمن، جـ1 ص 15 – 17 بتصرف واختصار، مرجع سابق.



شـريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين)[486] أخبر سبحانه أنه أنعم على بني إسـرائيل بنعم الدين والدنيا وأنهم اختلفوا بعد مجئ العلم بغياً من بعضـهم على بعض ثم جعل محمداً صلى الله عليه وسلم على شريعة شرعها له وأمره باتباعها ونهاه عن اتباع أهواء الذين لا يعلمون، وقد دخل في الذين لا يعلمون: كل من خالف الشريعة [وبيَّن أن ذلك يكون بأحد أمرين: إما بالتشبه بهم في هديهم الظاهر وإما باتباعهم لما يهوونه موافقة له وأن الصـواب في مخالفتهم؛ لذا قال:] فلا ريب أن مخالفتهم ف يذلك أحسـم لمادة متباعتهم وأعون على حصـول مرضـاة الله في تركها وأن موافقتهم في ذلك قد تكون ذريعة إلى موافقتهم في غيره...وفي هذا الباب قوله سـبحانه: (والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب من ينكر بعضـه قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشـرك به إليه أدعو وإليه مآب. وكذلك أنزلناه حكماً عربياً ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا واق)[487] فالضـمير في (أهوائهم) يعود والله أعلم إلى ما تقدم ذكره وهم الأحزاب الذين ينكرون بعضـه فدخل في ذلك كل من أنكر شـيئاً من القرآن من يهوديّ ونصـرانيّ وغيرهما وقد قال: (ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم)، ومتابعتهم فيما يختصـون به من دينهم وتوابع دينهم: اتباع لأهوائهم بل يحصـل اتباع أهوائهم بما هو دون ذلك.ومن هذا –أيضـاً– قوله تعالى: (ولن ترضـى عنك اليهود ولا النصـارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصـير)[488] فانظر كيف قال في الخبر: (ملتهم) وقال في النهي: (أهواءهم)؛ لأن القوم لا يرضـون إلا باتباع الملة

486 – سورة الجاثية الآيات (16 – 19).

487 – سورة الرعد الآيتان (36 – 37).

488 – سورة البقرة الآية (120).



مطلقاً، والزجر وَقْعٌ عن اتباع أهوائهم في قليل أو كثير، ومن المعلوم أن متابعتهم في بعض ما هم عليه من الدين: نوع متابعة لهم في بعض ما يهوونه أ ومَظِنَّة لمتابعتهم فيما يهوونه"[489] فبيَّن حرمة متابعتهم سواء في التشبه أو بالاتباع كما أن الخير كل الخير في مخالفتهم؛ إذ في مخالفتهم رضا الرحمن وأشار إلى أن مجرد مشابهتهم في الهدي الظاهر ذريعة لاتباعهم في الباطن وكل منهما محرم منهيٌ عنه بنص الكتاب.

ثالثها: استدلاله بآيات القرآن الكريم على تأصيل أحكام السياسة الشرعية للراعي والرعية: فأصل ذلك أمر عقدي ثابت ذو اتصال وثيق بالإيمان والإخلال به وتعمُّد الإعراض عنه كفر وردة فإنه اســـتدلال على إثبات ذلك بأمور من خلال رسـالة في صـفحات تزيد عن مائة وخمسـة وعشـرين[490] وبنى ذلك على آيتين من كتاب الله تعالى اســـتدل بهما وبيَّن توجيههما وما تدلان عليه من أحكام كما ذكر ذلك في مقدمة اقل فيها: "وهذه الرســـالة مبنية على آيتين في كتاب الله: وهما قوله تعـالى : (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمـانات إلى أهلهـا وإذا حكمتم بين النـاس أن تحكموا بالعدل إن الله نعمَّا يعظكم به إن الله كان سميعاً بصـيراً . يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الله والرسـول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شـيء فردوه إلى الله والرســـول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحســـن تأويلاً)[491] قال العلماء: نزلت الآية الأولى في ولاة الأمور عليهم أن يؤدوا الأمـانات إلى أهلهـا وإذا حكموا بين النـاس أن يحكموا بالعـدل ونزلـت الثـانية في الرعية من الجيوش وغيرهم عليهم أن يطيعوا أولي الأمر الفـاعلين لذلك في قســـمهم وحكمهم ومغازيهم وغير ذلك إلا أن يأمروا بمعصـــية الله فإذا أمروا بمعصـــية الله فلا طاعة لمخلوق في معصـــية الخالق فإن تنازعوا في شيء ردوه إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وإن لم تفعل ولاة الأمر ذلك أُطيعوا فيما يأمرون به من طاعة الله ورسـوله؛ لأن ذلك من

---

489 – شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، جـ 1 ص97 – 99 بتصرف، مرجع سابق.

490 – في ليلة بطلب من الحاكم، كما في مجموع الفتاوى للإمام ابن تيمية، جـ8، ص244، مرجع سابق.

491 – سورة النساء الآيتان (58 – 59).



طاعة الله ورسوله وأُديت حقوقهم إليهم كما أمر الله ورسوله قال تعالى: (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان)[492] وإذا كانت الآية قد أوجبت أداء الأمانات إلى أهلها والحكم بالعدل: فهذان جماع السياسة العادلة والولاية الصالحة[493]" فبين مستدلاً بآيات الكتاب وجوب الحكم بالقرآن من قبل الراعي والرعية ثم وضح أن مصدر حل المشكلات عند التنازع إنما هو الوحي وهذا شرط الإيمان كما أن من ترك الرجوع للوحي عند التنازع يكون قد خرج من الإيمان ثم بيَّن بعد ذلك باقي الأحكام وما يتعلق بالأماناتت وما تنقسم إليه.

ومما مر تبين طرف من منهج الإمام ابن تيمية في تربيته العقدية من خلال تعليميه للمتعلمين بأبسط صورها مع الاعتراف بعظيم قدرها وجليل شأنهما، والأمثلة الثلاثة السابقة:

- سواء ما كان منها ماله تعلق بالإيمان بعرش الرحمن ومباينته عن سائر المخلوقات وهو أمر قلبي يعتقده المؤمن.
- أو ماله تعلق بمبحث الولاء والبراء وهو أمر عقدي يعتقده المؤمن بقلبه ثم يطبقه – ما استطاع- بجوارحه مع الآخرين من المفاصلة الحسية وإلا فالشعورية مع إعطاء كل ذي حقٍّ حقه من مسلمين وغيرهم ممن يطبق معهم هذا الأمر.وكذلك ما له تعلق بالحكم بالشريعة والتي لها من الالتصاق بإيمان الفرد إن انقاد إليها دخل في زمرة الموحدين وإن أعرض عنها كفر وصار من شرزمة الهالكين.
- ففي هذا الأمثلة لمع منهج واضح ثابت حيث:

(أ) تقديم آيات القرآن قبل كل شيء.

(ب) التسليم المطلق للوحي.

(ج) الانقياد الكامل لشريعة سيدنا محمدٍ صلى الله عليه وسلم.

---

492 – سورة المائدة الآية (2).

493 – شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية، السياسة الشرعية، ص 5- 6، مرجع سابق، وينظر مجموع الفتاوى للإمام ابن تيمية، ج28 ص 44،مرجع سابق.



(ء) توضيح الوجهة والمقصد المستنبط والمراد من آيات القرآن الكريم.

(هـــ) باقي الأدلة تابعة لآيات القرآن إذ آيات الكتاب هي الأصل ثم تتبعها السـنة المطهرة وما سـوى ذلك يتبعهما وهذا ثابت في كل مؤلفات ذلك الإمام.

فكل من تربى على يدي ذلك الإمام بصورة مباشرة أو غير مباشرة نجده أول ما يقدم في استدلالاته وتكون الغالبة في تصوره في الأمور العقدية فضلاً من غيرهما آيات القرآن الكريم وفي هذا إشـارة إلى حصـول انقياد مطلق للوحي وإنما هذه ثمار أينعت ونضجت وآتت أُكُلها حيث غرسها ذلك الإمام ونثرها في منهجه التعليمي التربوي للعقيدة.

فمن هذه معرفته بالتفسير ومناهجه لجدير بأن يتميز منهجه في تعلميه

لمن يتربى على يديه حيث طوَّع كل ملكاته التي وهبه له مولاه في إثبات وتأصيل العقيدة الإسـلامية والدفاع عنها بكل ما أُوتي من علم وفهم؛ لذلك صـار منهجه مسـتقلاً فلا يقلد فيه أحداً وهذا المنهج الذي اتخذه في تأصـيله وتعليمه وتربيته العقدية خاصة وغيرها بصورة عامة ما يلي:

1- تفسير القرآن بالقرآن.

2- تفسـير القرآن بالسـنة المطهرة وقد بيَّن هذا بقوله لمن سـأله عن أحسـن طرق التفسـير: "إن أصـح الطرق في ذلك أن يفسـر القرآن بالقرآن: فما أُجمل في مكان فإنه قد فُسِّر في موضع آخر، وما اختصر من مكان فقد بُسط في موضع آخرفإن أعياك ذلك فعليك بالسنة؛فإنها شارحة للقرآن وموضحة له[494]"

3- الأخذ بأقوال الصـحابة عند عدم وجود التفسـير في القرآن أو السـنة؛" فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرآن والأحوال التي اختصوا بها ولما لهم من الفهم التام

494 – الإمام ابن تيمية، التفسير الكبير، جـ2 ص237 – 238، مرجع سابق، مجموع الفتاوى له، جـ13 ص 368، مرجع سابق، وينظر كذلك جـ13 ص 332 – 333، 361 – 362.



والعلم الصحيح والعمل الصالح لاسيما علماؤهم وكبراؤهم[495]" وكذلك لمعرفتهم التامة بالقرآن قراءة وفهماً؛ ولذا يقول الإمام ابن تيمية: "يجب أن يُعلم أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم بيَّن لأصحابه معاني القرآن كما بيَّن لهم ألفاظه فقوله تعالى: (لتبيِّن للناس ما نُزِّل إليهم)[496] يتناول هذا وهذا[497]".

4- الأخذ بأقوال التابعين؛ لأنهم أخذوا معاني القرآن عن الصحابة وكتبوها عنهم خاصة كبار التابعين كما بيَّن هذا بقوله: "إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة، ولا وجدته عند الصحابة فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين[498]"

5- الرجوع إلى اللغة لفهم آيات الكتاب؛ فالكتاب نزل بالعربية ولكن هذه اللغة مرتبتها بعد مرتبة الوحي ومن نقله أو أخذ منه كما ذكر ذلك الإمام ابن تيمية بقوله: "ومما ينبغي أن يعلم أن يعلم أن القرآن والحديث إذا عُرف تفسيره من جهة النبيّ صلى الله عليه وسلم لم يحتج في ذلك إلى أقوال أهل اللُّغة[499]"؛ ولذلك فإن من منهجه الرجوع إلى اللغة عند توارد تفسيرات للتابعين فيرجح بينها باللغة وقد ذكر ذلك الإمام ابن تيمية بعد ذكره لأن إجماع التابعين حجة فقال: "... فإن اختلفوا فلا يكون بعضهم حجة على بعض ولا على من بعدهم ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن أو السنة أو عموم لغة العرب أو أقوال الصحابة في ذلك[500]".

6- منهجه في الأحاديث الإسرائيلية أنها تُذكر وتُحكى في مجال الاستشهاد لا للاعتقاد كما قال: "ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تُذكر للاستشهاد لا للاعتقاد فإنها على ثلاثة أقسام:

أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح.

495 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ3، ص 27، مرجع سابق.
496 – سورة النحل الآية (44)
497 – الإمام ابن تيمية، التفسير الكبير، د 2 ص 193، مرجع سابق، مجموع الفتاوى، د 3 ص 331، مرجع سابق
498 – نفس المرجع السابق ، د 2 ص 237، د 13 ص 368
499 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ13 ص 370، مرجع سابق.
500 – الإمام ابن تيمية، التفسير الكبير، جـ2 ص234، مرجع سابق، مجموع الفتاوى له، جـ13 ص366 – 367، مرجع سابق.



والثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه.

والثالث: ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه وتجوز حكايته.

وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني؛ ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في مثل هذا كثيراً ويأتي عن المفسِّرين خلاف بسبب ذلك[501]"

7- يرى تحريم التفسير بالرأي: في حرمة التفسير بالرأي بل لابد من معرفة بالشريعة واللغة؛ ولذا قال: "فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام.. وهكذا روى بعض أهل العلم من أصحاب النبيِّ صلى الله عليه وسلم وغيرهم أنهم شدَّدوا في أن يفسَّر القرآن بغير علم... [ثم قال:] فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعاً فلا حرج عليه"[502].

وبهذا المنهج سار الإمام ابن تيمية في تربيته لتلاميذه فتخرج على يديه أئمة في التفسير كالإمام ابن القيم والإمام ابن كثير وغيرهما ممن جاء بعدهما من المفسرين.فاستخدم هذا الإمام ذلك المنهج في تعليمه وتربيته للعقيدة لتلاميذه خاصَّة ولمن تعلم على مؤلفاته بصورة عامة حيث صحة التصور ودقة الفهم مع كمال الإجلال لكلام الله عز وجل فهو لاستيعابه لكتب المفسرين[503] فهو لا يقتصر على النقل منها فحسب بل إنه يستدرك عليها وربما يزيد عليها ويحل إشكالات وقع أصحابها حيث اعترضت تلك الإشكالات أولئك المفسِّرين.

وأما ما يتعلق بالجانب العقدي واتصاله بالتفسير أن الإمام قد استخدم التفسير في تربية تلاميذه ومن تعلم على كتبه أنه عمل على حل إشكالات عقدية قد يستلزم

---

501 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ13 ص 370، مرجع سابق.

502 – الإمام ابن تيمية، التفسير الكبير، جـ2 ص239، 340، 343 بتصرف، مرجع سابق، ينظر مجموع الفتاوى، للإمام ابن تيمية، جـ13 ص370 – 374، مرجع سابق.

503 – يظهر ذلك من خلال أجوبته عن أفضل التفاسير والموازنة بينها وخلاصة الكلام على تلك التفاسير وأصحابها قرباً وبعداً من منهج أهل السنة في الأمور الاعتقادية كما بيَّن ذلك في غير ما موضع من مؤلفاته مثل مجموع الفتاوى، جـ13 ص 354، 361، 385 – 386، مرجع سابق، التفسير الكبير، جـ2 ص221 – 222، 228 – 229، 254 – 257، مرجع سابق.



القول بها أو بما يؤول إليه –إن قبل أو اعتقد– قائلوها إلى الكفر والردة حيث تنقيص مقام الألوهية بوجود اضطراب في آيات الكتاب أو التعدي على مقام النبوة والرسالة، وكذلك بعض إلزامات لقائليها تؤول بهم إلى نبذ الشريعة رأساً فعمل هذا الإمام على تأصيل الجانب العقدي إثباتاً ونفياً من خلال التفسير ويتضح ذلك كما يلي:

2- تربيته العقدية من خلال حماية جناب النبوة والرسالة:

وبيَّن هنا مدافعاً عن جناب النبوة ومقام الأنبياء وبيَّن أن الفهم السقيم أدَّى إلى ذلك الفهم ذلك أن قول القائل بعدم عصمة الأنبياء –عليهم السلام– تنقيص لحقهم وتجرؤ على مقام الألوهية؛ إذ هو المصطفي لهم فأجاب عن ذلك الإمام حينما وُجِّه إليه هذا السؤال: "عن معنى قوله تعالى: (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار)[504] الآية والتوبة إنما تكون عن شيء يصدر من العبد والنبيُّ صلى الله عليه وسلم معصوم من الكبائر والصغائر.

فأجاب: شيخ الإسلام ابن تيمية: الحمد لله، الأنبياء –صلوات الله وسلامه عليهم– معصومون من الإقرار على الذنوب كبارها وصغارها وهم بما أخبر به الله به عنهم من التوبة يرفع درجاتهم ويعظم حسناتهم فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وليست التوبة نقصاً بل هي من أفضل الكمالات وهي واجبة على جميع الخلق كما قال تعالى: (وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات)[505] فغاية كل مؤمن هي التوبة ثم التوبة تتنوع كما يقال: حسنات الأبرار سيئات المقربين.

والله تعالى قد أخبر عن عامة الأنبياء بالتوبة والاستغفار... وفي أواخر ما أنزل الله على نبيه: (إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله

504 – سورة التوبة الآية (117).

505 – سورة الأحزاب الآيتان (72 – 73).



أفواجاً فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً)[506] وقد قال الله تعالى: (واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات)[507] فتوبة المؤمنين واستغفارهم هو من أعظم حسناتهم وأكبر طاعاتهم وأجل عباداتهم التي ينالون بها أجل الثواب ويندفع بها عنهم ما يدفعه من العقاب... وينبغي أن يُعرف أن التوبة لابد منها لكل مؤمن ولا يكمل أحد ويحصل لـه كمال القرب من الله ويزول عنه كل ما يكره إلا بها ومحمد صلى الله عليه وسلم أكمل الخلق وأكرمهم على الله وهو المقدم على جميع الخلق في أنواع الطاعات فهو أفضل المحبين لله وأفضل المتوكلين على الله وأفضل العابدين لـه وأفضل العارفين به وأفضل التائبين إليه وتوبته أكمل من توبة غيره ولهذا غفر الله لـه ما تقدم من ذنبه وما تأخر وبهذه المغفرة نال الشفاعة يوم القيامة فهو صلى الله عليه وسلم لكمال عبوديته لله وكمال محبته لـه وافتقاره إليه وكمال توبته واستغفاره صار أفضل الخلق عند الله فإن الخير كله من الله وليس للمخلوق من نفسه شيء بل هو فقير من كل وجه والله غنيٌّ عنه من كل وجه محسن إليه من كل وجه فكلما ازداد العبد تواضعاً وعبودية ازداد إلى الله قرباً ورفعة ومن ذلك توبته واستغفاره[508]" فبيَّن في جوابه مراعياً تقدير مقام النبوة وعدم التعدي على ذلك بسوء فهم يفضي إلى تنقيص مقام النبوة فيؤدِّي إلى عدم العصمة المنافية للرسالة وهكذا أبان من خلال منهجه التفسيري أمراً مشكلاً في الأمور العقدية حتى يتعلمه السائلين: تلاميذ ومسترشدين وكذلك سلك هذا الإمام في الجانب التفسيري إيضاح وجه الآية وما تدل عليه ويزيدها إيضاحه كما ينقل عن المفسِّرين ثم يوضح وجهة الجواب مع الزيادات كما في حله لإشكال وقع في فهم المفسرين لجزء من آية وهو قوله تعالى: (يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه)[509] ثم قوله: (يدعو لمن ضره أقرب من نفعه)[510]

506 – سورة النصر الآيات (1 – 3).
507 – سورة محمد الآية (19).
508 – الإمام ابن تيمية، التفسير الكبير، جـ4 ص384 – 390 بتصرف واختصار، مرجع سابق.
509 – سورة الحج الآية (12).
510 – سورة الحج الآية (13).

فبعد أن أورد تفسيراً للسدِّي يرد ظاهر التناقض وهو نفي الضر عن الأصنام مثبتاً لها وهذا الجواب هو "(ما لا يضره) قال: لا يضره إن عصاه (وما لا ينفعه) قال: لا ينفعه الصنم إن أطاعه (يدعو لمن ضره) قال: ضره في الآخرة من أجل عبادته إياه في الدنيا. قلت: وهذا الذي ذكره من الجواب كلام صحيح لكن لم يبيِّن فيه وجه التناقض فنقول: قوله: (ما لا يضره وما لا ينفعه) هو نفي لكون المدعو المعبود من دون الله يملك نفعاً أو ضراً وهذا يتناول كل ما سوى الله من الملائكة والبشر والجن والكواكب والأوثان كلها، فإن ما سوى الله لا يملك لا لنفسه ولا لغيره ضراً ولا نفعاً وقوله: (يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه)[511] نفي عام كما في قوله: (ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً)[512] فهو لا يقدر أن يضر أحداً سواء عبده أو لم يعبده ولا ينفع أحداً سواء عبده أو لم يعبده وقول من قال: لا ينفع إن عبد ولا يضر إن لم يعبد بيان لانتفاء الرغبة والرهبة من جهته بخلاف الرب الذي يكرم عابديه ويرحمهم ويهين من لم يعبده ويعاقبه.

والتحقيق:أنه لا ينفع ولا يضرمطلقاً؛فإن الله سبحانه وسعت رحمته كل شيء وهو ينعم على كثير من خلقه وإن لم يعبدوه... وإذا كان كذلك فنقول: المنفي قدرة مَنْ سواه [أي: الله سبحانه] على الضر والنفع[513]" وهكذا لا يقتصر في تربيته العقدية من خلال الجانب التفسيري على مجرد النقل والحفظ والاستيعاب بل بالزيادة لإيضح توجيه الآية وإبراز المقصود وهو يعدد في وسائل التعليم والتربية تبعاً لأحوال المتعلمين أو السائلين وطبيعة الأسئلة فأصل الإمام ابن تيمية العقدية لمن يتعلم منه من خلال منهجه التفسيري الواضح المعتمد على النصوص واللغة وما تدعو إليه الشريعة المحمدية الغراء؛ فنراه قد سلك منهجاً فريداً في إثبات صحة معتقد أهل

511 – سورة الحج الآية (12).
512 – سورة طه الآية (89).

513 – الإمام ابن تيمية، التفسير الكبير، جـ5 ص221 – 225 بتصرف واختصار، مرجع سابق.



السنة من خلل الجانب التفسيري ولسلوك هذا الإمام لباب التفسير العقدي غاية؛ ذلك أن المتعلمين مختلفو المشارب: فمنهم من له علاقة بالتفسير فإنه سيجد بُغيته وكفايته من التفسير وفي نفس الوقت قد صحح له الإمام عقيدته وتصوره فخرج من ذلك بفائدتين عظيمتين هما:

1- حصول العلم المتعلق بمبحث التفسير الذي أتى من أجله أو بحث أو اطلع.

2- صحت عقيدته من خلال أمر يميل إليه طبعاً واختياراً.

وبهذين الأمرين يظهر مدى استغلال هذا الإمام للطاقات وتوجيه المواهب وتعليم المتعلمين بوسائل متعددة؛ لأن التعلمين الذين يتعلمون في التفسير أو يطالعون كتب التفسير قد لا يتعلمون من فرع غيره؛ لذا تعدد تلك الروافد يساهم في إيصال العلم للمتعلمين وتعدد الوسائل التعليمية دلالة على نجاح المعلم في تعليمه وتربيته لتلاميذه.

وقد آتى غرس هذا الإمام أكله فخرجت من تحت يديه جهابذة مفسرون بعقيدة صحيحة كالإمامين: ابن القيم وابن كثير ثم من تلاهما عبر الأزمان وهو في حد ذاته إشارة دالة على صحة منهج ذلك الإمام.

تربيته العقدية من خلال قراءات القرآن الكريم:

وهي القراءات العشر المتواترة التي يُقرأ بها القرآن الكريم، وهذه القراءات من المعلوم من الدين بالضرورة؛ فيجب على كل مسلم الإيمان بها كلها إيماناً مجملاً ولو لم يحفظ أو يقرأ منها شيئاً؛ إذ هي كلام رب العالمين.



هذا وللإمام ابن تيمية معرفة واســـعة بالقراءات وما يتعلق بها وإن كان هو يقرأ بقراءة الإمام أبي عمرو البصـري[514] وهي القراءة السـائدة[515] في الشـام ومصـر واليمن آنذاك وهي الآن السائدة في السودان والحبشة.

وقد قرر الإمام ابن تيمية ونص في غير ما كتاب على وجوب الاعتقاد بأن كل القراءات العشـرة هي من كلام الله عز وجل كما في قوله: "والقرآن الذي بين لوحي المصـحف متواتر؛ فإن هذه المصـاحف المكتوبة اتفق عليها الصـحابة ونقلوها قرآناً عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم وهي متواترة من عهد الصحابة نعلم علماً ضرورياً أنها ما غيرت والقراءة المعروفة عن السـلف الموافقة للمصـحف تجوز القراءة بها بلا نزاع بين الأئمة[516]" وقال: "لم ينكر أحد من العلماء قراءة العشـرة[517]" أي : الذين ليس لهم شـبهات أو شـهوات وإن لم يكونوا مجيدين لقراءة الحروف التي في القراءات العشـرة. إلى غير ما هنالك من مسـائل تظهر تبحره وسـعة علمه بعلم القراءات ومقرئيها وما يتعلق بها من أمور اعتقادية أو فقهية خاصة بالصلاة وغيرها... ومما له علاقة بموضوع البحث هو استدلاله بالقراءات واستخدامه لها في إثبات أمور المعتقد وتلازم ذلك بمنهجه التربوي الذي يسـلكه مع من يتعلم منه حيث إنه سـلك في تعاليمه وتربيته العقدية أن أدخل القراءات كأصل الأصول في إثبات العقيدة والدفاع عنها ويتضح ذلك من خلال ثلاثة أمثلة تبين تلازم القراءات وإثبات الأمور العقدية كأسلوب سلكه في منهجه التربوي للعقيدة وهي كما يلي:

1- استخدام القراءات لرفع الالتباس عند قراءة بعض الآيات:

514 – الإمام المقرئ الصالح الزاهد إمام العربية والإقراء أبو عمرو زَبان بن العلاء التميمي المازني البصري، إمام البصرة ومقرؤها، صاحب القراءة الشهيرة وأحد القراء العشرة المعروفين، توفي 154هـ.

515 – د. بكر أبو زيد، المداخل، ص 54 – 55، مرجع سابق.

516 – الإمام، ابن تيمية، جـ12 ص569، ، ينظر مجموع الفتاوى له، جـ12 ص569 –570، مرجع سابق.

517 – الإمام ابن تيمية، التفسير الكبير، جـ2 ص264، مرجع سابق.



فبعض الآيات عند قراءتها لأول وهلة يظن من لا علم عنده بمعانيه وما يدل عليه وما يوضحه من باقي القراءات أن هناك التباساً معيناً والذي يجب على المسلم أن يتعامل مع قراءات القرآن مع بعضها كما يتعامل مع آيات الكتاب مع بعضها البعض فبما أنه لا يجوز أن يفهم قارئ من القرآن أن الويل للمصلين من قوله تعالى: (فويل للمصلين)[518] فلو أن هذا قرأ الآية التالية لها لعرف حقيقة المعنى وهو قوله تعالى: (الذين هم عن صلاتهم ساهون)[519] فكذلك القراءات مثلها سواءً بسواء وقد قرر هذا المعنى الإمام ابن تيمية بقوله: "وكل قراءة منها [أي: القراءات المتواترة] مع القراءة الأخرى بمنزلة الآية مع الآية يجب الإيمان بها كلها واتباع ما تضمنته من المعنى علماً وعملاً ولا يجوز ترك موجب إحداهما لأجل الأخرى ظناً أن ذلك تعارض بل كما قال عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه–: من كفر بحرف منه فقد كفر به كله[520]" والأمثلة على ذلك كثيرة منها:

(أ) إيضاحه لمعنى قوله تعالى: (ما ننسخ من آية أو ننسها)[521]

حيث "سُئل عن معنى قوله: (ما ننسخ من آية أو ننسها)، والله سبحانه لا يدخل عليه النسيان. فأجاب:" أما قوله: (ما ننسخ من آية أو ننسها) ففيها قراءتان أشهرهما[522]: (أو نُنسها) أي: ننسيكم إياها: أي: نسخنا ما أنزلناه، أو اخترنا تنزيل ما نريد أن ننزله نأتكم بخير منه أو مثله، والثانية[523] (أو نَنسأها) بالهمز أي: نؤخرها، ولم يقرأ أحد ننسها فمن ظن أن معنى ننسأها بمعنى: تنساها فهو جاهل بالعربية

518 – سورة الماعون الآية (4).

519 – سورة الماعون الآية (5).

520 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ13 ص391 – 392، ص401، مرجع سابق، والتفسير الكبير له، جـ2ص262، 271،مرجع سابق.

521 – سورة البقرة الآية (106).

522 – وقد قرأ بها ثمانية من القراء العشرة وهم:

الإمام نافع المدني.الإمام ابن عامر الدمشقي.الإمام عاصم الكوفي. الإمام حمزة الكوفي. الإمام الكسائي الكوفي. الإمام أبو جعفر المدني. الإمام يعقوب البصري. الإمام خلف العاشر البغدادي. القراءات العشر المتواترة بها مش المصحف الشريف، فكرة وتنفيذ علوي بلفقيه، إشراف وإعداد الشيخ محمد كريّم راجح، ص17، دار المهاجر، ط4، المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية، 1425هـ - 2004م، والميسر في القراءات الأربع عشر بها مش المصحف الشريف، تأليف الشيخ محمد فهد خاروف، مراجعة الشيخ محمد كريم راجح، ص17، دار ابن كثير، ط3، دمشق سوريا، بيروت لبنان، 1422هـ - 2001م.

523 – وقد قرأ بها إمامان من القراء العشرة وهما:الإمام ابن كثير المكي. الإمام أبو عمرو البصري. نفس المرجع السابق.



والتفسير. قال موسى عليه السلام: (عِلمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى)[524] والنسيان مضاف إلى العبد كما في قوله: (سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله)[525] ولهذا قرأها بعض الصحابة: أو (تنساها) أي: تنساها يا محمد وهذا واضح لا يخفى إلا على جاهل لا يفرق بين ننسأها بالهمز وبين تنساها بلا همز[526]" فنراه قد أبان الالتباس في فهم آية من كتاب الله وأوضح معناها المقصود من خلال القراءات وأن الفهم السقيم لها فيه إثبات النقص للرب –سبحانه وتعالى– ولكن من خلال معرفة القراءات اتضح المعنى المراد وبهذا يتربى المتعلمون على إثبات العقائد ونفي النقص عن جناب الألوهية من أمور ومنها القراءات.

(ب) دفاعه عن مقام الرسل عليهم السلام

وذلك بإيضاح معنى القراءاتين وأنهما ليستا متعارضتين بل معناهما واحد ولكن بتعبيرين مختلفين كما أوضـــح هذا عند تعليقه كما في قوله تعالى: (ولقد رآه بالأفق المبين . وما هو على الغيب بظنين)[527] فقال في ذلك موضـــحاً أنه لا تعارض بين المعنيين: "قال تعالى: (ولقد رآه بالأفق المبين) أي: رأى جبريل عليه الســـلام (وما هو على الغيب بظنين)[528] أي: بمتهم،وفي القراءة الأخرى[529]:(بضنين) أي:ببخيل[530]" فمن خلال إثبات القرائتين وفهم معناهمايظهرأنهماتعطيان صفات حسنةعمن وصف من رسل الله

524 – سورة طه الآية (52).
525 – سورة الأعلى الآيتان (6 – 7).
526 – الإمام ابن تيمية، التفسير الكبير، جـ3 ص38، مرجع سابق.

527 – سورة التكوير الآيتان (23 – 24).
528 – – قرأ بها: الإمام ابن كثير المكي. الإمام أبو عمرو البصري. الإمام الكسائي الكوفي. الإمام رويس البصري أحد راويي الإمام يعقوب.
القراءات العشر بها مش المصحف الشريف، ص586، مرجع سابق، الميسر في القراءات الأربع عشرة بها مش المصحف الشريف، ص586، مرجع سابق.
529 – وقرأ بها:.
الإمام نافع المدني. الإمام عامر الدمشقي. الإمام عاصم الكوفي. الإمام حمزة الكوفي. الإمام أبو جعفر. الإمام روح البصري أحد راويي الإمام يعقوب. الإمام خلف العاشر البغدادي. نفس المرجع السابق
530 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ10 ص274، مرجع سابق.



وذلك بصـــفتين هما(1) ليس بمتهم(2) ليس ببخيل وهكذاأبان من خلال القراءات إثباتاًعقدياً يجب على كل مسلم الإيمان به

(ج) إثباته لصفة من صفات الرحمن

من خلال القراءات؛ وذلك لاحتمال المعنى من الآية على إثبات تلك الصــفة لله – سـبحانه وتعالى– وكذلك للنبيِّ صـلى الله عليه وسـلم وهذه الآية هي قوله تعالى: (بل عجبت يسـخرون)[531]كقوله مثبتاً صـفة العجب لله –سـبحانه وتعالى–: "ولهذا قال تعالى: (بل عجبتُ ويسخرون) على قراءة الضَّمِّ [532].

فهنا عجبٌ من كفرهم مع وضوح الأدلة[533]" فمن خلال تلك القراءة الكريمة والتي هي بضم التاء من (عجبتُ) أثبت منها الإمام ابن تيمية صفة العجب للرحمن حاله كحال أهل السـنة والجماعة من الإثبات والاعتقاد لكل صـفة جاءت في كتاب الله بقراءاته أو صـحت في سـنة النبي صـلى الله عليه وسـلم؛ ولهذا علق على مُنْ أنكرها متأولاً مخطئاً بقوله: "فهذا قد أنكر قراءة ثابتة وأنكر صـــفة لله دلَّ عليها الكتاب والسنة[534]".

(د) إثباته لصــفة المجد للرحمن وكذلك إثباته لصــفة المجد لعرش الرحمن –ســبحانه وتعالى– وذلك من خلال قوله تعالى:(وهو الغفور الودود . ذو العرش المجيد . فعال لما يريـد)[535] فقـد أثبـت تلـك الصـــفتين الكريمتين: فقـال: "وقـد قرئ (المجيـدُ) بالرفع[536] صفة لله، وقرئ بالخفض[537] صفة للعرش[538]"فهنا استدل بالقراءات

531 – سورة الصافات الآية (12).

532 – – وقرأ بها: الإمام حمزة الكوفي. الإمام الكسائي الكوفي. الإمام خلف العاشر البغدادي.
القراءات العشر بها مش المصحف الشريف، ص 446، مرجع سابق، الميسَّر في القراءات الأربع عشرة بها مش المصحف الشريف، ص 446، مرجع سابق.

533 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ6 ص123، جـ13 ص391، مرجع سابق، التفسير الكبير له، جـ2 ص262،مرجع سابق

534 – شيخ الإسلام ابن تيمية، عرش الرحمن، مسألة كلام الله الكريم، ص18، مرجع سابق.

535 – سورة البروج، الأيات (14 – 16).

536 – قرأ بها:الإمام نافع المدني.الإمام ابن كثير المكي .الإمام أبو عمرو البصري.الإمام ابن عامر الدمشقي.الإمام عاصم الكوفي.الإمام أبو جعفر المدني.
الإمام يعقوب البصري. القراءات العشر بها مش المصحف الشريف، ص590، مرجع سابق، الميسَّر في القراءات الأربع عشرة بها مش المصحف الشريف، ص590، مرجع سابق.

537 – قرأ بها: الإمام حمزة الكوفي. الإمام الكسائي. الإمام خلف العاشر. نفس المرجع السابق.

538 – شيخ الإسلام ابن تيمية، عرش الرحمن، جـ1 ص16، مرجع سابق.



القرآنية على إثبات صفتين كريمتين: إحداهما صفة المجد لله —سبحانه وتعالى- والأخرى إثبات صفة المجد لعرش الرحمن سبحانه وتعالى.

ومما يتضح للباحثين في منهج ذلك الإمام أنه ثابت في جميع الموضوعات وأنه يعدِّد وسائل الإثبات والإقناع، نظراً لقوته الاستدلالية من ناحية وأيضاً لاختلاف الفروق بين المتعلمين أو السائلين أو المعترضين من ناحية أخرى، وبهذا المنهج التربوي الذي سلكه سهَّل لمن تربَّى على يديه أو على كتبه طريقاً فيه أصالة في الاستدلال وهو الاستدلال بالقراءات في إثبات أمور المعتقد وهو منهج تربوي فريد.

- الثاني: السنة النبوية المطهرة:

السنة شقيقة القرآن؛ إذ القرآن والسنة خرجا من مشكاة واحدة وهي الوحي كما قال تعالى: (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزِّل إليهم ولعلهم يتفكرون)[539] وهي "مُبيِّنة وشارحة له تفصل مُجمله، وتوضح مُشْكِله، وتقيِّد مطلقه وتخصص عامه، وتبسط ما فيه من إيجاز[540]" ويقرر هذا الإمام ابن تيمية بقوله: "فالسنَّة تفسِّر القرآن وتبيِّنهُ وتدل عله وتُعبرعنه[541]"، ولقد أوتي الإمام ابن تيمية حظاً وافرا من السنة وما يتعلق بها من علوم حيث ذكرته الحديدية واستخضاره العجيب للأحاديث: إسناداً ومتناً مع التوسع في الكلام على رجال الإسناد: جرحاً وتعديلاً، وقد شهد له أئمة الحديث بذلك سواء من عاصره أو أتى بعده وهكذا يتوالى الثناء عليه جيلاً بعد جيل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وليس ذلك لشيء إلا لأنه ناصر للوحي فبنصرته للوحي يبقى ذكره.

539 – سورة النحل الآية (44).

540 – د. محمد بن محمد أو شَهْبة، دفاع عن السنة، ص11، مكتبة السنة، ط1، القاهرة – مصر، 1409هـ - 1989م.

541 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ4 ص138، مرجع سابق.



وقد سخر هذا الإمام كل ما وهبه الله –سبحانه وتعالى– من علم وفهم في نصرة عقيدة الإسلام فدافع عنها باللسان والبنان والسِّنان ومما له اتصال بموضوع السنة ودفاعه عنها أمور تتضح من خلال ما يلي:

استدلالاته بالأحاديث وتوجيهاتها وما تدل عليه:

استدل الإمام ابن تيمية بالأحاديث موضحاً دلالاتها وتوجيهها في إثبات العقيدة وتتبع كل ما استدل به الإمام من أحاديث في أمور العقيدة مما يصعب حصره لكن يدل على ذلك ما يلي:

1- تربيته العقدية من خلال إيضاحه لمعنى حديث يدل على التمسك بالدين الإسلامي:

حيث إن الفهم لو اشتط لانقلب المعنى بالعكس أي نبذ وترك الإسلام، وهذا الحديث هو: "بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء[542]" فلهذا الحديث اتصال وثيق بالعقيدة إذ في فهم دلالته وتوجهه الصحيح التمسك بالإسلام؛ فلذا يقول "قول النبيِّ صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: (بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء). لا يقتضي هذا أنه إذا صار غريباً يجوز تركه –والعياذ بالله– بل الأمر كما قال تعالى: (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)[543] وقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون)[544] ... ولا يقتضي هذا أنه إذا صار غريباً أن المتمسك به يكون في شرٍّ بل هو أسعد الناس كما قال في تمام الحديث: (فطوبى للغرباء)، و(طوبى) من الطيب، قال تعالى: (طوبى لهم وحُسن مئاب)[545] فإنه يكون من جنس السابقين الأولين الذين اتبعوه لما كان غريباً، وهم

542 – رواه مسلم (130/1) رقم (145).
543 – سورة آل عمران الآية (85).
544 – سورة آل عمران الآية (102).
545 – سورة الرعد الآية (29).



أسـعد الناس أما في الآخرة فهم أعلى الناس درجة بعد الأنبياء –عليهم السـلام- "[546] فأحياناً الاسـتدلال بالحديث يحتمل أوجهاً متعددة لكن الاسـتدلال مع إيضـاح معناه وما يراد منه هو الأصـل في فهم العقيدة وإثباته وهو ما سـلكه الإمام ابن تيمية في منهجه التربوي لإثبات العقيدة.

1- استدلاله بالأحاديث في إثبات عرش الرحمن ومباينته لسائر المخلوقات:

وقد تكاثرت الأحاديث في إثبات عرش الرحمن عز وجل والإمام ابن تيمية يحشدها لإثبات وجود عرش الرحمن مع مباينته ومخالفته لسائر المخلوقات وسواء فهمنا نصوص النبي صلى الله عليه وسلم بعقولنا أم لم تدركه عقولنا مع وجوده كما هو معروف عند الخلق أنه لا يعتبر كل شيء ما أدركه العقل الإنساني فإنه غير موجود؛ ولذا يقول الإمام ابن تيمية: "ما أخبر به الرسول عن ربه فإنه يجب الإيمان به سواء عرفنا معناه أم لم نعرف؛ لأنه الصادق المصدوق فما جاء في الكتاب والسنة وجب على كل مؤمن الإيمان به وإن لم يفهم معناه"[547] ومما يوضح استدلال الإمام ابن تيمية بالحديث لإثبات العرش وأنه مباين لسائر المخلوقات قوله بعد ذكره لآيات كريمة تثبت العرش ومباينته لسائر المخلوقات منها قوله: (وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء)[548]: وقد ثبت في صحيح البخاري[549] وغيره[550] عن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السموات والأرض)، وفي رواية لـه: "كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء ثمَّ خلق السموات والأرض، وكتب في الذكر كل شيء، وفي رواية لغيره صحيحة: "كان

546 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ 18 ص 2920 بتصرف يسير، مرجع سابق.

547 – شيخ الإسلام ابن تيمية، الرسالة التدمرية، ص45، مرجع سابق.

548 – سورة هود الآية (7).

549 – رواه البخاري _ (419/9 فتح) رقم (3191).

550 – رواه ابن حبان (10/14) رقم (6142) والبيهقي (2/9) رقم (17480) والطبراني في الكبير (204/18) رقم (498).



الله ولم يكن شيء معه، وكان عرشه على الماء ثم كتب في الذكر كل شيء" وثبت في صحيح مسلم[551] عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء" فهذا التقرير بعد وجود العرش وقبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة"[552] فاستدل بالحديث على كون عرش الرحمن –سبحانه وتعالى– مباين لسائر المخلوقات بل موجود أزلاً ومخلوق قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة.

2- استدلاله بالحديث في إثبات صفات الله عز وجل مع التنزيه المطلق:

فاستدل على إثبات صفات الله سبحانه –مع بيانه للتوجيه الصحيح اللائق بالباري سبحانه حتى لايفهم على غير مراده فينقص حق الخالق سبحانه وهذا الحديث هو: "إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن"[553]؛ ولهذا تجده يوضح ذلك مبيناً توجيه الحديث بقوله: "وأما قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن فليس في ظاهره أن القلب متصل الأصابع ولا مماس لها ولا أنها في جوفه، ولا في قول القائل: هذا بين يديَّ ما يقتضي مباشرته ليديه، وإذا قيل: (السحاب المسخَّر بين السماء والأرض)[554] لم يقتض أن يكون مماساً للسماء والأرض ونظائر هذا كثيرة"[555] كقولنا: بدر بين مكة والمدينة وهو ليس بمماس لا مكة ولا المدينة وكذلك قولنا: وضع المصلي سترة بين يديه وقولنا: وقفت بين يدي والدي وجلست كذلك بين يدين مُعلمي ... فأبان ما يراد من الحديث وهو إثبات الصفات مع كمال التنزيه ناصراً

551 – رواه مسلم (2044/4) رقم (2635).
552 – شيخ الإسلام ابن تيمية، عرش الرحمن، جـ1 ص 15 – 16، مرجع سابق.
553 – رواه مسلم (2045/4) رقم (2654)
554 – سورة البقرة الآية (164).
555 – شيخ الإسلام ابن تيمية، الرسالة التدمرية، ص49، مرجع سابق.



بذلك أهل الســـنة والجماعة وهي الجمع بين الإثبات والتنزيه المطلق وقد قرر هذا بقوله: "فطريقتهم تتضـــمن إثبات الأسماء والصـــفات مع نفي مماثلة المخلوقات: إثباتاً بلا تشـــبيه، وتنزيهاً بلا تعطيل كما قال تعالى: (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)[556]

3- استدلاله بالحديث على التأكيد على مخالفة المسلمين للملل الأخرى:

سـلك الإمام ابن تيمية في منهجه التعليمي والتربوي عدة أمور لتأصـيل عقيدة أهل السنة من خلال الاستدلال بالسنة وهو يجعلها بعد القرآن كما جعلها الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم فعندما طبق باستدلاله بالحديث النبوي الشـريف أمر الموالاة والمعاداة جعلها بعد ذكر الآيات الكريمة فأوضح ذلك بقوله ليستدل بالسنة: "ثمَّ هذا الذي دلَّ عليه الكتاب من مشـــابهة بعض هذه الأمة للقرون الماضـــية في الدنيا وفي الدين وذم من يفعل ذلك دلَّتْ عليه –أيضـاً- سـنة رسـول الله صـلى الله عليه وسلم وتأول الآية على ذلك أصحابه رضي الله عنهم فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صـــلى الله عليه وســـلم قال: (لتأخذن كما أخذت الأمم من قبلكم: ذراعاً بذراع وشـبراً بشـبر وباعاً بباع حتى لو أنَّ أحداً من أولئك دخل جحر ضـب لدخلتموه قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شـــئتم: (كالذين من قبلكم كانوا أشـــد منكم قوة)[557] قالوا: يا رســول الله كما صــنعت فارس والروم وأهل الكتاب؟ قال: فهل الناس إلاهم؟[558] ففي الصـحيحين[559] أن رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم قال: "أبشـروا وأمِّلوا ما يسـركم فوالله ما الفقر أخشـى عليكم ولكن أخشـى عليكم أن تبســط الدنيا عليكم كما بســطت على من كان قبلكم فتنافســوها كما تنافســوها وتهلككم كما أهلكتهم" فقد أخبر صلى الله عليه وسلم أنه لا يخاف فتنة الفقر وإنما

556 – سورة الشورى الآية (11).ا لإمام ابن تيمية،التدمرية،ص 8،مرجع سابق0
557 – سورة التوبة الآية (69).
558 – الإمام ابن جرير، تفسير الطبري، مسلم (212/10)، مرجع سابق.
559 – رواه البخاري (366/9 فتح) رقم (3158)، ومسلم (2273/4) رقم (2961).



يخاف بسط الدنيا وتنافسها وإهلاكها [وقال:] وأما السنة فجاءت بالإخبار بمشابهتهم في الدنيا وذم ذلك والنهي عند ذلك"[560] فاستدل بالحديث على النهي عن التشبه بتلك الأقوام السابقة مع إظهار الموالاة والمعاداة والتي اتضحت من نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن سلوك طريقهم وفي هذا إعطاء تميز للمسلم في عقيدته وهو تأكيد لما يقرأه كل يوم مرات من سورة الفاتحة: (اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم . غير المغضوب عليهم ولا الضالين)[561] فاستدلاله بالحديث في بيان الأمور العقدية كاستدلاله بالآيات القرآنية حيث يبني منهجه على الأصول المأخوذة من الوحي مما جعل له منهجاً تربوياً متميزاً.

2- منهجه التربوي في الاستدلال بمصطلحات الفنون

إن استدلال العلماء في مصنفاتهم متباين ما بين مستخدم لكثير من الفنون ودون ذلك في الاستخدام، وكذلك هم متباينون في استعمال المصطلحات العلمية المختلفة في شتى الفنون فمن العلماء مَنْ يقتصر على فنٍّ واحد ويعتمد على مصطلحات محددة لا يتجاوزها وربما يكون إماماً في هذا الفن... لكن العبقرية تكمن في العلماء متعددي الفنون والذين يبرعون في شتى العلوم أو في كثير منها مع فهم مصطلحات لكل فن على حدة... ومن هؤلاء العلماء الإمام ابن تيمية وهذا ملموس في مصنفاته وليس في مصنف واحد؛ إذ القارئ والدارس لتلك المصنفات يدرك من أول وهْلة أنه أمام عالم موسوعي بمعنى الكلمة وقد تميز ذلك الصنف من العلماء باستخدام اللغة العرفية وعلوم الآلة: واللغة العرفية هي اللغة التي يتعارف أهل فنٍّ معين على مصطلحات لها معانٍ محددة... وعلم الآلة هو العلم الموصل إلى دقة الفهم والمعرفة كاللغة والأصول والمنطق؛ إذ دراستها بحقها يوصل إلى تفهم مقصد الشارع الحكيم وإنما يتمايز العلماء ويتفاضلون فيما بينهم بقدر استعمالهم لتلك

560 – شيخ الإسلام ابن تيمية اقتضاء الصراط المستقيم، جـ1 ص124،125، 127 بتصرف، مرجع سابق.
561 – سورة الفاتحة الآيتان (6 – 7).



المصـــطلحات المتعلقة باللغة العرفية وعلوم الآلة، والإمام ابن تيمية من المكثرين في اســتعمال تلك المصــطلحات في مناهجه التربوي عامة وفي منهجه التربوي للعقيدة على وجه الخصوص ويتضح ذلك من خلال ما يلي:

1- استدلاله بعلوم الآلة[562]: بما تشـمله من أصـول الفقه واللغة وكلام المناطقة إذ إنه يكثر من اســتعمال تلك العلوم في تأصــيل وتقعيد منهجه أو في رد شــبهات المخالفين، وقد تعددت استدلالات الإمام في منهجه التربوي للعقيدة تبعاً لاختلاف وتباين الفروق الفردية لدى المتعلمين أو لطبيعة المادة العلمية أو لتباين المتعلمين ممن يتم الكلام معهم ســواء كانوا مســلمين أو غيرهم ممن تأثر بعلوم خارجة عن هدي الوحي أو حتى ممن درس علم الكلام أو الأصـول واللغة ولم يَهتد للصـراط المسـتقيم حيث التبس عليه أمر أو حكم معين... وهكذا.

وهناك الكثيرون الذين تأثروا بمناهج غير إســلامية المنبع والمصـــدر فجعلهم هذا يقســمون قانون الســماء بعقول مَنْ تربَّوا على أيديهم أو مناهجهم نابذين الوحي أو متغافلين عنه فحدث ما حدث بين أفراد الأمة من الإفراط أو التفريط عامة وفي العقيدة على وجه الخصـوص؛ لهذا قد انبرى الإمام ابن تيمية مدافعاً عن منهج الحق مؤصلاً منهجه التربوي للعقيدة ومعتمداً على هدي النبوة مستدلاً بأدلة نقلية وعقلية مما يســتخدمها المخالفون – بل نفســها – حتى لا يكون لديهم حجة فاســتدل بالنصــوص الشــرعية واســتدل بعلوم الآلة كأصــول الفقه واللغة وكلام المناطقة ليرد عليهم من أدلتهم هادماً اســتدلالاتهم الباطلة تارة ومؤصــلاً ومقعداً منهاج الحق تارة أخرى من خلال قاعدة الهدم ثم البناء والتخلية قبل التحلية ويتضـح ذلك من خلال ما يأتي:

562 –الآلة في عرف العلماء هي الواسطة بين الفاعل ومتفعله في وصول أثره إليه". العلامة محمد بن علي التهانوي، موسوعة اصطلاحات الفنون والعلوم، جـ1 ص73، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، بيروت – لبنان، 1996م.وفي ج 1ص 6 : "إطلاق الآلة على العلوم الآلية كالمنطق مثلاً مع أنها من أوصاف النفس إطلاق مجازي والتسمية بالآلية بناءً على اشتمالها على الآلة؛ فإن العلم الآلي مسائل كل منها مما يتوسل به إلى ما هو آلة له وهو الأظهر؛ إذ لا يتوسل بجميع علم إلى علم...[و] غاية العلوم الآلية أي: العلة الغائية لها: حصول غيرها"..



أصول الفقه:

إن علم الأصول أحد العلوم التي قد تبحر فيه الإمام ابن تيمية وله فيه مؤلفات كثيرة مليئة بأبحاث محققة تحقيقاً علمياً "ومن المعلوم أن علم أصـــول الفقه مبنيٌّ على أربعة أركان":

1- الحكم 2- الدليل. 3 - الاستدلال 4-المستدل.

وشيخ الإسلام يخلط هذه جميعاً ويستحضرها استحضاراً واحداً: فتارة تجد أنه في المسألة الواحدة يأتيها من جهة النظر في الحكم ومن جهة النظر في الاستدلال ومن جهة النظر في الركن الأخير"[563] وقد اســـتدل الإمام ابن تيمية بأصـــول الفقه في منهجه التربوي للعقيدة في مصنفاته ومن ذلك استدلاله بالقياس على إثبات العقيدة والرد على المخالفين حيث قاس المخالفون صفات الخالق بصفات المخلوق فضلوا فأبطل الإمام ابن تيمية حجتهم وأثبت صحة منهاجه التربوي في الجانب العقدي في مبحث صفات الرحمن –سبحانه– حيث إن أولئك قد جعلوا الشيء المشترك بين الخالق والمخلوق مثل: السمع والبصر والحياة و... على اختلاط صفاتهما ثم آل بهم الأمر إلى اعتقاد اختلاط ذواتهما والعياذ بالله دون وجود فاصـــل بينهما فقال: "والإحكام هو الفصـــل بينهما بحيث لا يشـــتبه أحدهما بالآخر، وهذا التشـــابه إنما يكون بقدر مشترك بين الشيئين مع وجود الفاصل بينهما... ومن هذا الباب الشُّبه التي يضل بها بعض الناس: وهي ما يشتبه فيها الحق والباطل حتى تشتبه على بعض الناس ومن أوتي العلم بالفصـــل بين هذا وهذا لم يشـــتبه عليه الحق بالباطل والقياس الفاسد إنما هو من باب الشبهات؛ لأنه تشبيه للشيء في بعض الأمور بما لا يشبهه فيه.

563 – الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، كيف تقرأ كتب شيخ الإسلام ابن تيمية؟، مادة مسجلة، مرجع سابق.



فمن عرف الفصل بين الشيئين اهتدى للفرق الذي يزول به الاشتباه والقياس الفاسد... وقد وقع بنو آدم في عامة ما يتناوله هذا الكلام من أنواع الضلالات حتى آل الأمر إلى من يدعي التحقيق والتوحيد والعرفان منهم إلى أن اشتبه عليهم وجود الرب بوجود كل موجود فظنوا أنه هو فجعلوا وجود المخلوقات عين وجود الخالق مع أنه لا شيء أبعد عن مماثلة شيء وأن يكون إياه أو متحداً به أو حالاً فيه [ثمَّ بيَّن فساد ذلك القياس بقوله:] وذلك أن الموجودات تشترك في مُسمى الوجود فرأوا الوجود واحداً ولم يفرقوا بين الواحد بالعين والواحد بالنوع... ومن هداه الله فَّرق بين الأمور وإن اشتركت من بعض الوجوه وعلم ما بينهما من الجمع والفرق والتشابه والاختلاف وهؤلاء لا يضلون بالمتشابه من الكلام؛ لأنهم يجمعون بينه وبين المحكم الفارق الذي يبين ما بينهما من الفصل والافتراق وهذا كما أن لفظ (إنا) و (نحن) وغيرهما من صيغ الجمع يتكلم بها الواحد له شركاء في الفعل ويتكلم بها الواحد العظيم الذي له صفات تقوم كل صفة مقام واحد وله أعوان تابعون له لا شركاء له، فإذا تمسك النصراني بقوله تعالى: (إنا نحن نزلنا الذكر)[564] ونحوه على تعدد الآلهة كان المحكم كقوله تعالى: (وإلهكم إله واحد)[565] ونحو ذلك مما لا يحتمل إلا معنىً واحداً يزيل ما هناك من الاشتباه وكان ما ذكره من صيغة الجمع مبيناً لما يستحقه من العظمة والأسماء والصفات وطاعة المخلوقات من الملائكة وغيرهم"[566]

وكذلك استدلال الإمام بالعام والخاص من الكلام حيث أراد المخالفون الاستدلال بعدم عموم لفظ المخالفة على كل شيء بل هي مقتصرة على جزءٍ بعينه؛ وذلك كما في الحديث "إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم"[567] فبيَّن أن الأمر بالمخالفة عام ولا يمنع أن يدخل فيه المخالفة بالصبغ؛ لأنه سبب اللفظ العام فقال:

564 – سورة الحجر الآية (9).
565 – سورة البقرة الآية (163).
566 – شيخ الإسلام ابن تيمية، الرسالة التدمرية، ص 66 – 69 بتصرف واختصار، مرجع سابق.
567 – رواه مسلم (11/ 5) رقم (3926).



"وســـببه أن الفعل فيه عموم وإطلاق لفظي ومعنوي فيجب الوفاء به وخروجه على ســـبب يوجب أن يكون داخلاً فيه لا يمنع أن يكون غيره داخلاً فيه وإن قيل إن اللفظ العام يقتصـــر على ســـببه؛ لأن العموم ههنا من جهة المعنى فلا يقبل من التخصيص ما يقبله العموم اللفظي.

فإن قيل: الأمر بالمخالفة أمر بالحقيقة المطلقة وذلك لا عموم فيه بل يكفي فيه المخالفة في أمر ما وكذلك سائر ما يذكرونه فمن أين اقتضى ذلك المخالفة في غير ذلك الفعل المعين؟

قلتُ: هذا سؤال قد يورده بعض المتكلمين في عامة الأفعال المأمور بها ويلبِّسون بها على الفقهاءوجوابه من وجهين:

أحدهما: أن التقوى والمخالفة ونحو ذلك من الأسماء والأفعال المطلقة قد يكون العموم فيها من جهة عموم الكل لأجزائه لا من جهة عموم الجنس لأنواعه؛ فإن العموم ثلاثة أقسام:

(أ) عموم الكل لأجزائه: وهو ما لا يَصْدُق فيه الاسم العام ولا أفراده على جزئه.

(ب) عموم الجميع لأفراده: وهو ما يَصْدُق فيه أفراد الاسم العام على آحاده.

(ج) عموم الجنس لأنواعه وأعيانه: وهو ما يَصْـــدُق فيه نفس الاســـم العام على أفراده.

والثاني: أن نفس ما هم عليه من الهدي والخلق قد يكون مضراً أو منقصاً فينهى عنه ويؤمر بضره لما فيه من المنفعة والكمال وليس شيء من أمورهم إلا وهو إما مضر أو ناقص... وبالجملة فالكفر بمنزلة مرض القلب وأشد ومتى كان القلب مريضاً لم يصح شيء من الأعضاء صحة مطلقة وإنما الصلاح أن لا تشبه مريضاً في شيء من أموره وإن خفي عليك مرض ذلك العضو لكن يكفيك أن فساد الأصل لابد أن يؤثر في الفرع[568]".

568 – شيخ الإسلام ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، جـ1 ص 189، 190، 198 بتصرف واختصار، مرجع سابق.



فاتضح مما مر من استدلال الإمام ابن تيمية ببعض المباحث المتعلقة بأصول الفقه – على سبيل المثال – كيفية تأصيل منهجه التربوي في العقيدة حيث ذكر في مبحث القياس في أمرين أحدهما إثبات علو الله على خلقه ومباينته لهم مع اتصافه بصفات الكمال بلا مشابهة للمخلوقين حيث بيَّن القياس الفاسد والقياس الصحيح وأن هناك فاصلاً بينهما وأنه ليس بكل وجه من أوجه القياس وافق شيئاً لابد وأن يوافقه أو يمتزج به في كل شيء. وبين باستخدامه لمبحث العام والخاص أيضاً بأن الألفاظ العامة في الشريعة إن جاء أمر بالمخالفة (بخصوص فعل معين) فبين أن خصوص فعل معين يدخل تحت اللفظ العام وهو سبب له لا يقتصر على هذا الشيء بل يتعداه لمطلق المخالفة إضافة إلى ذلك أن أصل المخالفة فيها إيمان وعبادة وكمال وبعد عن الكفر، لأن الكفر بمنزلة المرض واستدلال الإمام ابن تيمية بالقياس إنما استدل بالقياس الموافق للشريعة كما بيَّن ذلك بقوله :"القياس الصحيح هو الذي وردت به الشريعة وهو الجمع بين المتماثلين والتفريق بين المختلفين ويُسمى الأول قياس الطرد؛ لأنه يحكم في النظائر بحكم واحد فيطرد الحكم في المتشابهات ويسمى الثاني قياس العكس؛ لأنه يحكم في النقيض بغير حكم نقيضه"[569] وقد بين فساد القياس لمخالفته لتلك القاعدة السابقة فقال: "وحيث علمنا أن النص جاء بخلاف قياس علمنا قطعاً أنه قياس فاسد بمعنى أن صورة النص امتازت عن تلك الصور التي يظن أنها مثلها بوصف أوجب تخصيص الشارع لها بذلك الحكم فليس في الشريعة ما يخالف قياساً صحيحاً لكن فيها ما يخالف القياس الفاسد وإن كان من الناس من لا يعلم فساده وإن الذين يحاولون إفساد الأحكام والعقائد وأخلاق الناس يستعملون دائماً الأقيسة الفاسدة... [وقال:] من قال إن الشريعة تأتي بخلاف هذه الأقيسة فقد أصاب وهذا من كمال الشريعة واشتمالها على العدل والحكمة التي

569 – الإمام ابن تيمية، القياس في الشرع الإسلامي، جـ2 ص216، المطبعة السلفية، بدون ط، القاهرة – مصر، 1346هـ وينظر جـ 20 ص 504 من مجموع الفتاوى له، مرجع سابق.

بعث الله بها رسوله ومن لم يخالف مثل هذه الأقيسة الفاسدة بل سوَّى بين الشيئين باشـــتراكهما في أمر من الأمور لزمه أن يســـوي بين كل موجودين لاشـــتراكهما في مسـمى الوجود فيسـوي بين رب العالمين وبين بعض المخلوقين فيكون من الذين هم بربهم يعدلون؛ فإن هذا من أعظم القياس الفاســـد"[570] وهكذا مســـلك شـــيخ الإسـلام ابن تيمية ثابت في اسـتدلالاته كلها في منهجه التربوي في الجانب العقدي يعدد في مصـادر الاسـتدلال من أصـول الفقه أما تأصـيلاً أو رداً لشـبه الطاعنين والمخالفين، وفي هذا تربية للمتعلمين على يديه أو على منهاجه الاســـتدلال على العقيدة بشتى الوسائل التربوية والتي تؤصل في نفوس المتعلمين أصولاً ثابتة وهذا يدل على مدى اهتمام الإمام في تربيته على تأصـيل التربية العقدية في نفوس تلاميذه مع تربيتهم على الحفاظ على تلك العقيدة بالرد على شـــبهات المخالفين أو الطاعنين مستدلين بأصول الفقه كغيره منأدلة الاستدلال التي تؤصل المنهج التربوي للعقيدة.

اللغة والنحو:

للإمام ابن تيمية صـلة بالعربية منذ صـغره حيث إنه درسـها مع الحديث والفقه جنباً إلى جنب مما جعله متمكناً منها أيما يمكن وقد عُرف بتضـــلعه في العربية على مدى أطوار حياته مسـتخدمها في نشـر دعوة الإسـلام عامة وفي منهاج أهل السـنة على وجه الخصـــوص مبيناً أهميتها ومدى احتياج الداعية إلى الله على بصـــيرة إليها حيث وسمها بأنها شعار الإسلام فقال: "اللسان العربي شعار الإسلام وأهله، واللغات من أعظم شـــعائر الأمم التي بها يتميزون"[571] وقال: "اللغة العربية من الدين"[572] وقال: "المقصود بمعرفة النحو واللغة التوصل إلى فهم كتاب الله ورسوله"[573] فمعرفة

570 – نفس المرجع السابق، جـ 2 ص 245، بتصرف، وينظر مجموع الفتاوى له، جـ 20 ص 541،مرجع سابق، جـ3 ص(75، 99)، جـ5 ص202، جـ6 ص548.

571 – شيخ الإسلام ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، جـ1 ص519، مرجع سابق.

572 – نفس المرجع السابق، جـ 1 ص 527.

573 – الإمام ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، جـ 8 ص502، مرجع سابق.

اللغة والنحو هامة في حياة المجتمع الإنساني وبالنسبة للغة العربية فإن مَنْ لم يفهمها حق الفهم فإنه سيقع حتماً في الضلالات؛ ولذا قال: "فإن عامة ضلال أهل البدع كان بهذا السبب؛ فإنهم صاروا يحملون كلام الله ورسوله على ما يدعون أنه دال عليه ولا يكون الأمر كذلك"[574] وقد عدد الإمام المسالك التربوية للعقيدة من خلال استخدام اللغة والنحوكما يلي:

أولاً اللغة: حيث استدل باللغة العربية في تأصيل العقيدة الصحيحة كما يأتي:

(أ) استدلاله باللغة ككل على حفاظ الدين الإسلامي أصلاً فقال "فنحن مأمورون أمر إيجاب أو أمر استحباب أن نحفظ القانون العربي ونصلح الألسن المائلة عنه فيحفظ لنا طريقة فهم الكتاب والسنة"[575] وهذا يدل دلالة واضحة على مدى حرص الإمام على تأصيل عقيدة الإسلام: التوحيد لدى المتعلمين؛ إذ بفهمها نفهم الدين ويبّين أن اللغة لها تأثير على المعتقد فقال: "واعلم أن اعتياد اللغة يؤثر في العقل والخلق والدين تأثيراً قوياً بيّناً... وأيضاً فإن نفس اللغة العربية من الدين ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب "[576] كما أشار إلى أن فتح الباب على مصراعيه لنبذ اللغة العربية سبب في الفساد والنقصان في الإيمان وأوضح ذلك بقوله: "والذين يبدلون اللسان العربي ويفسرونه لهم من هذا الذم والعقاب بقدر ما يفتحونه؛ فإن إصلاح العقل واللسان مما يؤمر به الإنسان ويعين ذلك على تمام الإيمان وضد ذلك يوجب الشقاق والضلال والخسران"[577]

574 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ 7 ص 116، مرجع سابق

575 – نفس المرجع السابق، جـ 32 ص252.

576 – شيخ الإسلام ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، جـ 1 ص 527، مرجع سابق.

577 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ32 ص 255، مرجع سابق



(ب) استدلاله باللغة على إثبات صفات الرحمن حيث بيَّن أن استدلال المبطلين والمأولين ببعض الكلمات ويريدون لها معنىً آخر مثل كلمة (استوى) حيث أرادوا تأويلها ونفيها عن المعنى الحقيقي بسلب تلك الصفة فقال: "لو كان هذا يعرف في اللغة: أن استوى على كذا عمد إلى فعله، وهذا لا يعرف قط في اللغة لا حقيقة ولا مجازاً لا في نظم ولا في نثر"[578] وقال كذلك راداً على من لا يميز بين الخالق والمخلوق: "وليس معنى قوله: (وهو معكم)[579] أنه مختلط بالخلق فإن هذا لا توجيه اللغة وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة وخلاف ما فطر الله عليه الخلق"[580]

(ج) إبطاله لاستدلال المعترضين على رؤية الله يوم القيامة بتفريقه بين الرؤية والإدراك وهؤلاء إنما ضلوا في نفيهم رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة بقصور في فهم نصوص الشريعة؛ ذلك أنهم استدلوا على ذلك القول المنكر بآية ما فهموا مرادها ولا المقصود منها وهذه الآية هي قوله تعالى: (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار)[581] فبعد أن ذكر الإجماع على إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة ذكر المعترض بقوله: "وأم احتجاجه واحتجاج النفاة أيضاً بقوله تعالى: (لا تدركه الأبصار) فالآية حجة عليهم لا لهم؛ لأن الإدراك إما أن يراد به مطلق الرؤية أو الرؤية المقيدة بالإحاطة والأول باطل؛ لأنه ليس كل من رأى شيئاً يقال: إنه أدركه كما لا يقال: أحاط به كما سُئل ابن عباس رضي الله عنهما عن ذلك فقال: ألست ترى السماء؟ قال: بلى قال: أكلها ترى؟ قال: لا.

ومن رأى جوانب الجيش أو الجبل أو البستان أوالمدينة لا يقال: إنه أدركها وإنما يقال أدركها إذا أحاط بها رؤية... بل المستدل بالآية عليه أن يبين أن الإدراك في لغة

578 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ5 ص 521، مرجع سابق.
579 – سورة الحديد الآية (4).
580 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ3 ص142، مرجع سابق.
581 – سورة الأنعام الآية (103).



العرب مرادف للرؤية وأن كل من رأى شيئاً يقال في لغتهم: إنه أدركه وهذا لا سبيل إليه وكيف وبين لفظ الرؤية ولفظ الإدراك عموم وخصوص أو اشتراك لفظي؛ فقد تقع رؤية بلا إدراك وقد يقع إدراك بلا رؤية، فإن الإدراك يستعمل في إدراك العلم وإدراك القدرة فقد يدرك الشيء بالقدرة وإن لم يشاهد كالأعمى الذي طلب رجلاً هارباً منه فأدركه ولم يره.

وقد قال تعالى: (فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون قال كلا إن معي ربي سيهدين)([582]) فنفى موسى الإدراك مع إثبات الترائي فعلم أنه قد يكون رؤية بلا إدراك. والإدراك هنا هو إدراك القدرة أي: ملحقون محاط بنا وإذا انتفى هذا الإدراك فقد تنتفي إحاطة البصر أيضاً "([583])

ثانياً: النحو:

حيث استدل بالنحو في تأصيل العقيدة الإسلامية الصحيحة كما يأتي:

(ب) استدلاله بالنحو على عدم وجود تعارض في الآيات وذلك حينما تعرض لتفسير آية الأنعام وما بعدها حيث قال الله سبحانه: (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله ومايشعركم أنها إذاجاءت لايؤمنون * ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون)([584]) فقال مزيلاً للالتباس: "والآية بعدها أشكلت قراءة الفتح([585]) على كثير بسبب أنهم ظنوا أن الآية بعدها جملة مبتدأة وليس كذلك لكنها داخلة في خبر (أن) والمعنى: إذا كنتم لا تشعرون أنها إذا جاءت لا يؤمنون وأنا أفعل بهم هذا لم يكن قسمهم صدقاً بل قد يكون كذباً وهو ظاهر الكلام المعروف أنها (أن)

582 – سورة الشعراء الآيتان (61 – 62).

583 – الإمام ابن تيمية، التفسير الكبير، جـ4 ص241-242 بتصرف يسير، مرجع سابق.

584 – سورة الأنعام الآيتان (109 – 110).

585 – (لا تؤمنون) قرأ بها من القراء: 1- الإمام ابن عامر الدمشقي 2- الإمام حمزة الكوفي0

(لا يؤمنون) قرأ بها باقي القراء العشرة. القراءات العشر المتواترة للشيخ محمد كريم راجح بهامش المصحف الشريف، ص 141، مرجع سابق، الميسر في القراءات الأربع عشرة للشيخ محمد فهد خاروف بهامش المصحف الشريف، ص 141، مرجع سابق



المصدرية ولو كان (ونقلب) كلاماً مبتدءاً لزم أن كل من جاءته آية قلب فؤاده وليس كذلك بل قد يؤمن كثير منهم"[586]

(ج) استدلاله بالنحو على عظمة القرآن وإثبات النبوة، وذلك من قوله تعالى: (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً)[587] فقال: "وقد أخبر خبراً وأكده بالقسم عن جميع الثقلين: إنسهم وجنهم أنهم إذا اجتمعوا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله بل يعجزون عن ذلك وهذا فيه آيات لنبوته ومنها إقدامه على هذا الخبر العظيم عن جميع الإنس والجن إلى يوم القيامة بأنهم لا يفعلون هذا بل يعجزون عنه وهذا لا يقدم عليه من يطلب من الناس أن يصدقوه إلا وهو واثق بأن الأمر كذلك"[588]، وكذلك عند ذكره لقوله تعالى: (فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا...)[589] حيث بين عجزهم وكمال عظمة القرآن ونبوة النبي محمدٍ (ص) بقوله:" قوله تعالى: (ولن تفعلوا) و (لن) لنفي المستقبل فثبت بالخبر أنهم فيما يستقبل من الزمان لا يأتون بسورة من مثله"[590]

(ء) استدلاله بالنحو على أحدية الله –سبحانه– وبيان أن المسيح عليه السلام مولود وليس بإله، وذلك من خلال قوله تعالى: (وجعلنا ابن مريم وأمه آية)[591] وقوله: (وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله)[592] فبين بالاستدلال بالنحو من خلال مبحثي الأسماء الخمسة والنسب أحدية الله المطلقة كما أن فيها إثبات نبوة المسيح وأنه ليس بإله وكذلك بما أن النصارى يقولون عنه افتراءً: إنه ابن

586 – الإمام ابن تيمية، التفسير الكبير، جـ4 ص 245 – 246، مرجع سابق، ينظر مجموع الفتاوى له، جـ14 ص495، مرجع سابق.
587 – سورة الإسراء الآية (88) 0
588 – الإمام ابن تيمية، التفسير الكبير، جـ2 ص141، مرجع سابق.
589 – سورة البقرة الآية (24).
590 – الإمام ابن تيمية، التفسير الكبير، جـ 2 ص152، مرجع سابق.
591 – سورة المؤمنون الآية (50).
592 – سورة النساء الآية (157).



الله فقد ذكر ابن مريم وصحح القرآن العقيدة للناس وأرجعهم إلى الحقيقة الثابتة التي أراد الكافرون تعميتها فقال: "وفي ذلك فائدتان.

إحداهما: بيان أنه مولود والله لم يولد.

والثانية: نسبته إلى مريم بأنه ابنها ليس هو ابن الله"[593]

ومما مر يتضح مسلك الإمام في منهاجه التربوي للعقيدة حيث يستدل باللغة والنحو على تربية المتعلمين والمتربين على منهاجه على العقيدة الصحيحة مستدلاً باللغة والنحو تأصيلاً لذلك المنهج أو إبطالاً لشبهات المخالفين، ومن المعروف أن تعدد المناهج التعليمية وتعدد الوسائل إنما يكون نظراً للفروق الفردية بين المتعلمين واختلاف الطبائع زماناً ومكاناً.

<u>كلام المناطقة :</u>

عُرف الإمام ابن تيمية بتعمقه البعيد في دراسة العلوم الكلامية والمنطقية وهذا واضح من توسعه في مؤلفات عدة في هذا الموضوع، ولم تكن دراسته ولا تعمقه في ذلك ليطلب الحق بها أو فيها أو من خلال دراستها وإنما تعمق في دراستها وتعرف على بواطن أسرارها ليهدمها ويبطلها حيث الاستدلالات الباطلة لا تؤدي إلا إلى باطل وكذلك تعمق فيها ليرد بها على المعترضين أو المحاولين إبطال الشريعة بتلك الأقوال المتناقضة وكذلك ليقنع من تأثر بها من أفراد الأمة الإسلامية فالتبس عنده الحق بالباطل ثم بعد ذلك يستخدمها ويبين عوارها ويستدل بذلك في منهجه التربوي في العقيدة ذلك أن الإمام "ابن تيمية قد عُني بدراسة المذاهب المختلفة من فلسفية وكلامية وإنه لم يقصد من وراء تلك الدراسة إلى البحث عن عقيدة صالحة يأخذ نفسه بها ويدعو إليها ولكن رغبته في نقد هذه المذاهب هي التي دعته إلى دراستها تلك الدراسة العميقة لكي يتمكن من نقدها نقداً علمياً بعيداً عن المجازفة"[594]

593 – الإمام ابن تيمية، التفسير الكبير، جـ4 ص238 – 239، مرجع سابق

594 – د. محمد خليل هراس، باعث النهضة الإسلامية، ص37، مرجع سابق.



فبعد دراسة فاحصة متأنية فند المزاعم المنسوجة حول تلك العلوم... وقد تعرض في نقده لتلك العلوم إلى المنطق الخالي من نور الوحي فقال: "وليس لذلك فائدة إلا تضـــييع الزمان وإتعاب الأذهان وكثرة الهذيان ودعوى التحقيق بالكذب والبهتان وشـغل النفوس بما لا ينفعها بل قد يصـدها عما لابد لها منه"[595] وقال: "المنطق اليوناني لا يحتاج إليه الذكي ولا ينتفع به البليد"[596] وقد تعرض الإمام في مؤلفاته لمســـائل اعتقادية كثيرة اســـتدل على صـــحتها مع بطلان أدلة المناطقة ببطلان اســتدلالاتهم وذلك في كتبه وقد سـلك في منهجه التربوي للعقيدة إلى الاســتدلال والتنزل في الإقناع أو المجادلة أو الحوار ببعض أقيسـتهم التي يبرهنون بها – في زعمهم – على إثبات الصـــانع ومقام النبوات وهم لا لرب عبدوا ولا لنبي وقروا ولكن حيرة وتيه وخسران ويتضح ذلك من خلال ما يلي:

(1) إبطاله لتعريف المنطق من الأصل:

حيث إنه هاجم وبشـدة تعريف المنطق عندهم وأثبت صـحة ما جاءت به الرسـل عليهم السلام أما تعريف المنطق عندهم فإنه "آلة قانونية تمنع مراعاتها الذهن أن يزل في فكرة" فالإمام ابن تيمية أنكر التعريف من الأصـــل فكيف بجوهره؟! أما إنكاره التعريف فهذا يعني أن لازم ذلك إهدار للنبوات ولا فائدة من إنزال الكتب وذلك لأمرين اثنين لا ثالث لهما:

الأمر الأول: إذا كان ما جاء به الرســل هوالمنطق نفســه فلا حاجة للنبوات ولا الكتب وهذا باطل.

الأمر الثاني: إذا كان ما جاء به الرسـل يختلف عنه لكن في المنطق ضـبط عن الزلل في الفكر وليس ذلك للأنبياء وهم يقرون بأن تعلمه مكتســـب فلازم هذا أن عقلاءهم فوق مرتبة النبوة المعصـومة بوحي السـماء وهذا باطل أيضـاً ذلك أن الله

595 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ9 ص90، مرجع سابق.

596 – نفس المرجع السابق، ص82، ينظر ص 269.



سبحانه قد اصطفى أناساً من البشر أنبياءً وأيدهم بالوحي يبلغوا رسالات ربهم وهؤلاء الضُّلال الحيارى عندهم من السكينة-بزعمهم الباطل - وهدوء البال ومعرفة الخالق بدون وحي ما عجز الأنبياء عن التوصل إليه وهذا من أعظم الشرك وقد أشار إلى ذلك الإمام ابن تيمية بقوله: "فإنهم يزعمون أنه آلة قانونية تمنع مراعاتها الذهن أن يزل في فكرة... لو قدرنا أنه قد يفيد بعض الناس من العلم ما يفيده هو فلا يجوز أن يقال: ليس إلى ذلك العلم كذلك الشخص ولسائر بني آدم طريق إلا بمثل القياس المنطقي فإن هذا قول بلا علم وهو كذب محقق" [597] وقد ذكر ذلك الافتراء وأبطله في مواضع كثيرة من مؤلفاته بعدة وجوه منها قوله:

"الأنبياء والأولياء لهم من علم الوحي والإلهام ما هوخارج عن قياسهم الذي ذكروه بل الفراسة أيضاً ومثالها. فإن أدخلوا ذلك فيما ذكروه من الحسابات والعقليات لم يمكنهم نفي ما لم يذكروه ولم يَبْقَ لهم ضابط وقد ذكر ابن سينا وأتباعه أن القضايا الواجب قبولها التي هي مادة البرهان: الأوليات والحسيات والمجربات والحَدْسيات والمتواترات. وربما ضموا إلى ذلك قضايا معها حدودها ولم يذكروا دليلاً على هذا الحصر؛ ولهذا اعترف المنتصرون لهم أن هذا التقسيم منتشر غير منحصر يتعذر إقامة دليل عليه وإذا كان كذلك لم يلزم أن كل ما لم يدخل في قياسهم لا يكون معلوماً وحينئذ فلا يكون المنطق آلة قانونية تعصم مراعاتها من الخطأ فإنه إذا ذكر له قضايا يمكن العلم بها بغير هذا الطريق لم يمكن وزنها بهذه الأدلة وعامة هؤلاء المنطقيين يكذِّبون بما لم يُستدل عليه بقياسهم وهذا في غاية الجهل لاسيما إن كان الذي كذبوا به من أخبار الأنبياء، فإن كان أشرف العلوم لا سبيل إلى معرفته بطريقتهم لزم أمران:

أحدهما: أن لا حجة لهم على ما يكذِّبون به مما ليس في قياسهم دليل عليه.

---

597 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ9 ص9 وينظر ص194، مرجع سابق.



والثاني: أن ما علموه خسيس بالنسبة إلى ما جهلوه فكيف إذا علم أنه لا يفيد النجاة ولا السعادة؟!"[598]

(2) استدلاله بقياس الأولى على وجود الباري وليس بقياسهم البرهاني:

ويظهر ذلك الاستدلال بأن الخالق سبحانه إنما يستدل على وجوده أصلاً بالآيات وليس بالقياس البرهاني ذلك أننا "إذا أردنا الاستدلال على الله بطريق قياس المناطقة البرهاني فإننا نصل إلى الأمر الكلي المطلق الذي لا يتحقق إلا في الذهن. وهذه البراهين المنطقية لا تقودنا إلى معرفة الله ؛فإن ما يثبتونه من (واجب الوجود) هو أمر كلي لا يختص بالله حتى يجعلوه (مجرد الوجود)"[599] فبيَّن الإمام أن الكليات فقط لا دلالة منها ولا فيها على المعين بل إنه لابد من معرفة المعين بآيات تدل عليه وعلى وجوده مع الاستئناس بقياس الأولى كدلالة على ذلك وقد أشار إلى أهمية التقيد بذلك وأن سلوك غيره لا يؤدي إلا إلى الحيرة والخسران فقال: "العلم الإلهي لا يجوز أن يُستدل فيه بقياس تمثيل يستوي فيه الأصل والفرع ولا بقياس شمولي تستوي أفراده؛ فإن الله —سبحانه وتعالى- ليس كمثله شيء فلا يجوز أن يمثل بغيره ولا يجوز أن يدخل هو وغيره تحت قضية كلية تستوي أفرادها؛ ولهذا لما سلك طوائف من المتفلسفة والمتكلمة مثل هذه الأقيسة في المطالب الإلهية لم يصلوا بها إلى يقين بل تناقضت أدلتهم وغلب عليهم بعد التناهي والحيرة والاضطراب لما يرونه من فساد أدلتهم أو تكافئها... [ثم قال:] كل كمال ثبت للممكن أو المحدث لا نقص فيه بوجه من الوجوه وهو ما كان كمالاً للموجود غير مستلزم للعدم فالواجب القديم أولى به، وكل كمال لا نقص فيه بوجه من الوجوه ثبت نوعه للمخلوق المربوب المعلول المدبَّر فإنما استفاده من خالقه وربِّه ومدبِّره فهو أحق به منه، وأن كل نقص وعيب في نفسه وهو ما تضمن سلب هذا الكمال وجب نفيه عن شيءٍ ما من

598 – نفس المرجع السابق، جـ9 ص246، وينظر الرد على المنطقيين له ص7، 180، 438، مرجع سابق.

599 – د. محمد حسني الزين، منطق ابن تيمية، ص 251، مرجع سابق.



أنواع المخلوقات والمحدثات والممكنات فإنه يجب نفيه عن الرب – تبارك وتعالى – بطريق الأولى وأنه أحق بالأمور الوجودية من كل موجود وأما الأمور العدمية فالممكن بها أحق"[(600)].

فمما مر تبين مسلك شيخ الإسلام ابن تيمية في منهجه التربوي للعقيدة أنه يستدل ببعض أقوال المناطقة في إثبات صحة معتقد أهل السنة من صحة ما جاءت به الرسل وإثبات النبوة وعصمة الرسل مع إبطال الأقيسة الفاسدة عند المناطقة وأنها كليات لا تحدد المعين بخلاف الآيات فإنها تدل عل معين مقصود كما بيَّن أن قياس الأولى هو الذي يُستدل به على وجود الخالق وقدرته وصفاته لا بقياس الشمول ولا التمثيل.

هذا وإن الإمام ابن تيمية قد درج في منهجه التربوي للعقدية أموراً انتهجها من خلال استدلاله بكلام المناطقة وهي:

1- استعمل منهج الهدم والبناء.
2- نقضه ليس لشخص أو فئة بعينها بل للمخالف لهدي الوحي.
3- الحكم بإنصاف.
4- تأكيده على تأثر علم المنطق بالبيئة والمجتمع التي نشأ فيها وذلك بأمرين:
   (أ) لغته .   (ب) الوثنية والكلام في الميتافيزيقا.
5- منهجه من المنطق وغيره إنما هو نَبْذٌ للأقيسة والأحكام الفاسدة.
6- تعلقه بالوحي ودأبه الشديد لنصرة الدين الحق.
7- نقده وإبطاله لتلك العلوم لا لذاتها ولكن لملزوماتها؛لأن الكلام يمكن تأويله .
8- أحكامه لتلك العلوم إنما صدرت بعد تبحر ودراسة متأنية مما ينم على علوِّ منزلته العلمية.

600 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، مرجع سابق.



9- لا يرى بأساً بدراسة تلك العلوم إذا كان الغرض من ذلك نصرة الوحي.

10- عمل على تقويض الفاسد من تلك العلوم مع تأصيلها على أسس علمية ولكن تحت مظلة وحي السماء.

2- تضلعه في استخدام اللغة العرفية :

وهو معرفة مصطلحات أصحاب الفنون ومدلولاتها ومعانيها بحيث إن العالم إنما يقاس مدى علمه وتبحره بكثرة أو باستخدامه للغة العرفية، وهذا يعني أنه لم يقرأ كتب الفنون الأخرى قرلءة فقط وإنما تعرف على اللغة بينهم ومصطلحاتهم التي يذكرونها وهذه المصطلحات لها دلالات خاصة بين صناعة معينة أو بين أفراد فنٍّ معين ولا علاقة لها بلغة ولا دين ولا مجتمع إنما هي لغة قد تعارف عليها أصحابها؛ لذا فهي عرفية لكنها فيما بينهم فقط وهي قد تكون ذات مدلولات ومصطلحات معينة أما على حق وإما على باطل، ومعرفة هذه الألفاظ وتلك المصطلحات يعين العالم المعلم المربِّي في تربيته في أمور:

1- أنه يستطيع أن يتفهم معتقد أولئك ومنهجهم.

2- أنه يستطيع التعامل معهم ابتداءً وجواباً.

3- أنه يتمكن من دعوتهم ثم دحض شبهاتهم.

4- أنه يكون على وعي من التباس بعض الأمور بعضها ببعض إن زخرف أصحابها كلامهم بمصطلحات ظاهرها بمعنىً وهم يريدون معنىً آخر.

هذا وقد تضلع الإمام ابن تيمية في استخدام اللغة العرفية لسائر الفنون التي تكلم عليها في مصنفاته لكن الذي نحن بصدد الكلام عنه ما له تعلق بمنهاجه التربوي في الجانب العقدي حيث استدل بمصطلحات وألفاظ أصحاب الفنون المختلفة من فلاسفة وأهل كلام أو متصوفة و... فيتكلم على كل منها بكلام عالم بمصطلحاتهم متعمق في فهمها وما تدل عليه ويستخدم ذلك إما مؤصلاً لمنهجه العقدي أو مبطلاً تلك المناهج بمعاول أصحابها، ويتضح ذلك من خلال ما يلي:



أ- كلامه على صحة نسبة المصطلح ومعناه[601]:

ويعتبر الكلام على صحة نسبة المصطلح المعين ومعناه ذا أهمية بالغة؛ إذ به يعرف القائل ومن ثمَّ يمكن التعرف على ملته ومنهجه ومقصده لحق أو لباطل وأحياناً يستدل المعترض بمصطلحات توهم أنها على حق وهي في الحقيقة عين الباطل لكنهم يلبسونها ثياب الحق وهي أجساد خبيثة مفسدة، ومن المبطلين من يجازف بذكر قول أو فعل أو اعتقاد دون تأكد ولا تثبت من صحته وفي الحقيقة مغرض لكن ينسبه إلى فعل السلف؛ ولذا ينبغي التثبت عن كل نقل عنهم حتى يكون المسلم على يقين في دينه وعقيدته وقد أشار الإمام ابن تيمية لذلك بقوله: "والمنقول عن السلف والعلماء يحتاج إلى معرفة بثبوت لفظه ومعرفة دلالته كما يحتاج إلى ذلك المنقول عن الله ورسوله"[602]؛ وذلك لأن هذا علم وإن " العلم يحتاج إلى نقل مصدق ونظر محقق"[603] فالعلم إما بنقل مصدق معصوم وإما قول عليه دليل معلوم .

لهذا وجب التثبت من صحة نسبة مصطلح بعينه ثم معرفة معناه الدال عليه وإن كان هذا بالنسبة للكلام في الأمور الاعتيادية أو الدينوية فهو في الأمور الدينية وبالأخص في الجانب التربوي العقدي أكثر خصوصية فكان منهج شيخ الإسلام التربوي في جميع وصفاته هو التثبت من صحة نسبة المصطلح ومعرفة معناه المقصود وحقيقته حتى لا يستخدم بعض الطاعنين أو المغرضين ألفاظاً هي في حقيقتها زور وبهتان فيزخرفونها ليجعلوها من الإيمان.

ب- كلامه على صحة دلالة المصطلح على مسألة بعينها:

وهذا المسلك هام جداً في حصر الكلام في مسالة معينة حتى لا يتشعب الحديث والأمثلة على هذا النوع كثيرة ومتنوعة منها ما يلي:

601 – د. عبد الله بن رشيد الحوشاني، منهج ابن تيمية في الدعوة، جـ1 ص87، مرجع سابق..
602 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ1 ص246، مرجع سابق
603 – نفس المرجع السابق، جـ12 ص63، جـ13 ص257، 327.



(1) بيانه للمعنى الصحيح لشهود القدر وأنه من أفضل الطاعات: ذلك أن كثيراً ممن ضلوا ووقعوا في براثن الباطل إنما ضلوا بخطأ في عين مسألة محددة فمن الناس من يدعي شهود القدر وأنه على اتباع لربه وهو إنما يشهد لهوىً في نفسه أو اتباع لضال سبقه وربما يخلطون شهود القدر والصبر على المقدر بتعالٍ على الله وهو في الحقيقة إما مكذب بالقدر أو مخالف لربه في باب الإيمان بالقدر وقد بيَّن الإمام ابن تيمية ذلك بقوله: "فشهود القدر في الطاعات من أنفع الأمور للعبد وغيبته عن ذلك من أضر الأمور به، فإنه يكون قدرياً منكراً لنعمة الله عليه بالإيمان والعمل الصالح وإن لم يكن قدري الاعتقاد كان قدري الحال وذلك يورث العجب والكبر ودعوى القوة واملنة بعمله واعتقاد استحقاق الجزاء على الله فيكون من يشهد العبودية مع الذنوب والاعتراف بها – لا مع الاحتجاج بالقدر عليها – خيراً من هذا الذي يشهد الطاعة منه – لا من إحسان الله إليه – ويكون أولئك المذنبون بما معهم من الإيمان أفضل من طاعة بدون هذا الإيمان[604] [أي: المشوب بذلك الباطل].

وأما من أذنب وشهد أن لا ذنب له أصلاً لكون الله هو الفاعل وعند الطاعة يشهد أنه الفاعل فهذا شر الخلق وأما الذي يشهد نفسه فاعلاً للأمرين والذي يشهد ربه فاعلاً للأمرين ولا يرى له ذنباً فهذا أسوأ عاقبة من القدري والقدري أسوأ بداية منه ... والناس في هذا المقام أربعة أقسام:

- من يغضب لربه لا لنفسه.
- وعكسه ،و من يغضب لهما.
- ومن لا يغضب لهما.
- كما أنهم في شهود القدر أربعة أقسام:

604 – ومن ذلك قول سعيد بن جبير: "إن العبد ليعمل الذنب يدخل به الجنة ويعمل الحسنة يدخل بها النار" التفسير الكبير للإمام ابن تيمية، جـ4 ص155، الوابل الصيب للإمام ابن القيم ص9، وكذلك قول عطاء الله السكندري في الحكم العطائية ص29 رقم 96: "معصية أورثت ذلاً وانكساراً خير من طاعة أورثت عزاً واستكباراً".



- مَنْ يشهد الحسنة من فعل الله والسيئة من فعل نفسه.
- وعكسه.
- ومن يشهد الثنتين من فعل ربه.
- ومن يشهد الثنتين من فعل نفسه.

والقسم المحض أن يعمل لله بالله فلا يعمل لنفسه ولا بنفسه فأعلاهم حال النبي ρ ومن اتبعه"[605]وهكذا ربَّى الإمام ابن تيمية تلاميذه وأتباعه على صحة دلالة مصطلح لمسألة بعينها وأنه هام في الجانب التربوي للعقيدة حتى لا تختلط الألفاظ ويلتبس المعنى الحق بالمعنى الباطل فكان مسلكه وجوب معرفة صحة دلالة المصطلح على كل مسألة بعينها.

(ج) تحقيقه لبعض المعاني والتي استخدمت بمدلولات خاطئة ومن أمثلة ذلك:

المقصود بلفظ [الفناء] حيث تأتي بعض الطوائف الإسلامية – على انحراف فيها باستخدام ذلك اللفظ وإلباسه لباس التقوى حيث يسقون الناس الكفر في كؤوس مزخرفة ومموهة بلباس التقوى فيأتون بهذا اللفظ ويجعلون منه اختلاط الخالق بالمخلوق كما يقول به معتقدوا وحدة الوجود وهذا فناء فاسد ومعتقده كافر مكابر وهو الضلال الكبير "فيقع صاحبه في وحدة الوجود وربما انتفى شهود القلب للسوى إذا كان في مقام الفناء فهذا قريب [أي فناء من عبادة السوى] أما اعتقاد أن وجود الكائنات هي هو فهذا هو الضلال"[606]

وبذلك أبان الإمام ابن تيمية في مسكله التربوي للعقدية وجوب معرفة صحة دلالة مصطلح معين على معناه في مسألة بعينها حيث بنى منهاجه التربوي للعقيدة على هذا المسلك الصحيح وهو الذي يحمي النفس من الانحراف في المعنى والتوجيه والدلالة ولا يخدع الكثيرين كثرة الخلل الواقع في أفراد الأمة بل يجب أن لا يتوسل

605 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ8 ص331 بتصرف يسير، مرجع سابق.

606 – نفس المرجع السابق، جـ2 ص64.



المسلم بشيء إلى الله إلا بما يحبه ويرضاه هو ورسوله ρ وهذا هو مسلك شيخ الإسلام في منهاجه التربوي للعقيدة حماية للتوحيد وسداً لذريعة الوقوع في الضلال والإشراك، بل ليحيا المسلم على طاعة الله ويموت عليها على هدي نبيِّه ρ وعمل أصحابه وأتباعهم من بعدهم.

المطلب الثالث: تبحره في فهم مصطلحات المخالفين:

وهذا الأمر ذو أهمية في مسلك شيخ الإسلام؛ إذ بمعرفته يظهر عوار حجة المخالف ولو كان الإمام ابن تيمية يخاطب أقواماً بمصطلحاتهم وهو غير فاهم لمعنى ذلك المصطلح عندهم لكان أول شيء يردون به عليه أنه لم يفهم نصوصهم لكن هذا لم يحدث ولكن الاختلاف كان بتهربهم عن المواجهة تارة وتبرير أقوال وأفعال صدرت من أكابرهم تارة أخرى وهكذا فهذا المنهج التربوي الذي اتبعه هذا الإمام إن اتبعه التلاميذ كانوا على هدىً وبصيرة؛ لأنهم بدونه قد يوقعون كثيراً من الناس في شك وحيرة من أمرهم وبيَّن أن فهم الألفاظ لابد وأن يرتبط بالشريعة فمعرفته لمعاني الألفاظ عندهم يساعده في كشف ضلالهم؛ ولهذا يبين فساد مَنْ يستبدل الحق بالباطل من معاني الألفاظ مع علم شيخ الإسلام بمدلولاتها عندهم فيقول: "فإن كثيراً من الناس ينشأ على اصطلاح قومه وعادتهم في الألفاظ ثم يجد تلك الألفاظ في كلام الله أو رسوله أو الصحابة فيظن أن مراد الله أو رسوله أو الصحابة بتلك الألفاظ ما يريده بذلك أهل عادته واصطلاحه ويكون مراد الله ورسوله والصحابة خلاف ذلك، وهذا واقع لطوائف من الناس من أهل الكلام والفقه والنحو و العامة وغيرهم وآخرون يتعمدون وضع ألفاظ الأنبياء وأتباعهم على معانٍ أخر مخالفة لمعانيهم ثم ينطقون بتلك الألفاظ مريدين بها ما يعنونه هم ويقولون: إنا موافقون للأنبياء، وهذا موجود في كلام كثير من الملاحدة المتفلسفة والإسماعيلية ومن ضاهاهم من ملاحدة المتكلمة والمتصوفة"[607] وكون شيخ الإسلام مايز بين معاني

607 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ1 ص243، مرجع سابق.



أولئك ومعاني الشــرع فهذا يدل بدوره على تبحره في فهم مصــطلحاتهم وما تعنيه وكيف تخالف الشــرع وتعمل على هدمه وإهدار النبوات وفي مصــنفات الإمام ابن تيمية كثير من تلك الاصطلاحات مثل معنى التوحيد والشرع والقدر والعقل والفناء والتأويل والولاء والتحزب أحزاباً و...ومن الأمثلة التي ذكرها شــيخ الإســلام المراد بالإله فكثير من الناس تجده يتكلم ويدعو إلى إثبات الإله ويدعي أنه على تحقيق التوحيد قادر وهو في الحقيقة بعيد عن حقيقة التوحيد؛ وذلك يرجع لمدى معرفة الإمام ابن تيمية بمدلول ذلك اللفظ عند غيره من أهل الباطل فيرد ذلك قائلاً: "وليس المراد (بالإله) هو القادر على الاختراع كما ظنه من ظنه من أئمة المتكلمين، حيث ظن أن الإلهية هي القدرة على الاختراع دون غيره وأن من أقر بأن الله هو القادر على الاختراع دون غيره فقد شــهد أن لا إله إلا هو؛ فإن المشــركين كانوا يقرون بهذا وهم مشركون... بل الإله الحق هو الذي يستحق بأن يُعبد فهو إله بمعنى مألوه لا إله بمعنى آله والتوحيد أن يُعبد الله وحده لا شــريك له والإشــراك أن يجعل مع الله إلهاً آخر.وإذا تبين أن غاية ما يقرره هؤلاء النظار أهل الإثبات للقدر المنتسبون إلى السنة إنما هو توحيد الربوبية وأن الله رب كل شيء ومع هذا فالمشركون كانوا مقرين بذلك مع أنهم مشركون وكذلك طوائف من أهل التصوف والمنتسبين إلى المعرفة والتحقيق والتوحيد غاية ما عندهم من التوحيد هو شــهود هذا التوحيد وأن يشهد أن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه لاسيما إذا غاب العارف بموجوده عن وجوده وبمشهوده عن شهوده وبمعروفه عن معرفته ودخل في فناء توحيد الربوبية بحيث يفنى من لم يكن ويبقى من لم يَزَلْ فهذا عندهم هو الغاية التي لا غاية وراءها. ومعلوم أن هذا هو تحقيق ما أقر به المشركون من التوحيد ولا يصير الرجل بمجرد هذا التوحيد مسلماً فضلاً عن أن يكون ولياً لله أو من سادات الأولياء.وطائفة من أهل التصوف والمعرفة يقررون هذا التوحيد مع إثبات الصفات فينفون في توحيد الربوبية مع إثبات الخالق للعالم المباين لمخلوقاته وآخرون يضــمون هذا إلى نفي الصــفات



فيدخلون في التعطيل مع هذا وهذا شـــرٌّ من حال كثير من المشـــركين"[608] فذكر الإمام ابن تيمية ذلك؛ لبيان أن فهم المصـــطلح له أهمية في الكلام مع المخالف؛ حيث إن المخـالف يتكلم ويقول: توحيـد – إلـه – شـــرع وهكـذا فمعرفة وفهم مصطلحات المخالفين له عناية عند أهل السنة لإقامة الأدلة على صحة معتقد أهل الســنة ولإبطال حجج أو لإقناع أهل الباطل بالتســليم بالتوحيد وبالدين الذي جاء به الرسول ρ وهذا هو مسلك شيخ الإسلام في تربيته العقدية.

د- نقله عن أصــحاب المصــطلحات والفنون من أمهات أصــولهم وليس عن طريق الواسطة:

وهذه هي الأمانة العلمية وهي سمة تميز بها شـيخ الإسـلام في كتبه ومصـنفاته حين النقـل أو العَزْو أو حتى في المجـادلات التي تمـت بينـه وبين المخـالفين فكـان يـذكر ويستدل بأدلتهم من نفس كتبهم وليس عن طريق آخر؛ ليكون ذلك أكثر إقناعاً لهم وأقوى حجة عليهم ويكون بمثابة لطمة قوية توجه إليهم إذ كيف يســـتـدل على أخطائنا بكلام أئمتنا؟!

إلى ذلك أشـــار بقوله: "ولهذا أنا أنقل من مقالات كبارهم حكاية الخلاف في ذلك ليســـتأنس بذلك من يعتمد على نقلهم وإن كان في ذلك النقل من التحريف ما فيه..."[609]

وينقل من المصنفات التي رآها بنفسه فيقول في بعض المصنفات الباطلة: "وقد رأيت من مصــــنفاتهم في عبادة الكواكب والملائكة وعبادة الأنفس المفارقة أنفس الأنبياء وغيرهم ما هو أصل الشرك"[610] ولثقة الإمام ابن تيمية في علمه وأنه إنما يأخذه من

608 – نفس المرجع السابق

609 – شيخ الإسلام ابن تيمية، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، تحقيق الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، جـ2 ص482، مطبعة الحكومة، ط1، مكة المكرمة – المملكة العربية السعودية، 1392هـ.

610 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ9 ص35، مرجع سابق.



مصادره الأصلية بدون واسطة فإنه لما كان يناظر المخالفين أمام الحكام كان يقول: "كل من خالفني في شيء مما كتبته فأنا أعلم بمذهبه منه"[611]

وهذا من أمانة شيخ الإسلام فهو ينقل بأمانة عمن ينقل عنهم وليس هذا فحسب بل إنه يفعل هذا مع نقوله عن السلف ويتحدى المخالفين على أن يأتوا بخلاف ما يقول ويمهلهم ثلاث سنين، وفي هذا يقول: "وقلتُ مرات: قد أمهلتُ كل مَنْ خالفني في شيء منها ثلاث سنين فإن جاء بحرف واحد عن أحد من القرون الثلاثة التي أثنى عليها النبيُّ حيث قال: "خير القرون القرن الذي بعثت فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم" [612]يخالف ما ذكرته فأنا أرجع عن ذلك وعلى أن آتي بنقول جميع الطوائف عن القرون الثلاثة توافق ما ذكرته من الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية والأشعرية وأهل الحديث والصوفية وغيرهم"[613] فهذا مسلكه أنه ينقل عن أصحاب المصطلحات والفنون من أمهات أصولهم وليس عن طريق الواسطة وهذا من سمات المنهج العلمي الصحيح وهذا بيّن واضح في سائر مصنفاته سواء في رده على الشيعة أو الصوفية أو الأشعرية أو أهل الكلام والمنطق أو حتى على مَنْ ينتسبون إلى الإسلام وهم منه أو من غيره وكذا في رده على النصارى إذ يقول: "وأنا أذكر ما ذكروه بألفاظهم بأعيانها فصلاً فصلاً وأتبع كل فصل بما يناسبه من الجواب فرعاً وأصلاً عقداً وحلاً"[614] وبيَّن شيخ الإسلام أن هذا المسلك هو الحق وهو مسلك أهل الإسلام وهو الإنصاف والعدل فقال: "وليس مما أمر الله به ورسوله ولا مما يرتضيه عاقل أن تقابل الحجج القوية بالمعاندة والجَحْد بل قول الصدق والتزام العدل لازم عند جميع العقلاء وأهل الإسلام والملل أحق بذلك من غيرهم؛ إذ هم ولله الحمد أكمل الناس عقلاً وأتمهم إدراكاً وأصحهم ديناً وأشرفهم كتاباً وأفضلهم

611 – نفس المرجع السابق، جـ 3 ص163.

612 – تقدم تخريجه

613 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ3 ص169، مرجع سابق.

614 – شيخ الإسلام ابن تيمية، الجواب الصحيح، جـ1 ص99، مرجع سابق.



نبياً وأحسنهم شريعة"[615] وهكذا سلك الإمام ابن تيمية في تربيته العقدية ذلك المنهاج، والذي فيه أسوة للمتعلمين في كيفية الاستدلال والرد على شبهات الخصوم والثقة بمنهاج أهل السنة مع الطمأنينة لصحة استدلالاتهم في الجانب التربوي للعقيدة.

3- ردوده و كتاباته و تآليفه

الأول: الرد على بعض الملل والطوائف المنحرفة:

سلك الإمام ابن تيمية في تأصيل منهجه التربوي للعقيدة مسلكاً قويماً؛ إذ إن منهاجه التربوي العقدي لم يقتصر على فئة معينة أو أفراد معينين من الأمة الإسلامية شمل كل الأفراد وتعدى الأمة الإسلامية إلى سائر الملل والنحل بشمولية اكتسبها من الأصول التي بنى عليها منهاجه وهي أصول الإسلام الشاملة؛ ولهذا فقد ذهب في منهاجه تعليماً وتدريساً وتأصيلاً ورداً و...، إذا كان منهاجه عالمياً لا يحيطه بلد ولا مجتمع ولا تحده ثقافة بل كان كالمطر كلما نزل بمكان نفعه، ولهذا الشمول وتلك العالمية خاض حروباً ضروساً ضد الملل والنحل المختلفة مدافعاً ومؤصلاً لمنهاج العقيدة الصحيحة وراداً ومبطلاً لكل نحلة وملة باطلة فقد ربَّى تلاميذه على عقيدة صحيحة صافية من شوائب المنحرفين كما رباهم وعلمهم كيفية التصدي وبقوة لأي عقيدة تخالف هدي السماء وتلك القوة قد نشأ عليها تلاميذه وأتباعه وهو بدوره اكتسبها من قوة أصول منهاجه المعتمد على الوحي المعصوم وردود الإمام ابن تيمية لا يحويها بحث أو تحيطها رسالة؛ ذلك أن ردوده بآلاف الصفحات لكن هنا إشارات فقط على بعض الأمثلة المقتبسة من ردوده، ويتضح ذلك من خلال ما يلي:

أ- الرد على الملحدين:

615 – شيخ الإسلام ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، جـ5 ص70، مرجع سابق.



وهؤلاء الملحدون هم الذين لا يقرون بإله لهذا الكون وقد ذكر الإمام ابن تيمية أولئك الملحدين في أكثر كتبه راداً عليهم ومبطلاً حججهم ومفنداً آراءهم، وأبرز ما يتكلمون فيه جحد الصانع وإثبات قدم العالم وذكر أن القائلين بذلك شرذمة من أخس الخلق وأن مشركي الأمم أثبتوا وجود الصانع لكنهم أشركوا معه غيره فقال: "علم بالشرع مع صريح العقل أيضاً رداً لما يقوله الفلاسفة الدهرية من قدم شيء من العالم مع الله بل القول بقدم العالم قول اتفق جماهير العقلاء على بطلانه فليس أهل الملة وحدهم تبطله بل أهل الملل كلهم وجمهور من سواهم من المجوس وأصناف من المشركين: مشركي العرب ومشركي الهند وغيرهم من الأمم وجماهير أساطين الفلاسفة كلهم معترفون بأن هذا العالم محدث كائن بعد أن لم يكن بل وعامتهم معترفون بأن الله خالق كل شيء والعرب المشركون كلهم كانوا يعترفون بأن الله خالق كل شيء وأن هذا العالم كله مخلوق والله خالقه وربه"[616] فتبيَّن من ذلك أن أغلب المخلوقات البشرية على تنوع بيئاتهم يقرون بالصانع وأن أولئك إنما كفروا بنفيهم لوجوده ولصفاتهم خشية الوقوع في التشبيه فَنَفَوْا وجوده فهم بذلك قد فروا من السيء إلى الأسوء حيث إنهم فروا من تشبيه موجود بموجود آخر – بزعمهم الباطل – فوقعوا في التعطيل ونفي وجوده أصلاً فقال "ولا ريب أن هذا هو غاية القرامطة الباطنية والمعطلة الدهرية أنهم يبقون في ظلمة الجهل وضلالة الكفر لا يعرفون الله ولا يذكرونه، ليس لهم دليل على نفيه ونفي أسمائه وصفاته... ثم إذا فعلوا ذلك بزعمهم لئلا يقعوا في التشبيه والتجسيم قيل لهم: ما فررتم إليه شر مما فررتم عنه؛ فإن الإقرار بالصانع على أيِّ وَجْه كان خير من نفيه، وأيضاً فإن هذا العالم المشهود كالسماء والأرض إن كان قديماً واجباً بنفسه فقد جعلتم الجسم المشهود قديماً واجباً بنفسه وهذا شر مما فررتم منه، وإن لم يكن واجباً بنفسه لزم أن يكون له صانع قديم واجب بنفسه وحينئذٍ تتضح معرفته وذكره بأن إثبات الرب بالقلب واللسان حق لا ريب فيه سمعاً وعقلاً؛ فإن كان ذلك مستلزماً لما سميتموه

---

616 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ5 ص565، مرجع سابق.



تشبيهاً وتجسيماً فلازم الحق حق وإن لم يكن مستلزماً له أمكنكم إثباته بدون هذا الكلام فظهر تناقض النفاة، كيف صرفت عليهم الدلالات وظهرتنا قض من يثبت بعض الصفات دون بعض"(617) وقد بيَّن أن الاشتراك في الاسم لا يستلزم الاشتراك في حقيقة المسمى وسلك لذلك أموراً ثلاثة وهي كما يلي:

أولاً: أبطل التسلسل بوجود مرجح تام موجب.

ثانياً: أكد وجود هذا الموجود الغني عما سواه بالعقل والنقل.

ثالثاً: أثبت أن اشتراك الخالق والمخلوق في صفة لا يستلزم اشتراكهما في حقيقة المسمى.

أولاً: أبطل التسلسل بوجود مرجع تام موجب: وذلك لقول أولئك الملحدين في آيات الله حيث إنهم انقسموا إلى قسمين ضالين هما:

قسم يقول بأن التأثير التام يستلزم وجود الأثر معه في الزمان وقسم يقولون بل بتراخي عنه.وكل منهما باطل بل الصواب ما ذكره بقوله: "الصواب الذي عليه أئمة العلم وهو أن التأثير التام يستلزم وجود الأثر عقبه لا معه في الزمان ولا متراخياً عنه وهذا القول فعليه يدل السمع والعقل قال الله تعالى: (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) (618) والعقلاء يقولون قطعته فانقطع وكسرته فانكسر وطلق المرأة فطلقت وأعتق العبد فعتق: فالعتق والطلاق يعقبان عقب الإعتق والتطليق لا يتراخى الأثر ولا يقارن، وكذلك الانكسار والانقطاع مع القطع والكسر.

وهذا مما يبّين أنه إذا وجد الخلق لزم وجود المخلوق عقبه كما يقال: كون الله الشيء فتكون، فتكونه عقب تكوين الله لا مع التكوين ولا متراخياً وكذلك الإرادة التامة مع القدرة تستلزم وجود المراد والمقدور، فهو يريد أن يخلق فيوجد الخلق بإرادته وقدرته ثم الخلق يستلزم وجود المخلوق وإن كان ذلك الخلق حادثاً بسبب آخر يكون هذا عقبة،

617 – نفس المرجع السابق، جـ6 ص48.

618 – سورة يس الآية (82).



فإنما في ذلك وجود الأثر عقب المؤثر التام والتسلسل في الآثار وهذا حق والله أعلم"[619] فتسلسل الآثارو وجود الأشياء إنما تكون وتصير بعد تكوينها إذ لم يقل أحد من العقلاء و أهل التحقيق إنها موجودة أثناء تكوينها أو بعده متراخية عنه وهذا محال فثبت أنها تصير بعده وكذلك العالم فكله مخلوق محدث إنما كان بعد خلقه بكن.

ثانياً: أكد وجود هذا الموجود الغني عما سواه بالعقل والنقل: وقد قرر هذا المعنى وأشار إليه الإمام ابن تيمية بقوله: "ذلك أنه قد علم بضرورة العقل أنه لابد من موجود قديم غنيٍّ عما سواه، إذ نحن نشاهد حدوث المحْدَثات: كالحيوان والمعدن والنبات.

والحادث ممكن ليس بواجب ولا ممتنع، وقد علم بالاضطرار أنَّ المحْدَث لابد له مِنْ مُحْدِثٍ، والممكن لابد له من موجد كما قال تعالى: (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون)[620] فإذا لم يكونوا خُلقوا من غير خالق ولا هم الخالقون لأنفسهم تعيَّن أن لهم خالقاً خلقهم"[621]

ثالثاً: أثبت أن اشتراك الخالق والمخلوق في صفة لا يستلزم اشتراكهما في حقيقة المسمى: وهذا الاشتراك وذلك الافتراق مما هو معروف بالضرورة والفطرة ولهذا أشار بقوله: "وإذا كان من المعلوم بالضرورة أن في الوجود ما هو قديم واجب بنفسه وما هو مُحْدَثٌ ممكن يقبل الوجود والعدم فمعلوم أن هذا موجود وهذا موجود ولا يلزم من اتفاقهما في مسمى الوجود أن يكون وجود هذا مثل وجود هذا، بل وجود هذا يخصه ووجود هذا يخصه، واتفاقهما في اسم عام لا يقتضي تماثلهما في مسمى ذلك الاسم عند الإضافة والتخصيص والتقييد ولا في غيره فلا يقول عاقل إذا قيل إن العرش شيء موجود وإن البعوض شيء موجود: إن هذا مثل هذا لاتفاقهما في مسمى الشيء والوجود؛ لأنه ليس في الخارج شيء موجود غيرهما يشتركان فيه بل الذهن يأخذ معنىً

619 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج16 ص380 – 381 بتصرف يسير، مرجع سابق.
620 – سورة الطور الآية (35).
621 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج3 ص9، مرجع سابق.



مشتركاً كلياً هو مسمى الاسم المطلق، وإذا قيل: هذا موجود وهذا موجود، فوجود كل منهما يخصه لا يشركه فيه غيره مع أن الاسم حقيقة في كل منهما؛ ولهذا سمَّى الله نفسه بأسماء وسمى صفاته بأسماء وكانت تلك الأسماء مختصة به إذا أضيفت إليه لا يشركه فيها غيره وسمَّى بعض مخلوقاته بأسماء مختصة بهم مضافة إليهم توافق تلك الأسماء إذا قُطعت عن الإضافة والتخصيص ولم يلزم من اتفاق الاسمين وتماثل مسماهما عند الإطلاق والتجريد عن الإضافة والتخصيص اتفاقهما، ولا تماثل المسمى عند الإضافة والتخصيص فضلاً عن أن يتحد مسماهما عند الإضافة والتخصيص... [ثم عَّدد بعض الأسماء والصفات التي سَّمى الله بها نفسه وسمَّى بعض مخلوقاته مضافة إليهم ثم قال:] فلابد من إثبات ما أثبته الله لنفسه ونفي مماثلته بخلقه...بل لابد من إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل"[622] وهكذا الكلام في سائر المخلوقات فكون العالم هذا الآن موجود والباري سبحانه وتعالى موجود فلا يستلزم أن يكون وجود العالم أزلياً كوجود الله سبحانه بل وجودالعالم مُحْدَث إنما كان بعد خلق الله له فصار موجوداً بفعل الله سبحانه وليس بنفسه وإلا لسُمِّي خالقاً وإن سُمِّي خالقاً لزم أن يكون لهذا الخالق مخلوقات قد تكونت بأمره ومشيئته تنطق بذلك وهذا ممتنع فلزم أن العالم مُحْدَثٌ وأن القول بأنه قديم أو أزلي – هذا على الفرض والتنزل إنما يقال: إنه قديم وأزليٌّ بالنسبة إلى مُحْدَثٍ آخر أو إن أُريد بذلك القول: عظم قدمه منذ أن خلقه الباري سبحانه فهذا صواب أما غير ذلك فلا وبهذا يبطل قول أولئك الملحدين وصح دين سيِّد المرسلين ρ .

ب- الرد على الفرق الخارجة عن الشريعة:

شريعة النبيّ محمدٍ صلى الله عليه وسلم معصومة من قبل الله سبحانه وتعالى؛ لأنه هو الذي أرسل رسوله واصطفاه وأنزل عليه الكتاب وأيده بتأييده وأفراد هذه الشريعة

622 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ3 ص9 – 10، ص16، مرجع سابق.



على خير وهدىً ما داموا لها مطبقين وبأمرها محتكمين لكنه لا يخلو زمان ولا مكان من وجود المحسن والمسيء وكل منهما ربما تكون نسبته إلى مكان بعينه أو زمان معين وهكذا... فكون ذلك المسيء قد انتسب بحق أو بباطل إلى زمانٍ معين أو مكان معين فلا يعني هذا فساد الزمان أو المكان ولكن يعني أن هناك دخيلاً يحاول الإفساد؛ لأن الأصل على الخير والهدى حيث فطرة الله تعالى كما في التنزيل: (فطرة الله التي فطر الناس عليها)[623] ولذلك فقد انتسب للإسلام أقوام وأفراد وطوائف هم في الحقيقة ليسوا منه لكن تظاهروا وادَّعَوْا ذلك لأغراض الله بها عليم وقد أكثرالإمام من ترداده لوجوب الانقياد للشريعة وعدم الخروج عنها لجميع أفراد الأمة قائلاً:

"ليس لأحد الخروج عن كتاب الله وسنة رسوله لا من المشايخ والفقراء ولا من الملوك والأمراء ولا من العلماء والقضاة وغيرهم بل جميع الخلق عليهم طاعة الله ورسوله"[624] وقال: "ومحمد خاتم الرسل فعلى جميع الخلق اتباعه واتباع ما شرعه من الدين وهو ما أتى به من الكتاب والسنة، فما جاء به الكتاب والسنة وهو الشرع الذي يجب على جميع الخلق اتباعه وليس لأحد الخروج عنه وهو الشرع الذي يقاتل عليه المجاهدون الكتاب والسنة"[625] ومن تلك الطوائف الخارجة عن الشريعة:

1- البطائحية.
2- الدروز.
3- التتار.

وقد رد الإمام ابن تيمية على هؤلاء جميعاً وغيرهم كما يلي:

أولاً البطائحية: وهؤلاء كانوا جماعة كثيرين في زمن شيخ الإسلام[626] وكانوا يخرجون عن الشريعة بإظهار الأحوال الشيطانية من الإزباد و... الأصوات المنكرة ووضع

623 – سورة الروم الآية (30)
624 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، د 11 ص 465، مرجع سابق
625 – نفس المرجع السابق،ج35 ص365.
626 – ينظر ج11 ص465، من مجموع الفتاوى للإمام ابن تيمية.



الأغلال على الأعناق ولبس الأطواق فرد عليهم الإمام ابن تيمية مشافهة أمام مشهد عظيم من الأمراء والعلماء والعامة ثم كتب الرد كتابة وذكر ذلك بقوله: "فقد كتبت ما حضرني ذكره في المشهد الكبير بقصر الإمارة والميدان بحضرة الخلق من الأمراء والكتاب والعلماء والفقراء العامة وغيرهم في أمر البطائحية يوم السبت تاسع جمادى الأولى سنة خمس [أي وسبعمائة] لتشوُّق الهمم إلى معرفة ذلك وحرص الناس على الاطلاع عليه... وذلك أني كنت أعلم من حالهم... وهو أنهم كانوا منتسبين إلى الإسلام وطريقة الفقر والسلوك ويوجد في بعضهم التعبد والتأله والوَجْد والمحبة والزهد والفقر والتواضع ولين الجانب والملاطفة في المخاطبة والمعاشرة... ونحو ذلك ما يوجد أيضاً في بعضهم من الشرك وغيره من أنواع الكفر ومن الغلو والبدع في الإسلام والإعراض عن كثير مما جاء به الرسول والاستخفاف بشريعة الإسلام والكذب والتلبيس وإظهار المخارق الباطلة وأكل أموال الناس بالباطل والصد عن سبيل الله"(627).

وهنالك أخذ شيخهم ينتصر للبسهم الأطواق فأشار إلى ذلك الإمام بقوله: "فأخذ شيخهم المشتكي [الذي اشتكى شيخ الإسلام للأمير] ينتصر للبسهم الأطواق وذكر أن وَهْبَ بن مُنبِّه روى أنه كان في بني إسرائيل عابد وأنه جعل في عنقه طوقاً. في حكاية من حكايات بني إسرائيل لا تثبت.

فقلت لهم: ليس لنا أن نتعبد في ديننا بشيء من الإسرائيليات المخالف لشرعنا قد روى الإمام أحمد في مسنده(628) عن جابر بن عبد الله أن النبي رأى بيد عمر بن الخطاب ورقة من التوراة فقال: "أمتهوكون يا ابن الخطاب لقد جئتكم بها بيضاء نقية لو كان موسى حياً ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم" ... فنحن لا يجوز لنا اتباع موسى ولا عيسى فيما علمنا أنه أنزل عليهما من عند الله إذا خالف شرعنا فكيف يجوز لنا

627 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ11 ص445-446 بتصرف، مرجع سابق.

628 – أي أمتحيرون؟ أمتمردون؟ ومنه التهور، والحديث حسن. رواه الإمام أحمد في مسنده (3/ 387)، وينظر الإرواء للشيخ الألباني، د 6 ص 35 رقم (1589)، المكتب الإسلامي ط2 ، بيروت لبنان، 1405هـ – 1985م

أن نتبع عباد بني إسرائيل في حكاية لا تعلم صحتها. فقال هذا الشيخ منهم يخاطب الأمير: نحن نريد أن تجمع لنا القضاة الأربعة والفقهاء ونحن قوم شافعية.

فقلت له: هذا غير مستحب ولا مشروع عند أحد من علماء المسلمين بل كلهم ينهى عن التعبد به ويعده بدعة وهذا الشيخ كمال الدين ابن الزملكاني مفتي الشافعية ودعوته وقلت له: يا كمال الدين :ما تقول في هذا؟ فقال: هذا بدعة غير مستحبة بل مكروهة أو كما قال، وكان مع بعض الجماعة فتوى فيها خطوط طائفة من العلماء بذلك.

وقلتُ: ليس لأحد الخروج عن شريعة محمد ولا الخروج عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فانتدب ذلك الشيخ عبد الله ورفع صوته وقال: نحن لنا أحوال وأمور باطنة لا يوقف عليها ولغيرنا الظاهر.

فقلت: الظاهر والباطن... كل هذا مردود إلى كتاب الله وسنة رسوله ليس لأحد الخروج عن كتاب الله وسنة رسوله لا المشايخ والفقراء ولا من الملوك والأمراء ولا من العلماء والقضاة وغيرهم بل جميع الخلق عليهم طاعة الله ورسوله فقال ورفع صوته: نحن لنا الأحوال وادعى الأحوال الخارقة كالنار وغيرها واختصاصهم بها وأنهم يستحقون تسليم الحال إليهم لأجلها.

فقلت: ورفعت صوتي وغضبتُ: أنا أخاطب كل أحمدي من مشارق الأرض إلى مغاربها أي شيء فعلوه في النار فأنا أصنع مثل ما تصنعون ومن احترق منا فهو مغلوب وربما قلت فعليه لعنة الله ولكن بعد أن نغسل جسومنا بالخل والماء الحار...؛ لأن لهم حيلاً في الاتصال بالنار يصنعونها من أشياء من دهن الضفادع وقشر النارنج وحجر الطلق...فقلتُ: قُمْ وأخذت أكرر عليه القيام.

فقال: من كان يحب الأمير فليحضر خشباً –أو قال حزمة حطب فقلت: هذا تطويل وتفريق للجمع ولا يحصل به مقصود بل قنديل يوقد وأدخل إصبعي وإصبعك فيه بعد الغسل... فلما قلت ذلك تغير وذل وذكر لي أن وجهه اصفر...[ثم قال شيخ



الإسلام:] وسألني الأمير: عما تطلب منهم فقلت: متابعة الكتاب والسنة فقالوا: نحن ملتزمون بالكتاب والسنة"[629] وهكذا فقد رد الإمام ابن تيمية على شبهات تلك الطائفة الخارجة عن الشريعة وأبطل حججهم أ مام خلق كثير ونصر الله الحق وأبطل الباطل، وفي هذا جانب تربوي سلكه الإمام حيث إن تربية النشء على العقيدة لا يقتصر على صورة معينة بل التربية تتكيف بأحوال المتعلمين أو المراد إيصال التربية إليهم وتعدد وسائل المنهج من أبرز سمات نجاحه وشموله واستمراره وهذا ما سلكه شيخ الإسلام في منهجه.

ثانياً: الدرزية: وهذه الطائفة خارجة عن الشريعة وقد ذكرهم الإمام ابن تيمية كثيراً ورد عليهم وبيَّن حالهم كما في قوله حينما سُئل عن الدرزية والنصيرية: "هؤلاء الدرزية والنصيرية كفار باتفاق المسلمين لا يحل أكل ذبائحهم ولا نكاح نسائهم بل ولا يقرون بالجزية؛ فإنهم مرتدون عن دين الإسلام ليسوا مسلمين ولايهود ولا نصارى لا يقرون بوجوب الصلوات الخمس ولا وجوب صوم رمضان ولا وجوب الحج ولا تحريم ما حرم الله ورسوله من الميتة والخمر وغيرهما وإن أظهروا الشهادتين مع هذه العقائد فهم كفار باتفاق المسلمين... وأما الدرزية فأتباع هشتكين الدرزي وكان من موالي الحاكم ويسمونه: الباري العلام ويحلفون به وهم من الاسماعيلية القائلين بأن محمد بن إسماعيل نسخ شريعة محمد بن عبد الله وهم أعظم كفراً من الغالية؛ يقولون بقدم العالم وإنكار المعاد وإنكار واجبات الإسلام ومحرماته وهم من القرامطة الباطنية الذين هم أكفر من اليهود والنصارى ومشركي العرب وغايتهم أن يكونوا فلاسفة على مذهب أرسطو وأمثاله أو مجوساً وقولهم مركب من قول الفلاسفة والمجوس ويظهروا التشيع نفاقاً"[630].

كذلك وقال شيخ الإسلام – رحمه الله – رداً على نبذ لطوائف من الدروز: "كفر هؤلاء مما لا يختلف فيه المسلمون بل من شك في كفرهم فهو كافر مثلهم، لا هم بمنزلة

629 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ11 ص462 – 468 بتصرف، مرجع سابق.

630 – نفس المرجع السابق، جـ3 ص513، جـ35 ص161-162.



أهل الكتاب ولا المشركين بل هم الكفرة الضالون فلا يباح أكل طعامهم وتُسْبى نساؤهم وتؤخذ أموالهم فإنهم زنادقة مرتدون... ويجب قتل علمائهم وصلحائهم [أي بزعمهم لا في حقيقة الأمر]؛ لئلا يضلوا غيرهم"[631] ورد الإمام على أولئك إنما القصد به إبطال معتقدهم الباطل حيث إنهم انتسبوا إلى الإسلام ظاهراً فرد عليهم إثباتاً لمعتقدهم الفاسد وتأصيلاً لصحة معتقد أهل السنة والجماعة ظاهراً وباطناً وهو ما سلكه الإمام في منهجه التربوي للعقيدة.

ثالثاً: التتار: وهذه الطائفة لكثرة فسادها وإفسادها لا يخفى حالها على أحد وقد قدموا على ديار المسلمين سنة 699هـ وفعلوا ما فعلوا في المسلمين من إذلال لهم وإهانة المساجد لاسيما بيت المقدس حيث فجرو بخيار نساء المسلمين فيها و نهبوا من أموال المسلمين فبيَّن شيخ الإسلام حالهم بالقلم واللِّسان وحارب جيوشهم بالسيف والسِّنان تحت راية الحكام المسلمين.

وقد رد الإمام ابن تيمية على أولئك التتار وبيَّن حالهم وذلك بإيضاح أمرين اثنين:

الأول: بيَّن أنهم خارجون عن التزام الشريعة الإسلامية.

الثاني: أنهم ليسوا من الفرق الإسلامية كالخوارج وأنهم ليسوا من أهل البغي.

أما الأول: فقد ذكر عنهم في كتبه التي تكلم فيها عن التتار أنهم مشركون[632]. وأنهم كفار[633] وقد ذكر عنهم أنهم يقاتلون قتال الممتنعين عن الشريعة مع نطقهم بالشهادتين[634]، وقد رد على معتقداتهم الباطلة من وجوه متعددة[635] في مصنفاته فهؤلاء كفار من عدة وجوه منها:

1- احتكامهم لغير شريعة الإسلام.

631 – نفس المرجع السابق، جـ35 ص162.

632 – في مواضع كثيرة منها جـ13 ص215 من مجموع الفتاوى.

633 – نفس المرجع السابق، جـ2 ص193.

634 – نفس المرجع السابق، جـ22 ص51، جـ28 ص399.

635 – نفس المرجع السابق، جـ28 ص509.



2- جعلهم الولاء والبراء على موافقتهم أو مخالفتهم.

3- جعلهم الإسلام مع الديانات الأخرى بمنزلة المذاهب الأربعة عند المسلمين.

4- جعلهم مقام سيِّدنا محمدٍ صلى الله عليه وسلم بمنزلة ملكهم الكافر جنكيزخان.

5- استحلالهم المحرمات وقتل المسلمين.

6- اعتقادهم في جنكيزخان أنه ابن الله.

1- أما احتكامهم لغير شريعة الإسلام: فذلك ظاهر وبين من انقيادهم ورجوعهم في شرائعهم إلى الياسق[636] وقد أشار إلى ذلك الإمام ابن تيمية بقوله: "ليس لأحد أن يحكم بين أحد من خلق الله: لا بين المسلمين ولا الكفار ولا... إلا بحكم الله ورسوله ومن ابتغى غير ذلك تناوله قوله تعالى: (أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون)[637] وقوله تعالى: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثمَّ لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً)[638] فيجب على المسلمين أن يحكموا الله ورسوله في كل ما شجر بينهم ومن حكم بحكم النبدق وشرع النبدق [رماة النبدق] أو غيره مما يخالف شرع الله ورسوله وحكم الله ورسوله وهو يعلم ذلك فهو من جنس التتار الذين يقدمون حكم الياسق على حكم الله ورسوله"[639].

636 – يقول الإمام ابن كثير في تفسيره ج2 ص67 عند تفسيره لقوله تعالى: (أفحكم الجاهلية يبغون...): "ينكر تعالى على كل من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير الناهي عن كل شر وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكزخان الذي وضع لهم الياسق وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه فصارت في بنيه شرعاً متبعاً يقدمونه على الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله (ص) فمن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله فلا يُحكم سواه في قليل ولا كثير".

637 – سورة المائدة الآية (50).

638 – سورة النساء الآية (65).

639 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج35 ص408، مرجع سابق، وينظر ص386..



2 – جعلهم الولاء والبراء على موافقتهم أو مخالفتهم: ذلك أن عسكرهم فيه من شتى الملل ويقاتلون لا لإعلاء كلمة الله ولكن لشريعة ذلك الملك الكافر جنكيزخان ولهذا أشار بقوله: "لكن الذي عليه عامتهم والذي يقاتلون عليه متضمن لترك كثير من شرائع الإسلام أو أكثرها فإنهم لا يقاتلون من ترك الإسلام بل من قاتل على دولة المغول عظموه وتركوه وإن كان كافراً عدواً لله ورسوله وكل من خرج عن دولة المغول أو عليها استحلوا قتاله وإن كان من خيار المسلمين... فلا يقاتلون الكفار ولا يلزمون أهل الكتاب بالجزية والصغار لا ينهون أحداً من عسكرهم أن يعبد ما شاء من شمس أو قمر أو غير ذلك بل الظاهر من سيرتهم أن المسلم عندهم بمنزلة العدل أو الرجل الصالح أو المتطوع في المسلمين والكافر عندهم بمنزلة الفاسق في المسلمين أو بمنزلة تارك التطوع"[640] هذا "وقد قسموا الناس أربعة أقسام:

1 يال .... صديقهم.

2 باع .... عدوهم.

3 داشمند .... العالم.

4 طاط .... العامي.

فمن دخل في طاعتهم الجاهلية وسنتهم الكفرية كان صديقهم ومن خالفهم كان عدوهم ولو كان من أنبياء الله ورسله وأوليائه وكل من انتسب إلى علم أو دين سموه داشمند كالفقيه والزاهد والقسيس والراهب ودخان اليهود والمنجم والساحر والطبيب والكاتب والحاسب فيدرجون سادن الأصنام وأهل الكتاب وأهل العلم والإيمان نوعاً واحداً"[641]

3- جعلهم الإسلام مع الديانات الأخرى بمنزلة المذاهب الأربعة عند المسلمين: حيث اشتمال عسكرهم على ملل شتى ويظهر من تقسيمهم الناس وتلقيبهم داشمند

---

640 – نفس المرجع السابق، جـ28 ص505 بتصرف، مرجع سابق

641 – نفس المرجع السابق، ص525 بتصرف يسير. الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، د8، ص 525 بتصرف يسير، مرجع سابق.

للكافر والمسلم على السواء وجعلهم المسلم كفاعل التطوع والكافر الزنديق كفاسق عند المسلمين أو تارك للأولى فقط وأشار إلى هذا بقوله: "فهم يَدَعُونَ دين الإسلام ويُعَظِّمون دين أولئك الكفار على دين المسلمين ويطيعونهم ويوالونهم أعظم بكثير من طاعة الله ورسوله وموالاة المؤمنين والحكم فيما شجر بين أكابرهم بحكم الجاهلية لا بحكم الله ورسوله، وكذلك الأكابر من وزرائهم وغيرهم يجعلون دين الإسلام كدين اليهود والنصارى وإن هذه كلها طرق إلى الله بمنزلة المذاهب الأربعة عند المسلمين"(642)

4- جعلهم مقام سيِّدنا محمدٍ صلى الله عليه وسلم بمنزلة ملكهم الكافر جنكيزخان: حيث إنهم يعتقدون في ذلك الملك الكافر أنه يماثل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا المعتقد الفاسد عند أكابرهم كما قرر هذا شيخ الإسلام بقوله: "قال أكبر مقدميهم الذين قدموا إلى الشام وهو يخاطب رسل المسلمين ويتقرب إليهم بأنا مسلمون فقال: هذان آيتان عظيمتان جاء من عند الله: محمد وجنكيزخان. فهذا غاية ما يتقرب به أكبر مقدميهم إلى المسلمين أن يسوي بين رسول الله وأكرم الخلق عليه وسيد ولد آدم وخاتم المرسلين وبين ملك كافر مشرك من أعظم المشركين كفراً وفساداً وعدواناً"(643)

5- استحلالهم المحرمات وقتل المسلمين: واستحلالهم لتلك الأمور من أشهر ما يكون ذلك أنهم لما جاؤوا للشام "سَبَوْا من ذراري المسلمين مائة ألف أو يزيد عليه وفعلوا ببيت المقدس و... من القتل والسبي وجعلوا يفجرون بخيار نساء المسلمين في المساجد وغيرها كالمسجد الأقصى والأموي"(644)

6- اعتقادهم في جنكيزخان أنه ابن الله: تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً وهذا كان معروفاً لدى العامة والخاصة عندهم مع أن ملكهم هذا لم يكن ابناً شرعياً لأبيه كما

---

642 – نفس المرجع السابق، ص523.

643 – نفس المرجع السابق، ص521

644 – نفس المرجع السابق، ص520.



ذكر ذلك أهل التاريخ والسير وأشار إلى ذلك الإمام ابن تيمية بقوله: "إن اعتقاد هؤلاء التتار كان في جنكيزخان عظيماً فإنهم يعتقدون أنه ابن الله من جنس ما يعتقده النصارى في المسيح ويقولون إن الشمس حبّلت أمه وأنها كانت في خيمة فنزلت الشمس من كوة الخيمة فدخلت فيها حتى حبلت ومعلوم عند كل ذي دين أن هذا كذب وهذا دليل على أنه ولد زنا وأن أمه زنت فكتمت زناها وادعت هذا حتى تدفع عنها معرة الزنا وهم مع هذا يجعلونه أعظم رسول من عند الله... حتى يقولوا لمالٍ عندهم : هذا رزق جنكيزخان ويشكرونه على أكلهم وشربهم وهم يستحلون قتل مَنْ عادى ما سنَّه لهم هذا الكافر الملعون المعادي لله ولأنبيائه ورسله وعباده المؤمنين"[645]

وهكذا مسلك الإمام ابن تيمية حيث منهاجه في تأصيل العقيدة مبيناً فساد المعتقدات الباطلة بالرد عليهم وإظهار عوارهم وفساد تصوراتهم فقد بيَّن أنهم خارجون عن التزام الشريعة الإسلامية.

وأما الثاني: فقد بيَّن أنهم ليسوا بغاة وأنهم ليسوا من جنس الخوارج: أما كونهم بغاة ولا من جنس الخوارج ذلك أن البغاة أو الخوارج إنما هم ملتزمون بالشريعة الإسلامية على العموم لكن يمتنع بعضهم أو كلهم عن فعل شيء منها من غير استحلال ذلك أن الخوارج والبغاة يصلون ويقرؤون القرآن فمثل هؤلاء يقاتلون باتفاق المسلمين حتى يعودوا إلى الالتزام بالشريعة كما اتفق الصحابة على قتال المرتدين وقد ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم أنهم يصلون ويقرؤون القرآن كما ذكر ذلك الإمام ابن تيمية بقوله: "فاتفق الصحابة رضي الله عنهم على القتال على حقوق الإسلام عملاً بالكتاب والسنة وكذلك ثبت عن النبي من عشرة أوجه الحديث عن الخوارج وأخبر أنهم شر الخلق والخليقة مع قوله تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم...

645 - نفس المرجع السابق، ص521 – 522 بتصرف

[وقال الإمام ابن تيمية:] فإن الطائفة الممتنعة تقاتل عليها وإن كانت مقرة بها وهذا مما لا أعلم فيه خلافاً بين العلماء ... [وقال:] وهؤلاء عند المحققين من العلماء ليسوا بمنزلة البغاة الخارجين على الإمام أو الخارجين عن طاعته كأهل الشام مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فإن أولئك خارجون عن طاعة إمام معين أو خارجون عليه لإزالة ولايته وأما المذكورون فهم خارجون عن الإسلام"[646] وهكذا لقد درج شيخ الإسلام في منهاجه التربوي للعقيدة تأصيلاً لعقيدة الإسلام ونبذاً ورداً للعقائد وللطوائف الخارجة عنه، وبذلك يكون قد مهَّد الطريق أما المتعلمين لكيفية التعامل مع أولئك الخارجين بمنهاج تربوي علمي هادف.

ومن الملاحظ أن بعض الطوائف قد طال الكلام عليها دون بعض وهذا كما مر في النصارى أكثر منه من اليهود وذلك يرجع لمدى ضرر أولئك وشوكتهم وأذيتهم على المسلمين فكما أنه قد زاد إيذاء النصارى على اليهود؛إذ كان النصارى يأتون بجيوش ودول كاملة كذلك كان شأن التتار بخلاف سائر الطوائف من دروز أو بطائحية أو غيرها... فتصدَّى للجميع الإمام ابن تيمية مستعيناً بالله أولاً ثم بالأمراء والملوك لنشر العقيدة الصحيحة.

الرد على غلاة الشيعة:

التشيع لطائفة أو فرد لا يختلف في جوازه عاقل بشرطين:

1- موافقة صحيح المنقول.
2- موافقة صريح المعقول.

فكل إنسان في الوجود يكون في شيعة معينة ينصرها ويدافع عنها وهنيئاً لمن كانت شيعته ملة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم هذا وإن من المنتسبين إلى الأمة الإسلامية قد تشيعوا لغير ذلك بغلو فوق مستوى المخلوقات دون الأنبياء بل أصبح

646 – نفس المرجع السابق، ص502 – 504 بتصرف.

ذلك التشيع يصل إلى فوق مرتبة الأنبياء... ومن هذا الصنف غلاة الشيعة حيث إن الكلام هنا على الغُلاة منهم أما مجرد التشيع فقط فهذا أمره قريب؛ إذ لم يخرج صاحبه من ربقة الإسلام.ذلك أن "الشيعة أقدم الفرق الإسلامية... وأساس مذهبهم ما يأتي:

أ- أن الإمامة قاعدة الإسلام ولا يجوز لنبيّ إغفالها وتفويضها إلى الأمة بل يجب عليه اختيار الإمام لهم.

ب- وأن علي بن أبي طالب كان هو الخليفة المختار من النبيِّ صلى الله عليه وسلم وأنه أفضل الصحابة رضوان الله تبارك وتعالى عليهم ولقد اتفقت فرق الشيعة على ذلك القدر واختلفوا من بعد ذلك اختلافاً بيناً:

- فمنهم مَنْ غالى في تقدير عليٍّ رضي الله عنه.
- ومنهم أمة مقتصدة.

فالمقتصدون يرون أنه أفضل الصحابة ولكن يقرون بصحة بيعة أبي بكر وعمر ولا يسبونها؛ لأن علياً رضي الله عنه بايعهما، ولأنه رضي الله عنه لم يطعن فيهما.

وأما المغالون المتطرفون فهم يطعنون في الشيخين ويرفعون علياً إلى مرتبة النبوة بل منهم من اشتدت به المبالغة والكذب فارتفع به عن مرتبة النبوة بل من هؤلاء الكافرين من قال: إن الله حلَّ فيه بل منهم من قال: إنه الله... وقد انقرضوا بل لم يذكر لهم التاريخ خبراً إلا ما كان راجعاً إلى عصر علي والعصر الأموي وأولئك لم يكونوا في الأصل مسلمين بل أظهروا الدخول في الإسلام لإفساده على أهله.

وقد اختلف المسلمون من الشيعة في اختيار الخليفة من بعد علي إلى ما يلي:

أولاً الزيدية: وهم أتباع زيد بن علي زين العابدين وهؤلاء جعلوا اختيار الخليفة بالوصف فكل من تحقق فيه الأوصاف التي ذكروها وصفاً للإمام يكون إماماً إذا بايعه الناس وهذه الأوصاف هي:

- كونه فاطمياً.



- ورعاً.
- عالماً.
- سخياً.
- يخرج داعياً الناس لنفسه.

ومن مذهب الزيدية أنه يجوز خروج إمامين في وقت واحد في قطرين مختلفين ما داما متحليين بالأوصاف التي ذكروها..

ثانياً: الكيسانية: يعتقدون إن الإمامة من بعد الحسين لمحمد بن الحنفية أخيه من أبيه.

ومن مذهب الكيسانية عصمة الأئمة عن الخطأ وعدم موت محمد بن الحنفية ويعتقدون تناسخ الأرواح وجواز البَداء على الله أي أن الله سبحانه وتعالى يغيِّر ما يريده تبعاً لتغير علمه تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

ثالثاً: الإمامية الإثنا عشرية: وهؤلاء يرون أن الإمامة بعد الحسين رضي الله عنه لابنه علي رضي الله عنه ومن بعده لمحمد الباقر ومن بعده لجعفر الصادق ابن الباقر ثم لابنه موسى الكاظم ثم لعلي الرضا ثم لمحمد الجواد ثم لعلي الهادي ثم للحسن العسكري ثم لمحمد ابنه وهو الإمام الثاني عشر ومذهبهم أن الأخير دخل سرداباً في دار أبيه بـ(سُرَّ مَنْ رأى) أي: سامراء، ولم يعد بَعْد.. وهم باقون إلى اليوم.

رابعاً: الإمامية الإسماعيلية: وهي طائفة تنسب إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر وعندهم الإمامة بعد جعفر الصادق لابنه إسماعيل.

فخلافهم مع الاثني عشرية مَنْ بعد جعفر الصادق فهؤلاء يقولون موسى الكاظم وأولئك يقولون: ابنه إسماعيل.

وهذه الفرقة هي التي كان للإمام ابن تيمية مواقف ضد بعض المنتمين إليها فقد حاربهم بعلمه ولسانه وسيفه"[647] وقد تميَّز رده على أولئك الطاعنين الضالين حيث أفرد لهم مؤلفاً من أعظم مؤلفاته وكان منهاجاً له كاسمه حيث سماه منهاج السنة النبوية في

647 – الشيخ محمد أبو زهرة، ابن تيمية، ص 167 – 170 بتصرف، مرجع سابق..



نقض كلام أهل الشيعة والقدرية وهو رد على كتاب ابن المطهر الحلي الموسوم بـ منهاج الكرامة في معرفة الإمامة وعند الرد لا يمكن استقصاء جميع الرد أو كثير منه بل إشارات فقط؛ ذلك أن شيخ الإسلام ابن تيمية قد مشى في منهاجه مؤصلاً لمنهج أهل السنة وراداً على منهاج غلاة الشيعة المبطلين فيما يزيد عن (15..) صفحة. هذا وسيكون الرد من خلال منهاج الإمام ابن تيمية على الشيعة من خلال أمور خمسة كما يلي:

1- رده عليهم في ثَلْبهم للصحابة رضي الله عنهم أجميعين: ورده هذا إنما هو تأصيل لمنهجه نحو حملة الشريعة وهداتها فرد على غلاة الشيعة ثَلْبهم للصحابة الكرام رضي الله عنهم فيقول في معرض رده على سب وتكفير أولئك الغلاة لهم: "وأما الخلفاء والصحابة فكل خير فيه المسلمون إلى يوم القيامة من الإيمان والإسلام والقرآن والعلم والمعارف والعبادات ودخول الجنة والنجاة من النار وانتصارهم على الكفار وعلو كلمة الله فإنما هو ببركة ما فعله الصحابة الذين بلغوا الدين وجاهدوا في سبيل الله وكل مؤمن آمن بالله فللصحابة رضي الله عنهم عليه فضل إلى يوم القيامة وكل خير فيه الشيعة وغيرهم فهو ببركة الصحابة وخير الصحابة تبع لخير الخلفاء الراشدين فهم كانوا أقوم بكل خير في الدين والدنيا من سائر الصحابة فكيف يكون هؤلاء منبع الشر ويكون أولئك الرافضة منبع الخير؟!!"[648]

ويقول أيضاً عن غلاة الشيعة: "فإنهم عمدوا إلى خيار أهل الأرض من الأولين الآخرين بعد النبيين والمرسلين وإلى خيار أمة أخرجت للناس وافتروا عليهم العظائم وجعلوا حسناتهم سيئاتهم وجاؤوا إلى شر من انتسب إلى الإسلام من أهل الأهواء وهم الرافضة بأصنافها غاليها وإماميها وزيديها والله يعلم وكفى به عليماً ليس في جميع الطوائف المنتسبة إلى الإسلام من بدعة وضلالة شر منهم لا أجهل ولا أكذب ولا أظلم ولا أقرب إلى الكفر والفسوق والعصيان وأبعد عن حقائق الإيمان منهم... فكان مثلهم

648 – الإمام ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ج 6 ص 376، مرجع سابق.



كمن عنده غنم كثيرة فقيل له: أعطنا خير هذه الغنم لنضحي بها فعمد إلى شر تلك الغنم: إلى شاة عوراء عجفاء عرجاء مهزولة لا نقى لها فقال: هذه خيار هذه الغنم لا تجوز الأضحية إلا بها وسائر هذه الغنم ليست غنماً وإنما هي خنازير يجب قتلها ولا تجوز الأضحية بها... وهؤلاء الرافضة: إما منافق وإما جاهل فلا يكون رافضي ولا جهمي إلا منافقاً أو جاهلاً بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم الماً بما جاء به الرسول مع الإيمان به"[649] وانحطت الرافضة دون درك اليهود والنصارى في الموقف من أصحاب الأنبياء حيث فضَّل كلٌّ من اليهود والنصارى أصحاب أنبيائهم على عكس الرافضة فإنهم سبُّوهم وإلى ذلك أشار بقوله: "سُئلتِ اليهودُ من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى وسُئلتِ النصارى من خير أهل ملتكم؟ قالوا: حواريُّ عيسى وسُئلت الرافضة من شر أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب محمدٍ) صلى الله عليه وسلم "[650] كما بين عوار ثَلْبهم للخلفاء الثلاثة: أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم وأن ذلك يستلزم قدحاً في الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن لفرط جهلهم ما أدركوا ولا فهموا ما يقولون فقال راداً على باطلهم: "قد عُرف بالتواتر الذي لا يخفى على العامة والخاصة أن أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم كان لهم بالنبي صلى الله عليه وسلم اختصاص عظيم وكانوا من أعظم الناس اختصاصاً به وصحبة له وقرباً إليه واتصالاً به وقد صاهرهم كلهم وما عُرف عنه أنه كان يذمهم ولا يلعنهم بل المعروف عنه أنه كان يحبهم ويثني عليهم وحينئذ فإما أن يكونوا على الاستقامة ظاهراً وباطناً في حياته وبعد موته وإما أن يكونوا بخلاف ذلك في حياته أو بعد موته فإن كانوا على غير الاستقامة مع هذا التقرب فأحد الأمرين لازم: إما عدم علمه بأحوالهم أو مداهنته لهم وأيهما كان فهو أعظم القدح في الرسول صلى الله عليه وسلم كما قيل:

---

649 – نفسه، جـ 5 ص 160 – 161، بتصرف مرجع سابق.

650 – نفسه، جـ 1 ص 27.



إن كنت لا تدري فتلك مصيبة * وإن كنت تدري فالمصيبة أعظمْ

وإن كانوا انحرفوا بعد الاستقامة فهذا خذلان من الله للرسول في خواص أمته وأكابر أصحابه ومن قد أخبر بما سيكون بعد ذلك أين كان عن علم ذلك؟ وأين الاحتياط للأمة حتى لا يولي مثل هذا أمرها ومن وعد أن يظهر دينه على الدين كله؟ فكيف يكون أكابر خواصه مرتدين؟!!

فهذا ونحوه من أعظم ما يقدح به الرافضة في الرسول"[651]..

2- رده عليهم من خلال لازم قولهم بأن اليهود والنصارى خير من أمة الإسلام:

حيث أبان أن هؤلاء الطاعنين يتهمون أمة الإسلام بدءاً بخير قرن فيها وهم الصحابة رضي الله عنهم بأنهم لا يعلمون الحق ويعملون به بل أكثرهم يعلمون الحق ويخالفونه بل يقلدون الظالمين من أكابرهم فيرد ذلك الإمام ابن تيمية مظهراً أن لازم هذا القول أن أهل الكتاب بعد التحريف خير من أمة الإسلام بما فيهم القرن الأول الخلفاء الثلاثة وسائر الصحابة فيقول: "وهذا مما علمنا بالاضطرار أنه لم يكن فلزم من ذلك على قول هؤلاء أن تكون الأمة كلها كانت ضالة بعد نبيها ليس فيها مهتدٍ فتكون اليهود والنصارى بعد النسخ والتبديل خيراً منهم؛ لأنهم كانوا كما قال الله تعالى: (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون)[652] وقد أخبر النبيُّ صلى الله عليه وسلم أن اليهود والنصارى افترقت على اثنتين وسبعين فرقة فيها واحدة ناجية، وهذه الأمة على موجب ما ذُكر لم يكن فيهم بعد موت النبيِّ صلى الله عليه وسلم أمة تقوم بالحق ولا تعدل به.

وإذا لم يكن كذلك في خيار قرونهم ففيما بعد ذلك أولى فيلزم من ذلك أن يكون اليهود والنصارى بعد النسخ والتبديل خيراً من خير أمة أخرجت للناس فهذا لازم لما يقوله هؤلاء المفترون"[653]

651 – الإمام ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، جـ 7 ص 458 – 459، مرجع سابق.

652 – سورة الأعراف الآية (159).

653 – شيخ الإسلام ابن تيمية، منهاج السنة، جـ 2 ص14 – 15، مرجع سابق.



3- رده عليهم من خلال إظهار تناقضهم: واتضح ذلك التناقض فيما سبق حينما طعن أولئك في الخلفاء الثلاثة ومن بعدهم ولازم قولهم ذلك القدح في المصطفى وإثبات خذلان الله له – حاشاه ρ – لك أبان تناقض أولئك حينما فضلوا أهل الكتاب عليهم وهذا يدخل فيه عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه فكيف يحكمون بضلال كل الأمة فيدخل فيهم – حاشاه رضي الله عنه ولكن أولئك قوم ضالون كما رد الإمام ابن تيمية على هؤلاء الضالين بإظهار تناقضهم في أنساب الأنبياء والأصحاب فقال: "ثم من جهل الرافضة أنهم يعظمون أنساب الأنبياء آباءهم وأبناءهم ويقدحون في أزواجهم كل ذلك عصبية واتباع هوىً حتى يعظمون فاطمة والحسن والحسين ويقدحون في عائشة أم المؤمنين"[654] ويقول في موضع آخر في إظهار تناقضهم أيضاً حيث يفضِّلون من اشترك في فتنة قتل عثمان.

فقال: "والروافض تغلو في تعظمة [أي: محمد بن أبي بكر الصديق] على عادتهم الفاسدة في أنهم يمدحون رجال الفتنة الذين قاموا على عثمان ويبالغون في مدح مَنْ قاتل مع علي حتى يفضلون محمد بن أبي بكر على أبيه فيلعنون أفضل الأمة بعد نبيها ويمدحون ابنه الذي ليس له صحبة ولا سابقة ولا فضيلة ويتناقضون في ذلك في تعظيم الإنسان فإن كان الرجل لا يضره كفر أبيه أو فسقه لم يضر نبينا ولا إبراهيم ولا علياً كفر آبائهم، وإن ضره لزمهم أن يقدحوا في محمد بن أبي بكر بأبيه وهم يعظمونه.و ابنه القاسم بن محمد وابن ابنه عبد الرحمن بن القاسم خير عند المسلمين منه ولا يذكرونهما بخير لكونهما ليسا من رجال الفتنة"[655].

4- رده عليهم من خلال إظهار انحرافاتهم نحو الوحي: وذلك لأنهم افتروا في باطلهم وشابهوا اليهود في بُغْضهم لأمين الوحي جبريل عليه السلام فكما أن اليهود يعتبرون جبريل عدواً لهم فهؤلاء الروافض يتهمونه بخيانة الأمانة وبالغلط وهذا الزعم الباطل لو

654 – نفسه، جـ 4 ص349، مرجع سابق.

655 – نفسه، جـ 4 ص375، 376، مرجع سابق، وينظر أيضاً جـ 2 ص55، جـ8 ص 532.



فهموا لازمه لعرفوا أنهم وعباد الأوثان سواء؛ إذ أن ذلك فيه تعدٍّ على مقام الألوهية والنبوة: أما الألوهية فلو قدر —حاشا لله غلط مخلوق لأمر يختص بالوحي فهل الله ربُّ العالمين لا يعرفه؟! —سبحانه وتعالى وأما بالنسبة للنبوة فهو تعدٍّ على مقام كل من النبيين الكريمين محمدٍ وجبريل عليهما السلام، وقد أشار إلى ذلك بقوله: "وكذلك الرافضة واليهود تبغض جبريل ويقولون: هو هدونا من الملائكة وكذلك الرافضة يقولون: غلط جبريل بالوحي على محمدٍ صلى الله عليه وسلم"[656] كما أشار إلى تحريفهم القرآن ومشابهتهم لليهود في تحريفهم التوراة فقال: "واليهود حرفوا التوراة وكذلك الرافضة حرفوا القرآن"[657] ومن انحرافاتهم في الاستدلال بالقرآن —حسب أهوائهم أنهم فسروا قوله تعالى: (مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان)[658] علي وفاطمة وبينهما برزخ: أي النبي ρ، وكذلك فسروا قوله تعالى (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان)[659] الحسن والحسين فرد الإمام ابن تيمية تلك الانحرافات وغيرها بقوله: "والجواب أن هذا وأمثاله يقوله من لا يعقل ما يقول، وهذا بالهذيان أشبه منه بتفسير القرآن وهو من جنس تفسير الملاحدة والقرامطة الباطنية للقرآن.. [ثم رد ذلك من وجوه منها:].

الأول: أن سورة الرحمن مكية بإجماع المسلمين والحسن والحسين إنما ولدا بالمدينة.

الثاني: أن الله ذكر أنه مرج البحرين في آية آخرى فقال: (وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج)[660] فلو أراد بذلك علياً وفاطمة لكان ذلك ذماً لأحدهما بإجماع أهل السنة والشيعة.

656 – شيخ الإسلام ابن تيمية، منهاج السنة، جـ1 ص27، مرجع سابق.

657 – نفسه، ص 25.

658 – سورة الرحمن الآيتان (19 – 20).

659 – سورة الرحمن الآية (22).

660 – سورة الفرقان الآية (53).



الثالث: أنه ليس في هذا شيء زائد على ما يوجد في سائر بني آدم فإن كل من تزوج امرأة وولد لهما ولدان فهما من هذا الجنس فليس في ذكر هذا ما يستعظم من قدرة الله أو آياته.

الرابع: جعلهم النبي ρ وهو البرزخ – بزعمهم الباطل هو المانع لأحدهما أن يبغي على الآخر وهذا بالذم أشبه منه بالمدح"[661]

5- رده عليهم حيث تعطيلهم المساجد وترك الجماعات: وهذه من الأمور التي انحرفوا من خلالها حيث إنهم يهجرون المساجد ويعطلونها وإن دخلوها فلا يعظمونها حق التعظيم ولو صلوا فيها صلوا فرادى وعلى العكس فإنهم يعكفون على المشاهد المبنية على القبور ويحجون إليها، ولهذا أشار بقوله: "وكذلك الرافضة غلوا في الرسل بل في الأئمة حتى اتخذوهم أرباباً من دون الله فتركوا عبادة الله وحده لا شريك له التي أمرهم بها الرسل وكذبوا الرسل... فتجدهم يعطلون المساجد التي أمر الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه فلا يصلون فيها جمعة ولا جماعة وليس لها عندهم كبير حرمة وإن صلوا فيها صلوا فيها وحداناً ويعظمون المشاهد المبنية على القبور فيعكفون عليها مشابهة للمشركين ويحجون إليها كما يحج الحاج إلى البيت العتيق، ومنهم من يجعل الحج إليها أعظم من الحج إلى الكعبة بل يسبون من لا يستغني بالحج إليها عن الحج الذي فرضه الله على عباده.. وهذا من جنس دين النصارى والمشركين الذين يفضلون عبادة الأوثان على عبادة الرحمن[662] فيبيِّن انحرافاتهم بتعطيلهم المساجد والجماعات مما أدى إلى وقوعهم فيما حرمه الله وجاءت الرسل بالنهي عنه.

الرد على غلاة المتصوفة:

شغل التصوف والمتصوفة حيزاً كبيراً من الفكر الإسلامي منذ أن ظهر التصوف حتى هذا العصر وإلى ما شاء الله، وهؤلاء المتصوفة ليسوا يداً واحداً في الاعتقاد والإيمان

661 – شيخ الإسلام ابن تيمية، منهاج السنة، جـ 7 ص 345، 347، 349 بتصرف، مرجع سابق.

662 – شيخ الإسلام ابن تيمية، منهاج السنة، جـ1 ص474، مرجع سابق.



وإن كان هناك وصف يشمل جميعهم؛ لذلك فمن الظلم والإجحاف الحكم عليهم قولاً واحداً؛ لأنه ليس من الميزان الذي أنزله الله سبحانه على رسله وحمله أئمة الإسلام؛ ولهذا فإننا نجد الإمام ابن تيمية قد سلك في منهاجه التربوي في تأصيله للعقيدة حينما تكلم على أولئك المتصوفة أنه تكلم على كل صنف بما يستحقه من مدح أو ثلب وكذلك فرق بين غلاة المتصوفة وبين غيرهم كذلك فرق بين حكمه على التابع والمتبوع.

أما ما يتعلق بالكلام على المتصوفة فإنه يقسمهم ثلاثة أقسام حيث قال: "ولأجل ما وقع في كثير منهم من الاجتهاد والتنازع فيه تنازع الناس في طريقهم:

- فطائفة ذمت الصوفية والتصوف وقالوا: إنهم مبتدعون خارجون عن السنة...
- وطائفة غلت فيهم وادعوا أنهم أفضل الخلق وأكملهم بعد الأنبياء وكلا الطرفين في هذه الأمور ذميم والصواب أنهم مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله ففيهم:

1- السابق المقرب بحسب اجتهاده.
2- وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين.
3- وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ وفيهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب
4- ومن المنتسبين إليهم من هو ظالم لنفسه عاصٍ لربه وقد انتسب إليهم طوائف من أهل البدع والزندقة ولكن عند المحققين من أهل التصوف ليسوا منهم كالحلاج"[663] وكذلك كان يذكر الأئمة منهم ممن التزم بالكتاب والسنة بإكبار كالشيخ عبد القادر الجيلاني والجُنيد[664] والفضيل بن عياض[665]

663 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـــ 11 ص 17 -18، مرجع سابق. والحلاج هو الحسين بن منصور، فيلسوف يدعونا إلى الحلول والأتحاد أدعى حلول الألوهية فيه، كان يظهر التشيع للعباسيين والتصوف للعامة، تنقل في البلد، لنشر مذهب الخبيث، هلك مقتولاً سنة 309هـ.

664 – هو الشيخ الصالح أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي المعروف بالخزاز لعمله به من العلماء الربانيين، توفي سنة 297هـ.

665 – شيخ الإسلام والمسلمين وشيخ الحرم المكي أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي، من أكابر العلماء والصالحين، توفي سنة 187هـ.



وسهل بن عبد الله التُّسْتَري[666] وأما ما يتعلق بكلامه على صنفي المتصوفة فإن سائر مصنفاته لا تركز على غير الغلاة بل إنها تركز عليهم وهؤلاء الغلاة كان كفرهم وضلالهم فيما يأتي:

1- أصحاب وحدة الوجود والحلولية.
2- صوفية مختلطة بجهمية معطلة لوجود الرب وصفاته.
3- صوفية مركبة مع زندقة ملاحدة الفلاسفة.

وقد ركز في ردوده على أئمة الزيغ والانحراف عن الإسلام كابن عربي والحلاج والتلمساني[667] و ابن الفارض[668] وابن سبعين[669] والقونوي[670] وأما كونه يفرق بين التابع والمتبوع، ذلك أنه قد يحكم بكفر بعض طواغيت الإنس ممن تظاهروا بالإسلام تحت عباءة المتصوفة أو السنة أو الشيعة وغيرهم وهم في الحقيقة ليسوا منهم أو انتسبوا إليهم على تلك المعتقدات ومن أمثلة من سلك فيهم الإمام ابن تيمية في منهجه هذا المسلك أتباع الشيخ يونس حيث قال:

"وأما المنتسبون إلى الشيخ يونس فكثير منهم كافر بالله ورسوله لا يقرون بوجوب الصلوات الخمس وصيام شهر رمضان وحج البيت العتيق ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله بل لهم من الكلام في سب الله ورسوله والقرآن والإسلام ما يعرفهم مَنْ عرفهم، وأما من كان فيهم من عامتهم لا يعرف أسرارهم وحقائقهم فهذا يكون معه إسلام عامة المسلمين الذي استفاده من سائر المسلمين لا منهم فإن خواصهم مثل الشيخ سلول وجهلان والصهباني وغيرهم فهؤلاء لم يكونوا يوجبون الصلاة بل ولا يشهدون للنبي ρ وسب القرآن والإسلام ما لا يرضى به لا اليهود ولا النصارى... لكن من

666 – الشيخ الصالح أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس التُّستري، أحد أئمة المتصوفة الربانيين، توفي سنة 283هـ.

667 – سليمان بن علي بن عبد الله بن علي الكومي التلمساني شاعر له أقوال واعقتادات مليئة بالزندقة والحلول، هلك سنة 690هـ.

668 – عمر بن علي بن مرشد بن علي بن الفارض الحموي الأصل المصري المنشأ والوفاة، عُرف بشعره الصريح الداعي إلى وحدة الوجود، هلك 632هـ.

669 – عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن سبعين، كان ذا علم بالفلسفة وكان كثير الألحاد وجاور بغار حراء؛ لينزل عليه الوحي، هلك سنة 638هـ.

670 – محمد بن إسحاق محمد بن يوسف بن علي القونوي من أكبر تلاميذ ابن عربي، له من الأقوال والاعتقاد المليئة بالإلحاد والحلول الكثير، هلك سنة 673هـ.

المعلوم المشاهد أنهم ينشدون الكفر ويتواجدون عليه و..."[671] فقد فرق بين حكمه بكفر الخواص وعدم تكفيره للعوام الذين لا يعرفون دقائق تلك الكفريات، وما فعله الإمام ابن تيمية إنما هو من إنصاف أهل السنة حيث إعطاء كل ذي حق حقه ولو كان من الأعداء لهذا الدين حيث إنه:

- فرق بين أقسام المنتسبين إلى المتصوفة.
- فرق بين الغلاة وغيرهم.
- فرق بين التابع والمتبوع.

هذا وسيكون الكلام المتعلق برد الإمام ابن تيمية على غلاة المتصوفة من خلال ما يلي:

أولاً: رده على أصحاب وحدة الوجود والتي نادى بها ابن عربي.

ثانياً: رده على أهل الاتحاد والفناء في ذات الله والتي كان ينادي بها ابن عطاء الله السكندري[672].

ثالثاً: رده على ملاحدة المتصوفة الذين جعلوا كمال التحقيق الخروج عن التكليف كالحلاج وغيره.

ويتضح ذلك من خلال ما يلي:

أولاً: رده على أصحاب وحدة الوجود والتي نادى بها ابن عربي:

وهؤلاء كان معتقدهم –والعياذ بالله أن الله هو عين المخلوقات إذ لا فرق بين الخالق والمخلوق وقد ذكر ذلك بقوله عنهم: "جعلوه عين المخلوقات وجعلوه نفس الأجسام المصنوعات ووصفوه بجميع النقائض والآفات التي يوصف بهما كل كافر وكل فاجر وكل شيطان وكل سبع وكل حية من الحيات. فتعالى الله عن إفكهم وضلالهم وسبحانه

671 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ 2 ص106 – 107، مرجع سابق.

672 – أحمد بن محمد بن عطاء الله السكندري الشاذلي، كان من شيوخ الصوفية المشهورين بمصر وكان يدرس بالأزهر، عاصر الإمام ابن تيمية وادعى عليه أشياء مما تسبب في حبسه . أشهر مؤلفاته : الحكم العطائية (264 حكمة) ، مات 709هـ.



وتعالى عما يقولون علواً كبيراً"[673] وبيَّن الإمام ابن تيمية أن ذلك المذهب قد جمع بين خبائث ثلاث وهي[674]: سلب الجهمية وتعطيلهم ومجملات الصوفية والزندقة الفلسفية.

وقد نقل نص كلام ابن عربي في كتابه فصوص الحكم[675] فقال ناقلاً قول ابن عربي: "فكل ما تدركه فهو وجود الحق في أعيان الممكنات فمن حيث هوية الحق هو وجوده ومن حيث اختلاف الصور فيه هو أعيان الممكنات فكما لا يزول عنه باختلاف الصور اسم الظل كذلك لا يزول عنه باختلاف الصور اسم العالم أو اسم سوى الحق فمن حيث أحدية كونه ظلاً هو الحق؛ لأنه الواحد الأحد ومن حيث كثرة الصور هو العالم"[676] وقد بنى ابن عربي ذلك المعتقد الفاسد على أصلين[677].

أحدهما: أن المعدوم شيء ثابت في العدم.

الثاني: أن وجود الأعيان نفس وجود الحق وعينه.

وقد رد الإمام ابن تيمية على ذلك بقوله: "وهذا القول [الأول] وإن كان فيه شبه لقول القائلين بقدم العالم أو القائلين بقدم مادة العالم وهيولاه المتميزة عن صورته فليس هو إياه وإن كان بينهما قدر مشترك؛ فإن هذه الصور المحدثة [أي والتي كانت عدماً قبل ذلك وليست أعيانها كائنة أصلاً] من الحيوان والنبات والمعادن ليست قديمة باتفاق العقلاء بل هي كائنة بعد أن لم تكن وكذلك الصفات والأعراض القائمة بأجسام السموات والاستحالات القائمة بالعناصر من حركات الكواكب والشمس والقمر والسحاب والمطر والرعد والبرق وغير ذلك كل هذا حادث غير قديم عند كل ذي حس سليم فإنه يرى ذلك بعينه، وإنما حقيقة الأمر أن المعدوم يراد إيجاده ويتصور

673 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ 2 ص126، مرجع سابق.

674 – نفسه، جـ 2 ص 175.

675 – جـ 1 ص130.

676 – نقله عنه كما في مجموع الفتاوى، جـ 2 ص 204، مرجع سابق.

677 – شيخ الإسلام ابن تيمية، عرش الرحمن، الرسالة الثانية: حقيقة مذهب الاتحاديين أو وحدة الوجود، جـ 1 ص 78، 93، مرجع سابق، الجواب الصحيح له، جـ 4 ص300.



ويخبر به ويكتب قبل وجوده فله وجود في العلم والقول والخط وأما في الخارج فلا وجود له والوجود هو الثبوت فلا ثبوت له في الوجود العيني الخارجي وإنما ثبوته في العلم: أي يعلمه العالم قبل وجوده [واستدل بأدلة كثيرة منها] وقوله تعالى: (إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون)[678] قد استدل به من قال: المعدوم شيء وهو حجة عليه؛ لأنه أخبر أنه يريد الشيء وأنه يكوّنه وعندهم أنه ثابت في العدم وإنما يراد وجوده لا عدمه ونفسه.

فإن الذي عليه أهل السنة والجماعة وعامة العقلاء أن الماهيات مجعولة وأن ماهية كل شيء عين وجوده وأنه ليس وجود الشيء قدراً زائداً على ماهيته بل ليس في الخارج إلا الشيء الذي هو الشيء قدراً زائداً على ماهيته بل ليس في الخارج إلا الشيء الذي هو الشيء وهو عينه ونفسه وماهيته وحقيقته وليس وجوده وثبوته في الخارج زائداً على ذلك.

وأما قولهم: إن وجود الأعيان نفس وجود الحق وعينه وهذا انفردوا به عن جميع مثبتة الصانع من المسلمين واليهود والنصارى والمجوس والمشركين وإنما هو حقيقة قول فرعون و القرامطة المنكرين لوجود الصانع فمن قال: إن وجود الحق هو الوجود المطلق دون المعين فحقيقة قوله أنه ليس للحق وجود أصلاً ولا إلا نفس الأشياء المعينة المتميزة والأشياء المعنية ليست إياه فليس شيئاً أصلاً"[679] فبيَّن الإمام فساد قولي ابن عربي بأن المعدوم شيء ثابت في العدم وذكر أنهما ليسا واحد حيث وجود أشياء ملموسة تستحدث وأنها لم تكن بحقيقتها موجودة أزلاً وكذلك رد عليه في قوله: وجود الأعيان نفس وجود الحق وعينه وبيَّن أن هذا ما قاله لا اليهود ولا النصارى ولا المجوس ولا مشركوا العرب بل هو قول فرعون فبيَّن أن لازم ذلك أن الحق لم يكن أصلاً ولا يوجد شيء بعينه وهذا محال فقد تناقضت أقوالهم.

678 – سورة النحل الآية (40).

679 – شيخ الإسلام ابن تيمية، عرش الرحمن، الرسالة الثانية، جـ 1 ص 79 – 80، 93، 100 بتصرف، مرجع سابق، الجواب الصحيح له، جـ 4 ص 300، مرجع سابق.



ثانياً: رده على أهل الاتحاد والفناء في ذات الله والتي كان ينادي بها ابن عطاء الله السكندري: وهذا الفناء المعروف بين كثير من المتصوفة له أقسام: قسْم هو عين التوحيد حقيقة وقِسْم فيه نقص وعيب وقسْم إلحاد وزندقة كما قرر ذلك شيخ الإسلام بقوله: "الفناء الذي يوجد في كلام الصوفية يُفسَّر بثلاثة أمور:

أحدهما: فناء القلب عن إرادة ما سوى الرب فهذا حق صحيح وهو محض التوحيد وعبادة القلب فيكون العبد فانياً عن إرادة ما سواه وإن كان شاعراً بالله وبالسِّوى.

الثاني: فناء القلب عن شهود ما سوى الرب فهو فناء عن شهادة ولا العلم بالغير وهذا فناء فيه نقص؛ فإن شهود الحقائق على ما هي عليه وهو شهود الرب مُدبِّراً العبادة... ولو كان كذلك لوصف الأولون [أي قبل ظهوره] موصوف بالجهل والعدل وكذلك فإن الفناء مع الشهود والعلم بالسِّوى هو نعت المحمدية الكاملة.

الثالث: فناء عن وجود السِّوى بمعنى أنه يرى أن الله هو الوجود وأنه لا وجود لسواه لا به ولا بغيره وهذا القول والحال للاتحادية الزنادقة الذين يجعلون الحقيقة أنه عين الموجودات وحقيقة الكائنات وهذا كفر وضلال"[680].

ثانياً: رد الإمام ابن تيمية ذلك الضلال بقوله عن ذلك الفناء واصفاً إياه: "فهو قول أهل الإلحاد والاتحاد الذين هم من أضل العباد وأما مخالفتهم لضرورة العقل والقياس؛ فإن الواحد من هؤلاء لا يمكنه أن يطرد قوله؛ فإنه إذا كان مشاهداً للقدر من غير تمييز بين المأمور والمحظور فعومل بموجب ذلك مثل أن يُضرب ويجاع حتى يبتلىُ بعظيم الأوصاب والأوجاع فإن لام من فعل ذلك به وعابه فقد نقض قوله وخرج عن أصل مذهبه وقيل له: هذا الذي فعله مقضيٌّ مقدور فخلق الله وقدره ومشيئته متناول لك وله وهو يعمكما فإن كان القدر حجة لك فهو حجة لهذا وإلا فليس بحجة لا لك ولا له.

680 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ 10 ص337، 338، 342 بتصرف واختصار، مرجع سابق.



فقد تبيَّن بضرورة العقل فساد قول من ينظر إلى القدر ويعرض عن القدر والنهي والمؤمن مأمور بأن يفعل المأمور ويترك المحظور ويصبر على المقدور"(681) هذا وإنكار الإمام ابن تيمية لهذا النوع من الفناء قد أثار عليه الصوفية بمصر حينما رد بعضاً من اعتقادات ابن عربي الضالة ومن تبعه ممن عاصروه شيخ الإسلام كابن عطاء كما يقول الشيخ محمد أبو زهرة: "وفكرة الاتحاد والفناء في ذات الله التي كان ينادي بها ابن عطاء الله السكندري الذي عاصره وكان يلقي دروسه في الأزهر"(682).

ثالثاً: رده على ملاحدة المتصوفة الذين جعلوا كمال التحقيق الخروج عن التكليف كالحلاج وغيره:

وهذه الطائفة تتزعم أنها إن وصلت إلى مرحلة شهود القدر فإن التكليف يسقط عنها فلا أمر ولا نهي فيحتجون بالقدر على عدم فعلهم المأمور ولفعلهم المحذور ولهذا أشار الإمام ابن تيمية بقوله: "وقد كثر في كثير من المنتسبين إلى المشيخة والتصوف شهود القدر فقط من غير شهود الأمر والنهي والاستناد إليه في ترك المأمور وفعل المحظور وهذا أعظم الضلال ومن طرد هذا القول والتزم لوازمه كان أكفر من اليهود والنصاري والمشركين لكن أكثر من يدخل في ذلك يتناقض ولا يطرد قوله"(683) وفنَّد تلك الشبهة بقوله: "وأما شهود القدر فيقال لا ريب أن الله تعالى خالق كل شيء ومليكه والقدر هو قدرة الله كما قال الإمام أحمد وهو المقدر لكل ما هو كائن، لكن هذا لا ينفي حقيقة الأمر والنهي والوعد والوعيد وأن من الأفعال ما ينفع صاحبه فيحصل له به نعيم ومنها ما يضر فيحصل به عذاب فنحن لا ننكر اشتراك الجميع من جهة المشيئة والربوبية وابتداء الأمور لكن نثبت فرقاً آخر من جهة الحكمة والأوامر الإلهية ونهاية الأمور"(684)

681 – شيخ الإسلام ابن تيمية، الرسالة التدمرية، ص138 – 139، مرجع سابق.
682 – الشيخ محمد أبو زهرة، ابن تيمية، ص 207، مرجع سابق.
683 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ2 ص 328، مرجع سابق.
684 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ2 ص 328، مرجع سابق.



وهؤلاء قسمان:

قسم يرى ذلك الشهود مطلقاً وهو حال ملاحدة المتصوفة وقسم يرى هذا فقط إن رأى أنه مجبور كسائر المتحركات وقد ذكر هذين الصنفين الإمام ابن تيمية بقوله: "وهؤلاء الذين يشهدون الحقيقة الكونية وهي ربوبيته تعالى لكل شيء ويجعلون ذلك مانعاً من اتباع أمره الديني الشرعي على مراتب في الضلال: فغلاتهم: يجعلون ذلك مطلقاً عاماً فيحتجون بالقدر في كل ما يخالفون فيه الشريعة وقول هؤلاء شر من قول اليهود والنصارى وهو من جنس قول المشركين الذين قالوا: (لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء)[685] وقالوا: (لو شاء الرحمن ما عبدناهم)[686] وهؤلاء من أعظم أهل الأرض تناقضاً بل كل من احتج بالقدر فإنه متناقض؛ فإنه لا يمكن أن يقر كل آدمي على ما فعل فلابد إذا ظلمه ظالم أو ظلم الناس ظالم وسعى في الأرض و... أن يدفع هذا القدر وأن يعاقب الظالم بما يكف عدوان أمثاله فيقال له: إن كان القدر حجة فدع كل أحد يفعل ما يشاء بك وبغيرك وإن لم يكن حجة بطل أصل قولك وأصحاب (هذا القول) لا يطردون هذا القول ولا يلتزمونه وإنما هو بحسب آرائهم وأهوائهم كما قال فيهم: "أنت عند الطاعة قدري وعند المعصية جبري" أي مذهب وافق هواك تمذهبت به.

ومنهم صنف يدعون التحقيق والمعرفة فيزعمون أن الأمر والنهي لازم لمن شهد لنفسه فعلاً وأثبت له صنعاً أما من شهد أن أفعاله مخلوقة أو أنه مجبور على ذلك وأن الله هو المتصرف فيه كما تحرك سائر المتحركات فإنه يرتفع عنه الأمر والنهي والوعد والوعيد... وربما تأولوا على ذلك قوله تعالى: (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين)[687] وجعلوا اليقين هو معرفة هذه الحقيقة وقول هؤلاء كفر صريح وإن وقع فيه طوائف لم

685 – سورة الأنعام الآية (148).

686 – سورة الزخرف الآية (20).

687 – سورة الحجر الآية (99).



يعلموا أنه كفر فإنه قد علم الاضطرار من دين الإسلام أن الأمر والنهي لازم لكل عبد ما دام عقله حاضراً إلى أن يموت.

وهذه المقالات هي محاداة لله ورسوله ومعاداة له وصد عن سبيله ومشاقة له وتكذيب لرسله ومضادة له في حكمه. ولا ريب أن هؤلاء فيهم شبه بالمشركين الذين إما يبتدعون أو يحتجون بالقدر أو يجمعون بينهما كما قال تعالى عن المشركين: (وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون)[688] وكما قال تعالى عنهم: (سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء)[689] فبين الإمام ابن تيمية من خلال منهجه في الرد على تلك الفئة الضالة فساد قولهم وأن لازم ذلك أدخلهم في تناقض مع مخالفته للعقل والنقل ثم إنه فيه إهدار للشريعة وجحد لحكمة الله سبحانه وزعم بأنه لا حاجة للنبوات ولاالرسل فبيَّن باستخدام حججهم وغيرهامن الوسائل فساد ذلك المعتقد مما يثبت نقيضه هومنهاج أهل الحق والذي عمل في منهاجه التربوي على تأصيله في الجانب العقدي.

الرد على بعض الفرق الاعتقادية:

خاض الإمام ابن تيمية نزاعات شديدة مع كثير من الفرق المنتسبة للإسلام ولكنها انحرفت عن منهج أهل السنة سواء كانت تلك الانحرافات بسيطة أو جليلة. وقد كان يجادلهم بالحُسنى ويستدل في منهاجه في رده عليهم بالاستدلال بأنواع متعددة من الأدلة، ويفحمهم بوضعهم في حيرة من تناقض أدالتهم وإلزامهم بلوازمها مع بيان فساد وتعارض كلام أئمتهم فيبطل حجج الخصوم من نفس أدلتهم وأقوالهم ومن مصنفاتهم المعظمة عندهم...ومن أشهر الفرق التي خاض معها معارك في مصنفاته ورسائله ثلاثة فرق هي[690]:

688 – سورة الأعراف الآية (28).

689 – سورة الأنعام الآية (148).

690 – الشيخ محمد أبو زهرة، ابن تيمية، ص 175، مرجع سابق.



1- الجبرية[691]. 2- المعتزلة[692]. 3- الأشاعرة[693].

1- الجبرية: وتلك الفرقة المنحرفة خاضت في أمر القدر بغير علم ولا هدىً قالوا بنفي إرادة الإنسان وأنه مجبور وقالوا عن الله: "قدرته ثابتة بلا حكمة ولا يجوز أن يفعل لحكمة... ولا عدل ولا ظلم بل كل ما أمكن فعله فهو عدل وليس في الأفعال ما هو حسن ينبغي الأمر به وقبيح ينبغي النهي عنه ولا معروف ولا منكر بل يجوز أن يأمر بكل شيء وينهى عن كل شيء"[694] كما أنهم "يسلبون العبد اختياره وقدرته ويجعلونه مجبوراً على حركاته من جنس حركات الجمادات ويجعلون جميع ما أمر الله به ورسوله فإنما هو أمر بما لا يقدر عليه ولا يطيقه فيسلبونه القدرة مطلقاً"[695] وأول من قال بتلك المقالات الخبيثة الجَهْم بن صفوان[696] وقد رد الإمام ابن تيمية على تلك المعتقدات بردود كثيرة منها قوله: "فيقال لهؤلاء: هذه الحوادث مشهودة ألها محدث أم لا؟؟ فإن قالوا: لا فهو غاية المكابرة، وإذا جوزوا حدوث الحوادث بلا محدث فتجويزها بمحدث لا إرادة له أولى.

وإن قالوا: لها محدث. ثبت الفاعل وإذا ثبت الخالق المحدث فإما أن يفعل بإرادة أو بغير إرادة. فإن قالوا: يفعل بغير إرادة كان ذلك أيضاً مكابرة؛ فإن كل حركة في العالم إنما صدرت عن إرادة: فإن الحركات إما طبيعية وإما قسرية وإما إرادية؛ لأن مبدأ الحركة إما أن يكون من المتحرك أو من سبب خارج وما كان منها فإما أن يكون مع الشعور أو بدون الشعور فما كان سببه من خارج فهو القسري وما كان سببه منها بلا شعور فهو الطبعي وما كان مع الشعور فهو الإرادي.

فالقسري تابع للقاسر.

691 – سُميت بذلك لجبر الإنسان عندهم وتُسمى بالجهمية نسبة لجهم بن صفوان.

692 – سُميت بذلك لاعتزال كبرائها جماعة أهل السنة فقيل أولئك المعتزلة.

693 – وسميت بذلك نسبة إلى إمامها الإمام أبي الحسن الأشعري.

694 – الإمام ابن يتيمية، مجموع الفتاوى، جـ 13 ص214، مرجع سابق.

695 – نفسه، جـ 8 ص445.

696 – الجَهْم بن صفوان الراسبي، السمرقندي، أصل فرقة الجَهْمية، تلميذ الجَعْد بن درهم، وقد قتل بمرو سنة 128هـ.



والذي يتحرك بطبعه كالماء والهواء والأرض هو ساكن في مركزه لكن إذا خرج عن مركزه قسراً طلب العود إلى مركزه فأصل حركته القسر ولم تَبقَ حركة أصلية إلا الإرادية فكل حركة في العالم فهي عن إرادة. فكيف تكون جميع الحوادث والحركات بلا إرادة"[697] وقد بين الإمام ابن تيمية من ذلك الرد فساد قولهم وألزمهم بنقيض مقصدهم وأثبت عجزهم حتى في استخدام مصطلحاتهم؛ ولهذا الخوض الباطل كانت الجبرية شعبة من شعب القرقة المنحرفة المعروفة بالقدرية كما أشار إلى ذلك الإمام ابن تيمية بقوله: "ولهذا كان يدخل عندهم [أي: الأئمة] المجبرة في مُسَّمى القدرية المذمومين[698]؛ لخوضهم في القدر بالباطل[699] وكذلك رد الإمام ابن تيمية خطأ استدلالهم بقوله تعالى: (قل كل من عند الله)[700] قائلاً: "وليس للقدرية المجبرة أن تحتج بهذه الآية على نفي أعمالهم التي استحقوا بها العقاب؛ فإن قوله: (كل من عند الله) هو النعم والمصائب؛ ولأن قوله: (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك)[701] حجة عليهم وبيان أن الإنسان هوفاعل السيئات وأنه يستحق عليها العقاب والله ينعم عليه بالحسنات عملها وجزائها فإنه إذا كان ما أصابهم من حسنة فهو من الله فالنِّعم من الله سواء كانت ابتداءً أو كانت جزاءً، وإذا كانت جزاءً وهي من الله فالعمل الصالح الذي كان سببها هو أيضاً من الله أنعم بهما الله على العبد وإلا فلو كان هو من نفسه كما كانت السيئات من نفسه لكان كل ذلك من نفسه والله –تعالى قد فرق بين النوعين في الكتاب والسنة"[702] وقال: "والله لا يجبر أحداً على فعل؛ إذ لو جبر لكانوا عن التكليف خارجين كما جبلت الملائكة على

697 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ 16 ص 131، مرجع سابق.

698 – قال صلى الله عليه وسلم: "القدرية مجوس هذه الأمة إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم" حسن. رواه أبو داود (634/2) رقم (4691)، والحاكم رقم (159/1) رقم (286)، وينظر صحيح الجامع للشيخ الألباني (818/2) رقم (4442).

699 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ 3 ص 322، مرجع سابق.

700 – سورة النساء الآية (78).

701 – سورة النساء الآية (79).

702 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ 14 ص 247، مرجع سابق.



الطاعة"[703] وهذه الفرقة أي: الجبرية من القدرية لا تنكر وجود الصانع ولا تنفي القدر من الأصل بل المشاهد استدلالهم بأدلة شرعية مما يعني إقرارهم بالشرع من الأصل؛ ولهذا فإن انحرافهم هذا لا يخرجهم من دائرة الإسلام إلا إذا فعلو ا أحد شيئين:

الأول: جعل القدر عذراً للعصاة حتى لا يستحقوا اللوم والعذاب أو جعلوا عقوبة العصاة ظلماً.

الثاني: جعل القدر مسقطاً للأمر والنهي والوعد والوعيد . وقد قرر هذا الإمام ابن تيمية بقوله: "فإن ضمُّوا [أي الجبرية] إلى ذلك [أي ما تقدم من معتقداتهم الفاسدة] إقامة العذر للعصاة بالقدر وقالوا: إنهم معذورون؛ لذلك لا يستحقون اللوم والعذاب أو جعلوا عقوبتهم [أي العصاة] ظلماً فهؤلاء كفار...

وإن جعلوا ثبوت القدر موجباً لسقوط الأمر والنهي والوعد والوعيد كفعل المباحية فهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى من جنس المشركين... فإن هذا القول يستلزم طي بساط كل أمر ونهي، وهذا مما يعلم بالاضطرار من العقل والدين أنه يوجب الفساد في أمر الدنيا والدين "[704].

2- المعتزلة: وهي من أكثر الفرق التي حاربها الإمام ابن تيمية؛ حيث انتشارها الواسع لسيطرة أئمتها على بعض خلفاء الدولة العباسية حيث نشأت في العراق في جوٍّ اشتمل على طوائف وملل وديانات شتى ودخل في تلك الفترة في الإسلام أقوام من تلك الديانات والملل ولكن ما زالت عقولهم مشوبة بأكدار تلك المعتقدات والقياسات الفاسدة إضافة إلى ما أُشرب في قلوبهم من معتقد غلاة الفلاسفة.

وقد ظهرت المعتزلة في أول أمرها بأمرين:

703 – شيخ الإسلام ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، جـ 4 ص347، مرجع سابق.

704 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ 8 ص445 – 446 بتصرف يسير، مرجع سابق.



أولهما: القول بأن الإنسان يخلق أفعال نفسه وأنه مختار في كل ما يفعل؛ ولذلك كان التكليف وكان مِنْ أظهر مَنْ قال ذلك القول: غيلان الدمشقي[705].

ثاني الأمرين: ظهروا حينما خالفوا في مسألة مرتكب الكبيرة فقد قالوا: إنه ليس بمؤمن ولا كافر ولكنه فاسق فهو في منزلة بين المنزلتين أي: بين الإيمان والكفر ولا يدخل الجنة لأنه لم يعمل عمل أهل الجنة ولا مانع عندهم من أن يُسمى مسلماً باعتباره يظهر الإسلام وينطق بالشهادتين ولكنه لا يسمى مؤمناً وأن سمي مسلماً يجب أن تكون ثمة قرينة حال تميزه عن المؤمنين الصادقي الإيمان[706] ولهذه الفرقة أصول خمسة يجتمعون عليها[707] وهي:

1- التوحيد.
2- العدل.
3- المنزلة بين المنزلتين.
4- إنفاذ الوعد والوعيد.
5- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وعُرف المعتزلة أيضاً[708] بإنكار الصفات والرؤية وخلق القرآن وإنكار أن الله مريد للكائنات وخالق لأفعال العباد.

فرد عليهم الإمام ابن تيمية وأطال الرد في مواضع كثيرة جداً من مصنفاته ومنها ما يلي:

ما يتعلق بأصولهم الخمسة: فقد بيَّن فساد المعنى الذي أرادوه من تلك المصطلحات وأنها عندهم لها مراد غير الذي قد يتبادر إلى الذهن فبيَّن عوار ذلك قائلاً: "معنى التوحيد عندهم يتضمن نفي الصفات... وهذا إنما هو إلحاد في أسماء الله وآياته.

705 – غيلان بن أبي غيلان (وهو غيلان بن مسلم) القدري الضال كان غير ثقة، دعا عليه عمر بن عبد العزيز، وصلبه هشام بن عبد الملك على باب دمشق.

706 – الشيخ محمد أبو زهرة، ابن تيمية، ص 178 – 179 بتصرف يسير، مرجع سابق.

707 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ 13 ص386، مرجع سابق، ينظر جـ 13 ص 98، 126.

708 – نفسه.

ومعنى العدل عندهم يتضمن التكذيب بالقدر وهو خلق أفعال العباد وإرادة الكائنات والقدرة على شيء.

وأما المنزلة بين المنزلتين فهي عندهم أن الفاسق لا يُسمى مؤمناً بوجه من الوجوه كما لا يُسمى كافراً فنزلوه بين منزلتين.

وإنفاذ الوعيد عندهم معناه: أن فساق الملة مخلدون في النار لا يخرجون منها بشفاعة ولا غير ذلك.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتضمن عندهم جواز الخروج على الأئمة وقتالهم بالسَّيْف"[709] وقد بين الإمام ابن تيمية في غير ما موضع حقيقة تلك الألفاظ: التوحيد والعدل والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حيث بيَّن أن التوحد والإيمان بوجود الله وأسمائه وصفاته كما وصف نفسه في كتابه أو وصفه به الرسول ρ هو إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة وهذا يستلزم البراءة من الشرك والمشركين وهذا هو التوحيد الذي لا يقبل من الخلق سواه، وهو الذي أرسل به الرسل وأنزل به الكتب وأما التوحيد الذي تقصده المعتزلة فهو نفي للصفات وهذا يستلزم التعطيل وهو شرك كما أشار إلى ذلك الإمام ابن تيمية بقوله: "ومن العجب أن المعتزلة يفتخرون بأنهم أهل التوحيد والعدل وهم في توحيدهم نفوا الصفات نفياً يستلزم التعطيل والإشراك"[710] وأما العدل الذي يقصده المعتزلة إنما هو تكذيب بالقدر بخلاف العدل الذي وصف الله به نفسه وقد أشار الإمام ابن تيمية إلى ذلك بقوله: "وأما العدل الذي وصف الله به نفسه فهو أن لا يظلم مثقال ذرة وأنه من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره وهم يجعلون جميع حسنات العبد وإيمانه حابطاً بذنب واحد من الكبائر، وهذا من الظلم الذي نزه الله نفسه عنه فكان وصف الرب سبحانه بالعدل الذي وصف به نفسه أولى من جعل

---

709 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـــ13 ص387 بتصرف يسير، مرجع سابق، الفتاوى الكبرى له، جـــ5 ص84، مرجع سابق وينظر جـــ7 ص493، ص525 من مجموع الفتاوى، والشيخ محمد أبو زهرة، ابن تيمية، ص 180 – 181، مرجع سابق.

710 – الإمام ابن تيمية جـ7 ص 493، مرجع سابق.



العدل هو التكذيب بقدر الله"[711] وهذا جرهم إلى أن قاسوا الخالق بالمخلوق وهذا ليس بالعدل الذي أنزل الله به كتبه على رسله" فإن القياس الصحيح حقيقة التسوية بين المتماثلين وهذا هو العدل الذي أنزل الله به الكتب وأرسل به الرسل والرسول لا يأمر بخلاف العدل"[712] وأما المنزلة بين المنزلتين وهو مما لم يقل به أحد من السلف الصالح بل الذين قالوه إنما ابتدعوه من عند أنفسهم وقد عرفت المعتزلة به حيث ينفون عن مرتكب الكبيرة من المسلمين وصف الإيمان بالكلية ولهذا أشار الإمام ابن تيمية بقوله: "والمعتزلة ينفون عنه [أي مرتكب الكبيرة] اسم الإيمان بالكلية واسم الإسلام أيضاً ويقولون: ليس معه شيء من الإيمان والإسلام ويقولون: ننزله منزلة بين منزلتين فهم يقولون: إنه يُخلَّد في النار لا يخرج منها بالشفاعة... وإلا لو نفوا مطلق الاسم وأثبتوا معه شيئاً من الإيمان يخرج به من النار لم يكونوا مبتدعة وكل أهل السنة متفقون على أنه [مرتكب الكبيرة] قد سُلب كمال الإيمان الواجب فزال بعض إيمانه لكنه من أهل الوعيد"[713] وأما إنفاذ الوعد والوعيد: أما الإيمان بذلك حقيقة فهو مذهب أهل السنة والجماعة ولكن المعتزلة أرادوا غير ذلك وإن قالوا بالوعد والوعيد؛ ذلك أنهم أثبتوا الوعيد دون الوعد، حيث إنهم جعلوا فُساق الملة مخلدين في النار ولا تنفعهم شفاعة الشافعين كما ألمح إلى ذلك شيخ الإسلام بقوله: "والحرورية (من الخوارج) والمعتزلة أرادوا أن يصدقوا بالوعيد دون الوعد... والذي عليه أهل السنة والجماعة الإيمان بالوعد والوعيد فكما أن ما توعد الله به العبد من العقاب قد بيَّن سبحانه أنه بشروط بأن لا يتوب فإن تاب تاب الله عليه وبأن لا يكون له حسنات تمحو ذنوبه فإن الحسنات يذهبن السيئات وبأن لا يشاء الله أن يغفر له فإن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك من يشاء فهكذا الوعد له تفسير وبيان فمن قال بلسانه لا إله

711 – نفس المرجع السابق، جـ7 ص493.

712 – نفسه، جـ 22 ص 322.

713 – نفسه، جـ 7 ص258، ينظر ص 484، جـ 19 ص 151.



إلا الله وكذب الرسول فهو كافر باتفاق المسلمين وكذلك إن جحد شيئاً مما أنزل الله فلابد من الإيمان بكل ما جاء به الرسول ثم إن كان من أهل الكبائر فأمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له فإن ارتدَّ عن الإسلام ومات مرتداً كان في النار فالسيئات تحبطها التوبة والحسنات تحبطها الردة ومن كان له حسنات وسيئات فإن الله لا يظلمه بل من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره، والله قد يتفضل عليه ويحسن إليه بمغفرته ورحمته، ومن مات على الإيمان فإنه لا يخلد في النار فالزاني والسارق لا يخلد في النار بل لابد أن يدخل الجنة فإن النار يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان"[714]و الوعد والوعيد من معتقد أهل السنة والجماعة لكن تحقيق ذلك لابد وأن يؤخذ من الشرع وحده حيث يجمع بين نصوص الوعد والوعيد كما أشار إلى ذلك شيخ الإسلام بقوله: "لكن التحقيق الجمع بين نصوص الوعد والوعيد وتفسير بعضها ببعض من غير تبديل شيء منها كما يجمع بين نصوص الأمر والنهي من غير تبديل شيء منها"[715] أما المعتزلة فعندهم إنقاذ الوعيد يعني تخليد فساق الملة في النار قد احتج أهل السنة بقوله تعالى: (قال لا تختصموا لدي وقدمت إليكم بالوعيد. ما يبدل القول لديَّ وما أنا بظلام للعبيد)[716] وقد رد عليهم الإمام ابن تيمية قائلاً: "فأخبر سبحانه أنه قدم إليهم بالوعيد وقال ما يبدل القول لدي وهذا يقتضي أنه صادق في وعيده أيضاً وأن وعيده لا يبدل وهذا مما احتج به القائلون بأن فسَّاق الملة لا يخرجون من النار... لكن هذا الآية تضعف جواب من يقول إن إخلاف الوعيد جائز فإن قوله: (ما يبدل القول لدي) بعد قوله: (وقد قدمت إليكم بالوعيد) دليل على أن وعيده لايبدل كما لا يبدل وعده"[717] واستدل شيوخ المعتزلة على معتقدهم بقوله تعالى: (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب

714 – الإمام ابن تيمية، جـ 8 ص 270 – 271، مرجع سابق.
715 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ 14 ص498، مرجع سابق.
716 – سورة ق~ الآيتان (28 – 29).
717 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ 14 ص 498، مرجع سابق.



الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً)[718] والآية حجة عليهم لا لهم فالآية حددت العَمْد أي يتعمد قتله لأنه على دين الإسلام لا غير وهذه حجة المعتزلة وهي باطلة؛ ذلك أن الآية أطلقت مجرد القتل فهم بين أمرين اثنين:

- إما أن يأتوا من الآية بأن القاتل إنما قصد قتل أخيه المسلم لأجل دينه فقط وليس لأغراض أخرى مع أن الأغراض الأخرى موجودة في غيرها كما هو واضح من أخذ الدية والقصاص ووصف المقاتلين بالإيمان.
- وإما أن يأتوا من الآية بدليل أو إشارة على الخلود الأبدي المعروف أنه مع الكافرين كما أن الخلود في الجنة مع الأيمان أبدي.

والعَمْد لابد وأن يكون باستحلال؛ ذلك أن مجرد القتل لا يخلِّد في النار كما هو معروف لمن تدبر آيات القرآن والسنة النبوية ثم إن الآية ليس فيها إشارة من قريب أو بعيد إلى الخلود الأبدي وعدم قبول الشفاعة؛ ذلك أن مجرد الخلود مع الإيمان لا يوجب التأبيد بخلاف الخلود مع الكفر فإنه يعني التأبيد لأن الشرك لا يغفر بخلاف غيره وأما لفظ الخلود مع الإيمان فإنه لا يخلد صاحبه إلا مع الاستحلال وبهذا تجمع نصوص الوعد والوعيد كما بيَّن ذلك شيخ الإسلام بقوله: "لكن التحقيق الجمع بين نصوص الوعد والوعيد وتفسير بعضها ببعض من غير تبديل شيء منها كما يجمع بين نصوص الأمر والنهي من غير تبديل شيء منها"[719] وبيَّن ذلك بقوله أيضاً: "إذا قتله [أي: إن قتل المسلم أخاه المسلم] على دين الإسلام مثل ما يقاتل النصراني المسلمين على دينهم فهذا كافر شر من الكافر المعاهد فإن هذا كافر محارب بمنزلة الكفار الذين يقاتلون النبي وأصحابه وهؤلاء مخلدون في جهنم كتخليد غيرهم من الكفار وأما إذا قتله قتلاً محرماً لعدواة أو مال أو خصومة ونحو ذلك فهذا من الكبائر ولا يكفر بمجرد ذلك عند أهل السنة والجماعة وإنما يكفر بمثل هذا الخوارج ولا يخلد

718 – سورة النساء الآية (93).

719 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ 14 ص 498، مرجع سابق.



في النار من أهل التوحيد أحد عند أهل السنة والجماعة خلافاً للمعتزلة الذين يقولون بتخليد فساق الملة (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً) وجوابهم على أنها محمولة على المتعمد لقتله على إيمانه وأكثر الناس لم يحملوها على هذا بل قالو: هذا وعيد مطلق قد فسَّره قوله تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)[720] وفي ذلك حكاية عن بعض أهل السنة أنه كان في مجلس فيه عمرو بن عبيد[721] شيخ المعتزلة فقال عمرو: يؤتى بي يوم القيامة فيقال لي: يا عمرو من أين قلت: إني لا أغفر لقاتل؟ فأقول أنت يا ربِّ قلت: (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها) قال: [الذي من أهل السنة لعبيد] فقلت له: فإن قال لك: فإني قلت: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فمن أين علمت أني لا أشاء أن أغفر لهذا فسكت عمرو بن عُبيد"[722].

وأما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو حق وهو من أخص خصائص أهل السنة والجماعة لكن المعتزلة ما قصدوا به إلا الخروج على الأئمة ورفع السيف عليهم وقد أشار إلى ذلك الإمام ابن تيمية إلى ذلك بقوله: "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتضمن عندهم جواز الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف"[723] وأما الأمر بالمعروف عند أهل السنة فهو أصل الدين كما ألمح إلى هذا بقوله: "فإن أصل الدين هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"[724] وقال: "وإذا كان جماع الدين وجميع الولايات هوأمر ونهي فالأمر الذي بعث الله به رسوله هو الأمر بالمعروف والنهي الذي بعثه به هو

720 – سورة النساء الآية (48).
721 – أبو عثمان عمرو بن عبيد بن باب أحد شيوخ المعتزلة، تبع واصل بن عطاء واعتزل الحسن البصري، مات سنة 144هـ.
722 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ 34 ص137، مرجع سابق، ينظر الفتاوى الكبرى له، جـ 3 ص385، مرجع سابق.
723 – نفسه، جـ 13 ص387.
724 – نفسه، جـ 27 ص 442.



النهي عن المنكر وهذا نعت النبي والمؤمنين"[725] ويكون ذلك من قبل الحكام والقادر عليه من أهل الحل والعقد حيث يكون ذلك من خلال[726]:

- سلطان يحكم ويفصل بين الرعية بحكم الله ورسوله.
- وكذلك من خلال عقوبات شرعية فإن الله يزع بالسلطان ما لايزع بالقرآن.
- ومن خلال إقامة حدود تقام لترك واجب أو فعل محرم.
- ومن خلال تعزير: إمابتوبيخ وزجر بكلام أو بحبس أو نفي أو ضرب أو ...

فهناك فرق بين حقيقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين أهل السنة والجماعة وبين المعتزلة مع الاشتراك في الاسم الواحد والإمام ابن تيمية ما كفرهم وذلك لأنهم متأولون وأنهم إنما قصدوا التوحيد فقال: "قصدوا توحيد الرب وإثبات عدله وحكمته ورحمته وصدقه وطاعة أمره لكن غلطوا في كل وحدة من هذه الأمور[727] وفي بعض الأحيان يذكر قولهم ويساويهم بالجهمية[728].

3- الأشاعرة: وهم المنسوبون إلى الإمام أبي الحسن الأشعري[729] ولهذا فإن المنتسبين له يقال لهم: أنتم على مذهب الأشعري في أول أمره أم في آخره أم بين ذلك؟ فإن قالوا: في أوله قيل لهم: إنه قد تراجع عن ذلك في كتابه الإبانة وإن قالوا في آخر أمره قيل لهم: هو نفسه تراجع عن مذهبه فالتزموا السنة.

725 – نفسه جـ 28 ص 65.

726 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ 28 ص 107، مرجع سابق.

.

727 – نفسه، جـ 13 ص 126.

728 – نفسه، جـ 12 ص 102، 524.

729 – الإمام أبو الحسن بن إسماعيل الأشعري، تتلمذ على أيدي المعتزلة كان فصيحاً جدلياً مناظراً كتابةً، ثم ترك الاعتزال ورجع لأهل السنة على دخن وألف كتباً أشهرها كتابه الإبانة عن أصول الديانة . توفي سنة نيف وثلاثين وثلاثمائة من الهجرة النبوية.

وإن قالوا بين المرحلتين فيقال لهم هذا ما يقبله عاقل؛ لأن تلك المرحلة برزخية بين طرفين ولا يوجد فيها استقرار لأيهما سيصير.

هذا وقد قال بعض المنتسبين له: إن كتاب الإبانة ليس له ومنهم قالوا: هو له لكن يقصد التفويض لا الإثبات وكل منهما مكابر.

والأشاعرة قد أكثر الإمام ابن تيمية في مصنفاته راداً عليهم ومبطلاً آراءهم مع مدحه لهم ولخدمتهم ودفاعهم عن الإسلام فقال: "فإنهم أقرب طوائف أهل الكلام إلى السنة والجماعة والحديث وهم يعدون من أهل السنة والجماعة عند النظر إلى مثل المعتزلة والرافضة وغيرهم بل هم أهل السنة والجماعة في البلاد التي يكون أهل البدع فيها هم المعتزلة والرافضة ونحوهم"[730] ونفى عنهم صفة الكفر بأي صورة من صوره حيث قال عنهم وغيرهم من أهل السنة والجماعة: "ليسوا كفاراً باتفاق المسلمين"[731] وقد أكثر الإمام ابن تيمية من الرد عليهم ويتمثل ذلك في عدة أمور منها[732]

- توحيد الربوبية والألوهية.
- الصفات.
- القضاء والقدر.
- الإيمان.

1- توحيد الربوبية والألوهية: كتب الأشاعرة أول ما تبدأ لا تتعرض إلى توحيد الربوبية والألوهية والفرق بينهما ولكنها تبدأ بتفصيل بعض المقدمات العقلية والمنطقية ثم يكون الكلام عن الإلهيات من خلال الكلام على أن الله خالق وقادر والكلام على صفاته وأن ما سواه مُحْدَثٌ مخلوق وكذلك الرد على الفلاسفة والدهرية وفي أثناء ذلك التعرض لمسألة أول واجب على المكلف ومعنى التوحيد وغير ذلك من المسائل.

730 – الإمام ابن تيمية، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، ج 2 ص87، مرجع سابق، ينظر مجموع الفتاوى له، ج 6 ص55، ج8 ص 230.

731 – الإمام ابن تيمية ، مجموع الفتاوى، ج35 ص101، ج3 ص474 من الفتاوى الكبرى.

732 – د. عبد الرحمن بن صالح المحمود، موقف ابن تيمية من الأشاعرة، ج3 ص933، 1029، 1308، 1349، مرجع سابق.



وقد رد الإمام ابن تيمية عليهم من خلال منهجه التربوي لتأصيل العقيدة مبيناً صحة دلالات الألفاظ المستخدمة ومدى موافقتها للشرع واللغة مؤكداً ذلك بحجج قوية ومتنوعة بل ومن أصول كلام أئمتهم مما يبيِّن تعارض تلك الأدلة والبراهين أما رده عليهم فيتكلم عن التوحيد عند الأشاعرة وأنه وإن وافق اسم التوحيد عند السلف إلا أنه يخالفه من الأصل، ويتضح ذلك من خلال عرضه لبيان معنى التوحيد عند السلف أولاً حيث يقول "التوحيد الذي ذكره الله في كتابه وأنزل به كتبه وبعث به رسله واتفق عليه المسلمون من كل ملة فهو كما قال الأئمة: شهادة أن لا إله إلا الله وهو عبادة الله وحده لا شريك له...[733] وقال: "وذلك أن توحيد الرسل والمؤمنين هو عبادة الله وحده فمن عبد الله وَحْدَهُ لم يشرك به شيئاً فقد وحَّدَهُ ومَنْ عبد مِنْ دونه شيئاً من الأشياء فهو مشرك به ليس بموحد مخلص له الدين وإن كان مع ذلك قائلاً بهذه المقالات التي زعموا أنها التوحيد حتى لو أقر أن الله وَحْدَهُ خالق كل شيء وهو التوحيد في الأفعال"[734] ثمَّ بيَّن وَجْه الخطأ عندهم وهو عدم فهم معنى الإله والخلط بينه وبين الربِّ فقال: "والإله بمعنى المألوه المعبود الذي يستحق العبادة ليس هو الإله بمعنى القادر على الخلق. فإذا فسَّر المفسِّر الإله بمعنى القادر على الاختراع واعتقد أن هذا أخص وصف الإله وجعل إثبات هذا التوحيد هو الغاية في التوحيد كما يفعل ذلك من يفعله من متكلمة الصفاتية وهو الذي ينقلونه عن أبي الحسن وأتباعه لم يعرفوا حقيقة التوحيد الذي بعث الله به رسوله؛ فإن مشركي العرب كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل شيء وكانوا مع هذا مشركين قال تعالى: (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون)[735]... فليس كل من أقر أن الله رب كل شيء وخالقه يكون عابداً له دون ما سواه"[736] وقال: "فإن الله سبحانه هو المستحق للعبادة لذاته؛ لأنه المألوه

733 – الإمام ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، جـ6 ص559، مرجع سابق.

734 – الإمام ابن تيمية، بيان تلبيس الجهمية، جـ1 ص 478، مرجع سابق.

735 – سورة يوسف الآية (106).

736 – الإمام ابن تيمية، درء التعارض، جـ1 ص129، مرجع سابق.



المعبود الذي تألهه القلوب وترغب إليه وتفزع إليه عند الشدائد وما سواه فهو مفتقر مقهور بالعبودية فكيف يصح أن يكون إلهاً؟!"[737] أما التوحيد عند الأشاعرة فإنه قاصر على التركيز على الربوبية فقط وأن معنى الألوهية عندهم إنما هي الاختراع والقدرة[738] ثم إن" التوحيد والواحد والأحد [والوحيد] عند الأشاعرة يشمل ثلاثة أمور:

- أن الله واحد في ذاته لا قسيم له.
- وأنه واحد في صفاته لا شبيه له.
- وأنه واحد في أفعاله لا شريك له"[739].

وقد رد عليهم شيخ الإسلام في هذا جملة وتفصيلاً وذلك من خلال ما يلي:

أما كون التوحيد يشمل تلك الأشياء الثلاثة فإنه لم يثبت لا في كتاب ولا في سنة بل هو مصادم لهما وللعقل واللغة كما أشار بقوله: "والمقصود هنا أن التوحيد الذي أنزل الله به كتبه وأرسل به رسله وهو المذكور في الكتاب والسنة وهو المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام ليس هو هذه الأمور الثلاثة التي ذكرها هؤلاء المتكلمون وإن كان فيها ما هو داخل في التوحيد الذي جاء به الرسول فهم مع زعمهم أنهم الموحدون ليس توحيدهم الذي ذكر الله ورسوله بل التوحيد الذي يدعون الاختصاص به باطل في الشرع والعقل واللغة"[740] ورد عليهم باللغة أيضاً حيث قال: "لا يوجد في لغة العرب بل ولا غيرهم من الأمم استعمال الواحد، الأحد، الوحيد إلا فيما يسمونه جسماً ومنقسماً كقوله تعالى: (ذرني ومن خلقت وحيداً..)[741] وقوله: (أيود أحدكم أن تكون له جنة...)[742] والعرب وغيرهم من الأمم يقولون: رجل ورجلان اثنان وثلاثة

737 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 88/1 مرجع سابق.
738 – ينظر لذلك مجموع الفتاوى، جـ 3 ص 101، ص 294، جـ 8 ص 101، مرجع سابق.
739 – د. عبد الرحمن المحمود، موقف ابن تيمية من الأشاعرة، جـ3 ص946، مرجع سابق.
740 – الإمام ابن تيمية، بيان تلبيس الجهمية، جـ 1 ص 478، مرجع سابق.
741 – سورة المدثر الآية (11).
742 – سورة البقرة الآية (266).



رجال وفرس واحد و... فلفظ الواحد وما يتصرف منه في لغة العرب وغيرهم من الأمم لا يطلق إلا على ما يسمونه هم جسماً منقسماً؛ لأن ما يسمونه هم جسماً منقسماً ليس هو شيئاً يعقله الناس ولا يعلمون وجوده حتى يعبروا عنه"[743]

ورد عليهم بالعقل أيضاً: "أما العقل فهذا الواحد الذي وصفوه يقول لهم فيه أكثر العقلاء وأهل الفطر السليمة: إنه أمر لا يعقل ولا له وجود في الخارج وإنما هو أمر مقدر في الذهن ليس في الخارج شيء موجود لا يكون له صفات ولا قدر ولا يتميز منه شيء عن شيء بحيث يمكن أن يُرى ولا يُدرك ولا يُحاط به وإن سماه المسِّمي جسماً وأيضاً فإن التوحيد إثبات لشئ واحد فلابد أن يكون له في نفسه حقيقة ثبوتية يختص بها ويتميز بها عما سواه حتى يصح أنه ليس كمثله شيء في تلك الأمور الثبوتية، ومجرد عدم المثل إذا لم يُفد ثبوت أمر وجودي كان صفة للعدم فنفي المثل والشريك يقتضي ما هو على حقيقة يستحق بها واحداً"[744] فهذا رد على الجملة على معنى التوحيد وأما رده المفصل على التوحيد بأقسامه فمن ذلك:

قولهم: "إن الله واحد في ذاته لا قسيم له" فبيَّن شيخ الإسلام أنهم ما أرادوا بذلك أنه لا يتعدد ولا ينقسم ولا يتبعض ولا يتركب و... فهذا حق ومتفق عليه بين جميع المسلمين بل إنهم يقصدون من وراء ذلك أنه –سبحانه لا يُشْهَد ولا يُرى منه شيء دون شيء بين الإمام ذلك بقوله: "ليس مرادهم بأنه لا ينقسم ولا يتبعض: أنه لا ينفصل بعضه عن بعض وأنه لا يكون إلهين اثنين ونحو ذلك مما يقول نحواً منه النصارى والمشركون فإن هذا مما لا ينازعهم فيه المسلمون وهو حق لا ريب فيه وكذلك كان علماء السلف ينفون التبعيض عن الله بهذا المعنى وإنما مرادهم بذلك أنه لا يُشهد ولا يُرى منه شيء دون شيء ولا يدرك منه شيء دون شيء بحيث إنه ليس له نفس حقيقة عندهم قائمة بنفسها يمكنه هو أن يرى عباده منها شيئاً دون شيء بحيث إذا

743 – الإمام ابن تيمية، درء التعارض جـ 3 ص 349، مرجع سابق.

744 – الإمام ابن تيمية، بيان تلبيس الجهمية، جـ 1 ص483، مرجع سابق.



تجلى لعباده يريهم من نفسه المقدسة ما شاء فإن ذلك غير ممكن عندهم ولا يتصور عندهم أن يكون العباد محجوبين عنه بحجاب منفصل عنهم يمنع أبصارهم عن رؤيته فإن الحجاب لا يحجب إلا ما هو جسم منقسم [في اعتقادهم] ولا يتصور عندهم أن الله يكشف عن وجهه الحجاب ليراه المؤمنون ولا أن يكون على وجهه حجاب أصلاً ولا أن يكون بحيث يلقاه العبد أو يصل إليه أو يدنو منه أو يقرب إليه في الحقيقة(745) فهذا ونحوه هو المراد عندهم بكونه لا ينقسم ويسمون ذلك نفي التجسيم إذ كل ما ثبت له ذلك كان جسماً منقسماً مركباً والبارئ منزَّه عندهم عن هذه المعاني"(746).

وأما قولهم" إنه واحد في صفاته لا شبيه له:" فقد بيَّن شيخ الإسلام أنهم أجملوا الكلام فهم لا يصرحون بنفي الصفات كما فعلت المعتزلة ولكنهم نَفَوْا بعضها وظنوا أن هذا هو التوحيد.

وقد رد عليهم الإمام ابن تيمية بقوله: "وكذلك النوع الثاني: وهو قولهم: لا شبيه له في صفاته فإنه ليس في الأمم من أثبت قديماً مماثلاً له في ذاته سواء قال إنه يشاركه أو قال: إنه لا فعل له بل مَنْ شبه به شيئاً من مخلوقاته فإنما يشبه به في بعض الأمور وقد علم بالعقل امتناع أن يكون له مثل في المخلوقات يشاركه فيما يجب أو يجوز أو يمتنع عليه فإن ذلك يستلزم الجمع بين النقيضين وعلم أيضاً بالعقل أن كل موجودين قائمين بأنفسهما فلابد بينهما من قدر مشترك كاتفاقهما في مُسمَّى الوجود والقيام بالنفس والذات ونحو ذلك، فإن نفي ذلك يقتضي التعطيل المحض وأنه لابد من إثبات خصائص الربوبية"(747).

---

745 – وعدم تصورهم هذا مخالف للأدلة الثابتة الصحيحة.

746 – الإمام ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، جـ6 ص559، مرجع سابق.

747 – شيخ الإسلام ابن تيمية، الرسالة التدمرية، ص 118، مرجع سابق، وينظر الفتاوى الكبرى، جـ 6 ص548، درء التعارض، جـ 1 ص129، بيان تلبيس الجهمية، جـ 1 ص469 له، مرجع سابق.



وأما قولهم: "إنه واحد في أفعاله لا شريك له" فقد بيَّن شيخ الإسلام أنهم ما أرادوا توحيد الألوهية فخلطوا بينه و بين الربوبية؛ لذلك فقد أقر تلك المقولة ولكن ليست هي التوحيد الذي بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب فقال: "وأشهر الأنواع الثلاثة عندهم هو الثالث وهو توحيد الأفعال وهو أن خالق العالم واحد وهم يحتجون على ذلك بما يذكرونه من دلالة التمانع وغيرها ويظنون أن هذا هو التوحيد المطلوب وأن هذا هو معنى قولنا: لا إله إلا الله[748] حتى قد يجعلوا معنى الإلهية القدرة على الاختراع، ومعلوم أن المشركين من العرب الذين بعث إليهم محمد ρ أولاً لم يكونوا يخالفونه في هذا بل كانوا يقرون بأن الله خالق كل شيء حتى إنهم كانوا يقرون بالقدر أيضاً وهم مع هذا مشركون"[749] والأشاعرة لم يوجبوا على المكلف أول ما يجب عليه من تعلم معنى التوحيد المتمثل في الشهادتين وإفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة إنما عندهم أول الواجبات على المكلف هو النظر ولهم في الوصول إلى ذلك سبل يتم الوصول من خلالها إلى ذلك كما يلي[750]:

1. طائفة قالت: إنه يجب على العبد المعرفة أولاً قبل وجوب الشهادتين.
2. ومنهم من قال: يجب على العبد النظر قبل المعرفة.
3. ومنهم من قال: يجب القصد إلى المعرفة.
4. ومنهم من أوجب الشك.

فمما سبق يتضح أنهم وإن قالوا بالنظر لكنهم اختلفوا في أول واجب على المكلف. وقد بيَّن الإمام ابن تيمية أن ذلك الاختلاف إنما هو "نزاع لفظي"[751] ثم رد ذلك قائلاً: "والنبيُّ ρ لم يَدْعُ أحداً من الخلق إلى النظر ابتداءً ولا إلى مجرد إثبات الصانع

748 – بل معناها: لا معبود بحق إلا الله كما في إعرابها حيث إن (إله) في موضع المبتدأ على قول سيبويه وعند غيره اسم لا وعلى التقديرين فلابد من خبر المبتدأ. الإمام ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، ص 110 – 111، مرجع سابق، العلامة مُلا علي القاري، التجريد في إعراب كلمة التوحيد وما يتعلق بمعناها من التمجيد، تقديم مشهور سلمان، ص 15 – 17، المكتب الإسلامي – دار عمار، ط1، بيروت لبنان – دمشق سوريا، 1411هـ - 1991م.

749 – شيخ الإسلام ابن تيمية، الر سالة التدمرية، ص 117، مرجع سابق.

750 – الإمام ابن تيمية، الاستقامة، جـ 1 ص 142 – 143، مجموع الفتاوى، جـ20 ص 202، مرجع سابق.

751 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ 16 ص 331، مرجع سابق، درء التعارض، جـ4 ص 52، مرجع سابق.



بل أول ما دعاهم إليه الشهادتان وبذلك أمر أصحابه كما قال في الحديث المتفق على صحته لمعاذ بن جبل رضي الله عنه لما بعثه إلى اليمن: "إنك تأتي قوماً أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فإن هم أطاعوا لك بذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم، وكذلك سائر الأحاديث عن النبي ρ موافقة لهذا"[752]

2- الصفات[753]: وقول الأشاعرة في الصفات فيه اضطراب حيث إنهم اتفقوا على إثبات بعض الصفات العقلية وهي صفات المعاني عندهم –كما يسمونها وهي سبع صفات[754]. وهي التي يسمونها: صفات المعاني فهم "إنما يثبتون من الصفات التي يسمونها صفات المعاني سبع صفات فقط وينكرون سواها من المعاني وصفة المعنى عندهم في الاصطلاح ضابطها: هي: أنها ما دل على معنىً وجوديٍّ قائمٍ بالذات"[755] كما اتفقوا على نفي الصفات الاختيارية وأولوها عن الله وهي التي يعبرون عنها بحلول الحوادث –بزعمهم وذلك مثل صفات الكلام والرضا والغضب والفرح والمجيء والنزول والإتيان و... واختلفوا في الصفات الخبرية كالوجه واليدين والعين واليمين والقبضة والساق والقدم والأصابع و... وكذلك اختلفوا في مسألة العلو.

والأشاعرة عدهم شيخ الإسلام من مثبتة الصفات في الجملة[756] وقد رد ذلك المذهب بأقسامه وذلك كما يلي:

أولاً: تقسيم الصفات لأقسام يتم الاتفاق على بعض والخلاف في بعض هو من الإيمان ببعض الكتاب دون بعض بل المسلم الحق يؤمن بكل ما وصف الله به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله ρ في صحيح السنة، وقد قرر هذا الإمام ابن تيمية

---

752 – الإمام ابن تيمية، درء التعارض، جـ 4 ص107، مرجع سابق.

753 – د. عبد الرحمن المحمود، موقف ابن تيمية من الأشاعرة، جـ 3 ص 1032، مرجع سابق.

754 – يجمعها قول القائل: حيٌّ عليمٌ قديرٌ والكلام له إرادة وكذاك السمع والبصر.

755 – العلامة محمد الأمين الشنقيطي، منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، ص11، مرجع سابق.

756 – مجموع الفتاوى، جـ 6 ص51، مرجع سابق، وينظر جـ 4 ص52، 147، 156، جـ 12 ص206، جـ16 ص237.



بقوله: "ومن الإيمان بالله: الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله محمد ρ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل بل يؤمن [أي: أهل السنة والجماعة] بأن الله –سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ولا يلحدون في أسماء الله وآياته ولا يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه؛ لأنه –سبحانه لا سمي له ولا كفو له ولا ند له ولا يقاس بخلقه –سبحانه وتعالى؛ فإنه –سبحانه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلاً وأحسن حديثاً من خلقه"[757] وقال: "ونعلم أن ما وصف الله به من ذلك فهو حق ليس فيه لغز ولا أحاجي بل معناه يُعرف من حيث يُعرف مقصود المتكلم بكلامه لاسيما إذا كان المتكلم أعلم الخلق بما يقول وأفصح الخلق في بيان العلم وأفصح الخلق في البيان والتعريف والدلالة والإرشاد وهو سبحانه مع ذلك ليس كمثله شيء لا في نفسه المقدسة المذكورة بأسمائه وصفاته ولا في أفعاله فكما نتيقن أن الله –سبحانه له ذات حقيقة وله أفعال حقيقة فكذلك له صفات حقيقة وهو ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله وكل ما أوجب نقصاً أو حدوثاً فإن الله منزهٌ عنه حقيقة فإنه –سبحانه مستحقٌ للكمال الذي لا غاية فوقه ويمتنع عليه الحدوث لامتناع العدم عليه واستلزام الحدوث سابقة العدم والافتقار المحْدَث إلى مُحْدِثٍ، ولوجوب وجوده بنفسه سبحانه وتعالى"[758] ثم إنهم إن أثبتوا بعض الصِّفات كالتي قالوا عنها: إنها العقلية (أو صفات المعاني) فإنهم بين أمرين:

الأمر الأول: يثبتونها مع التأويل.

الأمر الثاني: يثبتونها مع تفويض معناها[759]

---

757 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ3 ص129، مرجع سابق، وينظر جـ3 ص3، 165، مرجع سابق.

758 – نفسه، جـ5 ص 26 – 27، مرجع سابق.

759 – ينظر لذلك مجموع الفتاوى، جـ 12 ص 32، 203، مرجع سابق، منهاج السنة، جـ2 ص223، مرجع سابق، بيان تلبيس الجهمية، جـ 1 ص48، مرجع سابق.



3- القضاء والقدر[760]: مذهب أهل السنة والجماعة وسط بين كل الفرق... وفي باب القضاء والقدر فإنهم وسط بين مَنْ يقول بأن الإنسان مجبور على أفعاله وليس له إرادة ولا قدرة كالجهمية ومنهم الحتمية وكذلك بين من يرى استقلال الإنسان في أفعاله عن خالقه وأن أرادته مستقلة عن إرادة الله وهو الذي يخلق أفعاله كالقدرية أما أهل السنة فهم وسط بين هؤلاء وهؤلاء فيثبتون القدر وأن الله خالق كل شيء ويقولون بأن للإنسان إرادة ومشيئة ولكنها خاضعة لمشيئة الله وهو وأفعاله خلقها الله أما الأشاعرة فهم بين تلك الأقوال الثلاثة حيث إنهم يميلون إلى كل قول في بعض المسائل ولذلك تميزوا بعدم الانتساب لواحدة منهم.

فهم يرون أن الله خالق أفعال العباد لكن لا لحكمة بل فعل ذلك لإرادته ومشيئته وأهل السنة يرون أن كل أفعال الله لها حكمة وقد رد عليهم الإمام ابن تيمية في مواضع منها قوله: "الله سبحانه وتعالى يفعل ما يفعله لما له في ذلك من الحكمة وأن ما يضر الناس من المعاصي والعقوبات يخلقها لما له في ذلك من الحكمة والإنسان قد يفعل ما يكرهه كشربه الدواء الكريه لما له فيه من الحكمة التي يحبها كالصحة و العافية. فشرب الدواء مكروه من وجه محبوب من وجه فالعبد يوافق ربه فيكره الذنوب ويمقتها ويبغضها لأن الله يبغضها ويمقتها ويرضى بالحكمة التي خلقها الله لأجلها فهي من جهة فعل العبد لها مكروهة مسخوطة ومن جهة خلق الرب لها محبوبة مرضية لأن الله خلقها لما له في ذلك من الحكمة"[761]

وقد ذكر الإمام ابن تيمية منهجه العقدي: منهج أهل السنة والجماعة الجامع بين جميع الآثار السمعية والعقلية فبيَّن ذلك بقوله: "وتؤمن الفرقة الناجية: أهل السنة والجماعة بالقدر خيره وشره.

والإيمان بالقدر على درجتين، كل درجة تتضمن شيئين:

760 – د. عبد الرحمن المحمود، موقف ابن تيمية من الأشاعرة، جـ 3 ص 1308، مرجع سابق.

761 – الإمام ابن يتيمية، منهاج السنة، جـ 3 ص208، مرجع سابق.



فالدرجة الأولى: الإيمان بأن الله تعالى علم ما الخلق عاملون ثم كتب في اللوح المحفوظ مقادير الخلق.

وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه يكون في مواضع جملة وتفصيلاً.

وأما الدرجة الثانية: فهي مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة: وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن وأنه ما في السموات والأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله —سبحانه لا يكون في ملكه إلا ما يريد وأنه سبحانه وتعالى على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات.

فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه —سبحانه لا خالق غيره ولا رب سواه، ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسله ونهاهم عن معصيته"[762]

وأشار مقرراً عقيدة أهل السنة والجماعة نحو أفعال العباد قائلاً: "والعباد فاعلون حقيقة والله خالق أفعالهم والعبد هو المؤمن والكافر والبر والفاجر والمصلي والصائم. وللعباد قدرة على أعمالهم ولهم إرادة والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم كما قال تعالى: (لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاؤون إلا أن يشاء الله ربُّ العالمين)[763].

وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدرية الذين سماهم النبيُّ مجوس هذه الأمة ويغلو فيها قوم من أهل الإثبات حتى سلبوا العبد قدرته واختياره ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه حكمها ومصالحها"[764] وقال أيضاً راداً عليهم ومؤصلاً منهاجه قائلاً: "والتحقيق ما عليه أئمة السنة وجمهور الأمة من الفرق بين الفعل والمفعول والخلق والمخلوق فأفعال العباد هي كغيرها من المحدثات مخلوقة مفعولة لله كما أن نفس العبد وسائر صفاته مخلوقة مفعولة لله وليس ذلك نفس خلقه وفعله بل هي مخلوقة ومفعولة، وهذه الأفعال هي فعل العبد القائم به ليست قائمة بالله ولا يتصف بها فإنه لا يتصف

762 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ 3 ص 148 – 149، مرجع سابق.

763 – سورة التكوير الآية (29).

764 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ3 ص150، مرجع سابق.



بها فإنه لا يتصف بمخلوقاته ومفعولاته، وإنما يتصف بخلقه وفعله كما يتصف بسائر ما يقوم بذاته والعبد فاعل لهذه الأفعال وهو المتصف بها وله عليها قدرة وهو فاعلها باختياره ومشيئته وذلك كله مخلوق لله فهي فعل العبد وهي مفعولة للرب"[765].

فهذا مسلك شيخ الإسلام ابن تيمية كلامه وسط بين تلك الأقوال وهذا المنهاج التربوي في التأصيل العقدي الذي سلكه هو نفس منهاج أهل السنة والجماعة، إذ هم وسط بين جميع الفرق.

4- الإيمان: ورد الإمام ابن تيمية على الأشاعرة في مسألة الإيمان إنما هو بأمور تتعلق به من موافقتهم لقول المرجئة الذين يقولون بإنه مجرد التصديق القلبي والمعرفة و الإمام ابن تيمية يذكر مسلكهم ويبيِّن أوجه الخلل والخطأ والمخالفة ثم يبيِّن منهاج الحق الذي يسلكه في تربيته العقدية: وهو منهاج أهل السنة والجماعة وقد ألمح إلى مذهب الإمام أبي الحسن الأشعري والمنتسبين إليه قائلاً: "وليس الإيمان إلا مجرد التصديق الذي في القلب والمعرفة، وهذا أشهر قولي أبي الحسن الأشعري[766] وعليه أصحابه[767] فله في الإيمان قولان والقول بأن الإيمان مجرد التصديق الذي في القلب والمعرفة فقط "هو الذي اشتهر عند الأشاعرة وهو الذي نصره أئمتهم ممن جاء بعد الأشعري وهو الذي استقر عليه المذهب"[768] ويلاحظ مما مر أن له في الإيمان اضطراباً في أصله وليس في كماله ولهذا أشار إليه الإمام ابن تيمية بقوله: "فهذا قوله في هذا الكتاب"[769] وافق فيه أهل السنة وأصحاب الحديث بخلاف القول الذي نصره في الموجز"[770] هذا وقد أشار الإمام ابن تيمية إلى منهاج أهل السنة والجماعة قائلاً: "ومن أصول الفرقة الناجية أن الإيمان والدين قول وعمل يزيد وينقص [يزيد بالطاعة وينقص

765 – الإمام ابن تيمية ، مجموع الفتاوى، جـ 2 ص119 – 120، مرجع سابق.

766 – والقول الآخر الذي له هو أن الإيمان قول وعمل كقول السلف وأهل الحديث – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ 7 ص509، مرجع سابق.

767 – نفسه

768 – د. عبد الرحمن المحمود، موقف ابن تيمية من الأشاعرة، جـ3 ص 1351، مرجع سابق.

769 – أي: كتاب المقالات وقد نقل الإمام ابن تيمية نصه في مجموع الفتاوى جـ 7 ص 548، مرجع سابق.

770 – الإمام ابن تيمية، مجمع الفتاوى، جـ 7 ص550، مرجع سابق.



بالمعصية ويتفاضل أهله فيه]: قول القلب [التصديق] واللسان وعمل القلب [من الحب والخشية والرغبة والرهبة...] واللسان والجوارح"[771] وقد أشار الإمام ابن تيمية إلى الترابط والتلازم بين صحة الاعتقاد والجوارح وأنها تابعة لصحة الاعتقاد وأن فسادها دليل على فساد الاعتقاد بل إن وجوده كعدمه فقال: "وذلك أن الإيمان قول وعمل فمن اعتقد الوحدانية في الألوهية لله –سبحانه وتعالى والرسالة لعبده ورسوله ثم لم يُتْبِعْ هذا الاعتقاد مُوْجِبَهُ من الإجلال والإكرام الذي هو حال في القلب يظهر أثره على الجوارح بل قارنه الاستخفاف والتسفيه والازدراء بالقول أو بالفعل كان وجود ذلك الاعتقاد كعدمه وكان ذلك موجباً لفساد ذلك الاعتقاد ومزيلاً لما فيه من المنفعة والصلاح؛ الاعتقادات الإيمانية تزكي النفوس وتصلحها فمتى لم توجب زكاة النفس ولا صلاحها فما ذاك إلا لأنها لم ترسخ في القلب ولم تصر صفة ونعتاً للنفس ولا صلاحاً وإذا لم يكن علم الإيمان المفروض صفة لقلب الإنسان لازمة له لم ينفعه فإنه يكون بمنزلة حديث النفس وخواطر القلب"[772] كما أوضح تلازم إيمان القلب بالتصديق مع عمل الجوارح بقوله: "وفي الجملة فلابد في الإيمان الذي في القلب من تصديق بالله ورسوله وحب الله ورسوله وإلا فمجرد التصديق مع البغض له ولرسوله وحب الله ورسوله وإلا فمجرد التصديق مع البغض لله ولرسوله ومعاداة الله ورسوله ليس إيماناً باتفاق المسلمين وليس مجرد التصديق والعلم يستلزم الحب إلا إذا كان القلب سليماً من المعارض كالحسد والكبر؛ لأن النفس مفطورة على حب الحق وهو الذي يلائمها ولا شيء أحب إلى القلوب السليمة من الله وهذا هو الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام... ثم الحب التام مع القدرة يستلزم حركة البدن بالقول الظاهر والعمل الظاهر"[773] وقد رد شيخ الإسلام على شبهة أوردها الأشاعرة ومن وافقهم

---

771 – نفسه، جـ 3 ص151، 177، مرجع سابق.

772 – شيخ الإسلام ابن تيمية، الصارم المسلول على شاتم الرسول، تحقيق محمد عبد الله عمر الحلواني، محمد كبير أحمد شودري، جـ 1 ص375، ط1، دار ابن حزم، بيروت – لبنان، 1417هـ.

773 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ7 ص537، 541 بتصرف، مرجع سابق.

وهي وجود الإيمان في مواضع بدون العمل فقال: "وأما قولهم: إن الله فرق بين الإيمان والعمل في مواضع فهذا صحيح وقد بيَّنّا أن الإيمان إذا أطلق أَدْخل الله ورسوله فيه الأعمال المأمور بها، وقد يقرن به الأعمال ... ؛ وذلك لأن أصل الإيمان هو ما في القلب والأعمال الظاهرة لازمة لذلك لا يتصور وجود إيمان القلب الواجب مع عدم جميع أعمال الجوارح بل متى نقصت الأعمال الظاهرة كان لنقص الإيمان الذي في القلب فصار الإيمان متناولاً للملزوم واللازم وإن كان أصله ما في القلب، وحيث عطفت عليه الأعمال فإنه أريد أنه لا يكتفي بإيمان القلب بل لابد معه من الأعمال الصالحة"[774] كما بين أن ذلك من باب عطف العمل الصالح على الأصل وهو الإيمان كقوله: "وكذلك يذكر الإيمان أولاً؛ لأنه الأصل الذي لابد منه ثم يذكر العمل الصالح فإنه أيضاً من تمام الدين لابد منه فلا يظن الظانّ اكتفاءه بمجرد إيمان ليس معه العمل الصالح[775] وبين أن أصل الإيمان في القلب والأعمال لازمة له وهي جزء منه فقال: "فإن أصل الإيمان هو ما في القلب ولكن هي لازمة له فمن لم يفعلها كان إيمانه منتفياً؛ لأن انتفاء اللازم يقتضي انتفاء الملزوم لكن صارت بعرف الشارع داخله في الإيمان إذا أطلق"[776] ومع ما هم عليه من اعتقاد فإنهم أقرب الطوائف إلى أهل السنة والجماعة وقال عن إمامهم الأشعري: "والأشعري وأمثاله برزخ بين السلف والجهمية أخذوا من هؤلاء كلاماً صحيحاً ومن هؤلاء أصولاً عقلية ظنوها صحيحة وهي فاسدة"[777] وبيَّن أنهم ليسوا كفاراً باتفاق المسلمين وأنهم مجتهدون مخطؤون وكل مجتهد قد أخطأ لا يدركه كفر بل يغفر له خطؤه كما بين ذلك الإمام ابن تيمية بقوله: "وأما التكفير فالصواب أن من اجتهد من أمة محمد ρ وقصد الحق فأخطأ لم يُكفَّر

774 – نفسه، جـ 7 ص198.
775 – نفسه، ص 199.
776 نفسه، ص 202.
777 – نفسه، جـ 16 ص 471.

بل يُغفر له خطؤه... ومن اتبع هواه وقصر في طلب الحق وتكلم بلا علم فهو عاصٍ مذنب ثم قد يكون فاسقاً وقد يكون له حسنات ترجح على سيئاته[778]

فهذا حكم منصف دقيق من الإمام ابن تيمية على تلك الطوائف التي خالفت أهل السنة والجماعة، وهكذا سلك الإمام ابن تيمية في منهاجه التربوي للعقيدة حيث أثبت منهجه ورد على المعترضين وأبطل استدلالاتهم من خلال استدلاله بأنواع الأدلة الممكنة ثم بإفحامه بوضعهم في حيرة من تناقض أدلتهم بإلزامهم بلازم ما يقولون به وتناقض آراء أئمتهم ثم يؤكد ذلك بإبطال حجة الخصوم من أدلتهم وأقوالهم وسلك ذلك المسلك من خلال رده على الجبرية[779] والمعتزلة والأشاعرة واتضح مما سبق أن كثرة ردود الإمام ابن تيمية إنما كانت على الأشاعرة؛ لانتشارهم قديماً وحديثاً ولوجود كثير من أفاضل العلماء والذين دخلوا في تلك الطائفة ثم عادوا لمنهج أهل السنة والجماعة أو ممن أخطؤوا متأولين مع أن شيخهم قد رجع إلى منهاج أهل السنة ولم يخالف إلا في أشياء يسيرة مغمورة في عظيم علمه وفضله.

4- تحفيفه لمنابع الشرك :

وهذا المنهج قد سلكه الإمام ابن تيمية ضمن تربيته العقدية، نظراً لحدوث خلل كثير في الأمور الاعتقادية ما بين غالٍ فيها وجافٍ فسلك هذا الإمام مسلكاً تربوياً في تأصيله لأمور المعتقد خاصة ما له تعلق بأمور الشِّرك سواء بمن حدث منه ذلك أو ما يشبهه أو لا ينقاد لحكم الشريعة الغراء وكذلك ماله تعلق بمشابهة المشركين أو اعتقاد العوام بمخلوق دون الباري – سبحانه وكذلك إيضاحه لموضوع المعين الواقع في أمثال تلك الأمور وهل هو معذور أم لا؟ سواء قلَّد غيره أم لُبِّس عليه من غيره

---

778 – نفسه، جـ 12 ص 180 بتصرف.

779 – وهم إحدى خمس فرق كفرهم الإمام ابن تيمية وهم: (1) الفلاسفة (2) الجهمية (3) الباطنية (4) الرافضة (5) القدرية كما ذلك الدكتور عبد المجيد المشعبي في كتابه: منهج ابن تيمية في مسألة التكفير، جـ2 ص351، 364، 375، 435، 455، مرجع سابق.



إنْ علم الحجة وتمكن من فهمها؛ ذلك "لأن التقليد عند قيام الدليل والتمكن من العلم به لا يصلح عُذراً"[780] ويتضح منهاجه في ذلك من خلال ما يلي:

بيانه لعظم الشرك:

حيث بين أهمية الانقياد بعقيدة التوحيد ونبذ الشرك والمشركين؛ ذلك لما للشرك من خطورة في بطلان عمل العامل وخلوده في النِّيران وبَيَّن ذلك من خلال:

المطلب الأول: ذكره لأنواع الشرك المختلفة:

طبيعة النفس البشرية ليست على نسق واحد في العبادة ولا في الشرك؛ لذلك كثرت الأمور الشركية واختلفت من عصر إلى عصر ومن بيئة إلى بيئة ومن أشخاص إلى أشخاص لكن حكم الجميع واحد وهي الخلود في النار؛ ولهذا أرسل الله الرسل للدعوة إلى إفراده بالعبودية دون من سواه ونبذ الشرك ومن يعبد من الطواغيت على اختلاف أنواعه كما في التنزيل: (ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا واجتنبوا الطاغوت)[781] إذاً فالشرك أنواع وليس نوعاً واحداً وهذا ما قرره الإمام ابن تيمية بقوله: "وكذلك الشرك أنواع مختلفة"[782] مثل عبادة غير الله أو الإشراك به وكذلك التقرب إلى غيره بأي نوع من أنواع العبادات القلبية أو اللسانية أو البدنية وكذلك شرك التحاكم لغير شريعة الله وموالاة غير المسلمين والمسلم يعتقد أن كل ما فيه مضرة ومفسدة فإن الشرع لا يأتي به مطلقاً والعكس أن ما فيه مصلحة فإن الشرع جاء به وألزم أتباعه إياه؛ ولهذا يقول الإمام ابن تيمية: "ويكفي المسلم أن يعلم أن الله لم يحرم شيئاً إلا ومفسدته محضة أو غالبة وأما ما كانت مصلحته محضة أو راجحة فإن الله شرعه؛ إذ الرسل بعثت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد

780 – الإمام البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بـ"تفسير البيضاوي"، ص 228، دار الجيل، بدون ط، بيروت – لبنان، بدون ت.

781 – سورة النحل الآية (36).

782 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ28 ص499، مرجع سابق.



وتقليلها"[783] وقد ذكر الإمام ابن تيمية أنواع الشـــرك في مصـــنفاته وتآليفه[784] محذراً منه ومبيّناً آثاره ومدى اهتمام الإســـلام بل وجميع الأنبياء من تركه والتقيد بالتوحيد والذي يجمع الأنواع الكثيرة قســـمان كما أشـــار إلى ذلك بقوله: "وجماع الأمر: أن الشرك نوعان: شرك في ربوبيته: بأن يجعل لغيره معه تدبيراً ما.

وشــرك في الألوهية: أن يُدعى غيره دعاء عبادة أو دعاء مســألة"[785] وقد ذكر أن جميع الأنبياء أتوا بضــد الشــرك بأنواعه فقال: "فالله –تعالى مســتحق أن نعبده لا نشرك به شيئاً، وهذا أصل التوحيد الذي بُعثت به الرسل وأنزلت به الكتب"[786] وهذا ما تضـمنته الشـهادتان: شـهادة أن لا إله إلا الله وشـهادة أن محمداً رسول الله فقال: فإن الشـــهادة لله بأنه لا إله إلا هو تتضـــمن إخلاص الإلهية له فلا يجوز أن يتأله القلب غيره لا بحب ولا خوف ولا رجاء ولا إجلال ولا إكرام ولا رغبة ولا رهبة بل لابد أن يكون الدين كله لله...

والشـهادة بأن محمداً رسول الله تتضـمن تصـديقه في كل ما أخبر وطاعته في كل ما أمر فما أثبته وجب إثباته وما نفاه وجب نفيه"[787] وقد أفاض في النهي والتحذير منه بأنواعه وراداً على شبهات المبطلين سالكاً بذلك منهاجاً ثابتاً في تربيته العقدية.

المطلب الثاني: كلامه في وجوب مخالفة المشركين ظاهراً وباطناً:

وقد سـلك الإمام ابن تيمية في تأصيل وبيان ذلك مبلغاً كبيراً، إذ ألف كتاباً خاصـاً بذلك سمَّاه: (اقتضـاء الصـراط المسـتقيم لمخالفة أصـحاب الجحيم) ذكر فيه حكم التشـبه بالمشـركين وغيرهم والدليل على ذلك الحكم وهو التحريم واستدل على ذلك بأدلة مستفيضـة من الكتاب والسـنة والإجماع وبالآثار الكثيرة عن السـلف الصـالح

783 – نفسه، جـ 27 ص178.

784 – ينظر لذلك مجموع الفتاوى، جـ1 ص159، ص 329، 524، جـ20 ص65، جـ27 ص178، اقتضاء الصراط المستقيم، جـ2 ص192، 199 – 202، مرجع سابق.

785 – شيخ الإسلام ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، جـ2 ص226 بتصرف، مرجع سابق.

786 – نفسه ، ص 365.

787 – نفسه، ص 374 - 375



وأكد على أهمية تميز المسلم في شخصيته ظاهراً وباطناً؛ لأن التشبه بالظاهر يؤدي إلى مفاسد وأضرار على الفرد وعلى المجتمع وبيَّن أن مشاركة المشركين في الظاهر ذريعة إلى الموالاة فقال: "ومشاركتهم في الظاهر إن لم تكن ذريعة أو سبباً قريباً أو بعيداً إلى نوع من الموالاة والموادة فليس فيها مصلحة المقاطعة والمباينة مع أنها تدعو إلى نوع ما من المواصلة كما توجبه الطبيعة وتدل عليه العادة"[788] وقد أكد على الترابط بين الظاهر والباطن فقال: "وهذه الأمور الباطنة والظاهرة بينهما ارتباط ومناسبة"[789] كما أشار[790] إلى أن مشاركة المشركين يوجب الاختلاط وعدم التميز وأن المخالفة لهم في الهدي الظاهر يوجب المفارقة وترك موجبات الغضب وقد ساق كثيراً من الأدلة في تقرير هذا الأصل وألمح إلى أن سبب اندراس الدين وظهور الكفر إنما أصله التشبه بالكافرين بقوله: "أصل دروس دين الله وشرائعه وظهور الكفر والمعاصي التشبه بالكافرين كما أن من أصل كل خير المحافظة على سنن الأنبياء وشرائعهم؛ ولهذا عَظُمَ وَقْعُ البدع في الدين وإن لم يكن فيها تشبه بالكفار إذا جمعت الوصفين"[791] وهكذا يذكر مؤصلاً وجوب مخالفة المشركين ظاهراً وباطناً؛ لما هنالك من ارتباط بينهما وما ينتج من ذلك من آثار ومضار.

- القضاء على الأماكن و المخلوقات المقدسة والمعبودة من دون الله عز وجل:

ذلك أن وجود مثل تلك الأماكن يكون بمثابة مصدر إفساد وإضلال للخلق كما أن سكوت علماء تلك الأماكن عن ذلك فيه فساد كبير؛ لهذا هبَّ شيخ الإسلام للقضاء على تلك الضلالات ويتضح ذلك من خلال ما يلي:

- كشفه القناع عن تلبيسات أهل الضلال وأحوالهم:

788 - نفسه، جا ص184.

789 - نفسه، ص 92.

790 - في ص 93 – 94.

791 - نفسه، ص 352.

وهذا الكشف تارة باللسان كما استتاب كثيراً من شيوخ الرفاعية والبطائحية وغيرهم كما كشف ضلال الذين يتبعون الشيخ يونس [وهي طائفة كانت مشهورة في عصره] حيث فرق بين خواصه وبين العوام المقلدين فقال: "وأما المنتسبون إلى الشيخ يونس فكثير منهم كافر بالله ورسوله لا يقرون بوجوب الصلوات الخمس وصيام شهر رمضان وحج البيت العتيق ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله بل لهم من الكلام في سب الله ورسوله والقرآن والإسلام يعرفه من عرفهم وأما من كان فيهم من عامتهم لا يعرف أسرارهم وحقائقهم فهذا يكون معه إسلام عامة المسلمين الذي استفاده من سائر المسلمين لا منهم"[792] وممن كشف عن تلبيساتهم ابن سينا وابن عربي والحلاج وابن سبعين ممن أفسدوا في الدين باسم صلاحه والزهد والتصوف والدين والزهد والتصوف برءاء منهم.

وكذلك كشف القناع عمن دخل في الإسلام وهو متستر بلباس أهل الشرك والطغيان كالقرامطة وإخوان الصفاء بل هم إخوان الشقاء كما بيَّن فساد الروافض الذين يتظاهرون بحب آل البيت وأشار إلى أن علماءهم يعظمون ملوكاً هم كانوا أفجر الخلق وكانوا سبب الخيانة العظمى ببغداد واستتاب أقواماً كثيرين وألزمهم بكلمة التوحيد قولاً وعملاً كما ألزم بالاحتكام إلى شريعة محمدٍ ρ وأشهد عليهم الأمراء.

- قضاؤه على بعض الخرافات المنتشرة:

وهذا الفعل منه كان حقيقة أو بالكتابة و له أهمية كبيرة حتى يجفف منابع الشرك كلها كما في موقفه من أهل جبل كِسْروان حيث انتصر عليهم ومعه الأمير ثم جمع كبراءهم واستتابهم وألزمهم بالانقياد إلى شريعة النبيّ محمدٍ ρ وبيده أيضاً نزع

792 - الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ2 ص106 – 107، مرجع سابق.



الأطواق من أعناق بعض المارقين واستتابهم وألزمهم بالشرع وذهب بنفسه[793] إلى صخرة كان يُشْرَكُ بالله عندها عند مسجد التاريخ فاصطحب معه تلاميذه والحجارين وقطعوها وأراحوا المسلمين منها ومن الشرك بها.

وقضاؤه على تلك الخرافات لم يقتصر على الفعل بيده فقط بل بالكتابة فقد ألف رسائل متعددة تفضح أولئك المارقين سواء من كبار المتبوعين إلى جهاد التابعين وقد كتب مؤلفات يبيّن فيها كذب مشاهد بدمشق والقدس ومصر ومكة [794] سواء قباب على قبور أنبياء أو صالحين أو أشياء مفتراة كذباً وزوراً ومنها ادعاءات كقبور لبعض الأنبياء -سوى سيِّدنا محمدٍ وسيِّدنا إبراهيم عليهما الصلاة والسلام وقبور للصحابة أو التابعين وقدبيَّن حكم ذلك حيث أشار إلى أن السلف الصالح مروا على مشاهد للأقوام الغابرين أو حتى عرفوا مقامات الأنبياء إن صحت نسبتها لهم ومع ذلك لم يعظموها ولم يشدوا الرحال من أجلها بل إن عمر رضي الله عنه وكذلك ابنه وغيرهما في القدس ما عظموا الصخرة ولا صلوا إليها وهكذا موقف شيخ الإسلام من تلك الخرافات فبيَّن بطلان ما يفعل عندها كما أنه ذكر الحق منها من الباطل مؤصلاً بذلك منهاجه التربوي للعقيدة من هذا الجانب العام في حياة الأمة الإسلامية.

عدم تكفيره لمخالفيه ممن كفَّره وغيرهم:

أمر التكفير عظيم الشأن وليس بالأمر الهين؛ ولهذا أشار بقوله: "فاعلم أن مسائل التكفير والتفسيق هي من مسائل الأسماء والأحكام التي يتعلق بها الوعد والوعيد في الدار الآخرة وتتعلق بها الموالاة والمعاداة والقتل والعصمة وغير ذلك في الدار الدنيا

793 – ذكر ذلك الإمام ابن كثير في البداية والنهاية، جـ14 ص 34، مرجع سابق، و **الجامعِ لسيرةِ شيخِ الإسلامِ ابنِ تيميةَ خلال سبعة قرون ص 134**، مرجع سابق،وينظر أيضاً إبراهيم بن أحمد الفياني "خادم شيخ الإسلام" ،ناحية من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق الشيخ محب الدين الخطيب، ص 8 ، المكتب الإسلامي لإحياء التراث،ط1،مصر،1425هـ-2003م ،وفي ص 11إشارة إلى أن فعل شيخ الإسلام هذا كان كرامة واستجابة لدعوة الإمام النووي .

794 – ذكر ذلك في بعض مؤلفاته منها في اقتضاء الصراط المستقيم، جـ2 ص160 -162، 348، التفسير الكبير، جـ7 ص555 – 559، مجموع الفتاوى، جـ 15 ص 49، جـ 17 ص 500، جـ27 ص 61.



فإن الله –سبحانه – أوجب الجنة للمؤمنين وحرم الجنة على الكافرين"[795] فهو حكم شرعي لا يقدم عليه المرء عصبية لفرد أو جماعة بل بما شرع الله سبحانه، ولهذا أشار بقوله: "ليس لكل من الطوائف المنتسبين إلى شيخ من الشيوخ ولا إمام من الإئمة أن يكفروا مَن عداهم"[796] وقد أكد تحذيره للتساهل في مسائل التكفير بقوله: "هذا مع أني ومن جالسني يعلم ذلك مني أني من أعظم الناس نهياً عن أن ينسب معين إلى تكفير وتفسيق ومعصية"[797] وقرر هذا المنهج التربوي العقدي في كثير من مؤلفاته ويتضح ذلك من خلال ما يلي:

– موقفه من تكفير المعيَّن:

التكفير من الأحكام الشرعية وله ماله من الأحكام المرتبطة به؛ لذلك حذَّر من التساهل فيها فليس كل من رأى عملاً أو قولاً أنه كفر كفَّر صاحبه على التعيين فلابد من شروط لهذا الحكم؛ لأن أمر التكفير وحتى التفسيق إنما هو راجع إلى الله – سبحانه وللرسول ρ ولهذا ألمح شيخ الإسلام بقوله: "فإن الكفر والفسوق أحكام شرعية ليس ذلك من الأحكام التي يستقل بها العقل فالكافر من جعله الله ورسوله كافراً والفاسق من جعله الله ورسوله فاسقاً كما أن المؤمن من جعله الله ورسوله مؤمناً..."[798] ويقرر ذلك في مواضع حتى إنه يذكر عن نفسه أنه من أعظم الناس نهياً عن التكفير أو التفسيق بغير بينة فقال: "هذا مع أني دائماً ومن جالسني يعلم ذلك مني أني من أعظم الناس نهياً عن أن ينسب معين إلى تكفير وتفسيق ومعصية إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافراً تارة وفاسقاً تارة أخرى وعاصياً أخرى"[799]؛ ولذلك كان يربِّي متعلميه على الدقة

795 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ12 ص 468، مرجع سابق.
796 – نفسه، جـ7 ص685.
797 – نفسه، جـ3 ص229.
798 – الإمام ابن تيمية، منهاج السنة، جـ5 ص92، مرجع سابق.
799 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ3 ص229، مرجع سابق.



في الأحكام خاصة العقدية منها إذ يعلمهم التفريق بين إطلاق القول بالتكفير وبين تكفير المعين كقوله لبعض مخالفيه: "وكنت أُبيِّن لهم أن ما نُقل لهم عن السلف والأئمة من إطلاق القول بتكفير من يقول كذا وكذا فهو أيضاً حق لكن يجب التفريق بين الإطلاق والتعيين"[800] وإطلاق التكفير هو أن كل من قال كذا أو فعل كذا من الأمور المكفرة فهو كافر وأما التعيين فهو قول: هذا القائل أو الفاعل لكذا كافر.

فإطلاق التكفير بالعيين دون إقامة حجة لا يجوز إذ هو افتراء على أحكام الله ورسوله ρ ويتبع ذلك ما يتبعه من أمور الموالاة والمعادة لهذا الشخص ومَنْ ينصره أو ينتصر له وبهذا تحدث الفرقة بين أفراد الأمة ثم يتبع ذلك دفنه في مقابر المشركين وبطلان نكاحه وشهادته وولايته وإمامته وذبيحته و... فقد تكون هناك أمور تمنع ذلك المعين من التكفير[801] من كونه حديث عهد بإسلام أو نشأ ببادية أو لم يسمع النصوص التي جحدها أو سمعها ولم تثبت عنده أو عارضها معارض آخر أوجب تأويلها وإن كان مخطئاً؛ لهذا فهناك شرطان لتكفير المعين هما[802]:

الأول: أن يقصد المعين بكلامه [أو أفعاله] المعنى المكفر .

الثاني: قيام الحجة:

أي أنه لابد من التزام الشخص المعين قوله أو فعله وتقام عليه الحجة وإلى هذا أشار الإمام ابن تيمية بقوله: "ليس كل من تكلم بالكفر يكفر حتى تقوم عليه الحجة المثبتة لكفره فإذا قامت عليه الحجة كفر حينئذٍ... فلازم المذهب ليس بمذهب إلا أن يستلزمه صاحب المذهب فخلق كثير من الناس ينفون ألفاظاً ويثبتونها بل ينفون معاني أو يثبتونها ويكون ذلك مستلزماً لأمور هي كفر وهم لا يعلمون بالملازمة بل

800 – نفسه، ص 230.
801 – ينظر لذلك مجموع الفتاوى، جـ3 ص330 – 331، مرجع سابق.
802 – د. عبد المجيد المشعبي، منهج ابن تيمية في مسألة التكفير جـ1 ص209، 212، مرجع سابق.



يتناقضون"[803] وقال: "فالصواب أن مذهب الإنسان ليس بمذهب له إذا لم يلتزمه فإنه إذا كان قد أنكره ونفاه كانت إضافته إليه كذباً عليه بل ذلك يدل على فساد قوله وتناقضه في المقال غير التزامه اللوازم التي يظهر أنها من قبيل الكفر"[804] ثم بعد التزامه بذلك المذهب الفاسد يجب أن تقام عليه الحجة الرِّسالية وإلى ذلك ألمح شيخ الإسلام بقوله: "حكم الوعيد [عليه بالكفر] لا يثبت في حق الشخص المعين حتى تقوم عليه حجة الله التي بعث بها رسله كما قال تعالى: (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً)[805] [806] والإمام ابن تيمية لم يثبت التكفير للمعين إلا بهذين الشرطين: أن يقصد المعين بكلامه [أو أفعاله] المعنى المكفر وقيام الحجة الرِّسالية التي من خالفها ناله حكم التعيين "واشترط في قيام الحجة أن تُوضَّح إيضاحاً تاماً حتى تتبيَّن معاندة مَنْ خالفها بعد ذلك للرسول ρ حتى لا يكون لمن قامت عليه الحجة حجة بعد الرسل فقال – رحمه الله بعد إيراده لحديث [الصحيحين في] الرجل الذي طلب من أهله أن يحرقوه إن مات: (فهذا اعتقد أنه إذا فعل ذلك لا يقدر الله على إعادته وأنه لا يعيده أو جوز ذلك وكلاهما كفر لكن كان جاهلاً لم يتبيَّن له الحق بياناً يكفر بمخالفته فغفر الله له"[807] وقرر ذلك بقوله: "فليس لأحد أن يكفِّر أحداً من المسلمين وإن أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجة وتُبيَّن له المحجة، ومن ثبت إيمانه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة إزالة الشبهة"[808] وأكد على أهمية فهم الحجة والتزام لوازم الأقوال والأفعال بقوله: "ولهذا كنت أقول للجهمية من الحلولية والنفاة الذين نَفَوْا أن الله –تعالى فوق العرش لما وقعت محنتهم:

---

803 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ5 ص306.

804 – نفسه، جـ20 ص217.

805 – سورة الإسراء الآية (15).

806 – شيخ الإسلام ابن تيمية، بُغية المرتاد، ص 311، مرجع سابق ووجد بالأصل ".. على لاكفر" ولعل ما كتبته الصواب.

807 – الإمام ابن تيمية، الرد على البكري، تحقيق محمد علي عجال، جـ2 ص493، مكتبة الغرباء الأثرية، ط1، المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية، 1417هـ، وينظر لذلك مجموع الفتاوى، جـ3 ص231، جـ7 ص619، جـ28 ص501، الاستقامة جـ1 ص164، بغية المرتاد ص 309 – 310، د. عبد المجيد المشعبي، منهج ابن تيمية في مسألة التكفير، جـ1 ص216، مرجع سابق.

808 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ12 ص501، مرجع سابق.



أنا لو وافقتكم كنت كافراً؛ لأني أعلم أن قولكم كفر وأنتم عندي لا تكفرون؛ لأنكم جهال" وكان هذا خطاباً لعلمائهم وقضاتهم وشيوخهم وأمرائهم، وأصل جهلهم شبهات عقلية حصلت لرؤوسهم في قصور من معرفة المنقول الصحيح والمعقول الصريح الموافق له"[809] وقال: "فإنا بعد معرفة ما جاء به الرسول نعلم بالضرورة أنه لم يشرع لأمته أن تدعو أحداً من الأموات: لا الأنبياء ولا الصالحين ولا غيرهم لا بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها ولا بلفظ الاستعاذة ولا بغيرها كما أنه لم يشرع لأمته السجود لميت ولا لغير ميت ونحو ذلك بل نعلم أنه نهى عن كل هذه الأمور وأن ذلك من الشرك الذي حرمه الله تعالى ورسوله لكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى يتبيَّن لهم ما جاء به الرسول ρ مما يخالفه"[810] وهكذا كان مسلك الإمام ابن تيمية في تربيته للعقيدة أنه ينهج منهج السلف الصالح حيث لا إفراط ولا تفريط فلا يسكت عن كفر ولا يكفر بدون حجة ومسلك الإمام هذا هو المسلك الذي جاءت الشريعة به؛ إذ لا يعذِّب الله من لم تقم عليه الحجة كما أنه لا يتساوى عند الله من بلغته الحجة كأبي طالب فأباها، وهذا هو عين الحق.

موقفه من المؤولين:

وهؤلاء المؤولة من أهل العلم أما من يقع في التأويل من أهل الجهل فيكفيه جهله عذراً. ومنهاج الإمام ابن تيمية مع المؤولين هو الموقف المنشود والذي يجب أن يتحلى به كل مسلم إذ إنه لم يبخس مخالفيه الحق بل حكم وأعطى كلاً ما يستحقه وموقفه معهم كالتالي:

1- الاعتذار لأهل الصلاح والفضل عما وقعوا فيه من بدعة عن اجتهاد[811]:

809 – شيخ الإسلام ابن تيمية، الرد على البكري، جـ2 ص494، مرجع سابق.

810 – نفسه، ص 731.

811 – د. أحمد الجليبي، أصول الحكم على المبتدعة عند شيخ الإسلام ابن تيمية، ص 67، مرجع سابق.



وهذا الاعتذار يرجع لما لهؤلاء من مواقف تدل على أنهم ما قصدوا عين البدعة لكن تأولوا فأخطأوا فلهم أجر لقول رسول الله ρ: "إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر"[812]؛ ولهذا اعتذر عنهم الإمام ابن تيمية بقوله: "لكن شيوخ أهل العلم الذين لهم لسان صدق وإن وقع في كلام بعضهم ما هو خطأ منكر فأصل الإيمان بالله ورسوله إذا كان ثابتاً غفر لأحدهم خطأه الذي أخطأه بعد اجتهاده"[813] وبقوله أيضاً عن الخطأ مع حُسن التوجه: "وسبب ذلك أن همة أحدهم المتعلقة بمطلوبه ومحبوبه ومعبوده تغنيه عن نفسه حتى لا يشعر بنفسه وإرادتها فيظن أنه يفعل لغير مراده والذي طلب وعلق به همته غاية مراده ومطلوبه ومحبوبه وهذا كحال كثير من الصالحين والصادقين وأرباب الأحوال والمقامات يكون لأحدهم وَجْدٌ صحيح وذوق سليم لكن ليس له عبارة تبيّن كلامه فيقع في كلامه غلط وسوء أدب مع صحة مقصوده"[814].

2- إظهار ما عندهم من خير وصلاح ونصرة للإسلام والمسلمين:

ومن أبرز من تكلم عنهم شيخ الإسلام الأشاعرة فإنه ذكر خيرهم وصلاحهم وما هم عليه من نصرة الإسلام والمسلمين وردهم على الطاعنين والمبتدعين وذكر أنهم أهل السنة في البلاد التي يغلب عليها أهل البدع والرفض فقال: "فإنهم أقرب طوائف أهل الكلام إلى السنة والجماعة والحديث وهم يعدون من أهل السنة والجماعة عند النظر إلى مثل المعتزلة والرافضة وغيرهم بل هم أهل السنة والجماعة في البلاد التي يكون أهل البدع فيها هم المعتزلة والرافضة ونحوهم"[815] وهذا هو الإنصاف وعلى هذا تعلم منه تلاميذه.

3 – عدم الدعاء عليهم بل الدعاء لهم:

812 – رواه البخاري(24/ 166) الفتح ، رقم 7352، مرجع سابق. ومسلم (11/ 395 بشرح النووي)، رقم (4584)، مرجع سابق

813 – شيخ الإسلام ابن تيمية، الصفدية، جـ1 ص265، مرجع سابق.

814 – شيخ الإسلام ابن تيمية، بيان تلبيس الجهمية، جـ2 ص87، مرجع سابق.

815 – شيخ الإسلام ابن تيمية، بيان تلبيس الجهمية، جـ2 ص87، مرجع سابق.



وهذا كان جلياً إذ أنه لم يعهد عليه دعاء على من خالفه بل العكس صحيح، إذ كان يدعو لهم وعلى هذا المنهج العقدي تربَّى أنجب تلاميذه العلامة ابن القيّم كما حكى ذلك بقوله: "وما رأيته يدعو على أحدٍ منهم قط وكان يدعو لهم، وجئتُ يوماً مبشراً له بموت أكبر أعدائه وأشدهم عداوة وأذىً له فنهرني وتنكر لي واسترجع ثم قام من فوره إلى بيت أهله فعزاهم وقال: إني لكم مكانه ولا يكون لكم أمر تحتاجون فيه إلى مساعدة إلا وساعدتكم فيه ونحو هذا من الكلام فَسُرُّوا به ودعوا له وعظموا هذه الحال منه فرحمه الله ورضي عنه"(816) وهذا حال المربِّين الكبار من هذه الأمة حيث يربطون تربيتهم بمعتقدهم.

4- وجوب حفظ أعراض علماء المسلمين المتأولين:

فليس كل من تأول من العلماء يصبح عرضه مشاعاً للسائمن بل لهم منزلتهم كما هي قبل التأويل فلا يطلق اللسان بتكفيرهم أو تفسيقهم أو تبديعهم لمجرد أن كلامه أو رأيه ترك، ولهذا يشير بقوله: "وقد اتفق أهل السنة والجماعة على أن علماء المسلمين لا يجوز تكفيرهم بمجرد الخطأ المحض بل كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله وليس كل من يترك بعض كلامه لخطأ أخطأه يكفر ولا يفسّق بل ولا يأثم؛ فإن الله –تعالى قال في دعاء المؤمنين: (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا)(817) وفي الصحيح عن النبيِّ أن الله –تعالى قال: قد فعلت"(818)؛ لأن العلماء ما قالوا هذا إلا لاجتهادهم و إنهم معظمون لما جاء به الرسول ρ في الجملة.

5 – عدم معاملتهم بجنس فعلهم بل بما يوافق الشرع:

فلا يقابل المسلم البدعة ببدعة أخرى فالمعادون للإمام ابن تيمية حاولوا إيذاءه بكل وسيلة ومنهم من كفره ولكن قابلهم بما أملاه عيه اعتقاده وكان ذلك جلياً حينما

816 – الإمام ابن اقيم، مدارج السالكين، جـ2 ص 281، مرجع سابق.
817 – سورة البقرة الآية (286).
818 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ35 ص100، مرجع سابق.



خاطب علماء الجهمية من الحلولية وقضاتهم وأمراءهم وقد كفره من كفره فقال في ذلك: "فلهذا لم نقابل جلهه وافتراءه بالتكفير بمثله كما لو شهد شخص بالزور على شخص أو قذفه بالفاحشة كذباً عليه لم يكن له أن يشهد عليه بالزور ولا أن يقذفه بالفاحشة"[819] وأيضاً حينما عفا عمن آذاه من العلماء ثم إنه لم سُجن في مصر أرسل برسالة إلى أهله وأصحابه قال فيها: "... وأول ما أبدأ به من هذا الأصل [أي: إصلاح ذات البين وعدم الفرقة] ما يتعلق بي فتعلمون –رضي الله عنكم أني لا أحب أن يؤذى أحد من عموم المسلمين فضلاً عن أصحابنا بشيء أصلاً لا باطناً ولا ظاهراً ولا عندي عتب على أحد منهم ولا لوم أصلاً بل لهم عندي من الكرامة والإجلال والمحبة والتعظيم أضعاف أضعاف ما كان كل بحسبه ولا يخلو الرجل إما أن يكون مجتهداً مصيباً أو مخطئاً أو مذنباً فالأول مأجور مشكور والثاني مع أجره على الاجتهاد فمعفو عنه مغفور له والثالث فالله يغفر لنا وله ولسائر المؤمنين"[820] وقال: "... فلا أحب أن ينتصر من أحد بسبب كذبه عليَّ أو ظلمه وعدوانه فإني قد أحللت كل مسلم وأنا أحب الخير لكل المسلمين وأريد بكل مؤمن من الخير ما أحبه لنفسي"[821] قال هذا في أواخر عمره حيث جعل كل مَنْ آذاه – لا عن قصد الفساد في الدين والمعادة للدين في حل فترك بذلك منهجاً تربوياً عملياً رآه أصحابه وتلاميذه ونهلوا منه والذي دفعه لسلوك ذلك المنهج إنما هو حُسن اعتقاده بربِّه –سبحانه وبما عنده وأن ما عند الله خير وأبقى وأن الدنيا ليست أهلاً لتكون سبباً يتمنى المسلم لأخيه المسلم بسببها سوء اً بل هي دار ممر لدار خالدة أبدية.

5- القدوة والسُّلوك :

---

819 – شيخ الإسلام ابن تيمية، الرد على البكري، جـ2 ص494، مرجع سابق.

820 – الإمام ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص 204، مرجع سابق.

821 – نفسه، ص 206.



التقليد والمحاكاة من الأمور التي جُبل عليها بنو آدم، وكلما كان الذهن خالياً كان ذلك أدعى إلى التقليد والمحاكاة؛ لذا تكون في الصِّغر أكثر بكثير منها في المراحل الأخرى كما أنها تكون في مرحلة التعلم لا في المرحلة التي ينضج فيها الإنسان؛ لأنه حينئذٍ سيتجه إلى الإبداع والابتكار وللقدوة أثر فعال في حياة المخلوقين إذ عن طريقها تنتقل ثقافات وتربية ومعيشة الأجيال... وفي القرآن الكريم والسنة المطهرة ثم في سير الصالحين أروع الأمثلة على ذلك... والمسلم ما أُمر بتقليد مخلوق مطلقاً إلا المصطفى ρ ؛ لأنه معصوم وكل ما يفعله ويسكت عنه الوحي فهو من عند الله سبحانه... ومن الأئمة الذين برزت القدوة في حياتهم قولاً وعملاً الإمام ابن تيمية إذ كانت تربيته لتلاميذه ومن جاء بعده من خلال الاقتداء به في جميع الأمور دينية كانت أو دنيوية إلا ما لها علاقة بالنقص البشري فلا ويتضح ذلك من خلال ما يلي:

الأول: تقيده والتزامه بما في الكتاب والسنة:

وهذا كان بيناً منذ نعومة أظفاره؛ إذ نشأ وكبر على تعلم الكتاب والسنة وما يتعلق بهما ثم لما اشتد عوده وكبر ما كان يفتي إلا بما في الكتاب والسنة.

- تعظيمة لما في الكتاب والسنة:

وتعظيم الكتاب والسنة من وصف به فقد تبوأ مكانة رفيعة" وتبتديء هذه المكانة (مكانة القبول والولاية) باتباع السنة وتنتهي بكمال اتباع السنة، وقد اعترف الناس جميعاً حتى الأعداء بشغف شيخ الإسلام بالسنة وانهماكه في الحديث، ولم يكن هذا الشغف والانهماك علمياً أو نظرياً فقط وإنما كان يتصل بالسنة عملياً وفي الظاهر"[822] وقد وصفه أهل التاريخ والسير بأنه كان "معظماً للشرائع ظاهراً وباطناً"[823] ووصفه آخر بقوله: "ما رأينا في عصرنا هذا من تستجلى النبوة المحمدية

822 – الشيخ أبو الحسن الندوي، رجال الفكر والدعوة في الإسلام، ص 166، مرجع سابق.

823 – ذكر هذا تلميذه الإمام الذهبي ونقله عنه الإمام الشوكاني في البدر الطالع، جـ1 ص65، مرجع سابق.



وسنتها من أقواله وأفعاله إلا هذا الرجل بحيث يشهد القلب الصحيح أن هذا هو الاتباع حقيقة"[824] وهكذا طبق علمه بأفعاله فكان قدوة لتلاميذه المعاصرين له فأصبحوا أئمة بعده ثم كان قدوة للعلماء والأئمة من بعدهم "وإذا نظر المنصف إليه بعين العدل يراه واقفاً مع الكتاب والسنة لا يميله عنهما قول أحد كائناً من كان ولا يراقب في الأخذ بعلو مهما أحداً"[825] وكان يدور دائماً في الكتاب والسنة ويؤكد دائماً على حرمة الخروج عنهما بقوله: "وليس لأحد الخروج عن شريعة محمدٍ ρ ولا الخروج عن كتاب الله وسنة رسوله"[826] ويظهر ذلك جلياً من خلال كتبه وتآليفه كلها أنه ما خالف نصاً من كتاب الله ولا سنة رسوله ρ ومن خالف في ذلك فعليه بالدليل... وأنى له الدليل؟! والإمام ابن تيمية لا يدعو إلا إلى التقيد بالدليل وما حدث له من محن إلا بتقيده بالدليل فكان ذلك درساً عملياً وتربية واقعية لتلاميذه ومن بعدهم.

- وضوح مفاهيم الإيمان والكفر والولاء والبراء والسنة والبدعة عنده بالنسبة للمخالفين من كافرين وغيرهم:

وهذه المفاهيم لو حدث فيها أو في واحد منها خلط أو التباس دخل في قلب صاحبها والآخرين ما لا تحمد عقباه؛ ذلك أن أمر العداء والبراء للكافرين أو المنحرفين من المنتسبين للإسلام أمر والمعاملة بالحسنى أمر آخر فالمسلم لا يوالي الكافرين لكن يحسن معاملتهم ومعاشرتهم، وقد تجلى هذا حينما دخل الإمام ابن تيمية على قازان ما رضي بفك أسرى المسلمين فقط بل فك أسرى الذميين من أهل الكتاب[827] وقد قرر هذا الإمام ابن تيمية نفسه حينما أرسل لملك قبرص رسالة فقال له مبيناً موقفه من أهل الكتاب: "وقد عرف النصارى كلهم أني لما

---

824 – الشيخ الواسطي، التذكرة والاعتبار، ص 30، مرجع سابق.
825 – الحافظ البزار، الأعلام العلية، ص 71، مرجع سابق.
826 – الإمام ابن تيمية، مجموعة الرسائل، جـ1 ص137، مرجع سابق.
827 – الشيخ محمداً بو زهرة، ابن تيمية، ص 39، مرجع سابق.



خاطبت التتار في إطلاق الأسرى وأطلقهم غازان وقطلوشاه وخاطبت مولاي فيهم فسمح بإطلاق المسلمين قال لي لكن معنا نصارى أخذناهم من القدس فهؤلاء لا يطلقون فقلت له: بل جميع من معك من اليهود والنصارى الذين هم أهل ذمتنا فإنا نفتكهم ولا ندع أسيراً لا من أهل الملة ولا من أهل الذمة وأطلقنا من النصارى من شاء الله فهذا عملنا وإحساننا والجزاء على الله، وكذلك السبي الذي بأيدينا من النصارى يعلم كل أحد إحساننا ورحمتنا ورأفتنا بهم كما أوصانا خاتم المرسلين"[828]

هذا موقف من مواقفه لمدى عمق فهمه لمفهومي الإيمان والكفر والولاء والبراء فالبغض شيء والمعاملة بالحسنى شيء آخر، وكذلك مفهوم السنة والبدعة واضحة تمام الوضوح حيث عُرف عنه التقيد بالسنة وبغض البدعة والتحذير منها في حيث ميَّز بين البدعة والسنة في الأمر من قبل الوحي فقال: "وقد قررنا في القواعد في قاعدة السنة والبدعة أن البدعة: هي الدين الذي لم يأمر اللهُ به ورسوله فمن دان ديناً لم يأمر اللهُ ورسوله به فهو مبتدع"[829] وقرر أن البدعة هي مرقاة الفساد[830] وكان يقول: "العبادة مبناها على السنة والاتباع لا على الهوى والابتداع "[831] وله مؤلفات كثيرة مطولات ومختصرات في بيان السنة والتحذير من البدعة مما يدل على وضوح ذلك بالنسبة إليه.

- كونه أُنْمُوذَجاً عملياً لما قرره في كتبه:

وهذا الأمر من الأمور الهامة جداً بالنسبة للمربِّي حيث إن المتعلمين أول ما ينظرون إلى فعاله ومدى مطابقتها مع أقواله... وشيخ الإسلام طبق ذلك عملياً فإن كان قد كتب في الجهاد وفضله فإنه كان البطل الشجاع المغوار وإن تكلم عن طاعة أولي الأمر من المسلمين وحرمة الخروج عليهم فإن حياته كانت شاهدة على ذلك بل

828 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ28 ص 617، مرجع سابق.

829 – شيخ الإسلام ابن تيمية، الاستقامة، جـ 1 ص5، مرجع سابق.

830 – شيخ الإسلام ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، جـ6 ص426، مرجع سابق.

831 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ27 ص 86، مرجع سابق، وينظر جـ1 ص141.

كان ينصح لهم ويدعو لهم وهكذا في الكرم وغير ذلك من الأمور ، ويتضح ذلك من خلال الآتي:

أ- اطمئنانه لأمر الله عز وجل في كل شيء:

وهذا من أقوى أغذية الروح وثبات القلب وسكينته والتسليم لأمره فإنه كثيراً ما أوذي في سبيل نصرة الحق وبرز ذلك لما أخذ المحققون الظلمة يستجوبونه فرد عليهم بقسوة وأحرجهم فجاءه إنسان يحذره من بطش أولئك وإرادتهم الفتك به فما زاده ذلك إلا يقيناً بالله سبحانه وقد أشار إلى ذلك الإمام ابن عبد الهادي تلميذ الشيخ بقوله عمن شهد ذلك: "وقال له إنسان: يا سيدي قد أكثر الناس عليك فقال: إن هم إلا كالذباب، ورفع كفه إلى فيه ونفخ فيه".

قال: وقام وقمنا معه حتى خرجنا فأتى بحصان فركبه وهو يختال بذؤابته فلم أر أحداً أقوى قلباً ولا أشد بأساً منه"[832] ولهذا يقول: "لن يخاف الرجل غير الله إلا لمرض في قلبه"[833] وهذا وغيره إنما هو ثمرة للمعتقد الصحيح هذا "ولقد سُجن أزماناً وأعصاراً وسنين وشهوراً، ولم يولِّهم دبره فراراً، ولقد قصد أعداؤه الفتك به مراراً وأوسعوا حيلهم عليه إعلاناً وإسراراً فجعل الله حفظه منهم له شعاراً ودثاراً"[834] فكان مطمئناً لأمر ربِّه عز وجل في كل وقد تكلم على أحكام الله فقال: "فكل ما يقضيه الله تعالى هو من نعمته على عباده"[835] وكان يقول: "كل ما يقضيه الله تعالى فيه الخير والرحمة و الحكمة"[836] فكان مطمئناً لأمر الله تعالى حتى رأى مَنْ رأى ذلك منه في السِّلْم وفي الحرب[837] فكان له أكبر الأثر في متعلميه ومَنْ بعده

832 – الإمام ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص 209، مرجع سابق.

833 – الحافظ البزار، الأعلام العلية، ص66، مرجع سابق.

834 – نفسه، ص 70.

835 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج16 ص170، مرجع سابق.

836 – نفسه، ج28 ص47، الإمام عبد الهادي، العقود الدرية، ص 290، مرجع سابق.

837 – ينظر لذلك الأعلام العلية، للحافظ البزار، ص 62، 71، مرجع سابق.



من العلماء والصالحين والذين يسلكون مسلكه من قول الحق والثبات عليه والتقيد المطلق بشريعة سيِّدنا محمدٍ ρ.

ب- تسلِّيه بالقدر مع أخذه بالأسباب والعمل:

وتسِّلي المؤمن بقدر الله تعالى مع الأخذ بالأسباب هو من الإيمان؛ لأن القدر أحد الأركان الستة للإيمان وهو واجب الاعتقاد وقد فصل الإمام ابن تيمية القول في القدر وحكمه والرد على الطاعنين فيما يزيد عن خمسمائة صفحة ومن أقواله في القدر ما اعتقده الإمام أحمد: "والقدر هو قدرة الرحمن كما قال الإمام أحمد"[838] وقد قرر ذلك الإمام ابن تيمية في مطلع رسالة أرسلها من مصر إلى دمشق وهو غريب بقوله: "فإن الله –وله الحمد قد أنعم عليَّ من نعمه العظيمة ومِنَّتِهِ الجسيمة وآلائه الكريمة ما هو مستوجب لعظيم الشكر، والثبات على الطاعة واعتبار حُسن الصبر على فعل المأمور، والعبد مأمور بالصبر في السراء أعظم من الصبر في الضراء"[839] وقال في تعريفه للعبادة: "العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال الباطنة والظاهرة"[840] فقرن العمل بالاعتقاد وهذا شرعنا الحنيف لا يأمر باعتقاد بلا عمل ولا يأمر بعمل بلا اعتقاد بل بكل منهما.

ولما سُجن وأُخرج وأرادوا الفتك به فقال معتقداً بقضاء رِّبه مسلياً نفسه بذلك: "ما يصنع أعدائي بي؟! أنا جنتي وبستاني في صدري[841] أين رحت فهي معي لا تفارقني؛ إن حبسي خلوة وقتلي شهادة وإخراجي من بلدي سياحة"[842] وكان يرى الابتلاء منحة لا محنة وسبباً لزكاة النفس فيقول:

838 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى ، جـ8 ص308، مرجع سابق.

839 – الإمام ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص 202، مرجع سابق، وينظر لذلك مجموع الفتاوى، جـ1 ص85.

840 – الإمام ابن تيمية، رسالة العبودية – مجموعة التوحيد، ص 385، مرجع سابق.

841 – يعني بذلك إيمانه وعلمه.

842 – الإمام ابن القيم، الوابل الصيب، ص 79، مرجع سابق.



"النفس لا تزكو وتصلح حتى تمحص بالبلاء كالذهب الذي لا يَخْلُص جيّده من رديئه حتى يفتن في كير الامتحان"[843] فهذه حاله وقال في رسالة أرسلها لبعض أصحابه وهو سجين: "والصابر الشكور هو المؤمن الذي ذكره الله في غير موضع من كتابه، ومَنْ لم ينعم الله عليه بالصبر والشكر فهو بشرِّ حال وكل واحد من السراء والضراء في حقه تُفْضي به إلى قُبح المآل"[844] فمن كانت هذه أحواله فإنه لدليل على عظيم شأنه وولايته وأنه من كبار المرِبّين الأفذاذ الذين طبقوا ما قالوه في واقع الحياة العملية مما كان له أكبر الأثر في حياة المتعلمين لهم في كل حين.

ج- تجريده العبودية لله عز وجل:

وهذا حال الأنبياء والصديقين والصالحين؛ إذ يجعلون العبودية هي هدفهم الأساسي الذي تندرج تحته الدنيا فما دونها وقد أكثر الإمام ابن تيمية من ذكر العبادة والعبودية في مؤلفاته مؤصلاً لها ولما يتعلق بها من أحكام وقضايا بل وله رسالة خاصة تحمل اسم "العبودية" وهذه العبودية كانت غايته ونهاية مطلوبه وقد رآه المتعلمون منه ليلاً ونهاراً: أما الليلية فقد وصفه تلميذه بقوله: "وكان في ليله متفرداً عن الناس كلهم خالياً بربه عز وجل ضارعاً مواضباً على تلاوة القرآن العظيم مكرراً لأنوا ع التعبدات الليلية والنهارية وكان إذا أحرم بالصلاة تكاد تنخلع القلوب لهيبة إتيانه تكبيرة الإحرام، فإذا دخل في الصلاة ترتعد أعضاؤه حتى يميل يمنة ويسرة"[845].

وأما في ليله فوصفه بقوله فكان يبدأ بصلاة الفجر[846] ثم يختم صلاته ويدعو له وللمسلمين وإذا رأى منكراً في طريقه أزاله أو سمع بجنازة سارع بالصلاة عليها أو تأسف على فواتها وربما ذهب إلى قبر صاحبها فصلى عليه.

843 – الإمام ابن القيم، الفوائد ، ص 254، مرجع سابق.

844 – الإمام الآلوسي، غاية الأماني في الرد على النبهاني، جـ2 ص 269 – 270، مرجع سابق.

845 – الحافظ البزار،الأعلام العلية، ص 35، مرجع سابق.

846 – نفسه، ص 37 – 40 بتصرف واختصار.



ثم يعود إلى مسجده[847] فلا يزال تارة في إفتاء الناس وتارة في قضاء حوائجهم حتى يصلي الظهر مع الجماعة ثم كذلك بقية يومه...

ثم يصـــلي المغرب ثم يتطوع بما يسَّـــره الله ثم أقرأ عليه من مؤلفاته أو غيري فيفيدنا بالطرائف ويمدنا باللطائف حتى يصـلي العشــاء ثم بعدها كما كنا وكان من الإقبال على العلوم إلى أن يذهب هَوِيٌّ من الليل طويل وهو في خلال ذلك كلِّه في النهار والليل لا يزال يذكر الله تعالى ويوحِّده ويستغفره... وكان في كل أسبوع يعود المرضى وأخبرني غير واحد ممن لا يُشـكُّ في عدالته أن جميع زمن الشـيخ ينقضـي على ذلك فأي عبادة وجهاد أفضل من ذلك؟! فسبحان الموفق من يشاء لما يشاء.

وهذا التجريد للعبودية يظهر ويبرز من خلال ما يلي:

*كثرة استغفاره لله عز وجل:

وهذه الكثرة دليل على حياة القلب إذ المسـتغفر دائم التطلع لما عند الله ودائم النظر إلى حسـناته وسـيئاته... والإمام ابن تيمية وصـفه تلاميذه أنه "كان دائم الابتهال كثير الاســـتعانة بالله قوي التوكل ثابت الجأش له أوراد يديمها"[848] وكان يقرر في تآليفه احتياج العباد للاســـتغفار بقوله: "فإن العباد لابد لهم من الاســـتغفار أولهم وآخرهم"[849] ولأهمية التوحيد يقول:" قوام الدين بالتوحيد والاســـتغفار"[850] وقد ذكر أن من لازم عليه كان سـبباً له في حصـول فضـل الله له[851] وكان يعدد فضـل الاسـتغفار بقوله: "الاسـتغفار يخرج العبد من الفعل المكروه إلى الفعل المحبوب، من العمل الناقص إلى العمل التام ويرفع العبد من المقام الأدنى إلى الأعلى منه والأكمل، فإن العابد لله والعارف بالله في كل يوم بل في كل سـاعة بل في كل لحظة يزداد علماً

847 – وهو الآن مصلىً صغير يسمى (جامع القرشي) الواقع في الجهة الشمالية من مدخل حارة القرشي في الميدان الوسطاني على الطريق العام الذي يبدأ من باب الجابية – في دمشق – وينتهي في آخر حي الميدان عند المكان المسمى (بوابة الله) والبعض يقول: باب مصر. تعليق الأستاذ زهير الشاويش على الأعلام العلية، ص38 التعليق (1).

848 – الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، العلماء الغزاب، ص 169، مرجع سابق.

849 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى ، جـ3ص120، مرجع سابق.

850 – نفسه، جـ10 ص89، وينظر ص 62، جـ11 ص690.

851 – نفسه، جـ 11 ص390.



بالله وبصيرة في دينه وعبودتيه بحيث يجد ذلك في طعامه وشرابه ونومه ويقظته وقوله وفعله ويرى تقصيره في حضور قلبه في المقامات العالية وإعطائها حقها فهو يحتاج إلى الاستغفار آناء الليل وأطراف النهار... وقد ثبتت دائرة الاستغفار بين أهل التوحيد واقترانها بشهادة أن لا إله إلا الله [يشير إلى قوله تعالى: (فاعلم أنه لا إله إلى الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات)[852]] من أولهم لى آخرهم ومن آخرهم إلى أولهم... فشهادة أن لا إله إلا الله بصدق ويقين تذهب الشرك كله دقه وجله خطأه وعمده...

والاستغفار يمحو ما بقي من عثراته... فالتوحيد يذهب أصل الشرك والاستغفار يمحو فروعه فأبلغ الثناء قوله: لا إله إلا الله وأبلغ الدعاء قول: أستغفر الله فأمره بالتوحيد والاستغفار لنفسه ولإخوانه من المؤمنين"[853] فكلامه هذا لا يصدر إلا ممن يعايش هذا الاستغفار ويداوم عليه وقد أرسل برسالة من سجنه إلى أهله وأصحابه وذلك قبل موته بشهر ونصف كما ذكر ذلك تلميذه الإمام ابن عبد الهادي حيث يقول ناقلاً عنه: "فالعبد عليه أن يشكر الله ويحمده دائماً على كل حال ويستغفر من ذنوبه فالشكر يوجب المزيد من النِعم والاستغفار يدفع النِّقم"[854] ومن كثرة مداومته على الاستغفار أنه كان إذا أشكل عليه شيء من مسائل العلم يستغفر ألف مرة وهذا منذ بدئه في الطلب كما حكى ذلك الإمام الذهبي عمن كان معه: "إنه ليقف خاطري في المسألة أو الشيء أو الحالة تشكل عليَّ فأستغفر الله –تعالى ألف مرة أو أكثر أو أقل حتى ينشرح الصدر وينحل إشكال ما أشكل قال: وأكون إذا ذاك في السوق أو المسجد أو الدرب أو المدرسة لا يمنعني ذلك من الذكر والاستغفار إلى أن أنال مطلوبي"[855] فنفسه دائمة الذكر

852 – سورة محمد الآية (19).

853 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ11 ص696 – 697 بتصرف يسير، مرجع سابق.

854 – الإمام عبد الهادي، العقود الدرية، ص 290، مرجع سابق.

855 – نفسه، ص 8 – 9.



شوافة إلى الاستغفار، وهذا نتيجة لوضعه الآخرة والموت نصب عينيه وبذلك ترجم ترجمة عملية استفاد منها تلاميذه استفادة واقعية فالأئمة الذهبي وابن القيم وابن كثير وابن عبد الهادي والبزار والواسطي وابن الوردي وابن قاضي الجبل وابن مُفْلح وغيرهم إنما عُرفت سيرتهم بذكر الله تعالى بل وكثرة الذكر وهذا دأب صالحي الأمة وكبار مربيها الذين يكثرون من الاستغفار الذي هو حال الأنبياء والصديقين والصالحين.

* حُسن ظنه بربِّه عزوجل وتعلقه به:

وهذا الحسن إنما ينبع من اعتقاد سليم وهو أمر قلبي ولكن الشيخ ترجم ذلك الأمر القلبي بأفعال الجوارح رآها معاصروه ليكون قدوة في تربيته العقدية وهذا الحسن قد تعددت جوانبة في الشيخ سلماً وحرباً وحبساً وسفراً أما في الحرب فقد كان يدخل في المعارك وهو قوي واثق بنصر الله تعالى للمؤمنين بل ويثبت قلوب السلطان وجنوده ويعدهم بنصر الله عز وجل وكذلك قال في حربه ضد أهل كِسْروان وشجع الأمير على القتال حتى تم النصر، وحينما رأى السلطان قال: يا خالد بن الوليد فارشده الشيخ تقي الدين إلى الاستغاثة الحق بقوله: قل: يا مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين ثم انتصروا وكان إذا دخل في الحرب دخل في اشد الأماكن التي فيها قوة من قبل الأعداء وذلك إلا بحُسن ظنه بربِّه وأنه ناصره وجيش المسلمين وكذلك لما دخل على قازان ملك التتر خاطبه بقوة قلب عالية مما جعلت الملك يهابه وينصت إليه ويسأل عنه ومن بحُسن ظنه بربِّه أنه لا يداهن إذا جمعه والسلطان مجلسٌ أن يقول كلمة الحق.

وقد قال له السلطان مرة: "إنني أُخبرتُ أنك قد أطاعك الناس وأن في نفسك أخذ الملك فلم يكترث به بل قال له بنفس مطمئنة وقلب ثابت وصوت عالٍ سمعه كثير ممن حضر: أنا أفعل ذلك؟! والله إن ملكك وملك المغْل لا يساوي عندي فِلْسَيْن فتبسم السلطان لذلك وأجابه في مقابلته بما أوقع الله له في قلبه من الهيبة العظيمة



إنك والله لصادق وإن الذي وشى بك إليَّ كاذب"[856] فثبات كهذا أمام سلطان لا يدل إلا على حُسن ظنٍ بالله –سبحانه؛ لأنه لا يرجو إلا ما عند الله وهذه المواقف منه لهي من أكبر الوسائل التعليمية العملية للتربية العقدية حيث إن عقيدتنا ليست أقولاً فقط بل هي أقوال واعتقادات يبرزها ويوضحها ما يفعله الإنسان من أفعال لتكون نبراساً للمتعلمين وسبيلاً قويماً للموحِّدين.

* دعوته لولاة الأمر الالتزام بالعقدية الصحيحة قولاً وعملاً؛ حتى يكونوا أسوة للناس (مسلمين – غيرهم):

وكل من العلماء والحكام عند الإمام ابن تيمية هم ولاة الأمر بالنسبة إليه كما قرر هذا بقوله لما ذكر قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)[857]: "وأولو الأمر أصحاب الأمر وذووه وهم الذين يأمرون الناس وذلك يشترك فيه أهل اليد والقدرة وأهل العلم والكلام؛ فلهذا كان أولو الأمر صنفين: العلماء والأمراء فإذا صحلوا صلح الناس وإذا فسدوا فسد الناس"[858] فهذان الصِّنفان هما عند شيخ الإسلام ولاة الأمر وقد أولاهما برعاية خاصة أما العلماء فقد خاطب الكثير منهم ودعاهم لاتباع الكتاب والسنة وطرح التقليد الأعمى بدون دليل من كتاب أو سنة كما أرسل لبعضهم الرسائل في التقليد وذمه ووجوب الاتباع وأما الحكام فقد ناصحهم مشافهة وكتابة يحثهم فيها على الحكم بالشرع وعدم اتباع الهوى والجهاد في سبيله ووجوب الحكم بالعدل ويبيّن أن حقهم وجوب طاعة من تحتهم و حرمة الخروج عليهم ما أطاعوا الله ورسوله ρ كما أن الواجب عليهم الحكم بالعدل بين الرعية وكان يقول شارحاً موقفاً من ولاة الأمر: "ولكن عليَّ أن أطيع الله ورسوله وأطيع أولي الأمر إذا أمروني بطاعة الله، فإذا أمروني بمعصية الله فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق هكذا دلَّ عليه الكتاب والسنة واتفق

856 – الحافظ البزار، الأعلام العلية، ص 67، مرجع سابق.

857 – سورة النساء الآية (59).

858 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ28 ص170، مرجع سابق.

عليه أئمة الأمة"[859] فكان يرى أن هناك قنوات يجب أن تكون متصلة بين العلماء والحكام "ولم ير ابن تيمية لا شرعياً ولا عقليا ولا اجتماعياً ولا عرفياً لقطع جسور العلماء والدعاة مع الولاة بل إنه يرى ذلك من الأضرار العظيمة في الدين والدنيا؛ لأنه لايزيد الحكام إلا جهلاً بالدين وفهماً خاطئاً لأمور الناس لوجود قنوات غير أمينة لديهم إضافة إلى ما في ذلك من خلوِّ جوهم الفكري والاجتماعي لغير المخلصين ولا يزيد العلماء والدعاة إلا جهلاً بالسياسة وأحوال الولاة مما يجعل الدعاة والمصلحين غير قادرين لرسم سياسة للتعامل معهم ودعوتهم وإصلاح أوضاعهم"[860] فيرى أن كلاً منهما مكمل للآخر حتى تسير منظومة الحياة ويسعد الناس بتطبيق شرع الله الذي فيه الخير ديناً ودنيا.

وهو بهذا قد ضرب أروع الأمثلة في التعامل مع الملوك والحكام وحثهم على المعتقد الصحيح ليكونوا أسوة لغيرهم من الحكام والأمراء وكذلك ليراهم غير المسلمين فيتأثرون بحكمهم وهذا تأكيد منه وحث على أهمية القدوة في جانب التربية العقدية حيث يراها المتعلمون عياناً لا غموض فيها ولا مداهنة وبذلك تكون أكثر تأثيراً وثباتاً عندهم وهي أهم ثمرات العلم.

تطبيقه العملي للمنهج الأخلاقي مع طبقات المجتمع: من حكام أولي أمر وعلماء ومع أصحابه وتلاميذه وأهله وعامة الناس وكذلك مع مبغضيه وشانئيه ثم مع المبتدعين والكافرين كما يلي:

1- موقفه الخلقي مع الحكام :

وهم أولو الأمر الذين أمر الله عباده المؤمنين بطاعتهم مع العلماء؛ بقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)[861]

859 – نفسه، ج3 ص249.

860 – د. عبد الله الحوشاني، منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة، ج2 ص483، مرجع سابق.

861 – سورة النساء الآية (59)



فموقف الإمام ابن تيمية هو طاعة أولي الأمر ما أطاعوا الله وقد بين من هم أولوا الأمر الذين يطاعون بقوله تأكيداً لما نقل عن أئمة السلف بقوله: "وقد قال الأئمة: إن أولي الأمر صنفان: العلماء والأمراء وهذا يدخل فيه مشايخ الدين وملوك المسلمين: كل منهم يطاع فيما إليه من الأمر كما يطاع هؤلاء بما يأمرون به من العبادات ويُرجع إليهم في معاني القرآن والحديث والإخبار عن الله وكما يطاع هؤلاء في الجهاد وإقامة الحد وغير ذلك مما يباشرونه من الأفعال التي أمر الله بها"[862] ويبين حالهم بقوله : "هم الذين يأمرون الناس وذلك يشترك فيه أهل اليد والقدرة وأهل العلم والكلام وكل من كان متبوعاً فإنه من أولي الأمر"[863]

فمنهجه مع الحكام أنه ما لم يظهر منهم كفر بواح فإنه يجب على كل المؤمنين أن يطيعوا هؤلاء الحكام ويحرم الخروج عليهم اتباعاً للسنة المطهرة حتى ولو فعلوا الفواحش والمنكرات ما لم تصل إلى الشرك أو الكفر فمنع من شق العصا عليهم بقوله: "ونهوا [أي: المؤمنون] عن قتالهم ما صلوا ؛ وذلك لأن معهم أصل الدين المقصود وهو توحيد الله وعبادته ومعهم حسنات وترك سيئات كثيرة"[864] ويستدل على رأيه هذا وهو طاعة ولاة الأمور بالسنة المفسرة للقرآن كما في حديث النبي صلى الله عليه وسلم "عليك بالسمع والطاعة في عسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك"[865] فالذي يجب عليهم هو الطاعة أما معصيتهم لربهم فإنما هو عليهم كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم"[866] ويبين أن شق العصا والخروج على الأمراء أشد ضرراً من ظلم هؤلاء الحكام وجورهم بقوله: "فالخروج عليهم يوجب من الظلم والفساد أكثر من

862 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ3 ص255 ، مرجع سابق .
863 – نفس المرجع السابق
864 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ28 ص179 ، مرجع سابق .
865 – رواه مسلم (1467/3)، رقم (1836).
866 – رواه مسلم (1474/3)، رقم (1846).



ظلمهم"[867] فرأى مفسدتين أدناهما طاعة الولاة على جورهم وظلمهم ورأى مصلحتين أعلاهما عدم الخروج على هؤلاء الحكام ولهذا منع من عصيانهم بقوله: "لا تجوز معصية الإمام براً كان أو فاجراً إلا أن يأمره بمعصية الله"[868] والإمام ابن تيمية لم ينقطع عن لقاء أولياء الأمور كما أنه لم يكن من حاشيتهم بل كان يدخل عليهم ويتعامل معهم وينصحهم ويرشدهم، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر كما سبق ذكره في موقفه من السلطان عن الجهاد وعند دخوله مصر وفي حروبه وكذلك يرى مع وجوب طاعتهم نصحهم وإرشادهم وعدم الخروج عليهم فيقول: "فذلك ما أمر الله به ورسوله من طاعة ولاة الأمور ومناصحتهم هو واجب على المسلم وإن استأثروا عليه"[869] ويعلل ذلك قائلاً: "لما في ذلك – أي: الخروج عليهم من الفساد الذي يربو على الفساد ما يكون من ظلمهم بل يطاع الله فيهم وفي غيرهم ويفعل ما أمر به ويترك ما نهى عنه"[870]

2- موقفه الخلقي مع العلماء:

موقف الإمام ابن تيمية من العلماء موقف كل عالم رباني منصف يتعامل مع العلماء بإجلال واحترام وترضٍ عليهم فيستفيد من علمهم أحياءً وأمواتاً ويذكرهم بالخير ويثني عليهم وهذا المنهج قد سلكه الإمام في كتبه ورسائله وانتشرت أقواله التي تجل أهل العلم والعلماء وتعطيهم منزلتهم التي ينبغي أن يعطوها وإن جاءت مسألة في دليل بعضهم نظر أو احتمال فإنه يتعامل وفق ما يسلكه العلماء في كل المسائل كما هو معروف في مساجلات العلماء حتى إنه ألف رسالة قيمة تنبئ على مدى توقيره لهم وإجلاله لجنابهم وهذه الرسالة هي: رفع الملام عن الأئمة الأعلام بين فيها أوجهاً يعتذر بها عن اختلاف العلماء وأنهم ما تعمدوا مصادمة النصوص ولا أنهم

867 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ28 ص180، مرجع سابق.
868 – نفس المرجع السابق، جـ28 ص587.
869 – نفس المرجع السابق، جـ35 ص5.
870 – نفس المرجع السابق ، جـ35 ص21.



يتبعون أهواءهم وذكر أن الصحابة كانوا يتناظرون في مسائل وربما يحدث اختلاف لكن هذا الاختلاف لا يؤدي إلى خلاف وشقاق؛ لذا فهو يقول: "قد كان العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إذا تنازعوا في الأمر اتبعوا أمر الله تعالى: (فإن تنازعتم في شيءٍ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً)[871] وكانوا يتناظرون في المسألة مناظرة مشاورة ومناصحة وربما اختلف قولهم في المسألة العلمية والعملية مع بقاء الألفة والعصمة وأخوة الدين"[872] وهذا الذي نقله عن علماء الصحابة من أن الاختلاف لا دخل له بالأخوة الإيمانية هو ما سلكه الإمام مع من خالفه في المسائل كما فعله مع العلماء الذين آذوه وحبسوه وأشار بعضهم بأذيته فلما أراه السلطان ورقه فيها إراقة دماء هؤلاء دافع عنهم وأقنع السلطان بإبقائهم ويرى أن التعصب لمسألة بعينها ضد إمام أو شيخ مما يسبب هجر ونزاع وشقاق فيرى أنها من شيم أهل البدع سواء كان الاختلاف في المسائل العلمية أو العملية فيرى أن العالم مأجور في الحالتين: إن أصاب وإن اجتهد فأخطأ كقوله على مغفرة الله لخطأ العالم: "سواء كان خطؤه في المسائل العلمية الخبرية أو المسائل العملية فإنه ليس كل ما كان معلوماً متيقناً لبعض الناس يجب أن يكون معلوماً متيقناً لغيره وليس كل ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمه كل الناس ويفهمونه بل كثير منهم لم يسمع كثيراً منه وكثير منهم قد يشتبه عليهم ماأراده"[873] ويذكر أن بعض العلماء حدث منه خطأ وبعضهم التبس عليه أمر وبعضهم أخذ بأقوال المعتزلة فالتزم لوازم مذهبهم مع علمه وتقواه فأمثال هؤلاء لا يشنع عليهم بل يدافع عنهم ويعذرهم والسبب في ذلك أنه "ما من هؤلاء إلا من له في الإسلام مساعٍ مشكورة وحسنات مبرورة وله في الرد على كثير من أهل الإلحاد

---

871 – سورة النساء الآية (59).

872 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ24 ص172، مرجع سابق.

873 – شيخ الإسلام ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق د. محمد رشاد سالم، جـ1 ص277، جامعة الإمام محمد بن سعود، ط1، الرياض – المملكة العربية السعودية، 1399 – 1979م.



والبدع والانتصـــار لكثير من أهل الســـنة والدين ما لا يخفى على من عرف أحوالهم وتكلم فيهم بعلم وصـــــدق وعدلٍ وإنصـــــاف"[874] فهذا موقفه من علماء الأمة احترامهم وتوقيرهم والاعتذار عنهم إن صـــدر منهم شـــيء ولو في مســـائل الاعتقاد فهذا لا يستلزم تكفيرهم لمجرد قول قالوه أو فعل فعلوه وكان يشنع على أمثال هؤلاء معتذراً عن أئمة المسلمين بقوله: "علماء المســـلمين لا يجوز تكفيرهم بمجرد الخطأ المحض بل كل يؤخذ من قوله ويترك إلا رســـول الله صـــلى الله عليه وســـلم ، ومن رد بعض قوله لمخالفته للحق مع حسـن النية والقصـد وبذل الاجتهاد لا يلزم أن يكون كافراً أو فاسـقاً بل قد لا يكون آثماً ولا عاصـياً وإنما لـــــه حسنة على اجتهاده في طلب الحق الذي لم يصـبه والله قد غفر له هذا واسـتحباب دعاء المؤمنين: (ربنا لا تؤاخذنا إن نســينا أو أخطأنا)[875] [ثم بين عقوبة من يطلق لنفسـه العنان في ثلب العلماء] فإنه يلزم إيقاع عقوبة غليظة تزجره وأمثاله عن تكفير المســـلمين"[876] ومما يبرز مدى احترامه للعلماء أيضاً وتوقيرهم أنه في سنة 7.7هـــ قد صدر مرسومٌ من السـلطان بحبسـه لنيله من المتصـوفة ولما طلب السـلطان من الفقهاء والقضـاة الإفتاء بحبسه لم يجدوا مبرراً يبرر حبسه فلما رأى الإمام ابن تيمية الحيرة على وجوههم مشى بنفسه إلى الحبس تأدباً مع إخوانه العلماء حتى لا يجعلهم في حرج قائلاً: "أنا أمضي إلى الحبس وأتبع ما تقتضيه المصلحة"[877] وكان دائم الدعاء لنفسه وللمؤمنين لسعة رجـائـه في رحمـة ربـه ومغفرتـه بقولـه: "والله تعـالى يتقبـل من جميع عبـاده المؤمنين الحسنات ويتجاوز لهم عن السيئات (ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم)[878] [879] وهذا هو منهج

874 – نفس المرجع السابق، جـ2 ص102.

875 – سورة البقرة الآية (286).

876 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ35 ص100 بتصرف، مرجع سابق.

877 – الإمام ابن كثير، البداية والنهاية، جـ14 ص44، مرجع سابق.

878 – سورة الحشر الآية (10) .

879 – شيخ الإسلام ابن تيمية ، درء التعارض ، جـ 2 ص 103 ، مرجع سابق .



السلف الصالح اتباعاً لكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وعليه بنى الإمام ابن تيمية منهجه مع علماء الأمة المرحومة.

3- موقفه الخلقي مع أصحابه وتلاميذه:

حكى عنه من رآه من تلاميذه ومن خالطه أنه كان حريصاً على أصحابه وتلاميذه ومن يتعلمون منه وكذلك كان متواضعاً معهم خاصة ومع غيرهم بصورة عامة وقد ذكر غير واحد ممن عاصره أنه يؤثر غيره وعُرف عنه "تفقد المحتاجين والغرباء ورقيقي الحال من الفقهاء والقراء واجتهاده في مصالحهم وصلاتهم ومساعدته لهم بل ولكل أحدٍ من العامة والخاصة ممن يمكنه فعل الخير معه وإسداء المعروف إليه بقوله وفعله ووجهه وجاهه.. وكان يتواضع للكبير والصغير والجليل والحقير والغني الصالح والفقير وكان يدني الفقير الصالح ويكرمه ويؤنسه ويباسطه بحديثه المستحلى زيادة على مثله من الأغنياء حتى إنه ربما خدمه بنفسه وأعانه بحمل حاجته جبراً لقلبه وتقرباً بذلك إلى ربه وكان لا يسأم ممن يستفتيه أو يسأله بل يقبل عليه ببشاشة وجه ولين عريكة ويقف معه حتى يكون هو الذي يفارقه كبيراً كان أو صغيراً رجلاً كان أو امرأة حراً كان أو عبداً عالماً أو عامياً حاضراً أو بادياً ولا يحرجه ولا ينفره بكلام يوحشه بل يجيبه ويفهمه ويعرفه الخطأ من الصواب بلطف وانبساط"[880] وقد كان يحترم أصحابه حتى في ذكرهم كما قال تلميذه البزار: "إنه لا يذكرني باسمي بل يلقبني بأحسن الألقاب ويظهر لي خصوصاً بين أصحابي من الإكرام والتبجيل والإدناء منه"[881] حتى مجرد الأذى لا يحبه للمسلمين عامة ولأصحابه خاصة كما لا يحبه لنفسه فنجده يقول: "لا أحب أن يؤذى أحد من عموم المسلمين فضلاً عن أصحابنا بشيء أصلاً لا باطناً ولا ظاهراً"[882] وكان يعتذر لأصحابه كما قد يكون من نوع خشونة في كلام فيقول: "وتعلمون أيضاً أن

880 – الحافظ البزار، الأعلام العلية، ص 47 – 48، بتصرف، مرجع سابق.

881 – نفس المرجع السابق ص 48.

882 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ28 ص52، مرجع سابق.



ما يجري من نوع تغليظ أو تخشين على بعض الأصحاب والإخوان ما كان يجري بدمشق ومما جرى الآن بمصر فليس ذلك غضاضة ولا نقصاً في حق صاحبه ولا حصل بسبب ذلك تغير منا ولا بغض بل هو بعدما عومل به من التغليظ والتخشين أرفع قدراً وأنبه ذكراً وأحب أعظم وتعلمون أنا جميعاً متعاونون على البر والتقوى واجب علينا نصر بعضنا بعضاً أعظم ما كان وأشد فمن رام أن يؤذي بعض الأصحاب أو الإخوان لما قد يظنه من نوع تخشين عومل به بدمشق أو بمصر الساعة أو غير ذلك فهو الغالط وما غاب عنا أحد من الجماعة أو قدم إلينا الساعة أو قبل الساعة إلا ومنزلته عندنا اليوم أعظم مما كانت وأجل وأرفع"[883] كما كان حريصاً على تعليم وإرشاد من يصاحبه في كل وقت وفي كل حين من خلال تعليميهم مقاصد الشريعة ومعرفة الأهم فالأهم ما حكاه عنه تلميذه النجيب الإمام ابن القيم بقوله: "سمعت مرة شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: مررت أنا وبعض أصحابي في زمن التتار بقوم منهم يشربون الخمر فأنكر عليهم من كان معي فقلت له: إنما حرم الله الخمر لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة وهؤلاء تصدهم الخمر عن قتل النفوس وسبي الذرية وأخذ الأموال: فدعهم"[884] ففي إرشادهم يربيهم على الأولويات الشرعية فعنده ضرران فقدم أخف الضررين وكذلك في عدم نهيهم ترجح لديه مصلحة فقدمها على الأخرى ومن حرصه على سلامة أصحابه أن الإمام المزي أوذي بسبب قوله الحق وفعله حينما"قرأ فصلاً من كتاب أفعال العباد للبخاري في الجامع فسمعه بعض الفقهاء فرفعوا أمره إلى القاضي فأمر بحبسه والذي دفعهم لذلك ظنهم أنه يعرض بهم من قراءته فصلاً في الرد على الجهمية وأن الله فوق العرش فلما بلغ الشيخ ابن تيمية دخل الحبس بنفسه وأخرجه ثم توجه للقاضي

883 – نفس المرجع السابق، جـ28 ص53 – 55 بتصرف، الإمام ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص204، مرجع سابق.

884 – الإمام ابن القيم، أعلام الموقعين ، جـ3 ص3، مرجع سابق.



وحدثت بينهما مشاجرة كلامية"[885] فهذه المواقف وغيرها تدل دلالة واضحة على سمو خلق هذا الشيخ مع أصحابه وتلاميذه وأنهم على قدر كبير من رعايته واهتمامه وكان على اتصال دائم بهم حتى وهو في الحبس يدعو لهم ويحب لهم الخير ويراسلهم كما في قوله: "والذي أُعرِّف به الجماعة أحسن الله إليهم في الدنيا وفي الآخرة وأتم عليهم نعمته الظاهرة والباطنة.. وأكثر ما ينقص على الجماعة فأنا أحب لهم أن ينالوا من اللذة والسرور والنعيم ما تقر به أعينهم وأن يفتح لهم من معرفة الله وطاعته والجهد في سبيله ما يصلون به إلى أعلى الدرجات... وإن لم يمكن خدمة الجماعة باللقاء فأنا داعٍ لهم بالليل والنهار قياماً ببعض الواجب من حقهم وتقرباً إلى الله تعالى في معاملته فيهم"[886] ثم يختم رسالته ناصحاً إياهم بقوله: "والذي آمر به كل شخص منهم أن يتقي الله ويعمل لله مستعيناً بالله مجاهداً في سبيل الله ويقصد بذلك أن تكون كلمة الله هي العليا وأن يكون الدين كله لله"[887] .

4- موقفه الخلقي مع أهله:

كثرة أشغال الإنسان الخارجية وما يلقاه من أعباء قد تجعله يبتعد قليلاً أو كثيراً عن أهل بيته لكن سمة العلماء الربانيين أنهم مع انشغالهم بالأمور التربوية و الدعوية والإصلاحية والجهادية وما يتبع ذلك من ابتلاء على اختلاف أنواعه لا يمنعهم من الاهتمام بالأهل والسؤال عنهم ومعاملتهم بالحسنى وهذا ما حدث مع شيخ الإسلام ابن تيمية فمع أن الإنسان مع أهل بيته تسقط الكلفة والاحتشام كالأجنبي الغريب عنه فإن هذا الإمام لسمو خلقه مع أهل بيته: أمه و إخوته وما له من هيبة كما ذكر ذلك الحافظ البزار بقوله: "وما رأيت أحداً كان أشد تعظيماً للشيخ من أخيه، وكان إذا جلس بحضرته كأن على رأسه الطير وكان يهابه كما

---

885 – الإمام ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ1 ص146 بتصرف، مرجع سابق، الإمام ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص68 بتصرف، مرجع سابق، الإمام الشوكاني، البدر الطالع، جـ1 ص68 بتصرف، مرجع سابق.

886 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ28 ص30، 41، 44، بتصرف، مرجع سابق.

887 – نفس المرجع السابق، جـ28 ص44 – 45.



يهاب سـلطاناً وكنا نعجب منه في ذل ونقول: من العرف والعادة أن أهل الرجل لا يحتشـمون كالأجانب بل يكون انبسـاطهم معه فضـلاً عن الأجنبي ونحن نراك مع الشيخ كتلميذ مبالغ في احتشامه واحترامه فيقول: إني أرى منه أشياء لا يراها غيري أوجبت علي أن أكون معه كما ترون"[888] فكمال خلق هذا الإمام وما يظهر على يديه من كرامات جعلت من حوله يبادلونه نفس الأدب ومن حسـن خلقه مع أهله أنه كان باراً بأمه وكان يسـأل عنها ويهتم بإرضـائها وكان يعتذر لها عن بعده عنها بسبب الاعتقال تارة وبسبب الحبس أخرى فقال لها مخاطباً: "من أحمد بن تيمية إلى الوالدة السعيدة[889] أقر الله عينها بنعمه وأسبغ عليها جزيل كرمه وجعلها من خيار إمائه وخدمه

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،

فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو وهو للحمد أهل وهو على كل شيء قدير ونسأله أن يصلي على خاتم النبيين وإمام المتقين محمدٍ عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وسلم تسليماً.

كتابي إليكم على نعم من الله عظيمة ومنن كريمة وآلاء جسـيمة نشـكر الله عليها ونسأله المزيد من فضله ونعم الله كلما جاءت في نمو وازدياد وأياديه جلت عن التعداد، وتعلمون أن مقامنا السـاعة في هذه البلاد [أي: مصـر] إنما هو لأمور ضـرورية متى أهملناها فسـد علينا أمر الدين والدنيا ولسـنا مختارين للبعد عنكم ولو حملتنا الطيور لسرنا إليكم ولكن الغائب عذره معه وأنتم لو اطلعتم على باطن الأمور فإنكم –ولله الحمد ما تختارون السـاعة إلا ذلك، ولم نعزم على المقام والاسـتيطان شهراً واحداً بل كل يوم نستخير الله لنا ولكم وادعوا لنا بالخيرة فنسأل الله العظيم أن يخير لنا ولكم وللمسـلمين ما فيه الخيرة في خير وعافية... فلا يظن الظان أنا نؤثر

888 – الحافظ البزار، الأعلام العلية، ص 52، مرجع سابق.

889 – الفاضلة الصالحة ست النعم بنت عبد الرحمن بن علي بن عبدوس الحرانية، عمرت أكثر من سبعين سنة وتوفيت بدمشق سنة 716هـ.



على قربكم شـــيئاً من أمور الدنيا قط بل ولا نؤثر من أمور الدين ما يكون قربكم أرجح منه ولكن ثم أمور كبار نخاف الضـرر الخاص والعام من إهمالها والشـاهد يرى ما لا يرى الغائب والمطلوب كثرة الدعاء بالخيرة فإن الله يعلم ولا نعلم ويقدر ولا نقدر وهو علام الغيوب وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من سعادة ابن آدم استخارته الله ورضاه بما يقسم الله ومن شقاوة ابن آدم ترك استخارة الله وسخطه بما يقسم الله له"[890] والتاجر يكون مسافراً فيخاف ضياع بعض ماله فيحتاج أن يقيم حتى يستوفيه وما نحن فيه أمر يجل عن الوصف ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والســلام عليكم ورحمة الله وبركاته كثيراً كثيراً وعلى ســائر من في البيت من الكبار والصـغار وسـائر الجيران والأهل والأصـحاب واحداً واحداً، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً"[891] وهكذا رسائل تفيض براً وحباً وحناناً حيث خلقه الذي نبع من التزامه بالكتاب والســنة ومن ثمرته حيث طبق ذلك عملياً مع أهله: أمه وإخوانه.

5 – موقفه الخلقي مع عامة الناس:

(إنما المؤمنون إخوة)[892] هذا هو مقياس المسلمين بعضهم مع بعض فواجب كل مسلم أن يعامل من أظهر إسلامه بما قضى الشرع المطهر ثم إن حدث من أحدٍ منهم شـيءٌ فيعامل بقدر ما فعل وكذلك يعامل أهل الحكومات والرياسـات وأهل العلم الشرعي بما أوجبه الشرع وكذلك يعامل سائر طبقات الناس بالحسنى كما كان يفعل النبي صلى الله عليه وسلم والذي "بعثه الله تعالى هدىً ورحمة للعالمين فإنه كما أرسـله بالعلم والهدى والبراهين العقلية والسـمعية فإنه أرسـله بالإحسـان إلى الناس والرحمة بهم بلا عوض وبالصـبر على أذاهم واحتماله"[893] وهذا لا يعني أن يسـعى

---

890 – صحيح. رواه الإمام أحمد (168/1) والترمذي (455/4) رقم (2156) والحاكم (699/1).

891 – الإمام ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص 200 – 201، مرجع سابق، ينظر ص 202 – 207، الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ28 ص49 – 50.

892 – سورة الحجرات الآية (10).

893 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ16 ص113 – 114، مرجع سابق.

المرء لإرضاء الناس على أهوائهم وفي كل ما يرضون به هم ولو حاول إنسان فعل ذلك لما استطاع "ومما يجب أن يعلم أنه لا يسوغ في العقل ولا الدين طلب رضا المخلوقين لوجهين: أحدهما: أن هذا غير ممكن كما قال الشافعي رضي الله عنه: إرضاء الناس غاية لا تدرك والثاني: أنا مأمورون بأن نتحرى رضى الله ورسوله"[894] والإمام ابن تيمية كان كثير المخالطة للعامة من الناس حريصاً على تعليمهم وتربيتهم وتوعيتهم فكما أن له محبين ومعظمين من أصحابه وتلاميذه وإخوانه العلماء؛ لمعرفتهم بمنزلته وسمو مكانته. هذا والعامة كانت تجله وتحترمه؛ لنصرته إياهم وأخذه الحق لهم من أيدي المعتدين وإن عامة الناس في كل من دمشق ومصر يحبونه ومما يدل على محبة العامة له واشتياقهم لرؤيته عندما يرونه "فقل ما يراه أحد ممن له بصيرة إلا وانكب على يديه فيقبلها"[895] وكان يشارك الناس في أحزانهم كما يشاركهم في أفراحهم حتى إنه إذا "سمع بجنازة سارع إلى الصلاة عليها أو تأسف على فواتها وربما ذهب إلى قبر صاحبها بعد فراغه من سماع الحديث فصلى عليه... فلا يزال تارة في إفتاء الناس وتارة في قضاء حوائجهم وكان مجلسه عاماً للكبير والصغير والجليل والحقير والحر والعبد والذكر والأنثى قد وسع على كل من يرد عليه من الناس يرى كل منهم في نفسه أن لم يكرم أحداً بقدره [ولما لمسوه من شدة تواضعه ومخالطته لهم] حتى إنه إذا رآه أرباب المعايش يتخطون من حوانيتهم للسلام عليه والتبرك به وهو مع هذا يعطي كلاً منهم نصيباً وافراً من السلام وغيره"[896] وكذلك "كان في كل أسبوع يعود المرضى خصوصاً الذين بالبيمارستان"[897] وقد حكى الحافظ البزار من حسن خلق شيخه قائلاً: "إذا خرجنا من منزله بقصد القراءة يحمل هو بنفسه النسخة ولا يدع أحداً منا يحملها عنه وكنت أعتذر إليه من

894 – نفس المرجع السابق، جـ3 ص33، بتصرف.

895 – الحافظ البزار، الأعلام العلية، ص37، مرجع سابق.

896 – نفس المرجع السابق، ص 37 – 39 بتصرف.

897 – نفس المرجع السابق، ص 40، البيمارستان: المستشفى.



ذلك خوفاً من سوء الأدب فيقول: لو حملته على رأسي لكان ينبغي . ألا أحمل ما فيه كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟"[898]

6 – موقفه الخلقي مع مبغضيه وشانئيه:

طبيعة الجنس البشري مختلفة، إذ هي ليست على نسق واحد وهي من الحكم الإلهية كي تستمر الحياة وتسير عجلة الكون وتكتمل منظومة الحياة. لكن الخلاف هو الذي لا ينبغي أن يكون إلا بين الأعداء أما الاختلاف فهو موجود في التفكير والرأي والنظرة إلى الحياة وطرائق المعيشة والكسب والحكم وسائر الأمور الحياتية وكون الإنسان يبغض شيئاً أو يحبه فهذا ليس خرقاً للطبيعة بل هو من الطبيعة إنما الذي تنهى عنه الشرائع الربانية ثم العقول السليمة السوية هو البغض على حسب الهوى وحظ النفس وحب المنصب والجاه والقرب من ذوي السلطة والحكم وكذلك التعصب البغيض للشيوخ والمذاهب والأحزاب... وهذا الأخير هو عين ما حدث مع الإمام ابن تيمية فهناك من عاداه وأبغضه لأسباب متعددة ومشارب مختلفة كما مرَّ... وإنما يهمنا هنا هو موقفه الذي واجه به تلك المحن والقلاقل والشبهات التي أثيرت حوله.

إن الدارس لسيرة هذا الإمام مع من أبغضه أو كفره أو سعى في قتله يجد أنه تابع للشرع فما رد عليهم بمثل قولهم بل عفى وصفح عنهم وكانت تلك المسامحة منه لهم أكبر دليل على تجرده وإخلاصه في طلبه الحق إذ ليس بينه وبينهم أصل العداء كغير المسلمين المعتدين أو من انتسبوا إلى الإسلام ولكنهم طاعنون بل كان حاله مع هؤلاء على العكس من موقفهم معه فقد كان يهتم بهم ويدعو لهم وقد حكى تلميذه ابن القيم ذلك بقوله: "وما رأيته يدعو على أحدٍ منهم قط وكان يدعو لهم، وجئت يوماً مبشراً له بموت أكبر أعدائه وأشدهم عداوة وأذىً له فنهرني وتنكر لي واسترجع ثم قام من فوره إلى بيت أهله فعزاهم وقال: إني لكم مكانه ولا يكون لكم

898 – نفس المرجع السابق، ص 49.



أمر تحتاجون فيه إلى مســـاعدة إلا وســـاعدتكم فيه"[899] فهذا موقف من مواقفه الشـهيرة الكثيرة يدل على سمو خلقه العملي مع مبغضـيه وشـانئيه يتعامل معهم بما يمليه عليه دينه وهو العفو والصــفح وهكذا حينما اقتربت وفاته أحلل كل من عاداه وسامحهم إلا الطاعن في الدين ممن هو عدو لله ورسوله صلى الله عليه وسلم ولما جاء نائب الســلطة للإمام ابن تيمية وهو في مرضــه الأخير بســجن القلعة طلب منه الصفح والعفو وأخذ يعتذر للشيخ عما بدر منه نحوه فقال له: " قد أحللتك وجميع من عاداني وهو لا يعلم أني على الحق.. وقد أحللت كل واحدٍ مما كان بيني وبينه إلا من كان عدواً لله ورسوله"[900] فمن أبغضه ولم يعرف أنه على الحق فهو معذور أما من أبغضه وهو يعرف أنه على الحق فهذا ليس بغضاً له فقط بل هو ممن يشانئ من جاء بالحق وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنة الله عز وجل أنه "بتر شانئ رســوله من كل خير فبتر ذِكْرَهُ وأهله وماله فيخســـر ذلك في الآخرة وبتر حياته فلا ينتفع بها ولا يتزود فيها صالحاً لمعاده ويبتر قلبه فلا يعي الخير ولا يؤهله لمعرفته ومحبته والإيمان برســله ويبتر أعماله فلا يســتعمله في طاعة ويبتره من الأنصــار فلا يجد له ناصراً ولا عوناً ويبتره من جميع القرب والأعمال الصالحة فلا يذوق لها طعماً ولا يجد لها حلاوة وإن باشرها بظاهره فقلبه شارد عنها"[901] وهكذا صار دورانه مع الشرع فما كان لنفسه عفا عنه وما كان في حق دين الرسول صلى الله عليه وسلم فالأمر ليس إليه بل يعلم يقيناً أنه ســيلاقي جزاءه... فلا يخلط الإنســان بين خطأ المرء في حق الآخرين مع خطأه في جنب الله ويجعل الموالاة والمعاداة من أجل ذلك فمن فعل هذا فقد اتبع هواه والإمام ابن تيمية سلك سبيل الشـرع حتى فيمن تكلموا في حقه والتزم القضــاء بالحق؛ لقول الله عز وجل: (ولا يجرمنكم شــنآن قوم على ألا تعدلوا

---

899 – الإمام ابن القيم، مدارج السالكين، جـ2 ص 281، مرجع سابق.

900 – الحافظ البزار، الأعلام العلية، ص 75، بتصرف، مرجع سابق.

901 – الإمام ابن تيمية، التفسير الكبير، جـ7 ص45، مرجع سابق.



اعدلوا هو أقرب للتقوى)[902] فالمسلم مطبق شرع ربه دائماً في كل الأحوال ولو على نفسه .

7- موقفه الخلقي مع المبتدعين:

الإنصاف غرة في جبين أهل السنة؛ إذ جعل منهجهم ذؤابة المناهج لأن منهج أهل السنة أصوله ثابتة راسخة قوية فأصولها أصولٌ قامت على المنهج الرباني على الهدي النبوي المعصوم حيث يعامل كل إنسان بما يستحقه من خير أو شر أحياناً يكون معه خشناً إن خالف الشرع وكان المنكِر من أهل الإنكار ثم عند المعاملة في باقي الأمور سواء الدينية أو الدنيوية يعامله بما فيه من صواب أو مجانبة للصواب فمع كون أهل البدع والمنكرات ضررهم كبير وبدعتهم ومنكرهم عظيم إلا أن المسلم يتعامل معهم بعين العدل والإنصاف فلا يسلبهم إيمانهم بمجرد فعل معصية أو منكرٍ أو من كان منهم على ضلالة منكرة بل يضع البدعة وصاحبها تحت منظار الحق فيعامل كل إنسان بما يستحق أن يتعامل معه به وهذا هو الحق الذي لا ينبغي أن يحيد عنه مسلم فأهل السنة مع الحق أينما كان ومع من كان ولو سار المسلم على هذا المنهاج لانضبطت الأمور ولم يحدث شطط ولا زيغ في أحكام البشر بعضهم على بعض.

والبدعة هي : "ما خالفت الكتاب والسنة أو إجماع سلف الأمة من الاعتقادات والعبادات"[903] إذاً فالبدعة "نوعان: نوعٌ في الأقوال والاعتقادات ونوعٌ في الأفعال والعبادات وهذا الثاني يتضمن الأول كما أن الأول يدعو إلى الثاني"[904] فيرى الإمام ابن تيمية أهل المنكرات والبدع قسمين لا ثالث لهما ومنهجه من كلا النوعين ثابت عام على أنهم أهل بدع ومنكرات لكن كل واحدٍ منهما يعامل على قدر بدعته كبيرة أم صغيرة فمن المعروف بديهة أن أصحاب هذه البدع "على درجات: منهم من يكون قد

902 – سورة المائدة، الآية (8).
903 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ18 ص346، مرجع سابق.
904 – نفس المرجع السابق، جـ22 ص 306.



خالف السنة في أصول عظيمة ومنهم من يكون إنما خالف السنة في أمور دقيقة"[905] فليست بدعة قولية في أذكار الصلاة أو في تسبيح معين كبدعة في الإنسلاخ من حكم الشرع في مسألة بعينها وكذلك معتقد فاسد في حق الله عز وجل من انحراف عن جادة الطريق في الانقياد لشرعه أو تحريف لأسمائه وصفاته كاعتقاد أيهما أفضل: عثمان أم علي؟ مع الاعتراف بأفضلية عثمان رضي الله عنه وعن سائر الصحابة أجمعين؛ لذلك فإن المبتدعين على كل حال قد خالفوا الحق ووقعوا في الباطل لاتباعهم الهوى ولذلك سموا "أصحاب الأهواء"[906] وهم وغيرهم أمامهم في سيرهم ودورانهم أمران، إما التزام بسنة أو اتباع لهوًى وبدعة فالتمسك بالسنة نجاة واتباع الهوى والبدعة هلاك؛ لأن "السنة مثال سفينة نوح عليه السلام من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق"[907] فطريق النجاة واحد هو ركوب تلك السفينة ولكن من تخلف عن ركوب السفينة لا يسأل ما السبب الحقيقي وراء التخلف لأنه غير مهم إنما المهم أنه تخلف فلو جاء جاءٍ وقال: بسبب الكبر وجاء آخر وقال: نسيت وجاء ثالث وقال: لم أعرف أن قائد السفينة هو نوح عليه السلام... فالكل نتيجتهم واحدة هلاك مطبق وهكذا شأن البدع تتعدد أسباب وقوعهم منها لكن النتيجة واحدة وهي: وقوعهم في الضلالة لذلك هم أهل أهواء فيجتمعون ويفترقون : يجتمعون في كونهم كلهم على بدعة مخالفة للشرع الحنيف ويختلفون في كيفية ارتكابهم لتلك البدعة وشرعنا المطهر واضح أبلج لا يحتاج إلى دليل وأعطانا القرآن إشارة إلى أن من ترك الحق وقع في الباطل فقال تعالى: (فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون)[908] فمن لم يحتكم لسنة دخل في بدعة: إما عظيمة أو دقيقة وسواء دقت أو جلت فهي بدعة تناهض سنة متبعة؛ لذلك نبينا صلى الله عليه وسلم

905 – نفس المرجع السابق، جـ 3 ص348.
906 – نفس المرجع السابق، جـ 10 ص568.
907 – الإمام بن تيمية، مجموع الفتاوى، ج 22 ص 306، مرجع سابق وقائل هذه العبارة الطيبة هو الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه كما صرح شيخ الإسلام في مواضع أخرى من مجموع الفتاوى كما في د 4 ص 57، 137 وفي د 10 ص 172.
908 – سورة يونس الآية (32).



حكم على البدع بالرد على صـــاحبها أياً كان وأياً كانت فقال: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"[909] وفي رواية: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد"[910] لما للبدعة من تأثير في قلب فاعلها حيث إنه خالف أمر ربه خالقه وأمر نبيه وخالف ما عليه ملتزمو السـنة وإنما بعث الله الرسـل ليعلموا الناس أمر ربهم فلو أن كل واحد رأى شـيئاً اتبعه لعاش الناس في حياة أحط من حياة الحيوان إذ لا ضـابط إلا الهوى ويكون قاضيهم قانون الغاب الجائر، والإمام ابن تيمية مسلكه في تعامله وفي حكمه على أهل البدع هو مسلك أهل السنة ومنهجه مع أهل البدع و الذي يتمثل فيما يلي:

1 – وجوب الإنكار على المبتدعين وتعرية حالهم:

وهذا من واجبات المجتمع المسلم كل بحسب قدرته والذي دعا إلى إنكاره المنكر أن ذلك المبتدع ظاهر وخالف في مخالفته فاســتحق حكماً من جنس عمله أنه يُظهر المجتمع بدعته ويبدع علناً لا سراً بخلاف العاصي والمخطئ فإنه ربما تزل قدمه ولا يتعمد مصادمة الشرع بل غلبه هواه وطغت عليه نفسه أما المبتدع فلا ؛ حيث ضرره سينتشر لو لم يبتر أولاً بأول فينبغي على طبقات المجتمع تعرية حال ذلك المبتدع ومثال ذلك "إذا كان الرجل يترك الصلوات ويرتكب المنكرات وقد عاشره من يخاف أن يفسد دينه بُيِّن أمره له لتتقى معاشـــرته وإذا كان مبتدعاً يدعو إلى عقائد تخالف الكتاب والســـنة أو يسلك طريقاً يخالف الكتاب والسنة ويخاف أن يُضل الرجلُ الناسَ بين أمره الناس ليتقوا ضـلاله ويعلموا حاله"[911] ففسـادهم وشـرهم إن سـكت عنهم سـيزداد وإن كان في إظهار بدعتهم وتعرية أوضاعهم بعض القسوة فإنما هو من باب العلاج "ومن المعلوم أن ألم العلاج النافع أيسر وأخف من ألم المرض الباقي"[912] وهذا ملموس في الأمور الحياتية فالمريض إن أدرك المرض من أوله نجا وإن أهمله اسـتشـرى في جســده ثم كان العطب

909 – رواه البخاري (277/8 فتح) رقم (2697) ومسلم (1343/3) رقم (1718).
910 – رواه مسلم (1344/3) رقم (1718).
911 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ3 ص282، مرجع سابق.
912 – نفس المرجع السابق، جـ15 ص90.



والهلاك وهكذا أمر المبتدع إن بُيّن أمره من أوله وأوضـــح القـادرون أمره للناس تجنبوه ووقفت بدعته.

2- دفع البدعة بالهجر:

وهذا منهاج سـلكه الشـرع الحنيف المطهر وطبقه نبينا المعصـوم صـلى الله عليه وسـلم أما القرآن فأشـار إلى الهجر بقوله تعالى في النفر الذين تخلفوا عن الغزو فهُجروا من قِبَل الرسـول صـلى الله عليه وسـلم والمؤمنين: (وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم)[913] فهذا علاج رباني طُبِّق مع هؤلاء وكان وصف القرآن دقيقاً لحالهم من ضيق الأرض عليهم مع أنها وسعت كل البشـر وزادت ثم ضـاقت عليهم أنفسـهم وهذا واقع فالإنسـان حينما يكون في ضـيق وشدة يشعر وكأنه يختنق على النقيض لو كان في سرور ولذة وسعادة فلا يشعر بجوعٍ أو ألمٍ أو ... وهكذا الهجر يجعل كل شيء يضيق على صاحبه والقرآن حافل بآيات تحث على الهجر إن احتيج إلى فعله مع دعوة هؤلاء إلى الانقياد لحكم الشـرع فيكون الهجر جميلاً كما أمر الله نبيه صـلى الله عليه وسـلم بقوله: (واهجرهم هجراً جميلاً)[914] وهذا الهجر يختلف باختلاف الهاجرين قوة وضعفاً و كذلك يختلف بحسب حال المهجورين ارتداعاً وفعلاً وهذا ما قرره الإمام ابن تيمية بقوله: "فإن كانت المصلحة في ذلك راجحة بحيث يفضـي هجره إلى ضـعف الشـر و خفيته كان مشـروعاً وإن كان لا المهجور ولا غيره يرتدع بذلك بل يزيد الشـر والهاجر ضـعيف بحيث يكون مفسـدة ذلك راجحة على مصلحته لم يشرع الهجر بل يكون التأليف لبعض الناس أنفع من الهجر"[915] وهنا لطيفة ينبغي التفطن لها وهي متعلقة بأمر الهجر حيث إن الهجر إما أن يكون لحق الله وإما أن يكون لحق النفس فلو رأى إنســان آخر على بدعة وهو في نفس الوقت ممن يحمل ضـده عداوة لشـيء ما فلا يجعل الهجر لله مشـوباً بهجر نفسـه ومن باب أولى لا

---

913 – سورة التوبة الآية (118).

914 – سورة المزمل الآية (10).

915 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى ، جـ28 ص206، مرجع سابق.



يجعل الهجر لنفسه دون الله تعالى كما فصل ذلك الإمام ابن تيمية بقوله: "فينبغي أن يفرق بين الهجر لحق الله وبين الهجر لحق نفسه فالأول مأمور به والثاني منهي عنه ذلك لأن الهجر من باب العقوبات الشرعية فهو من جنس الجهاد في سبيل الله وهذا يفعل لأن تكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله لله"[916] فالميزان في الهجر هو الهجر تبعاً للشرع؛ لأن أصل الهجر إنما هو من تشريع ديننا القويم فلا يحق لنا أن نأخذ بجانب ونترك جانباً وإلا وقعنا في المحذور الذي وقع فيه من قبلنا فضلوا وقد ذمهم القرآن في معرض ذكره لحالهم (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض)[917] وعندما يطبق المسلم أمر الهجر يجب أن يفرق بين المبتدع والداعي إلى بدعة وهذا مسلك أهل السنة وهو الذي انتهجه شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله حاكياً منهج أهل السنة: "ولهذا يفرقون بين الداعية وغير الداعية؛ لأن الداعية أظهر المنكرات فاستحق العقوبة بخلاف الكاتم فإنه ليس شراً من المنافقين الذين كان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل علانيتهم ويكل سرائرهم إلى الله مع علمه بحال كثير منهم"[918] فالمسلم الحق يدور مع الشرع حيث دار وهذا ما فعله هذا الإمام في كلامه وحكمه على أهل الأهواء والبدع تبعاً لشرع نبينا صلى الله عليه وسلم.

3- وجوب الأخذ على أيدي المبتدعين إن كانت لهم شوكة:

هذا الصنف لم يقتصر على إظهار البدعة فقط في اعتقادات الناس وأقوالهم بل تعدى هذا الصنف إلى سفك الدماء وانتهاك الأعراض والتجرؤ على الحرمات ونهب الخيرات وشق العصا ورفعها في وجه أولي الأمر من الحكام وهذا كله يوجب قطعاً محاربة هؤلاء والأخذ على أيديهم إذ إنه لو فعلت واحدة لكفت لقتالهم فكيف إذا اجتمعت تلك البلايا في صنف بعينه؛ لهذا كان مسلك الإمام ابن تيمية هو مسلك أهل السنة من اتباعهم للشرع المطهر وهو قتالهم فقال مؤصلاً ذلك: "المبتدع الذي خرج عن بعض

916 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى ، جـ28 ص208، مرجع سابق.

917 – سورة البقرة الآية (85).

918 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ28 ص203، ينظر ص182، جـ15 ص286 – 287 .



شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته واستحل دماء المسلمين المتمسكين بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشريعته وأموالهم هو أولى بالمحاربة من الفاسق وإن اتخذ ذلك ديناً يتقرب به إلى الله ولهذا اتفق أئمة الإسلام على أن هذه البدع المغلظة شرٌّ من الذنوب التي يعتقد أصحابها أنها ذنوب"[919] وقد طبق الإمام ابن تيمية مسلكه هذا عملياً مع من خرجوا على الشريعة من التتر أو أهل جبل كِسْروان وغيرهم حيث إنه حاربهم بنفسه مع السلاطين والأمراء وكذلك له فتاوٍ عديدة في قتال الممتنعين عن تطبيق الشريعة في كتبه منها فتاوٍ في المجلد الثامن والعشرين من مجموع الفتاوى وفي هذا دلالة على مسلكه العملي في معاملته مع المبتدعين ذوي الشوكة.

4 – ثبوت البدعة على بعض أهل العلم لا يستلزم تأثيمهم:

ذلك أنهم عندهم من العلم ما يمنعهم من تعمد الابتداع في الدين بل ربما من وقع منهم في ذلك عن تأويل أو شبه عرضت لهم عن طريق شيوخهم في أو طلبهم العلم أو لم يتفرغوا لتحقيق بعض المسائل في الأصول لانشغالهم بالدعوة والتربية وتزكية النفس أو لتأليف وغير ذلك ممن ورثوه عن آبائهم من أهل العلم وذوي الاختصاص... فبعض أهل العلم قد يكون نُشِّئ على الالتزام بشيخ معين أو حزب أو طائفة بعينها فيتشرب منذ صغره بعض مفاهيمهم ثم يصدر منه شيء من ذلك فهذا وأمثاله من أهل السلوك الذين يريدون أن يعبروا عن صدق طريقهم أو لذة عبادتهم فيخطئون في اللفظ مع إصابتهم في صحة التوجه والقصد ومنهج الإمام ابن تيمية مع هؤلاء أن من صدر منه ذلك وهو من أهل الاجتهاد فإن الإثم منفي عنه بل هو مصيب على اجتهاده وقرر هذا بقوله مبيناً ذلك بعدما تكلم عن الخطأ في الأصول والفروع ثم ما حُكي عن عبيد الله بن الحسن العنبري[920] أنه قال: "كل مجتهد مصيب أي: لا يأثم. أنه قول عامة الأئمة

919 – نفس المرجع السابق ، جـ 15 ص 414 .

920 – القاضي الفقيه عبيد الله بن الحسن بن الحصين العنبري من علماء الحديث والفقه من سادات البصرة علماً وفقهاً توفي سنة 168هـ.



كـــأبي حنيفة[921] الشـافعي وغيرهما؛ ولهذا يقبلون شـهادة أهل الأهواء ويصـلون خلفهم، و[بيَّن أنَّ مَنْ] ردها كمالك[922] وأحمد فليس ذلك مســتلزماً لإثمهما لكن المقصـــود إنكار المنكر وهجر من أظهر البدعة فإذا هجر ولم يصـــل خلفه ولم تقبل شـهادته كان ذلك منعاً له من إظهار البدعة"[923] وكذلك بين حكم من يحضـر من أهل العلم مجالس اللغو والباطل بقوله: "والذين شـــهدوا هذا اللغو متأولين من أهل الصدق والإخلاص والصلاح غمرت حسناتهم ما كان لهم فيه وفي غيره من السيئات أو الخطأ في مواقع الاجتهاد وهذا ســبيل كل صـــالحي هذه الأمة في خطئهم وزلاتهم"[924] وبين أن العبد الصـالح قد تزل قدمه بقول أو فعل لكن ذلك مع صـحة في القصـد والاعتقاد ومع ذلك لا يزال في ولايته لا تسلب منه ولا ينخلع منها فقال: "وليس من شرط ولي الله أن يكون معصوماً لا يغلط ولا يخطئ بل يجوز أن يخفى عليه بعض علم الشـريعة ويجوز أن يشـتبه عليه بعض أمور الدين حتى يحسـب بعض الأمور مما أمر الله به ومما نهى الله عنه ويجوز أن يظن في بعض الخوارق أنها من كرامات أولياء الله تعالى وتكون من الشـيطان لبسـها عليه لنقص درجته ولا يعرف أنها من الشـيطان وإن لم يخرج بذلك عن ولاية الله تعالى فإن الله ســبحانه وتعالى تجاوز لهذه الأمة عن الخطأ والنسـيان وما اسـتكرهوا عليه فقال [حاكياً قول المؤمنين]: (ربنا لا تؤاخذنا إن نســينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصـــراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصـــرنا على القوم الكافرين)[925] "[926] وقال: "وهذا كحال كثير من الصـــالحين والصـــادقين وأرباب

921 – الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى الكوفي من أتباع التابعين، فقيه أهل العراق وإمام أهل الرأي، كان تاجراً ثرياً زاهداً عابداً يختم القرآن في ليلة قال عنه الإمام الشافعي: الناس في الفقه عيالٌ على أبي حنيفة، له المسند والفقه الأكبر وهو أحد الأئمة الأربعة توفي بالكوفة سنة 150 هـ.

922 – حجة الأمة إمام دار الهجرة الإمام أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك الأصبحي، نشأ في تعفف وتصوف وطلب العلم صغيراً ونبغ حتى صار إمام الدنيا وأحد الأئمة الأربعة، له الموطأ وتوفي عام 179هـ

923 – الإمام ابن تيمية، التفسير الكبير، جـ1 ص231، مرجع سابق.

924 – شيخ الإسلام ابن تيمية، الاستقامة، تحقيق د. محمد رشاد سالم، جـــ1 ص297 – 298، دار الفضيلة – دار ابن حزم، ط1، بيروت – لبنان، الرياض – المملكة العربية السعودية، 1420هـ - 2000م.

925 – سورة البقرة الآية (286).

926 – الإمام ابن تيمية، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، مجموعة التوحيد، ص522، مرجع سابق.



الأحوال والمقامات يكون لأحدهم وجد صحيح وذوق سليم لكن ليس له عبارة تبين مراده فيقع في كلامه غلط وسوء أدب [في جنب الله أو رسوله صلى الله عليه وسلم أو الجزاء أو مع عباد الله الصالحين] مع صحة مقصوده"[927] فمسلك شيخ الإسلام أنه لم يأخذ تلك الزلة ويجعلها هي الحكم بل رجع إلى سيرة قائلها والتزامه بالشرع ثم حكم على قائلها بصدق التوجه لكن أخطأ في إيصال قصده للسامعين أو لمن يعاشرهم وهكذا نمط سليم ثابت يسير عليه هذا الإمام مع أولئك المبتلين فمع بدعتهم يجب أن يعاملوا بحكم الشرع كتاباً وسنة لا بهوىً وحظ نفس وهو لم يكفر تلك الفرق المبتدعة اقتداءً بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم إذ هم من أهل القبلة وليسوا من أهل السنة لكن هذا لا يجعلهم يخرجون عن رِبْقة الإسلام فقال في حق كل الفرق التي هي خلاف أهل السنة: "وإن لم يكونوا في نفس الأمر كفاراً لم يكونوا منافقين فيكونون من المؤمنين فيستغفر لهم ويترحم عليهم وإذا قال المؤمن: (ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان)[928] يقصد كل من سبقه من قرون الأمة بالإيمان وإن كان قد أخطأ في تأويل تأوله فمخالف السنة أو أذنب ذنباً فإنه من إخوانه الذين سبقوه بالإيمان فيدخل في العموم وإن كان من الثنتين والسبعين فرقة فإنه ما من فرقة إلا وفيها خلق كثير ليسوا كفاراً بل مؤمنون فيهم ضلال وذنب يستحقون به الوعيد كما يستحقه عصاة المؤمنين. والنبي صلى الله عليه وسلم لم يخرجهم من الإسلام بل جعلهم من أمته ولم يقل: إنهم يخلدون في النار فهذا أصل عظيم ينبغي مراعاته"[929] وهذا الأصل هو القسطاس المستقيم وهو يدل على أنه قد "أقام أصول حكمه على المبتدعة وفق منهج السلف من أئمة العلم والهدى متبعاً لهم في الأحكام ومتصفاً بما كانوا يتحلون به من خلال التعامل مع هؤلاء المخالفين ... [ويكون بذلك قد] ترجم هذا المنهج إلى علم وعمل معتمداً على الدليل الشرعي في بيان مفارقة البدعة للسنة والحكم عليها وعلى

927 – شيخ الإسلام ابن تيمية، الاستقامة، جـ2 ص104 – 106، مرجع سابق.

928 – سورة الحشر الآية (10).

929 – شيخ الإسلام ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، جـ5 ص240-241 ، مرجع سابق .



أصحابها حسب درجتها متوخياً في ذلك الدقة المتناهية متحرياً في إنصاف المخالفين وإثبات ما عندهم من حق أو باطل وما لهم من محامد أو مذامّ متجرداً في ذلك دون أن تدفعه الغيرة على السنة و الكراهة للبدعة إلى الوقوع في الظلم أو الحيف في الحقوق قاصداً الرحمة بالمخالفين والإحسان إليهم باذلاً في سبيل بيان الحق والهداية إليه كل ما يملك من جهد ووقت"[930] فالمسلم مقسط مع خلق الله أجمعين صالحهم وطالحهم؛ لأن الله العدل وحكمه العدل وبعث رسله لإقامة العدل وعلى هذا النمط سار الإمام ابن تيمية مطبقاً الخلق الإسلامي عملاً وقولاً مع المبتدعين وأنهم ما زالوا في حوشة الإسلام.

8- موقفه الخلقي مع الكافرين:

الإسلام دين الأخلاق قولاً وعملاً تطبيقياً سواء مع المسلمين أنفسهم أو مع غيرهم من غير المسلمين حيث شهد التاريخ أن غير المسلمين ما لقوا معاملة حسنة من غير ملتهم إلا من عند المسلمين فقد طبع المسلمون الأوائل على جبين التاريخ وصاغوا بأحرف من نور على صفحاته حسن معاملاتهم مع غير المسلمين فلم يلق غير المسلمين ولن يلقوا أحسن من معاملة المسلمين لهم وفي بلاد المسلمين خاصة في مصر والشام أكبر التجمعات من غير المسلمين وأكثر الجاليات منهم يتعايشون مع المسلمين مذ كانوا تحت ظلال الحكم الإسلامي الذي عاملهم بأحسن الأخلاق الكريمة استجابة لما في القرآن الكريم والسنة المطهرة فالكافرون غير الطاعنين والمعتدين لهم ما يعتقدون وللمسلمين ما يعتقدون كما قال تعالى: (لا إكراه في الدين)[931] وأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقوله لهم: (لكم دينكم ولي دين)[932] بل أوجب على من لهم على المسلم حق أن يحسن إليهم إن كانوا ممن

930 – د. أحمد بن عبد العزيز الجليبي، أصول الحكم على المبتدعة عند شيخ الإسلام ابن تيمية، ص65 – 66 بتصرف، كتاب الأمة، ط1، الدوحة – قطر، 1417هـ - 1997م.

931 – سورة البقرة الآية (256).

932 – سورة الكافرون الآية (6).

يجب لهم إحسان وفضل كالوالدين كما في قوله تعالى حاكياً نصائح لقمان الحكيم لابنه وهو يعظه كما في قوله : (وصاحبهما في الدنيا معروفاً)[933] وبين سبحانه أن المسلم يجب أن يقسط مع من لم يعتد عليه بقوله سبحانه: (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين)[934] وقد سلك الإمام ابن تيمية في تأصيل منهجه الخلقي عدة سبل أراد من خلالها إيضاح دعوته من خلال المنهج الخلقي وتمثل فيما يلي:

1. دعوته للكافرين إلى الإيمان بالله عز وجل وسواء كان هؤلاء الكافرون أهل كتاب أم من غيرهم أما دعوته لغير المسلمين فقد حكى تلميذه البزار أنه منذ صغره كان سبباً في إسلام بعض اليهود حيث "كان إذا أراد المضيّ إلى المكتب يعترضه يهودي كان منزله بطريقه بمسائل يسأله عنها فكان يجيبه عنها سريعاً ثم إنه صار كلما اجتاز به يخبره بأشياء مما يدل على بطلان ما هو عليه فلم يلبث أن أسلم وحسن إسلامه"[935] وكذلك في حال كبره أسلم على يديه بعض اليهود كما ذكر ذلك الإمام ابن كثير[936] وكذلك كان يدعو الرهبان بمناظرته لهم وتبيينه لهم بطلان معتقدهم وبين لهم صحة الدين الإسلامي وأقام عليهم الحجة حتى قالوا له – وكانوا ثلاثة رهبان من صعيد مصر بعد المناظرة: "الدين الذي ذكرته خير من الدين الذي نحن وهؤلاء [من بني ملتهم] عليه ثمَّ انصرفوا من عنده"[937] فمن دعوته لهم وكلامه معهم بآداب الإسلام وخلقه بين لهم الحق.

933 – سورة لقمان الآية (15).

934 – سورة الممتحنة الآية (8).

935 – الحافظ البزار، الأعلام العلية، ص18 – 19 بتصرف، مرجع سابق.

936 – الإمام ابن كثير، البداية والنهاية، جـ14 ص19، 75، مرجع سابق.

937 – الإمام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ1 ص371، مرجع سابق.



2. دعوته لهم بإرسال الكتب والرسائل؛ ليبين لغير المسلمين حقيقة الإسلام ويظهر لهم التناقض في دينهم كما في إرساله رسالة يرد بها على سؤال ورد من أهل قبرص مبيناً ذلك عن طريق الأدلة العقلية والنقلية وعنوان تلك الرسالة : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح "ويقع هذا الكتاب في أربعة أجزاء وهي تبلغ أكثر من ألف وأربعمائة صفحة والغرض من تأليف الجواب الصحيح على ما يظهر هو بيان أصول الشرائع السماوية والكتب المنزلة وأنها واحدة[وبين أنّ] هذا أصل دين المسلمين فمن كفر بنبي واحد أو كتاب واحد فهو عندهم كافر وذكر بشائر النبوات بالنبي العربي وعقد فصولاً في إعجاز القرآن الكريم ثم بين صدق نبوة النبي ρ "[938] فيبين لهم حقيقة الإسلام وبيان بطلان دينهم بأسلوب علمي تحت ظلال من مكارم الأخلاق حيث رد على كبرائهم وساداتهم دون تجريح لذوات هؤلاء الكبراء ولكن يقارع الحجة بالحجة والدليل بالدليل وفي هذا دلالة على سمو خلقه واهتمامه بدعوة غير المسلمين إلى الإسلام.

حسن معاملته لهم: وكان ذلك حينما دخل قازان بلاد المسلمين وأخذ الأسرى من المسلمين ومن الذميين فلما دخل الإمام ابن تيمية عليه استنقذ الجميع "وكان لابن تيمية مسعىً حميد في استنقاذ الأسرى وفك أسارى المسلمين وفك أسارى الذميين مع أسارى المسلمين"[939] وهكذا لم يسع في فك أسارى المسلمين بل سعى لاستنقاذ أسارى غير المسلمين مما يدل على أن بغض المعتقد شيء وحسن الخلق شيء آخر بل إن كثيراً من الناس دخلوا في دين الله أفواجاً من حسن خلق المسلمين وهكذا هو مسلك هذا الإمام مع هؤلاء فالعدل والإنصاف هو تطبيق عملي لدين

938 – الشيخ محمد بهجة البيطار، حياة شيخ الإسلام ابن تيمية، ص 84 ، 85 ، 93 ، 94 ، 95 بتصرف، مرجع سابق، ينظر الشيخ أبو الحسن الندوي، رجال الفكر والدعوة، ص229 – 252، مرجع سابق.

939 – الشيخ محمد أبو زهرة ، ابن تيمية ، ص 38 – 39 بتصرف ، مرجع سابق.



الإســـلام فلا إكراه في الدين إنما يعامل كل إنســـان بما يســـتحق ولا تزر وازرة وزر أخرى فكما أن الظلم لا يجوز مع المسلم ولا مع الكافر فإن العدل واجب مع المسلم وغير المســـلم وهذا الخلق الكريم درة في جبين الدهر تُظهر سماحة ديننا الحنيف وإلى ذلك حث القرآن الكريم والسنة الشريفة.



المبحث الثالث

الدراسات والبحوث السابقة

المتتبع لأي دراسة تكتب في عالم في فن معين لا يكاد يحصرها ؛ خاصة إن تنوعت في اتجاهاتها . هذا إن أخذنا بعين الاعتبار دراسات لعالم واحد في فن معين فكيف لو كان هذا العالم مشاركاً في علوم كثيرة بل متبحر في علمي العقل والنقل كالإمام ابن تيمية ؟! يضاف لذلك ما له من شهرة ذاتية وشهرة في تآليفه إلى غير ذلك من الاعتبارات عبر قرون عديدة من وفاته حتى الآن – بما يقارب سبعمائة سنة .

هذا وشخصية كشخصية الإمام ابن تيمية بشمول ما تبرزه من معان كانت ولا زالت محطاً للبحث والدراسات بشتى أنواعها وهي أيضاً أرض خصبة لجميع المتخصصين بالشؤون الشرعية أو العقلية أو التربوية أو الدعوية أو غيرها من العلوم ولقد تعددت الدراسات والبحوث المتعلقة بهذا الإمام شخصاً ودعوةً وتربية وعلماً ما بين دراسات وبحوث متعلقة به بصورة عامة أو متعلقة بالناحية الدعوية عنده أو دراسات وبحوث حول بعض الجوانب التربوية على وجه الخصوص أم بما يتعلق بالتربية العقدية وغيرها وتعددت مناهج المؤلفين : فمنهم من ركز في بحثه على جانب عام لحياته ومنهم من نظر إليه من جانب عقدي ومنهم من ركز على الناحية التربوية ومنهم من أبرز دوره في علم من علوم الشريعة على وجه الخصوص ومنهم من أشار إلى منهجه الفكري ومنهم من ركز على جانب خلقي من منظور تربوي وكذلك بعض الباحثين جعل جُل رسالته في ذلك ومنهم من ذكره ضمن مبحث معين .

* الدراسات والبحوث المتعلقة بالإمام ابن تيمية بصورة عامة:



كثرت الدراسات والبحوث حول الإمام ابن تيمية عامةً أي : التي تحكي سيرته وما صاحبها من أمور نشأته وعلمه وعمله وجهاده و ... وتعدد هذه المؤلفات يرجع إلى تعدد الزوايا التي ينظر إليه من خلالها ومن هذه المؤلفات :

1- الدرة اليتيمية في سيرة ابن تيمية . الإمام الذهبي .
2- القول الجلي في ترجمة الشيخ تقي الدين ابن تيمية الحنبلي .
العلامة محمد المغربي .القول الجلي في ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية الحنبلي . العلامة صفي الدين الحنفي .
3- حياة شيخ الإسلام ابن تيمية . الشيخ محمد بهجة البيطار .
4- شيخ الإسلام ابن تيمية : سيرته وأخباره عند المؤرخين . الشيخ صلاح الدين المنجِّد .
5- مناقب ابن تيمية . الشيخ ابن حبيب .
6- الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون .
الشيخان : محمد عُزَيْر شمس وعلي بن محمد العِمْران .
7- ناحية من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية﴿ لخادمه ﴾ إبراهيم بن أحمد الفياني .
8- ابن تيمية . الشيخ محمد راغب الحنفي .
1. ابن تيمية : حياته وعصره آراؤه وفقهه . الشيخ محمد أبو زهرة .
11 – مقارنة بين الغزالي وابن تيمية . د. محمد رشاد سالم .
12- رجال الفكر والدعوة في الإسلام : الحافظ أحمد بن تيمية . الشيخ أبو الحسن علي الحسني النَّدْوِي

*الدراسات والبحوث الخاصة بالناحية الدعوية عند الإمام ابن تيمية:



الجانب الدعوي للداعية هو كالروح له ؛ إذ داعية بدون دعوة لا يكون والدعوة هي سبيل المؤمن اقتداءً بالنبيين والمرسلين عليهم السلام إذ كل نبيٍّ دعا قومه لعبادة الله وحده لا شريك له ثم بين لقومه ما يصلح حياتهم الدنيا والآخرة ...

والإمام ابن تيمية ممن كرَّس حياته كلها للدعوة إلى الله I فما ترك طريقة ولا مسلكاً يدعو من خلاله إلا دخل فيه حتى ينال شرف أولئك الداعين كما في التنزيل : (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين)[940] ؛ ولهذا أُلفت رسائل تبيّن دور هذا الإمام الدعوي في شتى المجالات وإصلاحه المتعدد الجوانب الدينية أو الفكرية أو السياسية أو ... ومن هذه الرسائل :

1- منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة . د. عبد الله بن رشيد الحوشاني .
2- شيخ الإسلام ابن تيمية والعمل الجماعي . الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق .
3- دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية . صلاح الدين مقبول .
4- معاً على طريق الدعوة : شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام الشهيد حسن البنا . محمد عبد الحليم محمود .
5- التجديد في الفكر السياسي لابن تيمية . صالح بن سعيد سالم باحاج .
6- نظريات شيخ الإسلام ابن تيمية في السياسة والاجتماع . المستشرق الفرنسي هنري لاوست

*الدراسات والبحوث حول بعض الجوانب التربوية عند الإمام ابن تيمية :

940 – سورة فصلت الآية (33) .



اهتمام الإمام ابن تيمية بأمور التربية والسلوك والتهذيب مما يعرفه القاصي قبل الداني ؛ لما له من أيادٍ بيضاء في هذا الجانب سواء في تربيته للعامة أم بتربيته للصفوة من تلاميذه والذين صار الواحد منهم إماماً يشار إليه بالبنان فهذا الإمام صاحب فكر تربوي مميز بدءاً بتكوينه الفكري وانتهاءً بتأصيله ومنهجه التربوي ... ؛ لذا تنوع الباحثون والمتخصصون في تناول كل منهم لأمرٍ من الأمور التربوية ومن هذه المؤلفات :

1- الفكر التربوي عند ابن تيمية . د. ماجد عرسان الكيلاني .

2- دراسات في فكر ابن تيمية . عبد اللطيف محمد العبد .

3- تكامل المنهج المعرفي عند ابن تيمية . إبراهيم عقيلي .

4- الأهداف التربوية السلوكية عند شيخ الإسلام ابن تيمية . فوزية رضا أمين خياط

5- التأصيل التربوي عند الإمام تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني .

الأستاذ فريد الأنصاري " بحث " ضمن كتابه : التوحيد والوساطة في التربية الدعوية .

القيم الخلقية عند ابن تيمية . د. لطفي بركات أحمد " بحث " ضمن كتابه : في الفكر التربوي الإسلامي النشأة العلمية عند ابن تيمية وتكوينه الفكري . المستشرق الفرنسي هنري لاوست ضمن أبحاث أسبوع الفقه الإسلامي مهرجان الإمام ابن تيمية .

*الدراسات والبحوث الخاصة بالتربية العقدية عند الإمام ابن تيمية :

الدارسون والباحثون على اختلافهم تناولوا ما يتعلق بالناحية التربوية عند الإمام ابن تيمية وكذلك العقيدة عنده لكن أمر التربية العقدية ومناهجها التي تتم من خلالها فلم يتطرق إليها الباحثون – فيما يرى الباحث – بإفرادها بالبحث لكن تعرض للكلام



عليها ضمناً ثلاثة علماء نبلاء معاصرون هم : د. عبد الرحمن المحمود[941] ، د. عبد الله الحوشاني[942] ،د. عبد المجيد بن سالم المشعبي[943]

أما الأول منهم فقد تعرض لذكر منهج شيخ الإسلام في تقريره للعقيدة وجعل ذلك في حالين:

الحال الأولى : بيان العقيدة الإسلامية للناس والدعوة إليها عن طريق ذكر عقيدة سليمة ، صافية بعيدة عن إثارة الشبهات أو أدلة الخصوم والرد عليها وإنما تذكر أدلة القول الصحيح وتُشرح وتُوضح حتى يستقر الحق في النفوس بعيداً عما يضادُّه من شبهات المخالفين .

الحال الثانية : الرد على الخصوم ودفع المعارض وبيان الحق من خلال المناقشة ؛ لبيان العقيدة الصحيحة .

وأحياناً يجمع بين الطريقتين بأسلوب إجمالي يميل إلى تقرير الحق في الأمورالمختلف فيها كما فعل في رسالته المعروفة " الوصية الكبرى "[944] ثمَّ بيَّن

منهج الإمام ابن تيمية في العقيدة عموماً كما يلي :

1- عرضها بأسلوب سهل ميسر يفهمه الجميع : المتعلم وغير المتعلم مثل رسالته المعروفة ب"العقيدة الواسطية" والتي تميزت بالوضوح والبُعد عن التعقيد أو إثارة المشكلات : من عدم الدخول في متاهات أهل الكلام مع دعم ما يقول بالنصوص من الكتاب والسنة وأقوال السلف وكذلك الشمول في بيان العقيدة وبيان جميع أمورها .

941 – موقف ابن تيمية من الأشاعرة ، جـ 1 ص 266 – 327 ، مكتبة الرشد ، ط1 ، الرياض – المملكة العربية السعودية ، 1415هـ–1995م .

942 – منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة ، جـ 1 ص 379 – 392 ، مركز الدراسات والإعلام ، دار أشبيلية ، ط1 ، بيروت – لبنان ، 1417هـ – 1996م .

943 – منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في مسألة التكفير [في مجلدين]،أضواء السلف ،ط1 ، الرياض – المملكة العربية السعودية ، 1418هـ–1997م

944 – ينظر البداية والنهاية للإمام ابن كثير ، جـ 12 ص 143 ، دار ابن كثير ، بدون ط ، بيروت – لبنان ،1967 م.



2- التركيز على أكبر المسائل وأهمها وهو توحيد الإلهية والبعد عن الشرك بجميع أنواعه وصرف جميع أنواع العبادات لله وحده مع الإقرار والتسليم للنبيِّ محمدٍ صلي الله عليه وسلم بالرسالة ، أي من خلال أصلين هما: توحيد الإلهية وحق الرسول صلي الله عليه وسلم من تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر[945]

3- بيان شروط قبول العمل من إخلاص النية لله ومتابعة الرسول صلي الله عليه وسلم .

4- انتسابه إلى مذهب السلف لا إلى مذهب معين ودعوته إليه دون سواه .

5- التركيز على بيان وسطية مذهب السلف في الإيمان والقدر والصحابة والقرآن و ... كما أشار إلى ذلك في العقيدة الواسطية .

6- عند الحاجة إلى ذكر أقوال المخالفين فلا بد من ذكر وتقرير المذهب الصحيح المستنبط من الكتاب والسنة أولاً وذكر أقوال المخالفين كما في كتاب الإيمان .

وأما منهجه في الرد على الخصوم فإنه يقوم على أساسين هما :

(أ) بيان حال الخصوم من أهل البدع والانحراف [بنوعيها : المكفرة – غير المكفرة] وشرح مناهجهم وخلفياتهم ؛ لأن الحكم عليهم ونقض أقوالهم لابد أن يكون مبنياً على المعرفة بأحوالهم وذلك كما يلي :

1- وجوب بيان أهل البدع والانحراف وأن ذلك لا يعتبر من الغيبة .

2 ، 3 –كشف أسباب نشأة الفرق والبدع ومعرفة تاريخ نشوئها وتسلسلها التاريخي؛ ليصبح الرد عليها مبنياً على منهج سليم مثل الطبيب لا يكتفي بمكافحة المرض فقط وإنما يبحث عن أسبابه وشيخ الإسلام كثيراً ما يقرن بين الأحداث التاريخية والبدع التي صاحبتها

945 – ينظر مجموع الفتاوى للإمام ابن تيمية ج 1 ص 95 ، ص 20 – 32 ، ص 104 – 109 ، مرجع سابق .



4- معرفته بأحوال الخصوم ومذاهبهم وعقائدهم وكتبهم ليكون أوقع وأبلغ .

5- بيانه لمنهج أهل البدع والكلام المخالف لمنهج السلف ؛ ليعين على معرفة منهج أهل الحق .

(ب) الرد على الخصوم ومناقشتهم يتضح ذلك من خلال ما يلي :

1- ثقته المطلقة بما عنده من الحق حتى إنه ليمهل مخالفيه ثلاث سنين ... وهذا واضح في جميع ما كتب ثقة بما عنده ؛ لاعتماده على الكتاب والسنة وأقوال السلف مما جعل وحدة في المنهج عنده .

2- اعتماده في العقيدة على الكتاب والسنة وتقديمهما على غيرهما :
حيث القرآن دل على جميع المعاني دقيقها وجلها . والرسول ρ بلغ أصول الدين وفروعه ولا تعارض بين ما جاء به الشرع مع العقل .

3 – بيَّن كيفية فهم نصوص الكتاب والسنة وما يحتاج إلى ذلك من تفسير وسنة ولغة .يرى وجوب الرجوع في فهم النصوص المتعلقة بالعقيدة للسلف ؛ لأنهم أعلم وأحكم وأفهم لمعاني النصوص من غيرهم ؛ لقربهم من الوحي .

4- يرى جواز استخدام المصطلحات الحادثة ومخاطبة أهل الاصطلاحات باصطلاحهم إذا احتيج إلى ذلك .

5 ، 6 – استفادته من تناقض أقوال المخالفين بفساد أقوال الطوائف المختلفة مما يثبت صحة معتقد أهل الحق وإثبات وسطيتهم وهذا بدوره يؤكد أن الأدلة التي تستخدمها الطوائف المختلفة سواء الشرعية منها أو العقلية لا تدل على صحة أقوال أهل الباطل بل إنها تدل على الحق .

7- إنصافه للخصوم واعترافه بما عندهم من الحق .

8- عمق تفكيره وسعة صدره العلمية و الدعوية ؛ حيث إنه يقرن الأمور العلمية بالعملية و يرى أن بعض المسائل الفرعية التي وقع فيها الخلاف لا ينبغي مفاتحة عوام الناس فيها وامتحانهم حولها ، كما يرى التدرج في ذكر المسائل العلمية ويرى أن القول الباطل قد يتبيَّن بطلانه في نفسه من غير بيان كما أنه يرى وجوب هدم الباطل الذي عند الخصم مع كون جواب الشبهات يجب أن يكون قوياً حتى ينقضها وأن تغيير المنكر لا يجوز فعله إن جرَّ منكراً أكبر منه .

ومن منهجه أيضاً أنه لا يطلب رضا الناس ؛ لأنه غاية لا تدرك ومع هذا يأمر بالاجتماع وينهى عن الفرقة والاختلاف ويكثر من ضرب الأمثلة ليوضح المراد

أما الثاني : فقد تعرض لذكر منهج شيخ الإسلام في العقيدة والدعوة إليها من خلال ما يلي :

أولاً : الاعتماد على الكتاب والسنة وفق فهم الصحابة : وهذا له مبررات عنده منها :

1- الرسول صلي الله عليه وسلم بيَّن لهم معاني القرآن الكريم كما علَّمهم ألفاظه وهم بلَّغوا إلى من بعدهم معانيه كما بلَّغوا حروفه .

2- فهمهم للنصوص أكثر وأدق ؛ لشهودهم التنزيل بل أحياناً في أشخاصٍ منهم .

3- أنهم كانوا متفقين على أصول الدين ولم يتفرقوا فيه كما تفرق من بعدهم .طريق السلف وعلى رأسهم الصحابة هو الأصح في الجدل والمناظرة والقضاء على حجج المبطلين .

والإمام ابن تيمية يحرص على عرض العقيدة عرضاً واضحاً سهلاً مدعماً بالأدلة النقلية والعقلية فصارت دعوته فيها التجديد في العرض والأسلوب والتأصيل في المحتوى والمضمون .



ثانياً : التزام ألفاظ ومصطلحات الكتاب والسنة : حيث التعبير بها عن المعاني الشرعية وفق لغة القرآن ولغة الرسول ρ كما كان يتحاشى استعمال الألفاظ والمصطلحات غير الشرعية ؛ لأنها تعطي مدلولات غير محددة ولا منضبطة أو غير صحيحة .

ثالثاً : لا يتقدم بين يدي الله ورسوله ρ بمقررات سابقة وأحكام جاهزة : فلا يفعل مثل فعل المنحرفين حيث يأتون بمعتقدات معينة ثم ينقبون في النصوص لعلهم يجدون فيها ما يؤيد معتقدهم ليثبتوا صحته هذا إن وجدوا شيئاً متشابهاً وإلا يلوون أعناق النصوص مع التأويل والمجاز بل يجب الأخذ بما في الكتاب والسنة ؛ لأن البشر ما سمعوا كلام الله فيه بل بينه وبينهم رسول فيجب أن لا يقدموا بين الله ورسوله ε شيئاً كما في التنزيل : (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم)[946] .

رابعاً : يدقق ويحترز في مسائل العقائد كثيراً ويسعى لسد الذرائع الموصلة إلى الشرك ؛ حيث إنه يرى أن الغلط يزاد إن وقع فالشبر يصير ذراً وهكذا ... ويرى أن الغلط في أصول الدين أعظم من الغلط في فروعه : إذ الغلط في أصول الدين قد يكون كفراً ، ثمّ إن منهجه في الأصول يختلف عن منهجه في الفروع والمعاملات حيث سلك في الأخير مسالك التيسير والرفق والتوسعة على الأمة ولرفع الحرج عنها وعدم التفرق ما دام في المسألة قول آخر لإمام متبوع أو أكثر من إمام أما العقيدة فكان ينافح ويكافح من أجلها ولا يتهاون أبداً بالمساس بأيِّ جانب من جوانبها أو جزئية من جزئياتها .

خامساً : يرى أن مسائل العقيدة وقضاياها ليست في درجة واحدة ؛ ذلك أن العقيدة فيها أصول وفيها وفروع والحكم في الأصول يختلف عن الحكم في الفروع ، وليس ترك الأصول كترك الفروع : فليس التنازُع في فروع العقيدة كرؤية النبيِّ ρ ربَّه قبل الموت أو

946 – سورة الحجرات الآية (1) .



تفضيل عليٍّ على عثمان رضي الله عنهما كترك موالاة المؤمنين وترك الانقياد لحكم الكتاب والسنة أو صرف النسك لغير الله عز وجل .

سادساً : يرى أن الدعوة إلى العقيدة ينبغي أن يكون توحيد الربوبية سبباً لتوحيد الألوهية ودليلاً عليه ؛ ذلك أن البشر كلهم – إلا ممن شذ ممن طُمست بصيرته – يقرون بربوبية الله تعالى فقد أقر بها مشركو العرب الذين دعاهم النبي ρ ثم إن إقرار البشر بالربوبية أسبق من إقرارهم بالألوهية فيؤكد على أن الدعوة يجب أن ترتكز على توحيد الألوهية لأنه هو الذي ينقص الأمة ووقوع الضلال من جهته كما أن من أقر بالربوبية لا يكمل توحيده حتى يقر بالألوهية فيفرد الله بكل أنواع العبادة وحده لا شريك له .

سابعاً : عَمَدَ الإمام ابن تيمية إلى تخفيف منابع الشرك الذي يضاد العقيدة : وذلك بكشف السيار عنها وبيان الحق والصواب في كل ما يتعلق بذلك وقد أماط اللِّثام عن عُوار كثير من الأماكن والمشاهد وبين كذب مدعيها وافترائهم ... وهذا متناثر في فتاواه بل إنه غير المنكر لكثير منها بنفسه لِما رأى من كثرة الشرك بها وحولها كما كان يرى أن إزالة عقيدة الشرك والوثنية عملية ليست شاقة ؛ لأنها عقيدة ليس لها قرار في القلب ولا مكان تستقر فيه : إذ هي عقيدة طارئة على الفطرة ولا ثبات لها .

ثامناً : منهجه في قضية التكفير : أنه لا يكفر المخطئين المجتهدين المتأولين لكن مخالفتهم للكتاب والسنة يكون إما عن جهل أو فسق أو معصية فلا يكفر الشخص حتى تقام عليه الحجة فإن خالف بعدها فإنه يعاقب بحسب ذلك إما بالقتل أو بدونه . كما بين أنه ليس شرطاً أن يكون كل مخطئ كافراً لا سيما في المسائل الدقيقة التي كثر فيها النزاع ولا يلزم أن كل من قال قولاً ظاهره كفر أن يكون كافراً مع الجهل أو مع الاجتهاد والتأويل إذ هناك فرق بين الإطلاق والتعيين .



- ومن منهجه أن لازم القول ليس بقول ؛ لأن كثيراً من أهل الإيمان يقولون أقوالاً تستلزم الكفر وتتضمن إبطال الرسالة وتكذيب الرسول ρ في إخباره عن ربه وهم ليسوا كذلك والحمد لله .
- نبه إلى مسألة كمون الكفر في القول وعدم كونه كفراً إلا إذا علم حقيقة ما تضمنه قوله من الكفر .

تاسعاً : يرى وجوب إبراز عقيدة أهل السنة والجماعة صافية نقية بعيدة عن الخلافات والمجادلات الكلامية لأن الأمة تختلف في مداركها العقلية وقدرتها على الفهم والاطلاع ولابد من شيء يدركونه على مستوى عقولهم مما دفعه لإبراز رسائل ميسرة تتضمن عقيدة أهل السنة والجماعة مثل : الواسطية والعبودية واقتضاء الصراط المستقيم والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان والاستقامة ... إضافة إلى تصدِّيه لمعضلات مسائل العقيدة ومناقشة المخالفين وتفنيد حُججهم ثمَّ يقول كلمة الفصل في تلك القضايا بعض العبارات الدالة على ذلك كقوله:

*وفَصْل الخطاب * والتَّحقيق * والصَّواب .

عاشراً : السَّيْر على مَنْهج السلف في عدم الجدل في مسائل العقيدة والخوض فيها : فلا يستعمل ذلك إلا عند الضرورة التي لابد منها : من رد افتراء أو دحض شبهة أو إقناع ضال ولا يرى المناظرة بالطرق الكلامية وحدها ولا يرد بدعة ببدعة بل يجعل الأصل عنده الوحي : كتاباً وسنة وإن استخدم الجدل وألفاظ ومصطلحات الفلاسفة وأهل الكلام وغيرهم فللإثبات الشرعي .

الحادي عشر : إظهار حاجة الناس إلى العقيدة : إذ النفوس البشرية تحرص على ما فيه فائدة ومصلحة وهذه المصلحة لا تكون على الحقيقة في الدارين إلا بعبادة الله وحده ؛ ذلك أن النفس مجبولة على العبادة فلذا عمل على تحرير الإنسان من عبوديته لغير الله من إنس أو حجر أو جانٍ أو إنسان ، كما ألمح إلى أن اللذة والفرحة والسرور



والنعيم لا يكون إلا بتوحيد الله تعالى والإيمان به وأشار إلى الآثار العظيمة للعقيدة وبين أن المسلم لو لقي الله على العقيدة السليمة الخالية من الشرك دخل الجنة على ما كان من العمل كما أنه دعا إلى كثرة اللجؤ والدعاء لله I دون سواه وحذر من الشرك بجميع أنواعه .

وأما الثالث: فقد جعل بحثه موجهاً ومركزاً حول مسألة دقيقة وهي منهج شيخ الإسلام في مسألة التكفير وقد قسم بحثه إلى أربعة أبواب كما يلي:

أ- إطلاق الكفرعلى مادل الكتاب والسنة على أنه كفر و يشمل ما يلي:

1- تحذير شيخ الإسلام من التكفير بغير دليل شرعي ولا علم.

2- بيان شيخ الإسلام للأفعال والأقوال المكفرة.

3- لايكفر شيخ الإسلام مرتكب الكبيرة ما دون الشرك.

ب- ضوابط التكفير ويشمل ما يلي:

1- التفريق بين التكفير المطلق وتكفير المعين.

2- شروط تكفير المعين.

3- موانع تكفير المعين.

ج- موقف شيخ الإسلام من تكفير المعين ويشمل ما يلي:

1- حكم المعين من أهل البدع.

2- الفرق التي لا يكفرها شيخ الإسلام وهي:

- الخوارج.
- الشيعة المفضِّلة.



- المرجئة.
- القدرية.
- المعتزلة.
- الكُلابية.
- الأشاعرة.

3- الفرق التي يكفرها شيخ الإسلام وهي:

- الفلاسفة.
- الجهمية.
- الباطنية (سواء كانوا من غلاة المتصوفة أصحاب وحدة الوجود أم من غلاة الشيعة سواء كانوا: إسماعيلية أم نُصَيْرية أم رافضة).
- غلاة القدرية.

د- موقف شيخ الإسلام من الفرق المفْرِطة في التكفير والمفَرِّطة فيه ويشمل ما يلي:

1- موقفه من إفراط الفرق في التكفير .

2- موقفه من التفريط في التكفير.

حيث إن المؤلف يذكر المسألة ثم يذكر موقف شيخ الإسلام منها مبيناً منهجه فيها مع ذكر مختصر للأدلة وفي النهاية يختم الكلام بخلاصة قد توصل إليها وهكذا في جميع المسائل وفي نهاية البحث ختمه بنتائج خَلُصَ إليها من منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في مسألة التكفير وهذه النتائج هي:



1- لا يجوز الإقدام على تكفير الناس بغير دليل شرعي [وألمح قائلاً:]وقد كان شيخ الإسلام حريصاً على الذب عن أعراض المسلمين أن يُرْمى أحدهم بكفر حذراً من ذلك محذراً الناس من الوقوع فيه.

2- أن الحكم المطلق على الأقوال والأفعال يختلف عن الحكم على الشخص المعين.

3- أن من الأمور التي يُطلق عليها الكفر ويكفر مرتكبها بعد استيفاء الشروط وانتفاء الموانع...[ثم عدد بعضها].

4- يتعين على الشخص المعين إذا ارتكب أمراً مكفراً وكان قاصداً للمعنى الكفري إذا كان اللفظ يحتمل أكثر من معنىً...[وعدد بعض الموانع.

5- من شروط تكفير المعين التي ذكرها شيخ الإسلام : أن يقصد المتكلم المعنى الكفري...[ثم فصل الشروط].

6- بالنسبة للحكم على الفرق تنقسم الفرق إلى قسمين:

<u>فرق لا يكفرها شيخ الإسلام وهي :</u>

- الخوارج.
- الشيعة المفضّلة.
- المرجئة.
- القدرية.
- المعتزلة.
- الكُلابية.
- الأشاعرة.



فرق يكفرها شيخ الإسلام وهي :

- الفلاسفة.
- الجهمية.
- الباطنية (سواء كانوا من غلاة المتصوفة أصحاب وحدة الوجود أم من غلاة الشيعة سواء كانوا:إسماعيلية أم نُصَيْرية أم رافضة).
- غلاة القدرية.

ومن خلال ما تقدم من بحوث ودراسات عن منهج شيخ الإسلام في العقيدة والدعوة إليها لدلالة على اهتمام هذا الإمام بالعقيدة قولاً وفعلاً وتربيةً واعتقاداً .

هذا ولم يتعرض أي منهم للجوانب التربوية وملازمتها للعقيدة ؛ ذلك أن موضوع مادة البحث عندهم ليس له تعلق بالتربية فالأول كتابه بعنوان : موقف ابن تيمية من الأشاعرة .

والثاني كتابه بعنوان : منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة والثالث كتابه بعنوان: منهج شيخ الإسلام في مسألة التكفير ؛ لذا ما تعرضوا تفصيلاً لذكر ما يلي :

(أ) تلازم التربية والعقيدة وكذلك العقيدة بمنهج .

(ب) المقومات الأساسية للتربية[947] : من الاعتناء بالمعلم والعملية التعليمية ووسيلة التعلم والمتعلم .

(جـ) – العناصر الأربعة لتكوين المنهج وهي[948] :

1- تحديد الأهداف .

947 – د. يوسف القرضاوي ، التربية عند الإمام الشاطبي ، ص 12 ، مرجع سابق .

948 – ج .د. نست ، ن.ج . أنتويستل ، مناهج البحث التربوية ، ص 135 ، مرجع سابق ، د. علي أحمد مدكور ، نظريات المناهج التربوية ، ص 166 ، مرجع سابق .

2- اختيار المحتوى الملائم والطرق والمواد .

3- تقويم مدى نجاح الأساليب الجديدة في تحقيق الأهداف المحددة .

4- التغذية الرجعية .

(د) – تميُّز منهجه من خلال ما يلي :

1- الثبات والاستمرارية . 2 الشمول . 3 التكامل . 4 الوضوح .

فرجوع الباحث للدراسات والبحوث السابقة يهدف إلى التعرف على ما يلي :

- المنهج الذي اتبعته الدراسات الأخرى .
- الأساليب التي تمت بها تلك الدراسات واتجاهاتها .
- أهم النتائج والتوصيات والمقترحات التي تم التوصل إليها .المنهج الذي اتبعته الدراسات الأخرى : إن منهج الدراسات التي تمت حول منهج الإمام ابن تيمية أنواع :

- نوع تكلم بصورة عامة على شخصيته ومنهجه ودوره الإصلاحي الدعوي .
- نوع عالج جانباً من الموضوعات المتخصصة في الشريعة أو العقيدة أو الفقه أو التفسير أو التربية والسلوك أو اللغة أو ما يتعلق بالعقل أو ...
- نوع بحث في جزئية معينة تتبع مظانها من مؤلفات هذا الإمام أو من خلال سيرته وأقواله وأفعاله ومؤلفاته معاً في الجوانب المختلفة ...وهكذا تعددت الاتجاهات والأبحاث في الجوانب المختلفة لهذا الإمام .

ومن أمثلة النوع الأول : منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة ، د. عبد الله بن رشيد الحوشاني .

ومن أمثلة النوع الثاني : باعث النهضة الإسلامية : ابن تيمية السلفي ، د. محمد خليل هراس



ومن أمثلة النوع الثالث : الأهداف التربوية السلوكية عند شيخ الإسلام ابن تيمية ، أ. فوزية رضا أمين خياط .

من خلال المنهجين الوصفي والتحليلي .

الأساليب التي تمت بها تلك الدراسات واتجاهاتها : حيث إن الباحث سيبين لكل منها الأسلوب الذي سلكه المؤلف في بحثه ودراسته كما يلي :

النوع الأول: ومن أمثلته رسالة بعنوان: منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة ومؤلفها د. عبد الله بن رشيد الحوشاني وقد قسم البحث إلى مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة.

أما المقدمة فتضمنت الكلام على الدعوة وأهميتها خصوصاً إن كانت في زمن كثر فيه الخلل العقدي كعصر الإمام ابن تيمية، وأوضح فيها أسباب اختياره لهذا الموضوع مع ذكر ترجمة مختصرة للشيخ تقي الدين.

وأما الباب الأول: خصائص منهج ابن تيمية في الدعوة : فبين فيه خصائص منهج ابن تيمية في الدعوة إلى الله تعالى وذلك من خلال: الاحتجاج باللغة العربية والجمع بين العقل والنقل والشمول والوضوح مع الموضوعية من تجرد وإنصاف ومعرفته بثقافة عصره.

وأما الباب الثاني: أصول منهج ابن تيمية في الدعوة إلى الله : فأبان فيه أصول منهج ابن تيمية في الدعوة إلى الله تعالى من خلال أصل العقيدة وأصل العبادة وأصل الأخلاق.

وأما الباب الثالث: الأساليب والوسائل في منهج ابن تيمية : فعدد فيه أساليب ووسائل ابن تيمية في الدعوة.



وأما الباب الرابع: آثار منهج ابن تيمية : فإنه أظهر فيه آثار منهج الإمام ابن تيمية على كل من تلاميذه وعلى الحركات الإصـلاحية الإسـلامية بعده وأما الخاتمة فذكر فيها أهم التوصيات والاقتراحات المتعلقة بالبحث.

وأما النوع الثاني: فمن أمثلته رسـالة بعنوان: باعث النهضـة الإسـلامية : ابن تيمية السـلفي ، ومؤلفه د.محمد خليل هراس وقد قسـم مؤلفها بحثه إلى مقدمة وبابين وخاتمة.

أما المقدمة فقد تكلم فيها عن العقيدة وأهميتها في الشرع والإشارة إلى حدوث خلل في تصـورات الناس العقدية مما حدا بالأئمة المصـلحين إلى إظهار الحق وتبينه وذلك عبر العصور... ثم تلكم عن الإمام ابن تيمية وفضله وأشاد بجهده في نصرة مذهب السلف الصالح في العقيدة ورده على المخالفين.

وأما الباب الأول: عصر ابن تيمية فبين فيه ما يتعلق بالنواحي السياسية والاجتماعية والعلمية مع الإشارة إلى حالة علم الكلام في ذلك العصر وبين دور الإمام ابن تيمية الطُّلَعة الناقد ثم أشـار إلى موقفه من مناهج الفلاسـفة والمتكلمين ورده عليهم بالنقل والعقل من خلال طريق الدفع والتأييد.

وفي الباب الثاني: منهج ابن تيمية في إثبات الله تعالى حيث ذكر منهجه في إثبات الوحدانية والأسماء والصـفات وموقفه من المذاهب المخالفة وأقواله في كلام الله تعالى والحكمة والتعليل ثم ختم بحثه ببيان مذهب ابن تيمية الاعتقادي وهو مذهب السلف الصالح ثم ذكر أثر ابن تيمية فيمن أتى بعده.



وأما النوع الثالث: فمن أمثلته رسالة بعنوان: الأهداف التربوية السلوكية عند شيخ الإسلام ابن تيمية لمؤلفته أ. فوزية رضا أمين خياط وقد قسمت المؤلفة رسالتها إلى فصل تمهيدي لموضع الرسالة وأربعة فصول كما يلي:

المقدمة

أشارت إلى دخول الفكر العربي وأهمية البحث التربوي من وجهة التربية الإسلامية وأشارت لجهود الإمام ابن تيمية في تأصيل السلوك وذلك من خلال دراستها للمجلد العاشر : (السلوك) من مجموع الفتاوى للإمام ابن تيمية.

الفصل الأول

تعريف بالمؤلف وبالمجلد العاشر: فبد مقدمة الفصل حيث عرفت بشخصية الإمام ابن تيمية وعلمه وجهاده ثم المجلد العاشر من خلال شكله الخارجي ومحتواه وطريقة عرض المحتوى.

وأما الفصل الثاني

مفهوم السلوك والأهداف التربوية وتم ذلك من خلال ما يلي:

1- مقدمة الفصل.
2- مفهوم السلوك عند ابن تيمية.
3- أنماط السلوك عند ابن تيمية.
4- العوامل المؤثرة في السلوك عند ابن تيمية.
5- أسباب انحراف السلوك عند ابن تيمية.
6- ضوابط السلوك عند ابن تيمية.
7- اهتمام التربية الحديثة بالسلوك.
8- تصنيف يلوم للأهداف السلوكية.



9- اهتمـام المركز العربي للبحوث التربويـة لـدول الخليج بالأهـداف السلوكية:

10- تقويم الأهداف السـلوكية من وجهة نظر التربية الإسـلامية ثم خاتمة الفصل.

وأما الفصل الثالث

تكلمت على الأهداف التربوية العامة في المجلد العاشـر بعد مقدمة الفصـل، ويتم ذلك من خلال تنمية الإيمان بالله ρ من خلال:

(أ) محبة الله ورسوله.

(ب) التوكل على الله.

(ج) إخلاص العبادة لله.

(د) الشكر لله.

(هـ) الصبر.

(و) الخوف والرجاء.

(ز) الإيمان بالقدر.

الهدف الثاني ويتضمن:

1- تنمية القيم والاتجاهات الاجتماعية التي تظهر على المرء عند تفاعله مع أفراد المجتمع أو المجتمعات الأخرى.

2- تربية الانفعالات الإنسـانية من خلال محاربة أمراض القلوب منها: الكبر والحسد والعشق، ثم خاتمة الفصل.

وأما الفصل الرابع: الأهداف السلوكية المشتقة من المجلد العاشر:

بعد المقدمة:

1- الأهداف السلوكية المشتقة من حب الله ورسوله.

2- الأهداف السلوكية المشتقة من التوكل على الله.



3- الأهداف السلوكية المشتقة من إخلاص العبادة لله.

4- الأهداف السلوكية المشتقة من وحدة الشكر.

5- الأهداف السلوكية المشتقة من الصبر.

6- الأهداف السلوكية المشتقة من الخوف والرجاء.

7- الأهداف السلوكية المشتقة من وحدة الصدق والنهي عن الكذب.

8- الأهداف السلوكية المشتقة من الحب في الله.

9- الأهداف السلوكية المشتقة من الجهاد في سبيل الله.

1.-الأهداف السلوكية المشتقة من الجهاد في سبيل الله.

11-التي تحارب الكبر والحسد والعشق .

ثم الخاتمة.

ج أهم النتائج والتوصيات والمقترحات التي تم التوصل إليها:

فمن خلال اطلاع الباحث على تلك الرسائل وما تم التوصل إليه من نتائج وتوصيات كان الآتي:

أما الرسالة الأولى: المتعلقة بمنهج الإمام ابن تيمية بصورة عامة وهي بعنوان: منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة ومؤلفه د.عبد الله بن رشيد الحوشاني فكانت النتائج والتوصيات كما يلي:

بعد الإشادة بأن منهج السلف الصالح في الدعوة في جانبي الفكر والعمل يحتاج إلى تحديد أطره وإبرازه حتى يستفيد منه الدعاة بشتى تخصصاتهم.

1- تكوين لجنة علمية لإعداد مؤلف بمسمى: "منهج السلف الصالح في الدعوة إلى الله".



2- عثور المؤلف على كنوز ثمينة من النظريات والآراء والدراسات التي تدخل في اختصاص البحث الجامعي بأقسامه ؛ لذا يوجه المؤلف دعوته لتبني الفكر التيمي للإسهام في الإصلاح.

3- تكليف الدارسين في الجامعات بإجراء أبحاث في الجوانب المتعددة من خلال منهج مقرر دراسي.

4- الربط بين البحوث العلمية المعاصرة بتراث السلف الصالح.

5- توجيه نداء لعلماء المسلمين أن يكرسوا جهودهم ويضعوا في خططهم التربوية ربط المسلمين بتراث السلف الصالح خصوصاً العقيدة والعبادة ومنهج الدعوة وفق الكتاب والسنة.

6- وأما الرسالة الثانية: المتعلقة بموضوع معين من الموضوعات التي تطرق إليها الإمام ابن تيمية في دعوته فهي بعنوان : باعث النهضة الإسلامية ابن تيمية السلفي لمؤلفه د. محمد خليل هراس.

7- بعد الإشادة بجهود الإمام ابن تيمية في تأصيل منهج السلف الصالح من الناحية العدية وإثبات صحتها وبطلان ما سواها كانت النتائج والتوصيات كما يلي:

1- أضاف الإمام ابن تيمية إلى علم الكلام الإسلامي مادة جديدة.

2- تكوين مذهب خاص في بحث الأمور المتعلقة بعلم الكلام وفق الكتاب والسنة واستخدام العقل المستنير بهدى الشرع وهذا المذهب له طابعه ومميزاته.

3- التأكيد على أن طريقة الإمام ابن تيمية في الاعتقاد تتبع السلف الصالح وليس ذلك راجعاً لا لمذهب ولا إمام.

4- تفرد الإمام ابن تيمية بالكلام على مباحث الجوهر والعرض والتحيز والجهة والجسم مما لم يتكلم مثله من السلف؛ لتعمقه في علمي النقل



والعقل وأيد من خلال كلامه ببراهين وأدلة كثيرة عقيدة السلف وأيدها بما لم يسبقه أحد فيما يرى المؤلف.

5- دفاعه عن مذهب السلف باستخدام القياس الأرسطي إلى جانب النصوص والآثار.

6- وقوفه ضد الخصوم موقف المعارض القوي الذي يحتكم إلى العقل النقل معاً.

7- نجاح الإمام ابن تيمية في رد اعتبار النصوص بعدم مصادمتها للعقل وجعلها المرجع الأول والأخير في حل جميع مسائل الدين.

8- أصبح منهاج الإمام ابن تيمية يباري مناهج الأشاعرة مع كثرتهم وغلبة نفوذهم؛ لقوته في أدلته وبراهينه واستدلالاته.

9- جعل الرجوع في العقيدة إلى الكتاب والسنة وسلف الأمة لا إلى كتب الفرق المختلفة من المتكلمين وغيرهم..

1- يرجو المؤلف من القائمين على المعاهد العلمية والدينية ألا يغفلوا عن

2- تلك الفترة الخصبة التي تميزت بالنقد والإحياء والتجديد إذ كيف يصح أن ندرس المذاهب الفلسفية قديمها وحديثها مع ما فيها من كفريات وضلالات ولا ندرس مذهباً إسلامياً يستند إلى الكتاب والسنة وسلف الأمة؟!

وأما الرسالة الثالثة: المتعلقة ببحث معين أو مسألة معينة فهي بعنوان: الأهداف التربوية السلوكية عند شيخ الإسلام ابن تيمية لمؤلفتها فوزية رضا أمين خياط.

فبعد الإشارة والإشادة بشخص وعلم الإمام ابن تيمية وسبقه في السلوك للتربية الحديثة: حيث أوضح الإمام ابن تيمية مفهوم السلوك ومكوناته وأنماطه والمحركات التي تؤثر فيه والعوامل التي تتحكم فيه كانت النتائج كالآتي:



1- ينبغي على المعلمين الاهتمام بالجانب الســـلوكي للتعليم إذ إنه غير قاصـــر على الجانب المعرفي فحسب بل يشمل جوانب أخرى.

2- الاهتمام بوجود ســـجلات في المدرســـة خاصـــة بالمتعلمين تســـجل فيها لتصـــرفات الصـــادرة عنهم مع دور المدرســـة بتحديد مدى علاقات المتعلمين بالآخرين.

3- القيام بدراسة تبين المراحل الدراسية التي يمكن فيها أن تتحقق بها الأهداف السلوكية بناءً على دراسة خصائص نمو التلاميذ والمحتوى الدراسي لكل مرحلة.

4- القيام بدراســـة تبين مدى إســـهام كل مقرر دراســـي في تحقيق الأهداف السلوكية التي تم التوصل إليها.



الفصل الثالث

(وصف وتحليل واستخلاصات من مناهج التربية العقدية عند الإمام ابن تيميَّة)

في هذا الفصل يذكر الباحث ما تم التوصل إليه من وصف وتحليل لما تقدم ذكره في البحث وأصل جوهره

وهي كالتالي:

إن إماماً كالإمام ابن تيمية شـــهرته وعلمه وأحواله لجدير بأن يكون محطاً للبحث والدراسة وفي الحقيقة كلمة البحث إنما هي من باب المجاز وإلا فالكلام على هذا الإمام شخصاً وعلماً وتعليماً... لا يجمع في كتاب واحد فضلاً عن كونه بحثاً لكن تعددت الأبحاث والدراسات حوله في شتى الموضوعات ومن هذه الموضوعات بل من أبرزها تربيته العقدية والمناهج التي سلكها لذلك.

وتعدد هذه المناهج من ذلك الإمام راجعة لفقه وعلم ذلك الإمام بالفروق الفردية بين المتعلمين ودلالة واضحة لاستخدامه لأسمى الوسائل التربوية لتأصيل تلك التربية وتنوعها وســـاعد على ذلك كثرة مؤلفاته وتناثرها وتنوع مناهجه التربوية ومدى اهتمامه بالجانب العقدي والذي كان لـــه دور في اختيار الباحث لهذا الجانب على وجه الخصـوص وأيضـاً ما كان له من تأثير على من حوله من طبقات المجتمع ثم ما تلاه من عصـور وثبات منهجه وانتشـاره كان نتيجة لضبط الأصـول الراسـخة التي اعتمد عليها المنبثقة من هدي النبوة؛ لهذا كان البحث في جزئية محددة وهي:



مناهج التربية العقدية عند الإمام ابن تيميَّة
(دراسة وصفية تحليلية)

اشتمل هذا العنوان إيضاحاً وتعريفاً بالبحث : المناهج – التربية – العقيدة .

أما المناهج فأشار الباحث إلى ما يتعلق بتعريفات المنهج المتنوعة وما يتعلق به من أمور مع ذكر المنهج في التربية الإسلامية .

وقد جمع الباحث في بحثه بين ثلاثة أنواع من المناهج وهي:

المنهج الوصفي والمنهج الاستنباطي والمنهج التاريخي لتعلق البحث بتلك الجوانب الثلاثة

وأما التربية فأبان الباحث معانيها المتعددة مع سرد إشارات ولمحات للتربية ثم ذكر ما يتعلق بالتربية من قضايا.

وأما العقيدة فذكر الباحث تعريفات لها ثم كشف عن مدى حفاوة الشريعة بها ؛ حيث إنها دين الفطرة ثم أوضح ذلك من خلال عقد موازنة بين طريقتي القرآن والسنة في عرض العقيدة حيث خروجهما من مشكاة واحدة من حيث المصادر والمنابع والمنهج والسبيل وقوة تأثيرها وأسلوبها مما يظهر أهمية العقيدة الإسلامية ذات الثمار اليانعة خلافاً لغيرها من العقائد غير الإسلامية أصلاً أو الإسلامية المشوبة بشهوات أو جهل أو شبهات .

أخذ الباحث في الكلام على عصر الإمام ابن تيمية أولاً وتمثل ذلك في كلامه على النواحي السياسية والاجتماعية والفكرية والعلمية حيث أشار إلى تدهور الحالة السياسية سواء من الداخل أم من الخارج حيث تجرؤ الأعداء من الصليبيين التتار على بيضة المسلمين وانتشار الضعف العام والتفكك وظهور البدع والفجور وسقوط



بلاد المسلمين واحدة تلو الأخرى في أيدي الأعداء؛ نظراً للتفكك بين الصف المسلم.

ونظراً لفساد الناحية السياسية فإنه أثر ذلك سلباً على الناحية الاجتماعية حيث انتشرت الأمراض الاجتماعية بين أفراد المجتمع المسلم من ظلم وغش وسرقة ونهب وازدياد اشتعال فتيل الفتن والمنازعات بينهم مما زاد الشقة بين أفراد المجتمع وانقسام المجتمع إلى طبقات ثلاث: حاكمة وعلماء وفقهاء ورجال تصوف وعامة أفراد الشعب وكذلك ما حدث من انتشار الفواحش من شرب الخمور والاستهتار بشعائر الدين وعدم الاهتمام بالقيم الإسلامية مع انغماس كثير من العلماء الرسميين في المناصب إلا من رحم الله. ونتيجة لذلك تدهورت الناحية الفكرية حيث ساد التقليد وعكف العلماء على كتب الأقدمين مرددين غير مبتكرين إلا قليلاً منهم ممن سما عن التعصب وترقى عن شؤم التقليد الأعمى للأشخاص والأحزاب فكان نتيجة لذلك أن ركدت الأذهان وأقفل باب الاجتهاد وجمد العلماء – إلا من رحم الله على آراء معينة وقبعوا عليها وحصر كل فريق الصواب إليه وحده.

ثم تأتي الناحية العلمية والتي كأخواتها : النواحي السياسية والاجتماعية والفكرية في انحطاط وتدهور لكن امتازت تلك الناحية بكثرة العلم لا بكثرة الفكر وزيادة الحواشي والفهارس مع وجود بعض العلماء غير الجامدين من أئمة الهدى مما حدا بظهور ذلك الإمام الجهبذ كي ينقذ- بأمر الله تعالى- تلك الأمة من سباتها ويأخذ بأيدي أفرادها إلى بر الأمان: اتباع الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة وفتح باب الاجتهاد والابتكار والترابط بين القول والعمل مع الصدق والإخلاص والتجرد في الدعوة.

وبتدهور تلك النواحي مؤشر إلى انهيار الأمة؛ لأن الأمة لها عمر كعمر المخلوقات صغر ثم استقرار ونمو ثم ضعف فكان ظهور ذلك الإمام في تلك الأزمة منحة من

الخالق سبحانه وتعالى حتى يجدد لهذه الأمة أمرها ويكون ذلك إيذاناً بظهور فجر جديد يأتي على ظلام الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق، وكون هذا الإمام ظهر وأنه أحيا القلوب وجاهد في سبيل إعلاء كلمة الحق باللسان والسنان والبنان إنما كان ذلك يرجع إلى عدة عوامل جعلته عبقرياً سواء من إخلاصه في طلب الحق وتبليغه وأنه لا يبغي من ذلك شيئاً سوى مرضاة الله سبحانه وكذلك التجرد في الدعوة والجهاد والإصلاح له دور هام في تكوين تلك الشخصية الفذة والتي أمدها الله سبحانه بحافظة واعية حديدية تعينه في الأوقات الحرجة مع سرعة الاستحضار مما جعلته يتميز عن علماء عصره بحيث إن وصفه بالعبقرية ليس جزافاً بل بما آتاه الله من عمق في التأمل وحضور بديهة مع الاستقلال الفكري إضافة إلى ما جُبل عليه من فصاحة اللسان وقدرته البيانية مع الشجاعة المعنوية والحسية مما تجعل له هيبة في صدور الأصدقاء والأعداء أما الأصدقاء فالإجلال والإكرام وأما الأعداء فالخوف والرهبة عند اللقاء هذا وإن دورانه مع الدليل حيث دار وأنه متمسك بالوحْيَيْن: الكتاب والسنة جعله كالشامة بين علماء عصره حيث إن أسرته كانت أسرة علم وحديث وأثر مع ما أحاط به من جميل الرعاية من البيئة التي نشأ فيها خصوصاً وأن هذه الأسرة معروفة بالعلم وتوارث الأبناء من الآباء تلك الخصوصية مما جعله متبحراً في العلوم النقلية والعقلية وهي من مستلزمات العبقرية وإلا فبعض العلماء بارعون في قسم معين: إما دين وإما دنيا لكن الجمع بينهما بإتقان مع الرد على أساطين هؤلاء المارقين عن الشريعة بالنقل والعقل ومن نفس كتبهم يلمع من أمر عبقرية هذا الإمام ومن تلك العوامل التي كونت عبقريته جده وحزمه مع النفس منذ الصغر حتى نال ما تمنى وهو مع ذلك ملازم على أوراد وأذكار تجعله في أعلى مراتب العبودية والتي لها أكبر الأثر في نبوغه وألمعيته وعبقريته.



وأوضح الباحث أن هناك ثَمَّة بحوثاً ودراسات كتبت حول الإمام ابن تيمية ومناهجه التربوية خاصة وعنه شخصياً بصورة عامة وأكد هذه البحوث وتلك الدراسات لم تمش على منوال واحد في مناهجها ؛ إذ اختلاف الباحثين والكاتبين من حيث التخصص أو التوجه ولتعدد مشاركات الإمام ابن في العلوم التربوية أوالعقلية أو الشرعية جعل تلك الدراسات متباينة حيث حصرها الباحث في أنواع أربعة :

النوع الأول : دراسات وبحوث متعلقة بالإمام بصورة عامة تحكي سيرته ونشأته وبيئته وعلمه و... وهذه الدراسات متنوعة ومتعددة ما بين قديم وحديث فمنذ عصر تلاميذه حتى هذا العصر والدراسات والبحوث في ازدياد مطرد .

النوع الثاني : دراسات وبحوث تختص بناحية معينة عند هذا الإمام وقد سلك كل كاتب مسلكاً يختلف عن الآخر ؛ نظراً للمجالات التي خاضها ذلك الإمام من إصلاح لجوانب دينية أو فكرية أو سياسية أو تعليمية تربوية .

النوع الثالث : دراسات وبحوث حول بعض الجوانب التربوية خاصة مع إشارة تلك الدراسات إلى سبقه في الأمور التربوية والفكرية على اختلاف تخصصاتها سواء كانت للعامة أم للخاصة وما ظهر من تميزه فكرياً وثباته منهجياً وتفوقه تربوياً ؛ لذا دأب الباحثون والكتاب على إلقاء الضوء على بعض تلك النواحي التربوية عنده من حيث : فكره عموماً ، فكره التربوي ومنهجه ودوره التأصيلي التربوي مع تلازم الخلق بالدين والتهذيب .

النوع الرابع : دراسات وبحوث خاصة بالتربة العقدية عنده ومن المعلوم أن من الباحثين والكتاب من كتب وأشار إلى الجانب التربوي عند الإمام ومنهم من ذكر دوره في الإصلاح العقدي لكن الكلام على جمع التربية مع العقيدة من خلال منهجية معينة قليل مقارنة بغيره من الجوانب هذا مع كثرة ما ألف في الجانب العقدي وتعدد وسائل تربيته للمتعلمين عامة أو خاصة مما حدا بالباحث أن يجمع



مادة هذا البحث مع الإشـارة إلى تأصـيل الإمام ابن تيمية لدعوته في تربيته العقدية وتأصيله إياها عن طريق مناهج محددة لتأكيد كلامه .

ورجوع الباحث لتلك الدراسات السـابقة ذو فوائد ؛ نظراً للمجهود الذي بذل من قبل أصحابها وبُغية التطلع والتعرف على ما يلي :

(أ) المنهج الذي اتبعته الدراسات السابقة .

(ب) الأساليب التي تمت بها تلك الدراسات واتجاهاتها .

(جـ) – أهم النتائج والتوصيات والمقترحات التي تم التوصل إليها .

وكان ذلك من خلال استعراض لبعض تلك الدراسات ثم اختيار كتاب من كل نوع من تلك الأنواع الثلاثة والكلام عليه بشيء من الإيضاح لمضمونه والإظهار لمكنونه .

فلا غَرْوَأن عالماً كالإمام ابن تيمية لجدير بأن يكون منهجه وتكون حياته محطاً للبحوث والدراسات في شتى الميادين .

هذا وإن خوضه في مجالات شتى حدا بالباحثين والكاتبين على اختلافهم التخصصي والبحثي والعلمي – أن ينيطوا اللثام عن درر كامنة في حياته التربوية كانت أو المنهجية أو العلمية الشرعية أو السيرة الذاتية والحياتية .

وقد تعدد الأبحاث ودراسـات حول هذا الإمام فجنح كثير من الباحثين إلى الكلام عن حياته والتعريف بشخصه لإبراز دوره في المجالات المختلفة بَيْدَ أن الدراسـات التي أفردت الكلام على المناهج التي سلكها في تربيته العقدية محدودة . نعم هناك كثير من الرسـائل ألمحت إلى منهجه العقدي أو دوره التربوي والتعليمي أو الفكري لكن دمج الأمرين معاً أي : مناهجه في التربية العقدية هو ما تطرق إليه الباحث وحدده في خمسـة مناهج توضـح كيفية تربيته العقدية للمتعلمين عامة أو

على وجه الخصوص وسواء كانت العملية التربوية تعليمية مباشرة أم غير مباشرة ثم أتبع ذلك بذكر المعايير التربوية التي تؤكد صلاحية مناهجه ...

فلهذا تعددت الأبحاث المختلفة حول هذا الإمام الموسوعي الذي كتب التاريخ منهجه وحياته وتربيته على صفحاته بأحرف من نور تشهد بإمامته وبلوغه شأواً عالياً .

ولكل منهاج عناصر تكونه وأهداف يسعى لتحقيقها وذلك يقوم على أصول ثابتة، وأصَّل الإمام ابن تيمية منهج دعوته إلى الله تعالى بدعائم ثابتة تمثلت في أصل العقيدة حيث تنقيتها والاهتمام بها مع الحفاظ على صفائها من الأكدار والشوائب والتي قد تعلق بها نتيجة عن البعد عن الوحي ثم اهتم بسد وإحكام غلق المنافذ التي قد تشوبها لتكون رقراقة كما كان عليه سلف هذه الأمة؛ ذلك أن مرد قبول أعمال العباد يعتمد أولاً وأخيراً على العقيدة الصحيحة ولكونها أهم المهمات وأوجب الواجبات ثم أتبع ذلك بتأصيله لمنهجه بالاهتمام بشأن العبادة؛ لأنها ثمرة تلك العقيدة الصحيحة واهتمامه بالعبادة لا يقتصر على العبادات الظاهرة من حج وصلاة و... بل العبادة بمفهومها الشامل قولاً وفعلاً واعتقاداً فالمسلم كل حياته عبادة لله عز وجل حيث يستخدمها مطية للآخرة والاستفادة منها مع التحذير من خرق تلك العبادة بشرك أو بما ينقضها وليس المهم أن يكون عابد غير الله أو المعبود من دون الله عز وجل عزيزاً أو حقيراً ولكن المهم هو حدوث الشرك من قبل الإنسان أو وجهت كلها أو جزءٌ منها إليه... فإفراد الله بالعبودية هي ثمرة التوحيد لاحتياج الخلق كلهم إلى خالقهم واحتياجهم إلى أن يعبدوه ثم أصل الأخلاق وله ماله من منزلة عليا في شرعنا الحنيف فكما أن الله تعالى قد حفظ دينه كله بنفسه عرف العاقل أن كل ما ينسب للشرع فيه الهدى والخير والصلاح لسلوكه في حياتيه الدنيا والآخرة... وهذه الأصول الثلاثة تكوِّن منظومة إذا فسد أحدها فسد باقيها فإن



أصـاب العطب أحدها جعل الصـدع يدب في الآخرين فلا يجوز أن يكون المسـلم سليم العقيدة صحيح العبادة بيد أنه سيء الخلق؛ لذلك كان الإمام ابن تيمية يهيب بالمتعلمين ومن يتعامل معهم على أن يحرصوا على حسن الخلق قولاً وعملاً وقد ألمح أن هناك تناسـياً وتلازماً بين الانحراف السـلوكي المتلقى من أنماط غير المسـلمين ومدى تلازمه بمحبة الباطن مما يؤدي إلى فساد العقيدة والعبادة؛ لذلك جعل مصدر الخلق هو الشـرع فلم يرض ولم يوافق لا الاتجاه العقلي ولا الاتجاه التجريبي في التربية الخلقية من حيث المصدرية أو التطبيق مبيناً فساد ذلك متبعاً في حكمه على أحكام الشريعة الغراء.

إنه مما لاشـك فيه أن الإنسـان هو ابن بيئته، يتأثر بما حوله سـلباً أو إيجاباً والإمام ابن تيمية قد كانت نشـأته في ظروف سـياسـية متدهورة حتى إنه أدرك منذ صـغره ظلم الطغاة من التتر ورأى ظلمهم وعايش معاناة أهله وأسـرته وهروبهم إلى الشـام ثم أدرك وهو في عنفوان قوته ورجولته اعتداء النصـارى وما آل إليه حال المسـلمين في ذلك الوقت وكذلك رأى تفكك الروابط الاجتماعية وانهيار الأخلاق بين الأفراد مما يدل على فسـاد الحالة الاجتماعية وما تبعها من قصـور في الناحية الفكرية واقتصـار العلماء على ترديد كلام المتقدمين والتوسع في الفهارس والحواشـي مما أضعف الناحية العلمية لديهم كل ذلك تكون في فكره وحاول إصلاحه بالسنان والبنان واللسـان وكان ذلك جلياً من دعوته إلى الرجوع إلى المنبع الصـافي والمعين العذب: الكتاب والسنة.

فكانت هذه الأشـياء دافعاً لظهور ذلك المجدد المصـلح العملاق والذي ظهرت عليه أمارات العبقرية والألمعية والذكاء منذ صـغره نظراً لما وهبه الله سـبحانه وتعالى من سمات إضـافة إلى دور أسـرته وبيئته ثم إكماله للدراسـة بنفسـه كل ذلك جعله جديراً بأن يكون إماماً يقود الأمة ويصـلحها في وقته ثم بما تركه من تراث تمثل في علمه وسـيرته وترجمته واقتفاء كثير من المصلحين والمجددين به حتى صـار علماً لا



يحتاج إلى إيضاح إلا قول: ابن تيمية فيدل على سمو قدره وغزارة علمه وسعة إطلاعه مع العبادة والزهد فكان حقيقاً بأن يشار إليه بالإجلال والإكرام عبر العصور.

ومما له تعلق بالبحث بين الباحث أهمية الدراسة هذه حيث إن:

أهمية كل شـــيء إنما تعرف من خلال ماهية تلك الأشـياء وكينونتها . وعند النظر إلى عناصر البحث : مناهج – تربية – عقيدة تعلم أهمية هذا البحث وكذلك ما اشـــتمل عليه كل عنصــــر منها على أمور متعلقة بها وهي في حد ذاتها مهمة ومترابطة مع بعضـــها بروابط وثيقة تؤكد اتصـــال التربية بســـائر الفنون الأخرى مع ترابطها بالمنهجية واتضـــح ذلك من خلال التأكيد على لزوم الجانب العقدي ؛ لتكون فعاليتها سامية حيث وجود تربية ذات منهجية وفق عقيدة تصلح لكل البشر على تباين الأماكن والأزمان و... ولا تتَّحِد هذه الأشياء إلا في الإسلام ؛ لسلامة المصدر والثبات والحفاظ وقوة التأثير إذا ما قورنت بالعقائد غير المنضبطة بالوحي ولا المنقادة لحكمه أو تلك التي عكَّر صـــفوها الخروج عن الوحي إلى غيره مما أكد أن سلامة العطاء والثمار اليانعة لا يكون إلا في عقيدة الإسلام .

وهنا كلام يتعلق بعلم الإمام ابن تيمية الموســـوعي وأنه قد تبحر في العلوم النقلية والعقلية ثم أثمر عن ذلك مؤلفات في شتى القضايا ومختلف الموضوعات والتي قد تنوعت وتعددت وألمعت كثيراً من حقائق هذه الشـــريعة الغراء، وبتنوع مؤلفاته شـهد له العلماء بعلو كعبه في العلوم ورسوخه فيها وقد كان من العلماء المكثرين من التصـنيف مع ما كان عليه من الجهاد والتعليم والتربية والحبس والترسـيم... وتنوعت ما بين مؤلفات في القرآن الكريم وعلومه وكذلك كثرت مؤلفاته في الســـنة المطهرة وعلومها إضـــافة إلى ذلك فقد أمتع المســـلمين بأبحاث له في علوم الآلة من أصـــول الفقه ولغة ومنطق حيث عمل على تقويض الباطل وبناء قواعد على مبدأ الشـــرع الحنيف وقد أرســـل إليه العلماء وكافة طبقات المجتمع رســـائل من ســـائر البلدان



يسألونه في أمور دينهم فيجيبهم بقريحة ألمعية وأجوبة زكية فتكوّن من ذلك صرح من الفتاوى في الفقه والعقيدة، فمؤلفاته كلها قيمة وقد أكثر من التصـــنيف في الفقه والعقيدة ما بين فتاوى وشروح أو ردود أو تأصيل وتقعيد ابتداءً .

ولما لهذا الإمام من منزلة عالية ســـامية فقد كان يفتي في أواخر عمره –على ما ترجح له دليله فانفرد ببعض المســـائل مما ســـبب لــــــه هذا الانفراد كثيراً من الاعتراضـات في عصـره وبعده لكن المنصـف من هؤلاء العلماء المعترضـين ينظر إليه نظر العالم المجتهد الذي هو مأجور في الحالتين إما مجتهد مصـــيب فله أجران وإما مجتهد مخطئ فله أجر واحد.

ثم تطرق الكلام إلى بعض شبهات أثيرت حول هذا الإمام وهو منها براء بل هي محض افتراء عليه وخُتم الفصل بالكلام على أنصاره وخصومه من الذين تكلموا في حقه وكل من تكلم بما أملاه عليه ضميره وهذه شهادة في عنق قائليها سيسألون عنها أمام أحكم الحاكمين الذي (يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور)[949] .

إن علم الإمام ابن تيمية الواسع وفهمه الثاقب وإدراكه الواعي مع ما أوتي من الصلاح والعبادة والزهد والدعوة والجهاد وتربية الخلق وربط قلوبهم بالرب سبحانه لمن أكبر الأدلة على ولايته وإمامته وكثير من الصـــالحين والعلماء لم يعرف لهم إلا أمر واحد برعوا فيه ومع هذا يوصـــفون بالصـــلاح والعبادة و... فالقراء أو المكثرون من الذكر أو قيام الليل أو المصلحون أو ... يشهد لهم بالصلاح والعلم في جانبهم هذا ألا يشهد لهذا الإمام العبقري بالعلم؟!

هذا لو اقتصـــر الأمر على العلم فكيف لو أثمر هذا العلم عن مؤلفات ماتعة جليلة في علوم شتى بهرت المتخصصين فيها ألا يدل ذلك على علو كعبه في العلم؟! ولو أضيف إلى ذلك تقريظ جهابذة العلم من بعده على مؤلفاته وثناؤهم عليه لقطع المنصف يقيناً بأنه الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية.

949 – سورة غافر الآية (19)



ومع هذا فالمسلم يعتقد كمال الاعتقاد أن هذا الإمام يخطئ ويصيب وأن العصمة فقط لأنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام وأن العالم المجتهد إن أصاب فله أجران وإن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد وهو مأجور غير مأزور فهو مثاب في الحالتين، لأنه بذل أقصى ما في وسعه ليتحرى الحكم بالدليل من كتاب أو سنة بفهم علماء سلف هذه الأمة.

المنهجية في العلوم ميزان يعرف به نضج الكلام وثباته واستمراره وصدقه مما يجعله راسخاً فاعلاً بناءً، وطبيعة البشر تتسم بتنوع المناهج واختلافها بيد أن هناك اتفاقاً على أصول ثابتة تعمل على تأصيل ذلك المنهج المعين إن وجد... وهكذا العلماء لهم مناهج مختلفة يسلكونها في تربية وتعليم الناس ومن ثمَّ إيصال المعارف المختلفة ونقل الثقافات والطبائع الاجتماعية من جيل لآخر كل حسب تخصصه ومن العلماء الذين برزوا في تاريخ البشرية والذين صار لهم شأوٌ بعيد المنال عبر القرون الإمام ابن تيمية وهو كغيره من العلماء قد سلك في تربيته للناس وتعليمهم مسالك متعددة لكن تهدف إلى غاية واحدة وهي الوصول إلى الكمال الإنساني عن طريق تطبيق المنهج الرباني في هذا الكون من خلال الانقياد لحكم الله وهدي نبيه صلى الله عليه وسلم مع الحرص التام على الاعتصام بهما كما وصل إلى ذلك السلف الصالح لهذه الأمة: جيل الصحابة ثم جيل التابعين ثم تابعيهم...

علم الإمام ابن تيمية ومنهجيته في الدعوة إلى الله تعالى وتربية الخلق إنما هما صنوان فحريٌّ به أن يؤصل أصولاً ثابتة بثبات أصلها وبالتتبع والاستقراء ظهرت للعلماء والباحثين أصوله التي بنى عليها دعوته وهي في حد ذاتها ثابتة بثبات دين الله عز وجل، وهذه الأصول الثلاثة هي: العقيدة والعبادة والأخلاق وعليها مدار الشريعة وهي التي يقوم عليها منهج الدعوة إلى الله تعالى عند شيخ الإسلام وقمينٌ بهذا المنهج أن يعمل صاحبه على ترسيخه حيث تمكنه من العلوم النقلية والعقلية وأمانته في النقل بناءً أو هدماً ثم إنَّ تقديره للأئمة وحسن معاملته لسائر طبقات المجتمع قد

أكسبه ثناءً عطراً يضاف إلى ذلك أن رسوخ هذا المنهج وثباته واستمراره إنما يرجع لأصالة منابعه التي استقرأ منها أدلته وكذلك في إماطة هذا الإمام اللثام عن مسالك العلماء في فهم العقيدة : فلاسفة ومعتزلة وطائفة جعلت آيات القرآن للإخبار لا للإلزام و الأشاعرة لأكبر دليل أظهر سعة علمه واطلاعه وتبحره وتمكنه من علوم عصره وكذا التي سبقته وإلا كيف عرف دقائق الأمور الخاصة بمعتقدات أولئك وهي في أغمار كتبهم ؟! ومن الأمور البديهية أن يتمكن عالم من الرد على طائفة بعينها وممكن أن يكون متخصصاً في الرد عليها بيد أن إماماً كهذا الإمام يرد على طوائف بأسرها مع تشعبها إلى أحزاب شتى ومعتقدات مختلفة بل ربما إلى ديانات متعددة مع اطلاعه على مؤلفات أئمة كل منها جعل منزلة هذا الإمام عالية ورفعت قدره شأواً سامياً وعند إمعان النظر في كلامه على تلك الطوائف والفرق أنه لم يحكم بهوىً أو عن قصر نظر أو عدم اطلاع بل بحكم فاحص متمكن بما يقتضيه الدليل وفق ما يقتضيه شرعنا المطهر محكماً الوحيين: الكتاب والسنة.

ولقد لمع تجرد هذا الإمام وإخلاصه حينما تكلم على تلك الفرق وغيرها بما لها وما عليها ثم تأكد هذا من خلال اعتذاره عمَّن أخطأ من العلماء وكذلك برز تجرده وإخلاصه في إنصافه حق الأشاعرة حيث إنه قرر في غير ما موضع من تآليفه أنهم أقرب الطوائف إلى أهل السنة والجماعة وأكد أن الأشاعرة حالهم مع الطوائف المبتدعة والمنحرفة كحال أهل السنة والجماعة معهم أي أنهم أهل سنة مع تلك الطوائف بيد أنهم مع أهل السنة فيهم بعض انحرافات.

يبين الباحث في هذا الفصل منهجاً من المناهج التي سلكها الإمام ابن تيمية في تأصيله التربوي للعقيدة وهذا المنهج هو المنهج الاستدلالي حيث استخدمه الإمام ابن تيمية في تربيته العقدية .

ثم تطرق الباحث إلى الكلام على حياة ذلك الإمام العبقري من خلال التعريف به: اسماً ولقباً وكنيةً مع الإشارة إلى سنة ولادته وإشارة إلى حال أسرته وبيئته ثم التعريج على ذكر شيوخه وتلاميذه وكذلك ذكر وصفه وبعض سجاياه والتمثيل لبعض أقواله ثم الكلام على توليه التدريس وأنه جدير بهذا المنصب؛ لما ظهر عليه من نجابة منذ صغره ثم الكلام على ربطه بين العلم والجهاد والإصلاح وتوضيح ذلك داخلياً وخارجياً مع ذكر سبب المحن والسجون التي تعرض لها عموماً.

وإمام كهذا الإمام له مكانة علمية عظيمة لما له من علم وجهاد وعبادة وصلاح وإصلاح ومن حاله دائم الاطلاع والتعليم والجهاد والتعرض للحبس أو الترسيم جدير به أن يعزف عن الزواج لا إعراضاً عنه بل اختياراً لتفضيله غيره عليه وهو مسلك شخصي لفاعله حيث إنه لم يدع أحداً لفعله بل هو أمر ترجح لديه وهذا الأمر كما قال الأئمة يختلف من شخص إلى شخص ويختم الباحث المطاف في الفصل الأول بذكر وفاة ذلك الإمام وحسن ختامه وهو يقرأ ويختم القرآن عند آخر آية من سورة القمر لدليلٌ على صدق ذلك الإمام في دعوته – نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحداً وقد رثاه كثير من العلماء سواء المعاصرون له أم الآتون بعده مما يدل على علو منزلته وسمو قدره.

وقد ذكر الباحث استدلال الإمام بالقرآن الكريم من خلال آياته وتوجيهاتها الصحيحة وكذلك قراءات القرآن الكريم وعلومه كما أشار الباحث إلى استدلال الإمام بالسنة المطهرة حيث استدل بالأحاديث مع ذكر توجيهها الصحيح واستدلاله بأحاديث دلائل النبوة و المعجزات و أيضاً ألقى الضوء على موقفه من الاستدلال بأحاديث الآحاد في العقيدة ثم استدلاله بالأحاديث و الآثار الدالة على الأمم السابقة و شمل ذلك حكمه على الحديث سنداً و متناً مع إيراده لطرق



الحديث و حكمه عليها صحة و ضعفاً و أوضح الباحث مدى استدلال الإمام ابن تيمية بالآثار سواء كانت عن الصحابة أو التابعين أومن بعدهم إلى عصره مع حكمه عليها صحة و ضعفاً.

كذلك ألمح موضحاً موقف هذا الإمام من الاستدلال بالكتب السابقة (اليهود و النصارى) من خلال أقوالهم وأفعالهم والحكم على صحة نسبة تلك الأقوال أو الأفعال لهم صحة وضعفاً مع التعريج على موقفه من مسألة " شرع من قبلنا " .

من المعروف عند سائر العلماء أن من اشتهر في فن من فنون العلم وأحسن استخدامه والاستدلال به وله أنه يصبح عالماً مميزاً بين صفوف أهل العلم ، ويقاس مدى تميز العلماء بما يعرفونه من لغات الفنون الأخرى وهي المعروفة باللغة العرفية لكل فنٍّ وهذا ما عُرف به هذا الإمام ليس في فنٍّ واحدٍ بل في فنون متعددة وكتبه ومؤلفاته ورسائله زاخرة بذلك بل وشهادة خصومه الذين عاصروه تشهد بذلك وتؤكده .

وهو قد استدل بأنواع كثيرة من الاستدلالات يحتاج المتخصصون فيها إلى أعمال كي يحصلوا ما حصله فيها وفي شتى العلوم مما يشهد ببراعته وألمعيته وأنه مع هذا لا يكتب إلا بمعايير تربوية ارتآها في تأصيله للعقيدة وقد تربى على ذلك تلاميذه الذين أصبحوا أئمة مما يدل على نضج الثمار التي غرس أصولها وهو بدوره يدل على أنه عملاق عبر العصور وأنه من سادات المربيين العالمين العاملين في هذه الأمة المحمدية المعصومة .

يذكر الباحث منهجاً ثانياً من مناهج استدلال الإمام ابن تيمية في منهاجه التربوي للعقيدة وهو: منهجه التربوي في الاستدلال بمصطلحات الفنون وبيَّن فيه استدلال الإمام ابن تيمية بمصطلحات الفنون ومدى توسعه في ذلك مما يدل على سعة علمه وكان ذلك في مبحثين:

الأول: اسـتدلاله بعلوم الآلة من خلال اسـتدلاله بأصـول الفقه واللغة النحو وكلام المناطقة في التربية العقدية حيث إنه استدل إما مؤصلاً لمنهاجه الذي يتبع فيه معتقد أهل السـنة والجماعة وإما إبطالاً لشـبهات المعترضـين ودحضـاً لحججهم الواهية مع بيان عوارها وقد اسـتدل بتلك الأشـياء حيث إنهم يسـتخدمونها في مصـنفاتهم حتى يكون الرد عليهم من نفس سلاحهم ومنهاجهم.

الثاني: تضلعه في استخدام اللغة العرفية حيث توسعه في معرفة الفنون الأخرى بحيث لم يقتصـر على مجرد الاطلاع بل بمعرفة مدلولات تلك المصـطلحات مع العمل على إثبات صـحتها ثم معرفة معناها وكذلك اسـتدل بتعرفه على صـحة دلالة مصـطلح بعينه على مسـألة بعينها حيث لا يأتي المعترضـون بمصـطلحات لها مدلولات عندهم ويوهمون الناس بخلاف ما يقصـــدون فلما تعرف على معانيها عندهم كشـــف عوار تلك الاســـتدلالات الواهية وهذا يرجع إلى تبحره في فهم مصـــطلحات المخالفين ونقله لتلك المصـــطلحات من أمهات أصـــولهم وليس عن طريق الواســـطة وفي هذا تأكيد لصـــحة منهجه وإنصـــافه وعدله مع المخالف وتربيته للمتعلمين على كيفية التأصيل الشرعي للتربية العقدية إثباتاً أو نفياً.

اســـتدل الإمام ابن تيمية بكل من علوم الآلة واللغة العرفية لأكبر دليل على مدى شمول منهجه وصـــحته؛ إذ أنه ثابت في أصـــوله وهذا لم يمنعه من دراســـة كتب المعترضـين أو حتى الكافرين إ ن كان الغرض صـحيحاً وعنده القدرة على دفع ضـرر هؤلاء وهذان الفنان: علم الآلة أو اللغة العرفية إن عُرف من عالم التوســـع في جزئية منها قيل عنه إنه عالم في ذلك العلم فكيف لو كان عالم قد جمع تلك العلوم كلها كالإمام ابن تيمية؟! إذاً فهذا الإمام صـــاحب منهاج يعتمد في اســـتدلالاته على النصـــوص وعلى تلك العلوم لجدير بأن يكون في أعلى درجات الصـــدق والصـــحة والشـــمول وكونه يعدد من طرق اســـتدلالاته تبعاً للفروق الفردية لدى المتعلمين



فيعكس ذلك شمول منهجه التربوي لأحوال المتعلمين عموماً وفي الجانب العقدي على وجه الخصوص.

وفي هذا المبحث المتعلق بردود الإمام ابن تيمية أهمية كبرى حيث الربط بين المنهج والتربية في تأصيل العقيدة، وقد شمل رده على كل من الملحدين وأهل الكتاب كما رد على الفرق الخارجة عن الشريعة الإسلامية ثم تطرق إلى رده على غلاة الشيعة والمتصوفة كما احتوى على رده على الفرق الاعتقادية كالجبرية والمعتزلة والأشاعرة مع بيان مدى قرب أو بعد تلك الفرق عن الفرقة الناجية وبيان ما لها وما عليها حيث الاستدلال على ذلك بأدلة مختلفة وبإفحام الخصوم بوضعهم في حيرة من تناقض أدلتهم ثم إبطال حججهم من نفس أدلتهم وأقوالهم.

وهنا تناول الباحث ذكر نقض الإمام ابن تيمية لكل من الفلاسفة والمتكلمين والمناطقة كما بين الباحث استخدام الإمام ابن تيمية للخطابة والوعظ والإرشاد في الرد على عقائد المخالفين وتأصيل العقيدة الصحيحة ابتداءً عبر المجامع والمحافل العامة أو على نطاق التدريس وطلبة العلم ثم انتقل الباحث إلى الكلام على استغلال الإمام ابن تيمية للمواقف في رده على المبطلين وتأصيله للعقيدة الصحيحة بمعاييرها التربوية القويمة من خلال جهادة وسفره وحبسه واجتماعه بأهله وأصحابه أو بطبقات المجتمع حاكماً أو محكوماً ثم انتهى المطاف بالباحث في هذا الفصل حيث ذكر الفتاوى لشيخ الإسلام من خلال إجاباته لأسئلة ترد إليه من مسلمين أو غيرهم استرشادية كانت أو إنكارية جدلية ثم تعليقه على بعض الكتابات المخالفة للعقيدة الإسلامية الصحيحة.

الناظر في ردود هذا الإمام العملاق المتنوعة كماً ونوعاً والشاملة لجميع الأصناف من مسلمين وغيرهم، سواء كانت استرشادية أو إنكارية يقطع يقيناً بأنه من كبار علماء الأمة الإسلامية وأنه لفي الذروة العليا بالنسبة للمربين من كبار العلماء هذا إضافة إلى استخدامه للخطابة... بجميع نواحيها واستغلاله للمواقف سفراً وحضراً



وحرباً وســـلماً مما يدل على مدى عمق تفكيره وســـداد رأيه مما يؤكد ثبات منهجه التربوي في تأصيل العقيدة.

وقد ألمح الباحث إلى معلم من معالم التربية العقدية عند الإمام ابن تيمية حيث منهاج الإمام ابن تيمية في تربيته للعقيدة من خلال تخفيفه لمنابع الشـرك، حيث بيَّن الإمام ابن تيمية عظم الشـرك من خلال ذكر بعض أنواع الشـرك المختلفة وأنه ليس واحداً مع أن حكم الشـرك واحد ومن خلال وجوب مخالفة المشـركين ظاهراً وباطناً؛ لما في ذلك من ارتباط فساد في نفس ومعتقد المتشبِّه.

وذكر الباحث أن شيخ الإسلام سلك في تأصيل منهجه التربوي للعقيدة مسالك متعددة مثل القضـاء على الأماكن والمخلوقات المقدسـة والمعبودة من دون الله تعالى عبر كشـفه عن تلبيسـات أهل الضـلال وأحوالهم ومن خلال قضـائه على بعض الخرافات المنتشـرة في زمنه بين الناس أو في أماكن بعيدة من خلال الكتابة وإرسـال الرســـائل إليهم أو مجيئهم إليه ثم عرَّج الباحث إلى مبحث هام يتعلق بموقف الإمام ابن تيمية من تكفير المعين وأكد أنه لا يكفر المعين إلا بشـــروط: منها أن يقصـــد المعين بكلامه أو بفعاله معنى الكفر وكذلك لابد من قيام الحجة ويتم ذلك من خلال التزام ذلك المعين بمذهب بحيث يســـتلزمه مذهباً وفي قيام الحجة لابد وأن توضَّـح إيضـاحاً تاماً حتى تتبين معاندته لله وللرســول ρ هذا ما لم يعارض ذلك معارض من تأويل أو عدم علمٍ بحديث أو حكم أنكره أو نشـأ ببادية و... أو أنكر أو جهل شيئاً ومثله يجهل ذلك...

وأكد على أن التكفير من الأحكام الشرعية لله وللرسول ρ وليس لأحد أن يتساهل فيها ثم ختم الباحث بموقف الإمام ابن تيمية تيمية من المتأولين المخالفين له حيث أوضـح موقفه كمربٍّ ليس لتلاميذه فقط بل للعلماء عبر العصـور وذلك من خلال الاعتذار عن أهل الصـلاح والفضـل عما وقعوا فيه وإظهار ما عند أولئك من خير وصـلاح ونصـرة للإسـلام والمسـلمين وكذلك عدم الدعاء عليهم بل الدعاء لهم



بالهداية ووجوب حفظ أعراض علماء المسلمين المتأولين وعدم معاملتهم بجنس فعلهم بل بما يوافق الشرع.

حقيقة العلم تكمن في عدم الإفراط والتفريط، وهذا مسلك الإمام ابن تيمية حيث يجد الدارس لكتبه ومؤلفاته أنه سلك في تربيته العقدية للمتعلمين في عصره وبعده أنه كان على الجادَّة يجمع بين نصوص الشريعة فلا يجمع بين متناقضين ولا يفرِّق بين مجتمعين وظهر ذلك جلياً من خلال تفريقه بين الأتباع لإمام في الضلالة وبين العوام وكذلك تفريقه بين مطلق التكفير وتكفير المعين مع وضعه لضوابط تكفيره وإرجاعه حكم التكفير أولاً وأخيراً لحكم الله –سبحانه ولحكم رسوله ρ ثم ظهر ذلك بسموّ خلقٍ لمربٍّ عظيم حيث موقفه من المؤولين، وهذا يؤكد إمامته العلمية التربوية الخُلُقية العبودية وهذه أهم ثمار المعتقد الصحيح أن يكون واقعاً علمياً تربوياً على منهاج صحيح متقيد بنور الوحيين: الكتاب والسنة.

تحدث الباحث عن منهج من المناهج التربوية التي سلكها الإمام ابن تيمية في تربيته العقدية ألا وهو جانب القدوة والسلوك واشتمل على ذكر بعض الأمور الخاصة بجانب القدوة لدى الإمام في تربيته العقدية من خلال تقيده والتزامه بما في الكتاب والسنة وتعظيمه لما في الكتاب والسنة ثم ألمح الباحث إلى وضوح مفهوم الإيمان والكفر والولاء والبراء والسنة والبدعة لدى الإمام مما جعله أُنْمُوذَجاً عملياً لما قرره في كتبه حيث اطمئنانه لأمر ربّه –عز وجل في كل شيء وتسلِّيه بالقدر مع أخذه بالأسباب والعمل.

كما أبان جانباً من جوانب القدوة عنده عبر تجريد الإمام العبودية لله –عز وجل من كثرة استغفاره لله –عز وجل، وحُسْن ظَنِّه بربّه وتعلُّقه به ثم في خاتمة المطاف عرَّج الباحث على دعوة الإمام ابن تيمية للحكام والعلماء والدعاة الالتزام بالعقيدة الصحيحة قولاً وعملاً، حتى يكونوا أسوة للناس (مسلمين وغيرهم).



والإمام ابن تيمية خاض في منهاجه من خلال القدوة والسلوك طريقاً يصعب على الكثيرين العبور من خلاله أو الاقتراب منه إما لعدم إحاطتهم بعلم وعدم تعلقهم بتقوى تمنعهم من الوقوع في هوى الحكام أو فتنة العلماء أو لعدم إدراكهم للواقع حيث التلازم المتين بين العلماء والأمراء وبين القدوة من قبل العالم المربِّي وتلاميذه... ولهذا كان جديراً أن يكون شيخاً للإسلام وأن يلقب إماماً حيث إن معرفته بالعلماء والأمراء شيء وحكم الشرع شيء آخر فلا مداهنة ولا خوف لائم ولا طاغٍ غاشم بل يفعل ما يأمره به الشرع فكان ثمرة ذلك تلاميذ أفذاذ تربَّوْا على مائدة منهاجه التربوي للعقيدة مع حُسن الذكر ولسان الصدق في الآخرين والجزاء الأوفى — إن شاء الله – عند ربِّ العالمين؛ لما قدمه من علم نافع ودفع فساد كان قائماً وبما جاهد وربَّى على التقيد بعقيدة السلف الصالح حتى غُيِّب في غياهب السجون وأخرج من بلده حتى مات في السجن بسبب تمسكه بتلك العقيدة وما زاده ذلك إلا عزاً وكرامة وكان نبراساً يقتدي به عبر السنين. وقد طبق منهجه الخلقي عملياً مع كل من: أولي الأمر والعلماء ومع أصحابه وتلاميذه وأهله وكذلك مع عامة الناس ومع مبغضيه وشانئيه ثم مع المبتدعين والكافرين واتبع لذلك المنهج خطوات عملت على الوصول إلى المنهجية الحقة ورسخ منهجه هذا من خلال تبحره في علمي المعقول والمنقول؛ لأن المخالفين إما أن يستدلوا بنقل أو بعقل: فالذين يستدلون بنقل ربما يخلطون في الفهم أو في الاستدلال أو في إسقاط حكم معين لمسألة بعينها أو يجنحون عن الصواب فيرد عليهم بأدلة قوية، وإما أن يستدل المخالفون بأدلة عقلية يشتطون فيها ويغرقون بعداً عن طريق الجادة وإن نقله من المصادر الأصلية عند المناظرات أو حتى في تآليفه بناءً أو هدماً وهذا يدلنا على مدى أمانته في النقل عن أو ضد الخصوم كما هو حال السلف الصالح فيساعده ذلك النقل على إثبات قوة حجته وإفحام خصومه حيث تسعفه ذاكرته الحديدية بنقل أقوال أئمة المخالفين بنصها أو الرد عليهم بها من كتبهم المعتمدة وأقوال أئمتهم



المعتبرة؛ ولذلك فإنه قد يترك المخالفين ثلاث سنين ليثبتوا خلاف قوله مما يوضح ثقته بمنهجه وثباته لأنه جعل الوحيين نصب عينيه. ثم في تقديره للأئمة وإجلال ذوي العلم منهم المجتهدين وإن أخطئوا أو زلت أقدامهم لهوىً أو بسماع لغوٍ أو بتأويل فاسد أو ما شابه ذلك مما قد يخطئ فيه الإنسان فإنه مع ذلك يعترف بالفضل لأهله ولا يعرف الفضل لذوي الفضل إلا ذووا الفضل فيقدر الأئمة وأهل العلم الذين يناقشهم أو يناظرهم أو ينقل عنهم كتابة وكذلك حين الرد عليهم فيعتذر عمن عرف عنهم إجلال الوحيين: الكتاب والسنة فمؤلفاته حافلة بالثناء على أمثال هؤلاء بما قدموه للشرع ودفاعهم عن السنة الشريفة وكذلك تعامله مع جميع طبقات المجتمع تدل على حرصه على تبليغ دعوة الله في كل آنٍ ومكان وحين ولأي إنسان. فلم تقتصر دعوته على فئة دون أخرى بل إنها كما شملت مجالس السلطان والأمراء كانت في المسجد والبيت وفي الشارع وهكذا في ساحة القتال وجبهته وحتى وهو في الحبس والترسيم مما جعل محبته تسود بين طبقات المجتمع.



(الفصل الرابع)

خلاصة البحث

أهم النتائج والتوصيات والمقترحات

وهي خلاصة ما توصل إليه الباحث في بحثه

الفصل الرابع: خلاصة البحث :أهم النتائج والتوصيات والمقترحات:

وهي خلاصة ما توصل إليه الباحث في بحثه وستكون كالتالي:

أولاً: النتائج:

بعد انتهاء الباحث من كتابة هذه الرسالة توصل إلى ما يلي:

1- أوضحت الدراسة وجوب ربط أهل التربية المتعلمين بواقع أمتهم وهذا الأمر من تربيتنا الإسلامية.

2- أشارت الدراسة إلى مدى حاجة الناس إلى التربية الصحيحة التي يتوافق معها كل البشر وهذه التربية لا توجد إلا من خلال تربية مؤيدة بوحي السماء المعصوم.

3-أكدت الدراسة على أهمية استفادة المرِبّي التربوي من مصطلحات أهل الفنون ؛ حتى يخاطبهم بما يفهمون كأنه واحد منهم فيفهم حججهم فيرد خطأهم ويرشدهم للصواب.

4- تميز منهاج الإمام ابن تيميَّة التربوي بتقويضه للمناهج التربوية المنحرفة وإرسائه لأصول وقواعد المنهاج التربوي الصحيح.

5-وجوب التلازم بين النظرية والتطبيق وهذا ما عمله ابن وهو ليس ممن يقبعون بعيدا عن الواقع التربية ويؤلفون.

6-أبرزت الرسالة الدور الهام للإمام أحمد بن تيميَّة وهو أحد كبار أئمة المسلمين في المجال التربوي عموماً والتربوي العقدي على وجه الخصوص وهذا يدل على مدى ثراء العالم الإسلامي بالعباقرة في شتى المجالات.



7-ألمعت الرسالة إلى أن الأمة الإسلامية تزخر بوجود أئمة عظماء في المجال التربوي مستخدمين أنجح المناهج والوسائل التعليمية التربوية.

8- ألمعت الدراسة إلى أهمية كل من التربية و المنهجية عند الإمام ابن تيمية ويدل على ذلك الثمار التربوية اليانعة التي تمثلت فيما يلي:

أ- شهادة كبار علماء عصره لعلمه ومنهاجه وتربيته .

ب- دوره الإصلاحي بدءاً من السلطان وانتهاءً بالمحابيس.

ج- ما تركه من تاريخ واقعي وما تركه من مؤلفات ماتعة شهدت بإمامته وعبقريته و صارت مرجع العلماء والمصلحين عبر العصور.

د- تلاميذه الأعلام الذين أصبح الواحد منهم إماماً في فنه يشار إليه بالبنان.

هـ- استفادة العلماء فضلاً عن طلبة العلم ومن دونهم من منهاجه عبر العصور.

و- تبني الحركات الإصلاحية الدينية منهاجه التربوي وإصلاحه الاجتماعي في طبقات المجتمع المختلفة.

ز- ما تركه من مؤلفات ماتعة شهدت بإمامته وعبقريته.

ح- تعدد مناهجه التربوية ؛ حيث معرفته بالفروق الفردية لدى المتعلمين ومواكبته لثقافة عصره خاصة وباحتياج أمته عامة.

ط- انتشار الفكر التيمي بين أهل العلم عبر العصور.

9-أشارت الدراسة إلى مدى حاجة الناس إلى التربية الصحيحة التي يتوافق معها كل البشر وهذه التربية لا توجد إلا في منهاج بأساليب مؤيدة بوحي السماء المعصوم.

1.-أكدت الدراسة على أهمية استفادة المربِّي التربوي من مصطلحات أهل الفنون ؛ حتى يخاطبهم بما يفهمون كأنه واحد منهم ؛ ليفهم حججهم ويرد خطأهم ويرشدهم للصواب.



11-أبرزت الدراسة أهمية العقيدة وأثرها التربوي في الأفراد والمجتمعات.

12-أكدت الدراسة على وجوب الربط بين المنهجية والتربية السليمة من شوائب النفس :سواء الشهوات أم الشبهات.

13-.توصل الباحث من خلال هذه الرسالة إلى أن تعدد المناهج التي سلكها الإمام ابن تيمية في تربيته العقدية للمتعلمين إنما مرجعه ما يتوافق مع فروقهم الفردية.

14- أبانت الدراسة صحة المنهاج التربوي الذي سار عليه الإمام ابن تيمية ومات في سبيل نصرته وهو منهاج ذو معايير تربوية هادفة صحيحة حيث تميزه بما يلي:

أ - الثبات

ب - الشمول.

ج - التكامل.

د - الوضوح.

15- أكدت الرسالة على أن أولى الخليقة بالتربية على وجهها الحقيقي هم المسلمون وأنهم أجدر الخليقة على تبني موضوع التربية سواء في مناهجهم أم في طرق التعليم أم في الوسائل التعليمية ... وهذا وغيره يؤكد اشتمال التربية عند المسلمين على أصح المعايير؛ وذلك لاعتبارات منها:

- معهم التربية المعصومة من كتاب وسنة.
- إحاطة الوحي المعصوم بدواخل النفس البشرية ومعرفة ما يصلحها وما يفسدها عبر الأزمان.
- كون تربيتهم تهتم بالكينونة الإنسانية جمعاء.
- تربيتهم تنمي في نفوس أصحابها المراقبة والإخلاص وهذا غير متوفر عند غيرهم.



- وجود مبدأ الثواب والعقاب يشـــجع على التضـــحية أثناء التربية والتعليم بلا مقابل.
- كون الجائزة التي يريدها المربِّي والمعلِّم هي رضـا الله تعالى وطاعة رسـوله صـلى الله عليه وسلم ؛ فإن هذا سيجعل العملية التربوية محببة ومطلوبة لذاتها.
- ما رصــده الشــرع المطهر من فضــل التعليم وتكفير الذنوب ســيجعل هناك سباقاً لنيل ذلك الفضل فقط.
- أن المسلمين حازوا قصب السبق في استخدام المصطلحات التربوية كالتعليم والتربية والمنهج واستخدام الوسائل وتنوعها ومراعاة الفروق الفردية .

16-التربية والمنهج بوسائل هي التطبيق العملي للشريعة المحمدية الغراء.
17- أن المربِّي لا يكون مُربِّياً حقاً حتى يختلط ويتعامل مع المتَعلِّمين على اختلاف مشاربهم ويترك وراءه تراثاً زاخراً إما مؤلفات أو تلاميذ وهذه الأمور الثلاثة قد توفرت في الإمام أحمد بن تيميَّة .
18-كشـفت الدراسـة النقاب عن الدور العظيم الذي قام به أحد أبرز علماء هذه الشريعة حيث التقعيد والتأصيل التربوي المنهجي.
19- أبرزت الدراسة جانباً تربوياً هاماً من الجوانب التي برز فيها الإمام ابن تيمية.
2.-أوضــحت الدراســة وجوب ربط أهل التربية المتعلمين بواقع أمتهم وهذا الأمر من تربيتنا الإسلامي
21-أشـارت الدراسة إلى مدى حاجة الناس إلى التربية الصـحيحة التي يتوافق معها كل البشر وهذه التربية لا توجد إلا من خلال تربية مؤيدة بوحي السماء المعصوم.
22-أكدت الدراسة على أهمية استفادة المربِّي التربوي من مصطلحات أهل الفنون ؛ حتى يخاطبهم بما يفهمون كأنه واحد منهم فيفهم حججهم فيرد خطأهم ويرشدهم للصواب.



23- تميز منهاج الإمام ابن تيميَّة التربوي بتقويضه للمناهج التربوية المنحرفة وإرسائه لأصول وقواعد المنهاج التربوي الصحيح.

ثانياً: التوصيات والمقترحات :

بعدما توصل الباحث من خلال رسالته إلى النتائج السابقة فإنه يوصي بالمقترحات بما يلي :

1- الدعوة إلى بناء صرح تعليمي مُوَجَّهٍ للاستفادة من تراث الإمام ابن تيمية في الجوانب التربوية والمنهجية والوسائل التعليمية والمنهج الفكري لديه و.... بحيث يصبح (التراث التربوي التيمي).

2- تشكيل لجنة تربوية تتخصص في إبراز الدور التربوي للإمام ابن تيمية:تعليماً ومنهجاً وتربية ووسائل.

3- دعوة التربويين لإبراز الدور التربوي العظيم الذي قام به الإمام أحمد بن تيميَّة من خلال محاضراتهم ومؤلفاتهم .

4- حث الدارسين والباحثين والاختصاصيين في الدراسات العليا على الاغتراف من العين التربوي التيمي كما استفاد من ذلك الباحثون في المواد الشرعية والمنطقية واللغوية وذلك من خلال الرسائل العديدة التي تجاوزت المئات : تحقيقاً أو دراسة , شرحاً أو تلخيصاً أو لقط درر تناثرت في كتبه وحياته

5 -التأكيد على إظهار مكانة هذا الإمام و العمل على إيصال الفكر التربوي التيمي لكل فئات المجتمع عن طريق رسائل بأسلوب مبسط ؛ ليتعرف المجتمع بطبقاته على ذلك التراث التيمي الرائع ويمكن تطبيق ذلك من خلال:

أ- تسمية القاعات الدراسية والدور التعليمية كالجامعات والمعاهد والمدارس باسمه،وكذلك تسمية الشوارع والأماكن العامة إحياءً لذكراه وجهوده.

ب- التأكيد على إظهار مكانة هذا الإمام ويمكن تطبيق ذلك من خلال وسائل الإعلام المختلفة : المقروءة أم المسموعة أم المرئية.



ج- إرشاد أصحاب الدراسات العليا إلى الجوانب التربوية أو السلوكية للإمام ابن تيمية.

د- حث أصحاب الأبحاث العلمية وأطروحات الدراسات العليا والمسابقات البحثية العامة والمعاهد والمدارس على استخراج ما يتعلق بالتربية من مؤلفاته وتاريخه .

هـ - حث الدارسين والباحثين والاختصاصيين في الدراسات العليا على الاغتراف من المعين التربوي التيمي كما استفاد من ذلك الباحثون في المواد الشرعية والمنطقية واللغوية وذلك من خلال: الرسائل العديدة التي تجاوزت المئات : تحقيقاً أو دراسة , شرحاً أو تلخيصاً أو لقط درر تناثرت في كتبه وحياته .

6-وجوب التلازم بين النظرية والتطبيق وهذا ما عمله الإمام ابن تيمية وهو ليس ممن يقبعون بعيداً عن الواقع ويؤلفون في التربية.

7- التأكيد على ربط التربية والمنهجية بوحي السماء المعصوم وهذا سيؤدي إلى تنقية المناهج التربوية من شوائب الشهوات والشبهات.

التطبيق العملي للمناهج التربوية التي سلكها الإمام ابن تيمية وذلك من قبل المربين.

9- عمل دورات تدريبية وورش عمل متخصصة للاستفادة من المناهج التربوية التيمية.

1.-دعم وتطعيم المناهج التربوية المختلفة بمناهج التربية العقدية من خلال مناهج التربية العقدية التي سلكها الإمام ابن تيمية .



فهرس الأعلام

==



م	الاسم	الصفحة
20	ابن قدامة (مُوفَّق الدين)	45
21	ابن كثير	24
22	ابن مُفْلح	136
23	أبو الحسن الأشعري(الإمام)	119
24	أبو حيان النحوي	46
25	أبو عمرو البصري	82
26	أحمد بن حنبل	52
27	أرسطو	.3
28	أفلاطون	.3
29	أم أحمد الحرانية	51
30	أم الخير الدمشقية	51
31	أم العرب بنت عساكر	51
32	أم محمد الحرانية	51
33	أم محمد المقدسية	51
34	البرزالي	24
35	البزار	24
36	البلقيني	8
37	سليمان التِّلمساني	.11
38	جان جاك روسو	35
39	جنكيز خان (جنكزخان)	41
40	الجُنيد	.11



م	الاسم	الصفحة
41	الجهم بن صفوان	114
42	حسن البنا	8
43	الحلاج	.11
44	الذهبي	24
45	رفاعة الطهطاوي	29
46	ساطع الحصري	29
47	السبكي (تقي الدين)	24
48	ست الدار بنت تيمية (عمة الإمام ابن تيمية)	51
49	ست النِّعم الحرانية (والدة الإمام ابن تيمية)	51
50	السنوسي	8
51	سهل بن عبد الله التسْتري	.11
52	السيوطي	8
53	الشاطبي	8
54	الشافعي	7
55	شرف الدين المقدسي	.5
56	الشوكاني	63
57	صديق حسن خان	49
58	عبد القادر الجيلاني	7
59	عز الدين بن عبد السلام	43
60	علي الصالحي	.5
61	عمر المختار	8


شبكة
الألوكة
www.alukah.net



م	الاسم	الصفحة
83	المستعصم	41
84	جون ملتن	.3
85	المنجا التيوخي	.5
86	المنذري	45
87	أبو الأعلى المودودي	8
88	ابن الحريري	62
89	النورسي	8
90	النووي	32
91	القيرواني	31
92	الواسطي (تلميذ الإمام ابن تيمية وليس شيخه)	24
93	الواسطي (شيخ الإمام ابن تيمية وليس الواسطي تلميذه)	136
94	يوحنا هربارت	35



فهرس المراجع

==

إبراهيم بن أحمد الفياني "خادم شيخ الإسلام" ،ناحية من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق الشيخ محب الدين الخطيب، المكتب الإسلامي لإحياء التراث،ط1،مصر،1425هـ-2..3م.

إبراهيم محمد العلي، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، دار القلم، ط1، دمشق – سوريا، 1421هـ 2...م.

إبراهيم ناصر، أسس التربية ، دار عمار، ط2، عمان – الأردن، 14.9هـ 1989م.

ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية ، تحقيق جماعة من العلماء، خرج أحاديثها الشيخ الألباني، المكتب الإسلامي، ط9، بيروت – لبنان، 14.8هـ 1988م.

ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، دار صادر، بدون ط، بيروت – لبنان، 14.2هـ 1982م.

ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار المسيرة، ط2، بيروت – لبنان، 1399هـ 1979م.

ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين ، دار الفكر، ط2، بيروت – لبنان، 1397هـ 1977م.

ابن القيِّم، الفوائد، تحقيق محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، بدون ط، صيدا، بيروت – لبنان، 1422هـ 2..1م.

ابن القيّم، الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب، تحقيق حسن أحمد إسبر، دار ابن حزم، ط1، بيروت – لبنان، 1418هـ 1997م.

ابن القيّم، تحفة الودود بأحكام المولود، تحقيق الشيخ عبد القادر الأرنؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق – سوريا، 1971م.



ابن القيّم، مدارج السالكين، تحقيق عماد عامر، دار الحديث، بدون ط، القاهرة – مصر،1424هـ 2..3م.

ابن تيمية – ابن عبد الوهاب، مجموعة التوحيد ، تصحيح الشيخ عبد الله الأنصاري، دار العروبة للطباعة والنشر والتوزيع، بدون ط، الدوحة – قطر، بدون ت.

ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ، تحقيق د. ناصر عبد الكريم العقل، دار العاصمة، ط6، الرياض – المملكة العربية السعودية، 1419هـ 1998م.

ابن تيمية، الأربعون التيمية ، شرح وتصحيح وتخريج صلاح أحمد السامرائي، مكتبة القدس، بدون ط، بغداد – العراق، 1986م.

ابن تيمية، الاستقامة ، تحقيق د. محمد رشاد سالم، دار الفضيلة ابن حزم، ط1، الرياض – المملكة العربية السعودية، بيروت – لبنان، 142.هـ 2...م.

ابن تيمية، التفسير الكبير، تحقيق د. عبد الرحمن عميرة، دار الكتب العلمية، بدون ط، بيروت – لبنان، بدون ت.

ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، تحقيق مجدي قاسم، مكتبة البلد الأمين، ط1، جدة – المملكة العربية السعودية، 1414هـ 1993م.

ابن تيمية، الرد على البكري، تحقيق محمد علي عجال، جـ2 ص493، مكتبة الغرباء الأثرية، ط1، المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية، 1417هـ.

ابن تيمية، الرسالة التدمرية ، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط5، بيروت – لبنان، دمشق – سوريا، 14.8هـ 1988م.

ابن تيمية، السياسة الشرعية ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، بدون ط، الرياض – المملكة العربية السعودية، 1419هـ.



ابن تيمية، الصارم المسلول على شاتم الرسول ، تحقيق محمد عبد الله عمر الحلواني، محمد كبير أحمد شودري، دار ابن حزم، بيروت – لبنان، 1417هـ.

ابن تيمية، الفتاوى الكبرى ، تحقيق الشيخ حسنين محمد مخلوف، دار المعرفة، ط1، بيروت – لبنان، 1386هـ.

ابن تيمية، الفرقان بين الحق والباطل ، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، مكتبة دار البيان، ط1، دمشق – سوريا، 14.5هـ 1985م.

ابن تيمية، بغية المرتاد ، تحقيق د. موسى بن سليمان الدويش، العلوم والحكم ط3، المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية، 1422هـ 2..1م.

ابن تيمية، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (نقض تأسيس الجهمية ، تحقيق محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، مطبعة الحكومة، بدون ط، مكة المكرمة – المملكة العربية السعودية، 1391هـ.

ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل ، تحقيق د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، الرياض – المملكة العربية السعودية 1399هـ 1979م.

ابن تيمية، عرش الرحمن ومجموعة الرسائل والمسائل ، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، بدون ط، الرياض – المملكة العربية السعودية، 1419هـ.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ، جمع عبد الرحمن بن قاسم بمساعدة ابنه محمد، إشراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين، ط2 الرياض – المملكة العربية السعودية، بدون ت.

ابن تيمية، مجموعة الرسائل الكبرى، دار إحياء التراث العربي، بدون ط، بيروت – لبنان، بدون ت.



ابن تيمية، مجموعة الرسائل والمسائل ، تخريج وتعليق السيد رشيد رضا، دار الباز، بدون ط، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، بدون ت.

ابن تيمية، منهاج السنة النبوية ، تحقيق د. محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبه، ط1، 14.6هـ.

ابن حبان، صحيح ابن حبان – موارد الظمآن ، تحقيق محمد عبد الرازق حمزة، دار الكتب العلمية، بدون ت.

ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ، دار الجيل، بدون ط، بيروت – لبنان، بدون ت.

ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الغد العربي، ط1، القاهرة – مصر، 1412هـ 1992م.

ابن خَلْدون، تاريخ ابن خَلْدون ، تحقيق الأستاذ خليل شحادة، مراجعة د. سهيل زكار، دار الفكر، ط1، بيروت – لبنان، 14.1هـ 1981م.

ابن رجب الحنبلي، كتاب الذيل على طبقات الحنابلة ، دار المعرفة، بدون ط، بيروت – لبنان، بدون ت.

ابن سعد، الطبقات الكبرى ، دار صادر، بدون ط، بيروت – لبنان، بدون ت.

ابن عبد الهادي، العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق طلعت بن فؤاد الحلواني، الفاروق الحديثة، ط1، القاهرة – مصر، 1422هـ 2..1م.

ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط1، القاهرة – مصر، 1369هـ.

ابن قدامة المقدسي، المغني ، تحقيق د. عبد الله تركي، د. عبد الفتاح الحلو، دار عالم الكتب، ط4، الرياض – المملكة العربية السعودية، 1419هـ 1999م.

ابن كثير، البداية والنهاية ، دار ابن كثير، بدون ط، بيروت – لبنان، 1967م.



ابن كثير، تفسـير القرآن العظيم ، دار المعرفة للطباعة والنشـر، بدون ط، بيروت – لبنان، 1388هـ 1969م.

ابن ماجه ، سـنن ابن ماجه ، تحقيق د. محمد مصـطفى الأعظمي، شـركة الطباعة العربية، ط2، الرياض – المملكة العربية السعودية، 14.4هـ.

ابن منظور، لســان العرب ، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت – لبنان، 1424هـ 2..3م.

أبو الأعلى المودودي، الإســلام والجاهلية ، دار الفكر، بدون ط، بيروت – لبنان، بدون ت.

أبو الحســن على الحســن الندوي، رجال الفكر والدعوة في الإســلام ، الحافظ ابن تيمية، تعريب سـعيد الأعظمي الندوي، دار القلم، بدون ط، الكيوت – الكويت، 14.1هـ 1981م.

أبو بكر بن العربي، أحكام القرآن ، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بدون ط، بيروت – لبنان بدون ت.

أبو بكر جابر الجزائري، عقيدة المؤمن ، دار الســلام، ط2، القاهرة – مصــر، 1424هـ 2..3م.

أبو بكر جابر الجزائري، منهاج المســلم ، المكتبة التوفيقية، ط4، القاهرة – مصــر، بدون ت.

أبو داود، سـنن أبي داود ، راجعها، محمد محي الدين عبد الحميد، دار إحياء السـنة النبوية، بدون ط، مكة المكرمة – المملكة العربية السعودية، بدون ت.

أبو لبابة حســين، التربية في الســنة النبوية ، دار اللواء، ط3، الرياض – المملكة العربية السعودية، 14.3هـ 1983م.

أبو نُوَاس، ديوان أبي نواس ، دار صادر، بدون ط، بيروت – لبنان، 2..1م.

أحمد القطان و الشيخ محمد الزين، شيخ الإسلام ابن تيمية: جهاده، دعوته، بدون ط، الكويت، 1986.

أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، بفهرس الألباني، المكتب الإسلامي، ط4، بيروت – لبنان، 14.1هـ 1983م.

أحمد بن عبد العزيز الجليبي، أصول الحكم على المبتدعة عند شيخ الإسلام ابن تيمية، كتاب الأمة، ط1، الدوحة – قطر، 1417هـ - 1997م. (مجلة دورية)

أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي ، مكتبة النهضة المصرية، ط7، القاهرة – مصر، 1985-1986م.

أحمد فؤاد الأهواني، التربية في الإسلام، دار المعارف، ط2، القاهرة – مصر، 1975م.

الألوسي، غاية الأماني في الرد على النبهاني ، مطابع نجد التجارية، بدون ط، الرياض – المملكة العربية السعودية، بدون ت.

الإمام الألوسي، غاية الأماني في الرد على النبهاني، ج2، ص179، مطابع نجد التجارية، بدون ط، الرياض – المملكة العربية السعودية، بدون ت.

أمين مرسي قنديل، أصول التربية وفن التدريس، ط4، - مصر، 1356هـ، 1937م.

البزار، الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط4، بيروت – لبنان، 1423هـ 2..2م.

بكر بن عبد الله أبو زيد، المداخل إلى آثار شيخ الإسلام ابن تيمية و ما لحقها من أعمال، دار علم الفوائد، ط1، مكة المكرمة – المملكة العربية السعودية، 1424هـ.

بول مترو، المرجع في تاريخ التربية ، ترجمة صالح عبد العزيز، راجعه حامد عبد القادر، مكتبة النهضة المصرية، بدون ط، القاهرة – مصر، بدون ت.



البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بـــ "تفسير البيضاوي" ، دار الجيل، بدون ط، بيروت – لبنان، بدون ت.

البيهقي، الســـنن الكبرى، مطبعة مجلس إدارة المعارف العثمانية، ط1، حيدر آباد، الدكن – الهند، 1355هـ.

الترمذي، ســـنن الترمذي، إعداد الشـــيخ سمير البخاري، دار إحياء التراث العربي، بدون ط، بيروت – لبنان، 1415هـ 1995م.

ج.د. نست بان. ج. أنتويستل، مناهج البحث التربوي، ترجمة د. حسين سليمان قورة د. إبراهيم بسيوني عميرة، دار المعارف، ط1، القاهرة – مصر، 1974م.

جابر عبد الحميد جابر، د. أحمد خير كاظم، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، دار النهضة العربية، بدون ط، القاهرة – مصر، 1985م.

الجوهري، الصـــحاح، تحقيق د. إميل بديع يعقوب، د. محمد نبيل طريفي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت – لبنان، 142.هـ 1999م.

الحاكم، المستدرك على الصحيحين، دار الكتاب العربي، بدون ط، بيروت – لبنان، بدون ت.

حسـن البنا، مجموعة رسـائل الإمام الشـهيد، مؤسـسـة الزغبي، بدون ط، بيروت – لبنان، بدون ت.

الدمرداش عبد المجيد سـرحان، المناهج المعاصـرة، مكتبة الفلاح، ط5، الكويت – الكويت، 14.5هـ 1985م.

الذهبي، تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بدون ط، بيروت – لبنان، بدون ت.

الذهبي، دول الإسـلام، عني بطبعه ونشـره الشـيخ عبد الله الأنصـاري، إدارة إحياء التراث الإسلامي، بدون ط، الدوحة – قطر، بدون ت.



الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق إبراهيم الزيبق، أشرق على تحقيق وتخريج الأحاديث شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت – لبنان، 14.4هـ 1984م.

الرازي، مختار الصحاح، عني بترتيبه محمود خاطر، مراجعة وتحقيق لجنة من علماء العربية، دار المعارف، بدون ط، القاهرة – مصر، بدون ت.

الراغب الأصفهاني، المفردات، مكتبة ومطبعة الحلبي، بدون ط، القاهرة – مصر، بدون ت.

روني أوبيير، التربية العامة، تعريب عبد الله عبد الدائم، دار العلم للملايين، ط1، بيروت – لبنان، 1967م.

الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، ط6، بيروت – لبنان، 1984م.

زغلول راغب محمد النجار، أزمة التعليم المعاصر، مكتبة الفلاح، بدون ط، الكويت – الكويت، 198.م.

الزمخشري، أساس البلاغة، دار صادر، بدون ط، بيروت – لبنان، 1399هـ 1979م.

الزمخشري، الفائق، تحقيق علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، ط2، بيروت – لبنان، بدون ت.

الزمخشري، الكشاف، دار الفكر، ط1، بيروت – لبنان، 1397هـ 1977م.

الزمخشري، المستقصي في أمثال العرب، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت – لبنان، 1397هـ 1977م.

زياد إبراهيم عدنان، المدخل في التربية من المعرفة إلى السلوك (رسالة ماجستير) ،إشراف د. إسحاق غازي، دار المعارف، ط2، عمان – الأردن، 1417هـ 1997م.



السرخسي، المبسوط، دار المعرفة، بدون ط، بيروت – لبنان، دمشق – سوريا، 14.8هـ 1986م.

سعيد إسماعيل علي، أصول التربية الإسلامية، دار الثقافة، بدون ط، القاهرة – مصر، 1976م.

سعيد بن علي بن وهف القحطاني، بيان عقيدة أهل السنة والجماعة ولزوم اتباعها، إشراف الشيخ ابن باز، مؤسسة الجريسي، ط1، الرياض – المملكة العربية السعودية، 1419هـ.

السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنوعها، تصحيح وتعليق محمد أحمد جاد المولى، علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بدون ط، صيدا – لبنان، 1986م.

السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق لجنة من الأدباء، دار الثقافة، بدون ط، بيروت – لبنان، بدون ت.

السيوطي، صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام، تحقيق د. علي النشار، السيدة سعاد علي عبد الرازق، سلسلة إحياء التراث الإسلامي- مجمع البحوث الإسلامية، دار النصر للطباعة، بدون ط، القاهرة – مصر، سنة 197..

الشاطبي، الاعتصام، تقديم العلامة السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بدون ط، بيروت – لبنان، بدون ت.

الشاطبي، الموافقات، تحقيق محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، بدون ط، صيدا وبيروت – لبنان، 1425هـ 2..4م.

شوقي أبو خليل، الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، دار الفكر، ط2، دمشق – سوريا، 1417هـ 1996م.

صابر طعيمة، المعرفة في منهج القرآن الكريم، دار الجيل، بدون ط، بيروت – لبنان، 1985م.



صالح الأطرم، الأسئلة والأجوبة في العقيدة، دار الوطن، ط1، الرياض – المملكة العربية السعودية، 1413هـ.

صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، كيف تقرأ كتب شيخ الإسلام ابن تيمية؟ مادة مسجلة، تسجيلات التقوى، الرياض – المملكةالعربية السعودية. (مادة مسجلة)

صالح عبد الرحمن عبد الله، حلمي فودة، المرشد في كتابة البحوث التربوية، دار المنار، ط5، مكة المكرمة. المملكة العربية السعودية، 14.8هـ.

صديق حسن خان، التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، المطبعة الهندية العربية، ط2، بمباي – الهند، 1383هـ 1963م.

طاش كُبرِي زاده، موسوعة مصطلحات مفتاح دار السعادة، تحقيق د. علي دحروج تقديم د. رفيق العجم، ص 7.6، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، بيروت – لبنان، 1988م.

الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، ط2، الموصل – العراق 14.4هـ 1983م.

عائض القرني، على ساحل ابن تيمية، مكتبة العبيكان، ط1، الرياض – المملكة العربية السعودية، 1423هـ 2..2م.

عبد الرحمن الباني، مدخل إلى التربية، المكتب الإسلامي، ط2، بيروت – لبنان، 14.3هـ 1983م.

عبد الرحمن النقيب، من آفاق البحث العلمي في التربية الإسلامية،الكتاب الخامس، دار الفكر العربي، بدون ط، بيروت – لبنان، بدون ت.

عبد الرحمن بن صالح المحمود، موقف ابن تيمية من الأشاعرة، مكتبة الرشد، ط1، الرياض – المملكة العربية السعودية، 1415هـ 1995مز



عبد الرحمن ناصـــر الســـعدي، فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن، المكتبة الإسـلامية، بدون ط، القاهرة – مصر، 2..3م.

عبد الفتاح أبو غدة ، العلماء العزاب الذين آثروا العلم على الزواج، ص 167، مكتبة المطبوعات الإسلامية، ط4، حلب – سوريا، بيروت – لبنان، 1414هـ – 1996م.

عبد الفتاح أبو غدة، العلماء العزاب الذين آثروا العلم على الزواج، مكتبة المطبوعات الإسلامية، ط4، حلب – سوريا، بيروت – لبنان، 1414هـ 1996م.

عبد الفتاح أبو غدة، صـفحات من صـبر العلماء على شـدائد العلم والتحصـيل، مطبعة المطبوعات الإسلامية، ط3، حلب – سوريا، بيروت – لبنان، 1413هـ – 1992م.

عبد الله الحوشـاني، منهج شـيخ الإسـلام ابن تيمية في الدعوة، مركز الدراسـات والإعلام – دار إشبيليه، ط1، بيروت – لبنان، 1417هـ 1996م.

عبد الله عبد الحميد الأثري، الوجيز في عقيدة السلف الصالح، دار ابن خزيمة، ط1، الرياض – المملكة العربية السعودية، 1421هـ 2...م.

عبد المتعال الصـعيدي، المجددون في الإسـلام، مكتبة الآداب، بدون ط، القاهرة – مصر، بدون ت.

عدنان النحوي، التربية في الإسـلام: النظرية والمنهج، دار النحوي، ط1، الرياض – المملكة العربية السعودية، 142.هـ 2...م.

عدنان محمد زرزور، نحو عقيدة إسلامية فاعلة، المكتب الإسلامي، ط1، بيروت – لبنان، 1414هـ 1994م.

علي أحمد مدكور، نظريات المناهج التربوية، دار الفكر العربي، ط1، القاهرة – مصر، 1417هـ 1997م.



علي خليل أبو العينين، فلسلفة التربية الإسلامية، دار الفكر، ط2، بيروت – لبنان، 1976م.

علي عبد الحليم محمود، وسائل التربية عند الإخوان المسلمين، دار التوزيع والنشر الإسلامية، بدون ط، القاهرة – مصر 1418هـ - 1997م.

علي عبد الله اليافعي، رؤىً مستقبلية في مناهجنا التربوية، دار الثقافة، ط1، الدوحة – قطر، 1416هـ 1995م.

عمر سليمان الأشقر، العقيدة في الله، دار النفائس، ط12، عمان – الأردن، 1421هـ 2...م.

عمر محمد التومي الشيباني، فلسفة التربية الإسلامية، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ط6، طرابلس – ليبيا، 1968م.

الغزالي، إحياء علوم الدين، تخريج الإمام العراقي، دار القلم، ط1، بيروت – لبنان، بدون ت.

الغزالي، المستصفي في علم الأصول، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت – لبنان، 14.3هـ 1983م.

الغزالي، رسالة أيها الولد، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط1، القاهرة – مصر، 1414هـ 1993م.

فريد الأنصاري، التوحيد والوساطة في التربية الدعوية، كتاب الأمة – العدد 48، ط1، الدوحة – قطر، السنة الخامسة عشر، 1416هـ. (مجلة دورية)

الفيروز آبادي، القاموس المحيط ، مصطفى الحلبي،ط2، القاهرة – مصر، 1371هـ.

لطفي بركات أحمد، في الفكر التربوي الإسلامي، دار المريخ للنشر، ط1، الرياض – المملكة العربية الإسلامية، 14.2هـ - 1982م.

ماجد عرسان الكيلاني، مناهج التربية الإسلامية والمربون العاملون فيها، مؤسسة الريان، بدون ط، بيروت – لبنان، 1419هـ 1998م.



مجمع اللغة العربي، المعجم الوسـيط، قام بإخراجه د. إبراهيم أنيس، د. عبد الحليم منتصـر، عطية الصـوالحي، محمد خلف الله أحمد، قام بنشـره الشـيخ عبد الله الأنصاري، إدارة إحياء التراث الإسلامي، بدون ط، الدوحة – قطر، بدون ت.

محمد أبو زهرة، ابن تيمية: حياته وعصـره – آراؤه وفقهه، دار الفكر العربي، بدون ط، القاهرة – مصر، 1977م.

محمد أحمد إسماعيل المقدم، حرمة أهل العلم، دار الإيمان، ط5، الإسـكندرية – مصر، 1423هـ 2..2م.

محمد الأمين الشنقيطي ،منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، الدار السلفية، ط3، الكويت – الكويت، 1395هـ.

محمد بن شاكر الكتبي، فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بدون ط، بيروت – لبنان، 1973م.

محمد بن علي التهانوي، موسـوعة اصـطلاحات الفنون والعلوم ، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، بيروت – لبنان، 1996م.

محمد بهجة البيطار، حياة شيخ الإسـلام ابن تيمية، المكتب الإسـلامي، بدون ط، بيروت – لبنان، 138.هـ 1961م.

محمد حسني الزين، منطق ابن تيمية ومنهجه الفكري،المكتب الإسلامي،ط1 ،دمشق–سوريا–بيروت–لبنان،1399هـ-1979م.

محمد خليل هراس، باعث النهضـة الإسـلامية: ابن تيمية السـلفي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت – لبنان، 14.4هـ 1984م.

محمد خير فاطمة، منهج الإسـلام في تربية عقيدة الناشـئ، تقديم ونقريظ د. أحمد كفتارو، دار الخير، ط1، بيروت – لبنان، دمشق سوريا، 1419هـ 1998م.

محمد عزت عبد الموجود وزملاؤه، أسـاسيات المنهج وتنظيماته، دار الثقافة للطباعة والنشر، ط1، القاهرة – مصر، 1981م.



محمد عُزَيْر شمس، علي بن محمد العِمْران، إشراف وتقديم الشيخ بكر بن عبد الله أبي زيد، الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون، دار علم الفوائد للنشر والتوزيع، ط2، مكة المكرمة – المملكة العربية السعودية، 1422هـ.

محمد فهد خاروف، الميسر في القراءات الأربع عشر بهامش المصحف الشريف، مراجعة الشيخ محمد كريِّم راجح، دار ابن كثير، ط3، دمشق – سوريا، بيروت – لبنان، 1422هـ 2..1م.

محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، دار الشروق، ط15، القاهرة – مصر، 1421هـ 2..1م.

محمد كريِّم راجح، القراءات العشر المتواترة بهامش المصحف الشريف، دار المهاجر، ط4، المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية، 1425هـ 2..4م.

محمد ناصر الدين الألباني، السلسلة الصحيحة، المكتب الإسلامي، بدون ط، بيروت – لبنان، 1392هـ 1972م.

محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته، إشراف زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط3، بيروت – لبنان، دمشق – سوريا، 14.8هـ 1988م.

محمد ناصر الدين الألباني، صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم، المكتب الإسلامي، ط14، بيروت – لبنان، دمشق – سوريا، 14.8هـ 1987م.

محمود إمبابي، من سمات العقيدة الإسلامية، مقال بمجلة الأزهر، السنة (78)، القاهرة – مصر، 1426هـ - 2..5م. (مجلة دورية)

محمود بن الجميل، جامع متون العلوم الشرعية، دار البصيرة، بدون ط، الإسكندرية – مصر، بدون ت.

مرعي الكرمي، الكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية، تحقيق نجم عبد الرحمن خلف، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت – لبنان، 14.6هـ 1986م.



مسلم، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت – لبان، 1375هـ 1955م.

مقدار يالجن، أهداف التربية الإسلامية، دار الهدى، ط2، الرياض – المملكة العربية السعودية، 14.9هـ 1989م.

ناصر العقل ، مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة ، ، ط، ،السعودية، .

نديم مرعشلي، أسامة مرعشلي، الصحاح في اللغة والعلوم، تقديم الشيخ عبد الله العلايلي،دار الحضارة العربية، ط1، بيروت – لبنان، 1974م.

النووي، التبيان في آداب حملة القرآن، مؤسسة الريان، ط3، بيروت – لبنان، 1414هـ 1994م.

النووي، المجموع شرح المهذب، المكتبة السلفية، بدون ط، المدينة المنورة، بدون ت.

النووي، المنهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجاج، بيت الأفكار الدولية ، بدون ط ، عمّانالأردن ، الرياض المملكة العربية السعودية ، بدون ت .

الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار الفكر، بدون ط، بيروت – لبنان، 1414هـ 1994م.

الواسطي، التذكرة والاعتبار، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط1، بيروت – لبنان، دمشق – سوريا، 1422هـ 2..2م.

وليد محمود محمد السيد،القضايا التربوية المتضمنة في كتابات محمد قطب " دراسة تحليلية " تخصص أصول التربية،قسم أصول التربية–كلية البنات للآداب والعلوم التربوية– جامعة عين شمس،إشراف أ.د نوال أحمد نصر– د أماني عصمت عبد العزيز هيبة، رسالة ماجستير غير منشورة،القاهرة–مصر،1427هـ- 6..2م .
(رسالة ماجستيرغير منشورة).

ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بدون ط، بيروت – لبنان، 1957م.



يوسف القرضاوي، التربية عند الإمام الشاطبي، دار الصحوة – دار الوفاء، ط1، القاهرة – مصر، 1415هـ 1994م.



فهرس الأشكال والرسومات

==



فهرس الموضوعات

==
















شبكة
الألوكة
www.alukah.net